الغدير

في الكتاب والسنة والأدب

تأليف

عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

بمناسبة تشكيل معرض كتاب طهران

الدولي الأول

ربيع الأول ١٤٠٨

دار الكتب الإسلامية

تهران - بازار سلطاني

الغدير

في الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني. علمي. فني. تاريخي. أدبي. أخلاقي

مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنة وأدباً

ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الأثارة

من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ

عبد الحسين احمد الأميني النجفي



اسم الكتاب : الغدير - الجزء التاسع

المؤلف : العلامة الاميني رضوان الله عليه

الناشر : دارالكتب الاسلامية : طهران

المطبعة : مطبعة مروى

تاريخ الطبع : الطبعة الرابعة - الجمادى الاولى ١٤١٠، دى ١٣٦٨

الكمية : ٣٠٠٠ نسخة

كلمة قدسيّة

تفضّل بها سيّدنا الحجّة آية الله السيّد حسين الموسوي الحمّامي النجفي دام ظلّه الوارف ، وقد شفّعها بخطاب يبدي فيه إعجابه بكتاب « الغدير » ويعرب عن نواياه الحسنة في تقدير آثار الأئمّة ومآثرها ، وإليك نصّ الخطاب مشفوعاً بالشكر المتواصل لسماحة السيّد .

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاّمة الحجّة الأميني دام عزّه وتأييده .

بعد السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته : اُرسل كتابي اليكم مشفوعاً بكلمتي عن موسوعتكم « الغدير » وكنت قبل هذا من زمن ليس بالقريب اُحاول القيام بغير هذا فقط تجاه مقامك السامي ومنزلتك الرفيعة ، تقديراً لخدمتك المشكورة ولكن : المرء رهين المقدور . فما استطعت أن أمدّ باعي بما حاولت ، وها أنا أبعث رسالتي إليك و ملؤها الاعتذار لتقع منك موقع حسن القبول ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ونرجو من الله عزّ وجلّ أن يمدّ عنايته بكم ويرعاكم بألطافه لازلتم مؤيّدين .

الأحقر حسين الموسوي الحمّامي

ودونك الكلمة نفسها :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

ألحمد لله كما هو أهل للحمد ، والصّلاة والسّلام على أشرف خلقه وسيّد رسله محمّد ، وعلى آله أئمّة الهدى ومصابيح الدجى ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

لا يخفى على من أجال النظر وأمعن التفكير في عالم التأليف والتصنيف وما يلاقيه

ذوو العلم من المجهود على اختلاف مواضيع ما يؤلف، وسعة معرفة المؤلف ونطاق إحاطته بما أوتي من علم وفضل (يجد المنصف من نفسه) أنّ كتاب «الغدير» هو الجدير بالذكر والإطراء، والتقريض والثناء، وانه المفرد في بابه، والوحيد في موضوعه، فكم من حقائق أسدل عليها ستار الشبه، وستر تهايد الأهواء، وأخفتها كف طالما سترت الحق طي أناملها، وزوته في بطون كتبها، فراح الحق رهين أهواء وسلطة، فجاء «الغدير» من بعد حين يميط عنها غياهب الظلم، ويكشف دون وجهها حجاب التدجيل، فأسفر الحق عن محضه، وأصحر النور لذي عينين كالشمس في رائعة النهار، فلله در كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأقول والحق يقال: إن من سبر هذا السفر الميمون والكتاب الجليل وأحاط بما أودع فيه من غزارة العلم، ومتانة التعبير، وحسن الاسلوب، ورصانة البيان، وسعة التنقيب، وطول الباع، وكثرة الإطلاع يكاد يذهب إلى ما قاله البعض في حق الكتاب: إنه عمل ومجهود لا تقوم بأعباء ثقله إلا أمة و جماعة قد نهض به عالم وحده. والله يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً. ولا أسهب في القول إن وصفته بهذا فحسب، وأجدني غير موف لحق المقام، غير أن الظروف لاتسع للاعراب عن كل ما يراد، وإن مؤلفنا الثقة فقيه المؤرخين ومؤرخ الفقهاء العلامة «الأميني» دام عزه ومجده وتأييده وتسديده هو من اولئك الذين وقفوا حياتهم الثمينة وأرخصوا أوقاتهم الغالية لتشييد الدين وإعلاء كلمة الحق والجهاد في سبيل الشريعة المقدسة والصراط المستقيم والمنهج المهيع «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا».

ونحن في الوقت الذي ندعو للمؤلف الأمين بالتأييد والتسديد نطلب من الله تعالى شأنه من فضله وعنايته بهذه الأمة الاسلامية المحمدية والفرقة الناجية العلوية أن يكثر فيها أمثاله من الأعلام وحملة العلم والأقلام ورجالات الفضيلة، وأن يتقبل هذا المجهود العظيم منه بعين لطفه وأن يرعاه بالقبول، وأن يجمع به شمل الأمة وشتات الفرقة.

ومن أراد الحق وطلب سبيل الرشاد واستضاء بنور الهداية فلديه كتاب «الغدير» كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون. وفق الله الجميع لمراضيه إنه ولي التوفيق، والسلام على جميع المؤمنين ورحمة الله و بركاته.

١٣٧٠/٦/٦

الاحقر حسين الموسوى الحمامى

رسالة قيمة

أتتنا من العلوي الشريف العلامة السيد حسين الموسوي الهندي نزيل « خرنابات » مؤلف « الإسلام مبدأ و عقيدة » أقدم له جزيل شكري معجباً بتأليفه القيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة البحاثة المدقق والثبت المتتبع حجة الإسلام الاستاذ الكبير شيخنا الشيخ عبد الحسين الأميني دامت بركاته .

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم .

أبعث إليكم رسالة بعجز مرسلها ناطقة ، وبعفوكم وقبولكم عارفة ، وبفيض فضلكم مغمورة ، دمتم للمؤمنين ذخراً وللمسلمين فخراً ، فأريج المسك يعبق من نفحات همتكم الفياضة بالعمل النافع ، وديم الفضل تغدق من سماء مجدكم الشامخ بالعلم الوفير ، وضياء بدر عزيمتكم يسطع من غرر أعمالكم الخالدة ، وينير في جنبات العالم بأنوار تعاليمكم ، ونجوم مؤلفاتكم المتألقة في آفاق الدنيا المدلهمة ، هي مما جاد به يراعكم وأفاض به فكركم ، كللتم تاج العصر الحاضر بما أتحفتموه من درر بيانكم وجواهر كلامكم لا سيما في « الغدير » الذي أروى الغليل وأشفى العليل ، فإنه آيات تنزل من وحي الضمير الصادق على الصدر الرحيب ، وبينات من الهدى والفرقان ، مقتبسات من أحاديث النبي الأمين ، ومستقاة من نهج بلاغة أمير المؤمنين ، وإنه آيات تصك المسامع بالحجج وتأخذ بالمسلمين إلى الصراط السوي ، وهي بنفسها حصون منيعة لسور الايمان ، وأسلاك شائكة على حمى الولاية تمنع عنها العدوان وترد الأيدي الأثيمة ، فكم للمسلمين من ثغر سددتموه بمدادكم وحرستموه بعيون مؤلفاتكم ؟.

فللغدير فصول من الثناء و للمحاسبات التاريخية فيه أبواب من المدح سجلها لكم التاريخ بمداد البقاء على ألواح الخلود ، وللردود بنود من الإطراء تتصل بالأجيال إتصال معقب لما يكتب أو يقال ، وإنه لعمر الحق موسوعة جامعة كشمس ذات إشعاع

متموّج قرّت فيها عيون ، وأرمصت منها أخرى ، أوهي كفواكه ذوات طعوم متنوّعة و روائح شتّى ممّا لذّ وطاب ، وإنّها لآية الإبداع في العمل ، ومعجزة الزمن الحاضر التي رفعت كلمة المستحيل من قاموس العاملين ، والتي لا يحلم بها مسلم عامل ولا يفكر فيها مؤمن صفر الكفّ من وضر الدنيا والمساعدين ، فأقدمتم والعزيمة يحفزهمتكم و التصميم يوكلكم ، فكانت كأحسن ما تكون موسوعة اشتركت في مواضيعها جمعيّة جزّأتها حسب الإختصاص والكفاءات ، وبرزت تبعث في القلوب بهجة وروعة ، وترسل إلى الأرواح متعاً وغذاءً ، وتوصل النفوس من كشف الغيوب إلى عالم الشهادة والسّعادة ، فحيّا الله جدّكم الذي لم يخر أمام مشاكل ملتوية ، ومرحاً لسعيكم المشكور الذي لم يثنه شيء من مهمّات الأمور ، فأمدّ الله إلى قوّتكم قوّة ، وأعانكم منه على عملكم الدائب المستمرّ ، وأخذ بناصركم إنّه سميع مجيب ، هذه تذكرة وذكرى ، تذكرة للعاملين وذكرى لمقامكم الرفيع وقوّة جهادكم لمناصرة الدين .

فالحقّ على المؤمنين أن يفتخروا برجلهم الفذّ ، وواحد هم الذي غالب آحاداً ممّن دوّخوا التاريخ بالصيت وملؤا الكتب بالشهرة ، والواجب عليهم أن يقرنوا الشكر له بالدعاء في دوام البقاء ، ويأخذوا بهدى آل البيت النبويّ الطاهر من حامل علومهم المناضل المجاهد العالم العامل ، فهو ممّن منحه الله ملكة الايحاء إلى القلوب النقيّة وأمكنه من إفهام الطبقات الراقية من أهل الثقافات العالية بمايزيل به عنهم درن صدورهم ويزيح عنهم وساوس شكوكهم بالحقائق الراهنة و الصراحة المحبّبة .

فياأيّها المولى الجليل : تحيّة المتفاني بالإخلاص إليكم ، وسلام المغمور بفيض فضلكم ، وثناء المتربّع على مائدة علمكم التي دعوتم إليها القريب والبعيد .

إنّي أجلّ مقامكم السامي عن المدح والثناء ، لأنّي عيّ وحصور فلاأفي ببعض الواجب ، ولكنّي سايرت القلم الملهم من يراعكم لمارأيته يحنو لعظمتكم ويهمس من هيبتكم ، فليكن الرضا منكم شفيعاً بالقبول ، والصدر منكم رحيباً للتقصير أو القصور ، ولكم الفضل أوّلاً ويعود إليكم آخراً كما كان بولائكم متّصلاً

حسين الموسوي الهندي

« خرنابات » ٢٨ محرم الحرام ١٣٧١

كتاب

أتانا من شيخنا العَلَم الأوحد حجّة الإسلام مولانا الشيخ حيدر قلي الشهير بسردار الكابلي قطين كرمانشاه صاحب التآليف الضخمة الفخمة القيّمة حيّاه الله وبيّاه ذخراً للملأ العلمي، وشكراً له وألف شكر ، وإليك نصّه :

يتشرّف بتقبيل أنامل العلم العلاّمة البحّاثة الفهّامة حجّة الإسلام والمسلمين عماد المؤمنين مولانا المبرّء من كلّ شين الشيخ عبد الحسين الأميني دامت بركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو ، وأصلّي وأسلّم على سيّد رسله وأشرف أنبيائه ، وعلى وصيّه بالصّدق وخليفته بالحقّ ، الذي نصبه يوم الغدير علماً لعباده ومناراً في بلاده ، وعلى بنيه الأئمّة الهداة والأوصياء الولاة من بعده ، لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرسل وأوصيائهم ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى مَن حيّ عن بيّنة صلّى الله عليهم وسلّم .

أمّا بعد : فقد أتاني رسولٌ من عندك بغالية فيها حياة القلوب وشفاء النفوس ، ألا وهي كتاب « الغدير » فرأيته بحراً متلاطماً تيّاره ، متراكماً زخّاره ، لولا أنّه سفينة مشحونة بجواهر الحقايق العوالي ولئالي الأسرار الغوالي ، غير أنّه شمسٌ أشرقت من اُفق الغريّ فأضاءت الدنيا بنورها الأبهج ، وأماطت غياهب الشبهات بضيائه الأبلج ، بيد أنّه دائرة المعارف الإلهيّة وسفط من العلوم الربّانيّة ، لولا أنّه روضةٌ من رياض القدس فيها ما تلذّ به العين وتشتهيه النفس ، فترى طيورها شادية على أفنانها ، وحمامها مغرّدة على أغصانها بأنواع الألحان المطربة ، فتجذب القلوب الصافية والنفوس الزاكية

إلى مقامات الصفاء ومنازل الأنس ، غرستها يد الولاية الربانية العظمى والخلافة الإلهية الكبرى ، فيها زرافات من الأولياء وكبار الأئمة ، وثلة من العلماء الأبرار و الفقهاء الأخيار ، وصنوف من العرفاء والحكماء ، وصفوف من الأمراء والشعراء وعباقرة الأدب واقفين على باب الحضرة العلوية على مشرفها الصلاة والسلام ، والعلامة « الأميني » ينزلهم في منازلهم المعلومة بأمر مولاه صلوات الله وسلامه عليه على حسب درجاتهم ، يتذاكرون الأحاديث النبوية على ضفة الغدير ، وينشدون الأشعار الغديرية ، فيطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب و أباريق و كأس من معين ، يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ثم يصلهم بمقامات الصلة ويخبرهم على حسب طبقاتهم وحسن طوياتهم وصفاء نياتهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، فهنيئاً لك أيها الأميني ولهم ، وأذاقنا الله تعالى بفضله رشفة أو رشحة من ذلك الغدير العذب إنه غفور رحيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله .

مخلصكم في الوداد

حيدرقلي الكابلي عفي عنه

إنا لله وإنا إليه راجعون

فجعنا بفقد هذا العلم الشامخ ، فقيد العلم والدين ، صبيحة الثلثاء رابع جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ وفد إلى ربه الكريم بعد إقامة فريضة الصبح قدس الله سره ، و يوافيك تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى.

كتاب بعد كتاب

أتيانا من الخطيب المفوّه الاستاذ محمّد نجيب زهر الدين العاملي مدرّس العلوم الدينيّة في الكلّية العامليّة ببيروت ، بالغ بهما في الثناء على كتابنا « الغدير » وممّا جاء في كتابه الأوّل قوله : فإنّي من أشدّ المعجبين بفضلكم ، المشيّدين بآثاركم ومآثركم ، و أبحاثكم الطريفة المفيدة ، و فوائدكم التي ظهرت واضحة جليّة ، وبرزت ساطعة قويّة في كتابكم الجليل الخالد ، ومؤلّفكم العظيم النّادر : « الغدير » السفر الذي بزّ الأسفار ، والذي كشفتم به النقاب عن وجه الحقّ المقنّع ، وجلوتم به الحقيقة سافرة رقراقة ، فحيّاكم الله وجزاكم عن صاحب يوم الغدير خير الجزاء على هذا المجهود الجبّار الذي سوف يبقى مدى الأجيال ذكراً مذكوراً ، وعملاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً .
إلى أن قال :

رأيت من الواجب عليّ أن أرد منهل مولانا العلاّمة « الأميني » هذا المنهل العذب ، و أروي ظمأ نفسي وعقلي من غديره الصافي ، ثمّ أعود من هذا الورود وذلك الريّ بمجموعة نفيسة وتحفة غالية من دُرر عالمنا « الأميني » ولئاليه فانثرها على صهوات المنابر ومواقف التدريس على عقول الجماهير و أفكار الناشئة حِكماً نافعة ، وحججاً قاطعة ، وشعلةً وهّاجةً ، وقبساً منيراً .

ومن فصول كتابه الثاني المؤرّخ بـ ٨ شوّال سنة ١٣٧٠ قوله :

و « الغدير » بعدُ سفر ضخم من أسفار الحقيقة والخلود ، لأنّه كتاب حقّ ، و صحيفة صدق ، وديوان للعلم والحكمة والأدب والتاريخ ، ومنهل عذب لروّاد الحديث ودرايته وفنونه ، ومصدرٌ لتتبّع الحوادث الفذّة واستقرائها ، ومنبعٌ فيّاضٌ بالأدلّة الساطعة ، والبراهين القاطعة الدالّة على إمامة صاحب البيعة يوم الغدير سلام الله عليه ، والناطقة بفضله وفضل الأئمّة من بنيه عليه وعليهم أطيب التحيّات وأزكى الصّلوات.

وماكان « الغدير » ليَخرج للنّاس بهذه الحلة القشيبة والثوب النقيّ الفضفاض لولا بيان « الأميني » الناصع ، وعلمه الناجع ، واسلوبه الرائع ، وأدبه الممتع ، ودليله

المقنع ، وبلاغته الواضحة ، وحجّته اللائحة ، وديباجته المشرقة ، وبراعته المعرقة ، و منطقه السديد ، وبحثه المفيد ، وتعبيره الرائق ، وتجرّده الصّادق ، وجهده الكبير ، وعناؤه الكثير !!! .

فشكراً للعلاّمة « الأميني » و ألف شكر . . و ثناء على جهده وجهاده و ألف ثناء . . و مرحى لآثاره العلميّة النافعة ، و جزاه الله عن الإسلام ونبيّه وعترة نبيّه أحسن الجزاء .

وليأذن لي علاّمتنا « الأميني » أن اُسجّل لديه بهذه المناسبة شكراً خاصّاً لمن شرّفني بالتعرّف على شخصيّة مؤلّف « الغدير » الفذّة ، وإيمانه الراسخ ، و عقيدته الصافية ، وأخلاقه السمحة ، ومقاصده النبيلة ، و نصرته للحقّ وأهله بروحه وماله ، ولسانه ويده ، ونفسه ونفيسه ، وعلمه وعمله ، نسأل الله له التوفيق والتأييد والفلاح والنجاح .

وليعلم مولانا « الأميني » أنّي عاملٌ على الإستقاء من آثاره لأنشرها ، و من آدابه لأبثّها ، و من معارفه لاُذيعها في المدرسة تارة ، وفي المجتمع طوراً ، ومن على منبر الخطابة تارةً اُخرى . الخ .

كتاب ضاف

جاءنا من الاستاذ القدير سلمان عبّاس الدوّاح الزبيدي من ناحية الكميت ، يحتوي على معان فخمة يطري بها كتاب « الغدير » ويشكر جهودنا في تأليفه ، ويذكر موقف الملأ الديني تجاهه ، ومن جمله قوله :

فقد تصفّحنا سفركم الغدير بأجزائه الثمانية فوجدناه سفراً جليلاً ضمّ بين طيّاته آيات الحقّ الواضحة والبراهين الساطعة التي إن دلّت فإنّما تدلّ على مدى حبّكم لآل البيت وتفانيكم في سبيل إظهار الحقّ ومحق الباطل .

سيّدي ؛ لقد أظهرتم ـ ولست بمبالغ ـ للملأ الإسلامي خاصّة سفراً أعجز عن مثله السابقون وقد يعجز عنه اللاحقون ، فماسعيكم طيلة حقب كثيرة مضت وما اجتيازكم عقبات جمّة صادفتموها أثناء التنقيب والتفتيش عن البراهين والحجج القويّة التي تثبت بدورها غايتكم التي تريدون إثباتها وإظهارها للملأ ما هو إلّا أن تظهروا ذلك السفر بمظهره اللائق به ، وحقّاً فقد جاء كما أنشدكم .

« الغدير » يا سيّدي هو ذلك الكتاب الزاخر باللئالىء الوضّاءة التي تكشف عن الحقائق المطمورة ، وظهور تلك الحقايق بدوره يذهب كلّ باطل ظاهر ، فكم ضالّ إهتدى بنور ذلك السفر الجليل وآب إليه عقله ، وكم من متحمّس إلى إظهار لواء الحقّ إلّا وقد رفع رأسه عالياً بفضل هذا الكتاب الجليل . إلخ .

ناحية الكميت — سلمان عبّاس الدوّاح الزبيدي

١٠ رمضان ١٣٧٠ هـ

١٥ حزيران ١٩٥١ م

وهناك عدّة كتب في تقريظ « الغدير » أتتنا من بعض الأعلام والأساتذة الأفذاذ أرجأنا نشرها إلى آونة أخرى ، نقدّم للجميع شكرنا الجزيل المتواصل .

الجزء التاسع

يتضمن تراجم جمع من أعاظم
الصّحابة رجال الدعوة الصالحة . والبحث
عمّا لفّقته يد الافتعال من التاريخ المزوّر . وما
ألّفته سماسرة الجهل والدجل من الكتب . والإعراب
عن صحيح ما في قصّة قتيل الصّحابة « عثمان »
وإخفاق ما هنالك من جلبة ولغط ، أو مكاء
وتصدية . والله وليّ التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبحانَكَ ! ما كانَ لنا أنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أولياءَ ، فالحَقُّ والحقَّ أقولُ ، حَقيقٌ عليَّ أنْ لا أقولَ عَلى اللهِ إلّا الحقَّ ، مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغيرِ عِلمٍ وَلا هدىً ولا كِتابٍ مُنِيرٍ ، وَلدينا كِتابٌ يَنطِقُ بِالحَقِّ ، كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَربيّاً ، إذهبْ بِكتابي هذافألقِهِ إلَيهِمْ ثُمَّ تولَّ عَنهُمْ ، وقُلْ : جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقاً ، ولقَدْ وَصَّلنا لهُمُ القولَ لعلّهم يَتذكّرونْ ، ولِيعلمَ الذينَ أُوتوا العِلمَ أنَّهُ الحقُّ مِنْ ربِّك فَيُؤمِنوا بهِ ، فتُخبِتَ لهُ قُلوبهُمْ ، إنَّما قَولُ المُؤمنينَ إذا دُعُوا إلى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيحكم بينَهُمْ أنْ يقُولوا : سمِعنا وَأطعنا ، ألذينَ يستمِعُونَ القولَ فيتَّبعونَ أحسَنَهُ أُولئِكَ الذينَ هَداهُمُ اللهُ وَأُولئِكَ هُم أُولوا الألبابِ .

ياقوم ! لا أسألكُمْ عَليهِ مالاً إنْ أجري إلّا على اللهِ ، لا أسألكُمْ عَليهِ أجراً إلّا المودَّةَ فِي القُربى ، وَما علينا إلّا البَلاغ المُبينُ ، إنّما وَليُّكُم اللهُ وَرسولُه وَالذينَ آمَنُوا الذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكاةَ وَهُم راكِعونَ ، فالحَمدُ للهِ وَسلامٌ عَلى المُرسلينَ .

الأميني

يتبع الجزء الثامن

- ٤١ -

الخليفة يخرج ابن مسعود من المسجد عنفاً

أخرج البلاذري في الأنساب ٥ : ٣٦ قال : حدَّثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعوانة في إسنادهما : إنَّ عبدالله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال : مَن غيَّر غيَّر الله ما به . ومن بدَّل أسخط الله عليه ، وما أرى صاحبكم إلّا وقد غيَّر وبدَّل ، أيُعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولّى الوليد ؟ وكان يتكلّم بكلام لا يدعه وهو :

إنَّ أصدق القول كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمَّد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلّ محدَث بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار [١] .

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنّه يعيبك ويطعن عليك ، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه فاجتمع الناس فقالوا : أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيءٌ تكرهه ، فقال : إنَّ له عليَّ حقّ الطاعة ولا اُحبُّ أن أكون أوَّل من فتح باب الفتن . وفي لفظ أبي عمر : إنّها ستكون اُمور وفتن لا اُحبّ أن أكون أوَّل من فتحها . فردَّ الناس وخرج اليه [٢] .

قال البلاذري : وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن فقالوا له: جزيت خيراً فلقد علّمتَ جاهلنا ، وثبّت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقّهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل ، ثمَّ ودَّعوه وانصرفوا ، وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ فلمّا رآه قال : ألا إنّه قد قدمت عليكم دُويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ، فقال ابن مسعود : لست كذلك ولكنّي صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان . ونادت عائشة : أي عثمان ! أتقول هذا لصاحب

(١) هذه جملة من كلمة ابن مسعود وقد اخرجها برمتها ابو نعيم فى حلية الاولياء ١ : ١٣٨ وهى كلمة قيمة فيها فوائد جمة .

(٢) الاستيعاب ١ : ٣٧٣ .

رسول الله ﷺ ؟ ثمّ أمر عثمان به فأُخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وضرب به عبدالله ابن زمعة الأرض ، ويقال : بل احتمله «يحموم» غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدُقّ ضلعه ، فقال عليٌّ : ياعثمان ! أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة ؟ فقال : ما بقول الوليد فعلت هذا ولكن وجّهت زُبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة فقال له ابن مسعود : إنّ دم عثمان حلال ، فقال عليٌّ : أحلت عن زبيد على غير ثقة .

وفي لفظ الواقدي : إنّ ابن مسعود لمّا استقدم المدينة دخلها ليلة جمعة فلمّا علم عثمان بدخوله قال : ياأيّها الناس انّه قد طرقكم الليلة دُويبةٌ ؛ من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ، فقال ابن مسعود : لست كذلك و لكنني صاحب رسول الله يوم بدر ، و صاحبه يوم بيعة الرضوان ، وصاحبه يوم الخندق ، وصاحبه يوم حنين . قال : و صاحت عائشة : ياعثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ؟ فقال عثمان : اسكتي . ثمّ قال لعبدالله ابن زمعة : أخرجه إخراجاً عنيفاً ، فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه ، فقال ابن مسعود : قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان .

قال البلاذري : وقام عليٌّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله ، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي ، وأراد حين برئ الغزو فمنعه من ذلك وقال له مروان : إنّ ابن مسعود أفسد عليك العراق ، أفتريد أن يفسد عليك الشام ؟ فلم يبرح المدينة حتّى توفّي قبل مقتل عثمان بسنتين ، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين .

وقال قومٌ : إنّه كان نازلاً على سعد بن أبي وقاص ، ولمّا مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربّي . قال : ألا أدعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : أفلا آمر لك بعطائك ؟ (١) قال : منعتنيه و أنا محتاج إليه ، وتعطينيه وأنا مستغن عنه ؟ قال : يكون لولدك ، قال : رزقهم على الله . قال : إستغفر لي يا أبا عبد الرحمن ، قال : أسأل الله أن

(١) قال ابن كثير في تاريخه ٧ : ١٦٣ : كان قد تركه سنتين .

يأخذلي منك بحقي ، وأوصى أن لا يصلّي عليه عثمان فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم فلمّا علم غضب ، وقال : سبقتموني به ؟ فقال له عمّار بن ياسر : إنّه أوصى أن لا تصلّي عليه . فقال ابن الزبير[1] :

لأعرفنّك بعد الموت تندبني ☆ وفي حياتي ما زوّدتني زادي

وفي لفظ ابن كثير في تاريخه ٧ : ١٦٣ : جاءه عثمان في مرضه عائداً فقال له : ما تشتكي ؟ قال ذنوبي . قال فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربّي . قال : لا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا آمر لك بعطائك ؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ فقال : لا حاجة لي . فقال : يكون لبناتك من بعدك ، فقال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إنّي أمرت بناتي أن يقرأن كلّ ليلة سورة الواقعة وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَن قرأ الواقعة كلّ ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

وقال البلاذري : كان الزبير وصيّ ابن مسعود في ماله وولده ، وهو كلّم عثمان في عطائه بعد وفاته حتّى أخرجه لولده ، وأوصى ابن مسعود أن يصلّي عليه عمّار بن ياسر ، وقوم يزعمون انّ عمّاراً كان وصيّه ووصيّة الزبير أثبت .

وأخرج البلاذري من طريق أبي موسى القروي باسناده : انّه دخل عثمان على ابن مسعود في مرضه فاستغفر كلّ واحد منهما لصاحبه ، فلمّا انصرف عثمان قال بعض من حضر : إنّ دمه لحلال . فقال إبن مسعود : ما يسرّني انّني سددت إليه سهماً يخطئه وأنّ لي مثل اُحد ذهباً .

وقال الحاكم وأبو عمرو ابن كثير : أوصى ابن مسعود إلى الزبير بن العوام فيقال : إنّه هو الذي صلّى عليه ودفنه بالبقيع ليلاً بايصائه بذلك إليه ولم يعلم عثمان بدفنه ، ثمّ عاتب عثمان الزبير على ذلك ، وقيل : بل صلّى عليه عثمان ، وقيل : عمّار[2] .

وفي رواية توجد في شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٣٦ : لمّا حضره الموت قال : مَن يتقبّل منّي وصيّة اوصيه بها على ما فيها ؟ فسكت القوم وعرفوا الذي يريد فأعادها فقال عمّار : أنا أقبلها ، فقال ابن مسعود : أن لا يصلّي عليّ عثمان . قال : ذلك لك ، فيقال :

---

(١) كذا والصحيح كما في شرح ابن ابي الحديد ١ : ٢٣٦ : فتمثل الزبير .

(٢) المستدرك ٣ : ٣١٣ ، الاستيعاب ١ : ٣٧٣ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٦٣ .

إنّه لمّا دفن جاء عثمان منكراً لذلك فقال له قائل : إنّ عمّاراً ولي الأمر . فقال لعمّار : ما حملك على أن لم تؤذني ؟ فقال : عهد إليّ أن لا اوذنك . إلخ . وذكر كلّ ما رويناه عن البلاذري مع زيادة ، فراجع .

وفي لفظ اليعقوبي : إعتلّ إبن مسعود فأتاه عثمان يعوده فقال له : ما كلام بلغني عنك ؟ قال : ذكرت الذي فعلته بي إنّك أمرت بي فوطئ جوفي فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر ومنعتني عطائي . قال : فانّي اقيدك من نفسي فافعل بي مثل الذي فعل بك . قال : ماكنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء . قال : فهذا عطاؤك فخذه ، قال : منعتنيه وأنا محتاج إليه . وتعطينيه وأنا غنيّ عنه ، لا حاجة لي به . فانصرف فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتّى توفّي . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤٧ .

وأخرج محمّد بن إسحاق عن محمّد بن كعب القرظي : انّ عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذر . شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٣٧ .

و في تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٨ : حبس (عثمان) عبد الله بن مسعود و أبي ذر عطاءهما وأخرج أباذر إلى الربذة وكان بها إلى أن مات . وأوصى (عبدالله) إلى الزبير وأوصاه أن يصلّي عليه ولايستأذن عثمان لئلّا يصلّي عليه ، فلمّا دفن وصل عثمان ورثته بعطاء أبيهم خمس سنين . وأجاب بأنّ عثمان كان مجتهداً ولم يكن من قصده حرمانه ، إمّا التأخير إلى غاية أدباً ، إمّا مع حصول تلك الغاية أودونها وصل به ورثته ولعلّه كان أنفع له .

وفي السيرة الحلبية ٢ : ٨٧ من جملة ما انتُقم به على عثمان : انّه حبس عبد الله ابن مسعود وهجره ، وحبس عطاء اُبيّ بن كعب ، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لمّا شكاه معاوية ، وضرب عمّار بن ياسر و كعب بن عبدة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال ، وقال لعبد الرحمن بن عوف : إنّك منافق . الخ .

قال الأميني : لعلّك لا تستكنه هذه الجرأة ولا تبلغ مداها حتّى تعلم أنّ ابن مسعود مَن هو ؟ فهنالك تؤمن بأنّ ما فُعل به حوبٌ كبير لا يبرّر مَن ارتكب به أيّ عذر معقول فضلاً عن التافهات .

١ـ أخرج مسلم وابن ماجة من طريق سعد بن أبي وقاص قال نزل قوله تعالى :

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين « الأنعام ٥٢ » في ستة نفر منهم عبد الله بن مسعود .

راجع تفسير الطبري ٧ : ١٢٨ ، المستدرك للحاكم ٣ : ٣١٩ ، تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٠٠ ، تفسير القرطبي ١٦ : ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، تفسير ابن كثير ٢ : ١٣٥ ، تفسير ابن جزي ٢ : ١٠ ، تفسير الدر المنثور ٣ : ١٣ ، تفسير الخازن ٢ : ١٨ ، تفسير الشربيني ١ : ٤٠٤ ، تفسير الشوكاني ٢ : ١١٥ .

٢ - أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣ : ١٠٨ ط ليدن من طريق عبدالله بن مسعود نزول قوله تعالى : الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم و اتقوا أجر عظيم « آل عمران ١٧٢ » في ثمانية عشر رجلاً هو أحدهم .

و ذكر ابن كثير والخازن في تفسير هما : إنّ ابن مسعود ممّن نزلت فيهم الآية

٣ - ذكر الشربيني و الخازن نزول قوله تعالى : أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة . في ابن مسعود وعمّار وسلمان . يأتي تفصيله بُعيد هذا في ترجمة عمّار.

٤ - عن عليّ عليه السلام مرفوعاً : عبدالله يوم القيامة في الميزان أثقل من اُحد .

و في لفظ : و الذي نفسي بيده لهما (يعنى ساقي ابن مسعود) أثقل في الميزان من اُحد .

وفي لفظ : والذي نفسي بيده لساقا عبدالله يوم القيامة أشدّ وأعظم من اُحد وحراء .

راجع مستدرك الحاكم ٣ : ٣١٧ ، حلية الأولياء ١ : ١٢٧ ، الاستيعاب ١ : ٣٧١ ، صفة الصفوة ١ : ١٥٧ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٦٣ ، الاصابة ٢ : ٣٧٠ ، مجمع الزوائد للهيثمي ٩ : ٢٨٩ ، وقال : أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني و رجالهم رجال الصحيح غير امّ موسى و هي ثقة ، و رواه من طريق البزّار و الطبراني فقال : رجالهما رجال الصحيح . كنز العمّال ٦ : ١٨٠ ، ١٨١ ، ج٧ : ٥٥ نقلاً عن الطبراني و الضياء وابن خزيمة وصححه .

٥ - عن علقمة وعمر في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سرّه أن يقرأ القرآن

غضاً . أو : رطباً ، كما اُنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد .

أخرجه أبوعبيد فيفضائله . أحمد . الترمذي . النسائي . البخاري في تاريخه . إبن أبي خزيمة . إبن أبي داود . إبن الأنباري . عبدالرزاق . إبن حبان . الدار قطني إبن عساكر. أبونعيم . الضياءالمقدسي . البزّار . الطبراني . أبو يعلى . وغيرهم .

راجع سنن إبن ماجة ١ : ٦٣ ، حلية الأولياء ١ : ١٢٤ ، مستدرك الحاكم ٣ : ٣١٨ ، الاستيعاب ١ : ٣٧١ ، صفة الصفوة١ : ١٥٦ ، طرحالتثريب ١ : ٨٥ ، الا صابة ٢: ٣٦٩ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٨٧ ، كنزالعمّال ٦ : ١٨١ .

٦ ـ عن أبيالدرداء مرفوعاً في حديث : رضيت لاُمّتي مارضي الله لها و ابن اُمّ عبد ، وسخطت لاُمّتي ما سخطالله لها وابن اُم عبد .

أخرجه البزار والطبراني ورجالالبزّار ثقات كما قاله الهيثمي في مجمعالزوائد ٩ : ٢٩٠ ، ورواه الحاكم فيالمستدرك ٣ : ٣١٧ ، ٣١٨ ، وأبوعمر فيالاستيعاب١:٣٧١ ويوجد في كنزالعمّال ٦ : ١٨١ و ج٧ : ٥٦ .

٧ ـ عن عبداللهبن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : آذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سِوادي[1] حتّى أنهاك . قال ابن حجر : أخرجه أصحابالصحاح .

مسند أحمد ١ : ٣٨٨ ، سنن ابـن ماجة ١ : ٦٣ ، حلية الأولياء ١ : ١٢٦ ، الاستيعاب ١ : ٣٧١ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٦٢ ، الاصابة ٢ : ٣٦٩ .

٨ ـ أخرج التر مذي من طريق عبدالله في حديث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تمسّكوا بعهد إبن اُم عبد .

و في لفظ أحمد : تمسّكوابعهد عمّار ، وما حدّثكم إبن مسعود فصدّقوه .

راجع مسند أحمد ٥ : ٣٨٥ ، حليةالأولياء ١ : ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير٢:١٦٢، الاصابة ٢ : ٣٦٩ ، كنزالعمّال ٧ : ٥٥ .

٩ ـ سُئل عليّ (أميرالمؤمنين)عن ابن مسعود قال : علم القرآن وعلم السنّة ثمّانتهى وكفى به علماً .

---

(١) كذا فى جميع المصادر والسواد بالكسر : السرار . يقال : ساودت الرجل اى ساورته . وحسبه ناشرحلية الاولياء غلطافجعله فىالمتن « سرارى » و قالفىالتعليق : فىالاصلين: سوادى

راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ١ : ١٢٩ ، المستدرك للحاكم ٣ : ٣١٨ ، الاستيعاب ١ : ٣٧٣ ، صفة الصفوة ١ : ١٥٧ .

١٠ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ٣١٥ من طريق حبة العرني قال : إنّ ناساً أتوا عليّاً فأثنوا على عبدالله بن مسعود فقال : أقول فيه مثل ماقالوا وأفضل : من قرأ القرآن وأحلّ حلاله ، وحرّم حرامه ، فقيهٌ في الدين ، عالمٌ بالسنّة .

١١ ـ أخرج الترمذي باسناد رجاله ثقاتٌ من طريق حذيفة بن اليمان : إنّ أشبه الناس هدياً و دلّاً و سمتاً بمحمّد صلى الله عليه وسلم عبدالله .

وفي لفظ البخاري : ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلّاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من إبن اُم عبد ، وزاد الترمذي : ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ إبن ام عبد أقربهم إلى الله زلفى . وفي لفظ أبي نعيم : انّه من أقربهم وسيلة يوم القيمة . وفي لفظ أبي عمر : سمع حذيفة يحلف بالله ما أعلم أحداً أشبه دلّا وهدياً برسول الله من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من عبد الله بن مسعود ، و لقد علم المحفوظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم أنّه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة .

وفي لفظ علقمة : كان يشبّه بالنبيّ في هديه ودلّه وسمته .

راجع صحيح البخاري كتاب المناقب . مسند أحمد ٥ : ٣٨٩ ، المستدرك ٣ : ٣١٥ ، ٣٢٠ ، حلية الاولياء ١ : ١٢٦ ، ١٢٧ ، الاستيعاب ١ : ٣٧٢ ، مصابيح السنّة ٢ : ٢٨٣ ، صفة الصفوة ١ : ١٥٦ ، ١٥٨ ، تاريخ ابن كثير ٢ : ١٦٢ ، تيسير الوصول ٣ : ٢٩٧ الاصابة ٢ : ٣٦٩ ، كنز العمّال ٧ : ٥٥ .

١٢ ـ أخرج الشيخان والترمذي عن أبي موسى قال : قدمت أنا وأخي من اليمن وما نرى ابن مسعود إلّا أنّه رجلٌ من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وسلم لما نرى من دخوله و دخول اُمّه على النبيّ صلى الله عليه وسلم .

راجع المستدرك للحاكم ٣ : ٣١٤ ، مصابيح السنّة ٢ : ٢٨٤ ، تيسير الوصول ٣: ٢٧٩ نقلاً عن الشيخين والترمذي ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٦٢ ، مرآة الجنان لليافعي ١ : ٨٧ ، الاصابة ٨ : ٣٦٩ قال : عند البخاري في التاريخ بسند صحيح .

١٣ ـ أخرج أحمد في مسنده ٤ : ٢٠٣ من طريق عمرو بن العاصي قال : مات

رسول الله ﷺ وهو يحبّ عبد الله بن مسعود وعمّار بن ياسر .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٠ بلفظ : مات رسول الله ﷺ و هو راض عنه . حكاه عن أحمد والطبراني فقال ٠ رجال أحمد رجال الصحيح ، وأخرجه ابن عساكر من طريق عثمان بن أبي العاص الثقفي كما في كنز العمّال : ٧ : ٥٦ .

١٤ ـ أخرج البخاري من طريق عبد الله بن مسعود قال : أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وإنّ زيد بن ثابت لصبيٌّ من الصبيان . وفي لفظ : أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت وله ذؤابة يلعب مع الغلمان . وفي لفظ : ما ينازعني فيها أحد .

حلية الأولياء ١ : ١٢٥ ، الاستيعاب ١ : ٣٧٣ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٢٨ وصحّحه كنز العمّال ٧ : ٥٦ نقلاً عن ابن أبي داود .

١٥ ـ أخرج البغوي من طريق تميم بن حرام [1] قال : جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحبّ إليّ أن أكون في صلاحه من إبن مسعود ، الاصابة لابن حجر ٢ : ٣٧٠ .

وأخرجه البخاري في تاريخه ١ قسم ٢ ص ١٥٢ ولفظه : أدركت أبي بكر وعمر وأصحاب محمّد عليهم السّلام فما رأيت أحداً . الخ .

١٦ ـ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : كان عبد الله صاحب سِواد رسول الله ﷺ يعني سرّه .

وعن أبي الدرداء : ألم يكن فيكم صاحب السواد عبد الله ؟ .

و عن عبد الله بن شدّاد : إنّ عبد الله كان صاحب السِواد والوساد و السواك والنعلين [2] .

راجع طبقات ابن سعد ٣ : ١٠٨ ، حلية الأولياء ١ : ١٢٦ ، الاستيعاب ١ : ٣٧١ ، صفة الصفوة ١ : ١٥٦ ، طرح التثريب ١ : ٧٥ .

١٧ ـ عن أبي وائل قال إبن مسعود : إنّي لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم و

---

(١) فى تاريخ البخارى : حذلم .

(٢) كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله ويحمل نعليه . قاله ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٦ : ٢٨ .

ما في كتاب الله سورة ولا آية إلّا وأنا أعلم فيم اُنزلت ومتى نزلت . قال أبووائل : فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه .

أخرجه الشيخان والنسائي كما في تيسير الوصول ٣ : ٢٧٩ ، وأبوعمر في الاستيعاب ١ : ٣٧٢ ، وذكره اليافعي في مرآته ١ : ٨٧ .

هذا ابن مسعود

وهذا علمه وهديه وسمته وصلاحه وزلفته إلى نبيّ العظمة صلى الله عليه وآله وسلم ، أضف إلى ذلك كلّه سابقته في الإسلام وهو سادس ستة ، وهجرته إلى الحبشة ثمّ إلى المدينة ، وشهوده بدراً ومشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كلّها ، وهو أحد العشرة المبشّرة بالجنّة كما في رواية أبي عمر في الاستيعاب ، ولعلّك لاتشكّ بعد سيرك الحثيث في غضون السيرة والتاريخ في أنّه لم يكن له دؤب إلّا على نشر علم القرآن وسنّة الرسول وتعليم الجاهل ، وتنبيه الغافل ، وتثبيت القلوب ، وشدّ أزر الدين ، في كلّ ذلك هو شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هديه و سمته ودلّه ، فلا تجد فيه مغمزاً لغامز ، ولا محلاًّ للمز لامز ، وقد بعثه عمر إلى الكوفة ليعلّمهم اُمور دينهم ، وبعث عمّاراً أميراً وكتب إليهم : إنّهما من النجباء من أصحاب محمّد من أهل بدر ، فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي[(١)] وقد سمعت ثناء أهل الكوفة عليه بقولهم : جُزيت خيراً ، فلقد علّمت جاهلنا وثبّتَ عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقّهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل.

كان إبن مسعود أوّل من جهر بالقرآن بمكّة ، إجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : والله ماسمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قطّ ، فمن رجلٌ يسمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا . قالوا : إنّا نخشاهم عليك ، إنّما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإنّ الله سيمنعني ، قال : فغدا ابن مسعود حتّى أتى المقام في الضحى ، وقريشٌ في أنديتها ، حتّى قام عند المقام ثمّ قرأ : بسم الله الرّحمن الرّحيم . رافعاً بها صوته . ألرحمن علّم القرآن . قال : ثمّ استقبلها يقرؤها ، قال : وتأمّلوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن اُم عبد ؟ قال : ثمّ قالوا : إنّه ليتلو بعض ما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتّى بلغ منها ماشاء

(١) الاستيعاب ١ : ٣٧٣ ، ج ٢ : ٤٣٦ ، الاصابة ٢ : ٣٦٩ .

الله أن يبلغ ، ثمّ انصرف إلى أصحابه وقدأثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ، فقال : ماكان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن . ولئن شئتم لأُغادينّهم بمثلها غداً ، قالوا : لا ، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون[١] .

وقد هذّبته تلكم الأحوال و كهربته ، فلم يُسق لمغضبة على باطل ، و لم يحده طيشٌ إلى غاية ، فهو إن قال فعن هُدى ، وإن حدّث فعن الصادع الكريم صدقاً ، وإن جال ففي مستوى الحقّ ، وإن صال فعلى الضلالة ، وعرفه بذلك مَن عرفه من أوّل يومه ، وكان معظّماً مبجّلاً لدى الصحابة و كانوا يحذرون خلافه والردّ عليه ويعدّونه حوباً قال أبو وائل : إنّ ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل إزاره فقال : ارفع إزارك . فقال : و أنت ياابن مسعود ؛ فارفع إزارك . فقال : إنّي لست مثلك إنّ بساقي حموشة وأنا آدم الناس فبلغ ذلك عمر فضرب الرجل ويقول : أتردّ على ابن مسعود ؟[٢] .

وأخرج أبوعمر في الاستيعاب ١ : ٣٧٢ بالاسناد عن علقمة قال : جاء رجلٌ إلى عمر وهو بعرفات فقال : جئتك من الكوفة وتركت بها رجلاً يحكي المصحف عن ظهر قلبه فغضب عمر غضباً شديداً وقال : ويحك ومن هو؟ قال عبدالله بن مسعود . قال : فذهب عنه ذلك الغضب وسكن وعاد إلى حاله وقال : والله ما أعلم من النّاس أحداً هو أحقّ بذلك منه .

فلماذا يحرم هذا البدريّ العظيم عطاؤه سنين ؟ ثمّ يأتيه مَن سامه سوء العذاب وقدخالجه الندم ولات حين مَندم متظاهراً بالصلة فلايقبلها ابن مسعود وهو في منصرم عمره ، ويسأل ربّه أن يأخذله منه بحقّه ، ثمّ يتوجّه إلى النعيم الخالد مُعرضاً عن الحطام الزائل ، موصياً بأن لا يصلّي عليه من نال منه ذلك النيل الفجيع .

لماذا فُعل به هذا ؟ ولماذا شُتم على رؤس الأشهاد ؟ ولماذا اُخرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مُهاناً عنفاً ، ولماذا ضُرب به الأرض فدُقّت أضالعه ؟ ولما بطشوا به بطش الجبّارين . .

كلّ ذلك لأنّه امتنع عن أن يبيح للوليد بن عقبة الخالع الماجن من بيت مال

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٣٣٧ .

(١) الاصابة ٢ : ٣٧٠ ، كنز العمّال ٧ : ٥٥ .

الكوفة يوم كان عليه ماأُمر به ، فألقى مفاتيح بيت المال لما لم يجد من الكتاب والسنّة وهو العليم بهما مساغاً لهاتيك الإباحة ولا لأثرة الآمر بها ، وعلم أنّها سوف تتبعها من الأعطيات التي لا يقرّها كتاب ولا سنّة ، فتسلّل عن عمله وتنصّل ، وما راقه أن يبوء بذلك الإثم ، فلهج بما علم ، وأبدى معاذيره في إلقاء المفاتيح ، فغاض تلكم الأحوال داعية الشهوات ، وشاخص الهوى الوليد بن عقبة ، فكتب في حقّه ونمّ وسعى ، فكان من ولائد ذلك أن ارتكب من ابن مسعود ماعرفت ، ولم تمنع عن ذلك سوابقه في الإسلام وفضائله وفواضله وعلمه وهديه وورعه ومعاذيره وحججه ، فضلاً على أن يُشكر على ذلك كلّه ، فأوجب نقمة الصحابة على مَن نال ذلك منه ، وإنكار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصيحة أُمّ المؤمنين في خدرها ، ولم تزل البغضاء محتدمة على هذه وأمثالها حتّى كان في مغبّة الأمر مالم يحمده خليفة الوقت وزبانيته الذين جرّوا إليه الويلات .

ولو ضرب المسيطر على الأمر صفحاً عن الفظاظة في الإنتقام ، أو أعار لنصح صلحاء الأُمّة أُذناً واعية ، أولم يستبدل بجرائيم الفتن عن محنّكي الرجال ، أولم ينبذ كتاب الله وسنّة نبيّه وراء ظهره ، لما استقبله ما جرى عليه وعلى من اكتنفه من الوأد والهوان لكنّه لم يفعل ففعلوا ، ولمحكمة العدل الآلهيّ غداً حكمها البات .

ولابن مسعود عند القوم مظلمةٌ أُخرى وهي جلده أربعين سوطاً في موقف آخر ، لماذا كان ذلك ؟ لأنّه دفن أبا ذر لمّا حضر موته في حجّته . وجد بالربذة في ذلك الوادي القفر الوعر ميتاً كان في الغارب والسنام من العلم والإيمان .

وجد صحابيّاً عظيماً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرّبه ويدنيه قد فارق الدنيا .

وجد عالماً من علماء المسلمين قد غادرته الحياة .

وجد مثالاً للقداسة والتقوى ، فتمثّل أمام عينيه تلك الصورة المكبّرة التي كان يشاهدها على العهد النبويّ .

وجد شبيه عيسى بن مريم في الأُمّة المرحومة هدياً وسمتاً ونُسكاً وزُهداً وخُلقاً ، طرده خليفة الوقت عن عاصمة الإسلام .

وجد عزيزاً من أعزّاء الصحابة على الله ورسوله وعلى المؤمنين قد أودى على مستوى الهوان في قاعة المنفى مظلوماً مضطهداً .

وجد في قارعة الطريق جثمان طيّب طاهر غريب وحيد نازح عن الأوطان تصهره الشمس ، وتسفي عليه الرياح ، وذكر قول رسول الله : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويحشر وحده .

فلم يدع العلم والدين ابن مسعود ومن معه من المؤمنين أن يمرّوا على ذلك المنظر الفجيع دون أن يمتثلوا حكم الشريعة بتعجيل دفن جثمان كلّ مسلم فضلاً عن أبي ذر الذي بشّر بدفنه صلحاء المؤمنين رسول الله ﷺ ، فنهضوا بالواجب فأودعوه في مقرّه الأخير والعيون عبرى ، و القلوب واجدة على ما ارتكب من هذا الإنسان المبجّل ، فلمّا هبطوا يثرب نقم على ابن مسعود من نقم على أبي ذر ، فحسب ذلك الواجب الذي ناء به ابن مسعود حوباً كبيراً ، حتّى صدر الأمر بجلده أربعين سوطاً ، وذلك أمرٌ لا يُفعل بمن دفن زنديقاً لطمّ جيفته فضلاً عن مسلم لم يبلغ مبلغ أبي ذر من العظمة والعلم والتقوى والزلفة ، فكيف بمثل أبي ذر وعاء العلم ، وموئل التقوى ، ومنبثق الايمان ، وللعداء مفعولٌ قد يبلغ أكثر من هذا .

أيّ خليفة هذا لم يُراع حرمةً ولا كرامة اصلحاء الأمّة وعظماء الصحابة من البدريّين الذين نزل فيهم القرآن ، وأثنى عليهم النبيُّ العظيم ؟ وقد جاء في مجرم بدريٍّ قوله ﷺ لمّا قال عمر : إئذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه : مهلاً يا ابن الخطّاب إنّه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فانّي غافرٌ لكم[1] واختلق القوم حديثاً لإدخال عثمان في زمرتهم لفضلهم المتسالم عليه عند الأمّة جمعاء ، كأنّ الرجل آلى على نفسه أن يُطلّ على الأمّة الداعية إلى الخير ، الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ، بالذلّ والهوان ، ويُسرّ بذلك سماسرة الأهواء من بني أبيه ، فطفق بمراده ، والله من ورائهم حسيب .

والمدافع إن أعوزته المعاذير تشبّث بالطحلب فقال :[2] حداه إلى ذلك الإجتهاد . ذلك العذر العام المصحّح للأباطيل ، و المبرّر للشنايع ، و الوسيلة المتّخذة لإغراء

---

(١) أحكام القرآن ٣ : ٥٣٥ .

(٢) راجع التمهيد للباقلاني ص٢٢١ ، الرياض النضرة ٢ : ١٤٥ ، الصواعق ص ٦٨ ، تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٨ .

بسطاء الاُمّة ، وذلك قولهم بأفواههم ، وانّ ربّك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون ، وإنّ الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .

٤٢
مواقف الخليفة مع عمّار

١ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ٥ : ٤٨ بالاسناد من طريق أبي مخنف قال : كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليّ وجوهر ، فأخذ منه عثمان ماحلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك و كلّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه فخطب فقال : لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت اُنوف أقوام . فقال له علي : إذاً تُمنع من ذلك ويُحال بينك و بينه . وقال عمّار بن ياسر : اُشهد الله إنّ أنفي أوّل راغم من ذلك . فقال عثمان : أعليّ ياابن المتكاء[1] تجترئ ؟ خذوه ، فاُخذ ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى غُشي عليه ثمّ اُخرج فحمل حتى اُتي به منزل اُمّ سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب فلمّا أفاق توضّأ وصلّى وقال : ألحمد لله ليس هذا أوّل يوم اُوذينا فيه في الله . وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم فقال : ياعثمان أمّا علي فاتّقيته وبني أبيه ، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتّى أشفيت به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بني اميّة عظيم السُرّة ، فقال عثمان : وإنّك لهاهنا ياابن القسريّة ؟ قال : فإنّهما قسريّتان وكانت اُمّه وجدّته قسريّتين من بجيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فاُخرج ، فأتى اُمّ سلمة فاذا هي قد غضبت لعمّار ، وبلغ عائشة ماصنع بعمّار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثمّ قالت : ماأسرع ماتركتم سنّة نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعدُ . فغضب عثمان غضباً شديداً حتّى مادرى مايقول فالتجّ المسجد وقال الناس : سبحان الله ، سبحان الله . وكان عمرو بن العاص واجداً على عثمان لعزله إيّاه عن مصر وتوليته إيّاها عبدالله بن سعد بن أبي سرح فجعل يُكثر التعجب والتسبيح .

وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومن مشى معه من بني مخزوم إلى اُمّ سلمة وغضبها لعمّار فأرسل إليها : ما هذا الجمع ؟ فأرسلت إليه : دع ذا عنك يا عثمان ! ولا

(١) المتكاء : البظراء . المفضاة . التى لاتمسك البول . العظيمة البطن .

تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون . واستقبح الناس فعله بعمّار وشاع فيهم فاشتدّ إنكارهم له .

وفي لفظ الزهري كما في أنساب البلاذري ص ٨٨ : كان في الخزائن سفطٌ فيه حليٌ وأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه وبلغه ذلك فخطب فقال : هذا مال الله أُعطيه مَن شئت وأمنعه مَن شئت فأرغم الله أنف من رغم فقال عمّار: أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك . فقال عثمان : لقد اجترأت عليّ يا ابن سميّة ؟! و ضربه حتّى غشي عليه فقال عمّار : ماهذا بأوّل ما اوذيت في الله . وأطلعت عائشة شعراً من رسول الله ﷺ و نعله و ثياباً من ثيابه ـ فيما يحسب و هب ـ ثمّ قالت : ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم . وقال عمرو بن العاص : هذا منبر نبيّكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبلَ فيكم وقد بدّلتم وغيّرتم . فغضب عثمان حتّى لم يدر ما يقول .

٢ ـ قال البلاذري في الأنساب ٥ : ٤٩ إنّ المقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان و خوّفوه ربّه وأعلموه أنّهم مواثبوه إن لم يُقلع فأخذ عمّار الكتاب وأتاه به فقرأ صدراً منه فقال له عثمان : أعليّ تقدم من بينهم ؟ فقال عمّار : لأنّي أنصحهم لك . فقال : كذبت ياابن سميّة !. فقال : أنا والله ابن سميّة وابن ياسر . فأمر غلمانه فمدّوا بيديه و رجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق ، وكان ضعيفاً كبيراً فغُشي عليه .

وذكره ابن أبي الحديد في الشرح ١ : ٢٣٩ نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه .

وقال أبو عمر في الاستيعاب ٢ : ٤٢٢ : وللحلف والولاء الذين بين بني مخزوم وبين عمّار وأبيه ياسر كان اجتماع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمّار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق في بطنه ورغموا وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا : والله لئن مات لقتلنا به أحداً غير عثمان .

صورة مفصّلة

قال ابن قتيبة : ذكروا انّه اجتمع ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً

ذكروا فيه ماخالف فيه عثمان من سُنّة رسول الله وسنّة صاحبيه .

٢ ـ و ما كان من هبته خمس أفريقية لمروان و فيه حقّ الله و رسوله ، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين .

٣ ـ وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدّ واسبع دوربناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته .

٤ ـ وبنيان مروان القصور بذي خشب و عمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله .

٥ ـ وما كان من إفشائه العمل و الولايات في أهله وبني عمّه من بني اميّة من أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرّسول ولاتجربة لهم بالامور .

٦ ـ و ما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلّى بهم الصبح و هو أميرٌ عليها سكران أربعة ركعات ثمّ قال لهم : إن شئتم أن أزيد كم ركعة زدتكم .

٧ ـ وتعطيله إقامة الحدّ عليه وتأخيره ذلك عنه .

٨ ـ وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم و استغنى برأيه عن رأيهم .

٩ ـ وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة .

١٠ـ وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والاعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبيّ ﷺ ثمّ لا يغزون ولايذبّون .

١١ـ وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط ، وانّه أوّل من ضرب بالسياط ظهور الناس ، وإنّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرّة والخيزران .

ثمّ تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممّن حضر الكتاب عمّار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة ، فلمّا خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمّار جعلوا يتسلّلون عن عمّار حتى بقي وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم و أهله من بني اُميّة فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له : أنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : نعم . قال : ومَن كان معك ؟ قال : معي نفر تفرّقوا فرقاً منك . قال : ومن هم ؟ قال : اُخبرك بهم . قال : فلمَ

اجترأت عليّ من بينهم ؟ فقال مروان : يا أمير المؤمنين ! إنّ هذا العبد الأسود (يعني عمّاراً) قد جرّأ عليك الناس و إنّك إنْ قتلته نكلت به مَن وراءه . قال عثمان : إضربوه . فضربوه و ضربه عثمان معهم حتّى فتقوا بطنه فغشي عليه فجرّوه حتى طرحوه على باب الدار ، فأمرت به أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ فاُدخل منزلها و غضب فيه بنو المغيرة و كان حليفهم ، فلمّا خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد ابن المغيرة فقال : أما والله لئن مات عمّار من ضربه هذا لأقتلنّ به رجلاً عظيماً من بني اُميّة فقال عثمان : لست هناك . قال : ثمّ خرج عثمان إلى المسجد فإذا هو بعليّ وهو شاك معصوب الرأس فقال عثمان : والله يا أبا الحسن ! ما أدري أشتهي موتك أم أشتهي حياتك ؟ فو الله لئن متّ ما اُحبّ أن أبقى بعدك لغيرك ، لأنّي لا أجد منك خلفاً ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتّخذك سلّماً و عضداً و يعدّك كهفاً و ملجأ ، لا يمنعني منه إلّا مكانه منك ومكانك منه ، فأنا منك كالابن العاق من أبيه إن مات فجعه وإن عاش عقّه ، فإمّا سلمٌ فنسالم وإمّا حربٌ فنحارب ، فلا تجعلني بين السّماء والأرض . فإنّك والله إن قتلتني لا تجد منّي خلفاً ، ولئن قتلتك لا أجد منك خلفاً ، ولن يلي أمر هذه الأمّة بادئ فتنة . فقال عليّ : إنّ فيما تكلّمت به لجواباً و لكنّي عن جوابك مشغولٌ بوجعي فأنا أقول كما قال العبد الصالح : فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون . قال مروان : إنّا والله إذاً لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الأمر خيرٌ لمن بعدنا ، فقال له عثمان : اسكت ، ما أنت وهذا ؟ . الامامة والسياسة ١ ص ٢٩ .

وذكره مختصراً ابن عبدربّه في العقد الفريد ٢ : ٢٧٢ نقلاً عن أبي بكر بن أبي شيبة من طريق الأعمش قال : كتب أصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه في صحيفة فقالوا : من يذهب بها إليه ؟ قال عمّار : أنا . فذهب بها إليه فلمّا قرأها قال : أرغم الله أنفك قال : وبأنف أبي بكر وعمر قال : فقام إليه فوطئه حتى غشي عليه ثمّ ندم عثمان و بعث إليه طلحة والزبير يقولان له : إختر إحدى ثلاث : إمّا أن تعفو ، وإمّا أن تأخذ الأرش ، وإمّا أن تقتصّ ، فقال : والله لاقبلت واحدةً منها حتّى ألقى الله .

٣ـ قال البلاذري في الأنساب ٥ : ٥٤ : وقد روي أيضاً : انّه لمّا بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال : رحمه الله . فقال عمّار بن ياسر : نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا . فقال

عثمان : ياعاض أير أبيه أتراني ندمت على تسييره ؟ وأمر فدفع في قفاه وقال : الحق بمكانه فلمّا تهيّأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان فيه فقال له عليّ : ياعثمان ! إتّق الله فإنّك سيّرت رجلاً[1] صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثمّ أنت الآن تريد أن تنفي نظيره ، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان : أنت أحقّ بالنفي منه فقال عليّ : رُم ذلك إن شئت . واجتمع المهاجرون فقالوا : إن كنت كلّما كلّمك رجل سيّرته ونفيته فانّ هذا شيء لايسوغ . فكفّ عن عمّار .

وفي لفظ اليعقوبي : لمّا بلغ عثمان وفاة أبي ذر قال : رحم الله أباذر . قال عمّار : نعم رحم الله أباذر من كلّ أنفسنا . فغلظ ذلك على عثمان وبلغ عثمان عن عمّار كلام فأراد أن يسيّره أيضاً ، فاجتمعت بنو مخزوم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال عليّ : لا ندع عثمان ورأيه . فجلس عمّار في بيته ، وبلغ عثمان ما تكلّمت بنو مخزوم فأمسك عنه . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٥٠ .

٤ـ قال البلاذري في الأنساب ٥ : ٤٩ : إنّ عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل : قبر عبد الله بن مسعود فغضب على عمّار لكتمانه إيّاه موته إذ كان المتولّي للصلاة عليه والقيام بشأنه فعندها وطيء عمّاراً حتّى أصابه الفتق .

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ٢٣٩ نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه .

وفي لفظ اليعقوبي : توفّي « ابن مسعود » وصلّى عليه عمّار بن ياسر وكان عثمان غائباً فستر أمره فلمّا انصرف رأى عثمان القبر فقال : قبر مَن هذا ؟ فقيل : قبر عبدالله ابن مسعود ، قال : فكيف دُفن قبل أن أعلم ؟ فقالوا : ولي أمره عمّار بن ياسر و ذكر انّه أوصى أن لايُخبر به ولم يلبث إلّا يسيراً حتّى مات المقداد[2] فصلّى عليه عمّار وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به فاشتدّ غضب عثمان على عمّار وقال : ويلي على ابن السوداء أما لقد كنت به عليماً . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤٧ .

وفي طبقات ابن سعد ٣ : ١٨٥ ط ليدن : إنّ عقبة بن عامر هو الذي قتل عمّاراً

(١) يعني سيدنا ابا ذر الغفاري .

(٢) اتفقوا على انه مات سنة ثلاث وثلاثين ، وتوفي ابن مسعود قبله بسنة او اقل او اكثر .

وهو الذي كان ضربه حين أمره عثمان بن عفّان .

قال الأميني : هذه أفاعيل الخليفة في رجل نزل فيه القرآن شهيداً على طمأنينته بالايمان والرضا بقنوته آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ، في رجل هو أوّل مسلم إتّخذ مسجداً في بيته يتعبّد فيه[1] في رجل تضافر الثناء عليه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مشفوعاً بالنهي المؤكّد عن بغضه ومعاداته وسبّه وتحقيره وانتقاصه بألفاظ ستقف عليها إنشاء الله تعالى . وقد أكبرته الصحابة الأوّلون ونقمت على من آذاه وأغضبه وأبغضه ، وفُعل به كلّ تلكم المناهي ولم يؤثر عن عمّار إلّا الرضا بما يُرضي الله ورسوله والغضب لهما والهتاف بالحقّ والتجهّم أمام الباطل رضي الناس أم غضبوا ، و لم يزل على ذلك كلّه منذ بدء أمره الذي اوذي فيه هو وأبواه ، فكان مرضيّاً عند الله ايمانهم و خضوعهم وبعين الله ما قاسوه من المحن فعاد ذِكرهم وِرداً لنبيّ الاسلام فلم يزل يلهج بهم ويدعو لهم ويقول :

اصبروا آل ياسر! موعدكم الجنّة . من طريق عثمان بن عفان[2] .

ويقول : ابشروا آل ياسر! موعدكم الجنّة . من طريق جابر[3] .

ويقول : أللهمّ اغفر لآل ياسر وقد فعلت . رواه عثمان أيضاً[4] .

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار وبأبيه واُمّه ـ وكانوا أهل بيت اسلام ـ اذا حيت الظهيرة يعذّبونهم برمضاء مكّة فيمرّ بهم رسول الله صلّى الله عليه وآله فيقول : صبراً آل ياسر! موعدكم الجنّة . صبراً آل ياسر! فإنّ مصيركم إلى الجنّة[5] .

نعم : كان عمّار هكذا عند مفتتح حياته الدينيّة إلى منصرم عمره الذي قتلته فيه

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٧٨ ط ليدن ، وذكره ابن كثير في تاريخه ٧ : ٣١١ .

(٢) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٣ فقال : رجاله ثقات ، وأخرجه الطبراني عن عمّار ، والبغوي وابن مندة والخطيب وأحمد وابن عساكر عن عثمان كما في كنز العمال ٦ : ١٨٥ .

(٣) مجمع الزوائد نقلا عن الطبراني ٩ : ٢٩٣ فقال : رجاله رجال الصحيح غير ابراهيم وهو ثقة .

(٤) مسند احمد ١ : ٦٢ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٣ فقال : رجاله رجال الصحيح . و اخرجه البيهقي والبغوي والعقيلي والحاكم في الكنى وابن الجوزي وابن عساكر كما في كنز العمال ٧ : ٧٢ .

(٥) سيرة ابن هشام ١ : ٣٤٢ ، حلية الاولياء ١ : ١٤٠ ، طرح التثريب ١ : ٨٧ ، واخرجه الحارث والضياء والحاكم والطيالسي والبغوي وابن مندة وابن عساكر كما في كنز العمال ٧ : ٧٢ .

الفئة الباغية . وقد أخبر به النبي ﷺ بقوله :

ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية .

وفي لفظ : تقتل عماراً الفئة الباغية ، وقاتله في النار .

وفي لفظ : ويح عمار أو ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية .

وفي لفظ معاوية : تقتل عماراً الفئة الباغية .

وفي لفظ عثمان : تقتلك الفئة الباغية ، قاتل عمار في النار .

وفي لفظ : تقتل عماراً الفئة الباغية عن الطريق ، وإن آخر رزقه من الدنيا ضياح من لبن .

وفي لفظ عمار : أخبرني حبيبي ﷺ انه تقتلني الفئة الباغية ، وأن آخر زادي مذقة من لبن .

وفي لفظ حذيفة : انك لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الحق ، يكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن .

وفي لفظ : ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار .

وفي لفظ أنس : ابن سمية تقتله الفئة الباغية قاتله وسالبه في النار .

وفي لفظ عائشة : اللهم بارك في عمار ، ويحك ابن سميه تقتلك الفئة الباغية ، و آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن .

وفي لفظ : ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية .

جاء هذا الحديث من طرق كثيرة تربو حد التواتر منها طريق عثمان بن عفان . عمرو بن العاص . معاوية بن أبي سفيان . حذيفة بن اليمان . عبدالله بن عمر . خزيمة بن ثابت . كعب بن مالك . جابر بن عبدالله . ابن عباس . أنس بن مالك . أبي هريرة الدوسي عبد الله بن مسعود . أبي سعد . أبي امامة . أبي رافع . أبي قتادة . زيد بن أبي أوفى . عمار بن ياسر . عبد الله بن أبي هذيل . أبي اليسر . زياد بن الفرد . جابر بن سمرة . عبد الله ابن عمرو بن العاص . أم سلمة . عائشة .

راجع طبقات ابن سعد ٣ : ١٨٠ ، سيرة ابن هشام ٢ : ١١٤ ، مستدرك الحاكم ٣ : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، الاستيعاب ٢ : ٤٣٦ و قال : تواترت الآثار عن النبي ﷺ

إنّه قال : تقتل عمّاراً الفئة الباغية . وهذا من إخباره بالغيب واعلام نبوّته وهو من أصحّ الأحاديث . طرح التثريب ١ : ٨٨ وصحّحه ، تيسير الوصول ٣ : ٢٧٨ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٧٤ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٦ وصحّحه من عدّة طرق ، تهذيب التهذيب ٧ : ٤٠٩ وذكر تواتره ، الاصابة ٢ : ٥١٢ وقال : تواترت الأحاديث ، كنز العمّال ٦ : ١٨٤ ، ج ٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، و نصّ على تواتره السيوطي في الخصايص كما مرّ في الجزء الثالث ٢٥٠ ط ٢ .

وأخرجه البخاري ، ومسلم ، و أحمد ، و البزار ، وعبد الرزاق ، و الطبراني ، و الدارقطني ، وأبويعلي ، وأبوعوانة ، والاسماعيلي ، والضياء المقدسي ، وأبونعيم ، وتمام ، وابن قانع ، وابن مندة ، والباوردي ، والبرقاني ، وابن عساكر ، والخطيب .

☆(عمّار في الذكر الحكيم)☆

هذا عمّار بين البدء والختام المحمودين وهو بينهما كما أثنى عليه الذكر الحكيم بقوله تعالى : أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة (الزمر ٩)

أخرج ابن سعد في الطبقات ٣ : ١٧٨ ط ليدن و ابن مردويه و ابن عساكر عن ابن عباس : انها نزلت في عمّار بن ياسر .

وذكر الزمخشري في تفسيره ٣ : ٢٢ : انّها نزلت في عمّار وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي .

وذكر القرطبي في تفسيره ١٥ : ٢٣٩ عن مقاتل : انّ مَن هو قانت : عمّار بن ياسر

وذكر الخازن في تفسيره ٣ : ٥٣ : انّها نزلت في ابن مسعود وعمّار وسلمان . وذكره الخطيب الشربيني في تفسيره ٣ : ٤١٠ . وذكر الشوكاني في تفسيره ٤ : ٤٤٢ حديث ابن سعد و ابن مردويه وابن عساكر . و زاد الآلوسي عليه في تفسيره ٢٣ : ٢٤٧ قوله : و أخرج جويبر عن ابن عباس انّها نزلت في عمّار وابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة . وعن عكرمة : الاقتصار على عمّار . وعن مقاتل : المراد بمن هو قانت : عمّار وصهيب و ابن مسعود وأبوذر . وجلّ ماذكره الآلوسي مأخوذ من الدر المنثور ه : ٣٢٣ .

☆(آية ثانية)☆ أخرج ابن ماجة في قوله تعالى : ولاتطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء . الآية (الأنعام ٥٢) انّها

نزلت في عمّار وصهيب وبلال وخباب .

راجع تفسير الطبري ٧ : ١٢٧ ، ١٢٨ ، تفسير القرطبي ١٦ : ٤٣٢ ، تفسير البيضاوي ١ : ٣٨٠ ، تفسير الزمخشري ١ : ٤٥٣ ، تفسير الرازي ٤ : ٥٠ ، تفسير ابن كثير ٢ : ١٣٤ ، تفسير ابن جزي ٢ : ١٠ ، الدر المنثور ٣ : ١٤ ، تفسير الخازن ٢ : ١٨ ، تفسير الشربيني ١ : ٤٠٤ ، تفسير الشوكاني ٢ : ١١٥ .

☼(آية ثالثة)☼ أخرج جمعٌ من الحفّاظ نزول قوله تعالى : إلّا مَن اُكره وقلبه مطمأنٌّ بالإيمان (سورة النحل : ١٠٦) في عمّار . و قال أبو عمر في الاستيعاب · هذا ممّا اجتمع أهل التفسير عليه . وقال القرطبي : نزلت في عمّار في قول أهل التفسير . وقال ابن حجر في الإصابة : اتّفقوا على انّه نزل في عمّار .

قال ابن عبّاس (في لفظ الواحدي) نزلت في عمّار بن ياسر وذلك انّ المشركين أخذوه وأباه ياسراً واُمّه سميّة وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً ، فأمّا سميّة فإنّها رُبطت بين بعيرين ووُجئ قُبلها بحربة ، وقيل لها : إنّك أسلمت من أجل الرجال . فقتلت ، وقتل زوجها ياسر ، و هما أوّل قتيلين قُتلا في الإسلام ، و أمّا عمّار فإنّه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فاُخبر النبيُّ ﷺ بأنّ عمّاراً كفر . فقال : كلّا إنّ عمّاراً ملئ ايماناً من قرنه إلى قدمه ، و اختلط الايمان بلحمه و دمه ، فأتى عمّار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه و قال : إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت . فأنزل الله تعالى هذه الآية ·

أخرج حديث نزولها في عمّار ، إبن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبري عن ابن عبّاس . وعبدالرزّاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصحّحه وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي عبيدة بن محمّد بن عمّار عن أبيه . وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن عساكر عن أبي مالك .

راجع طبقات ابن سعد ٣ ، ١٧٨ ، تفسير الطبري ١٤ : ١٢٢ ، أسباب النزول للواحدي ص ٢١٢ ، مستدرك الحاكم ٢ : ٣٥٧ ، الإستيعاب ٢ : ٤٣٥ ، تفسير القرطبي ١٠ : ١٨٠ ، تفسير الزمخشري ٢ : ١٧٦ ، تفسير البيضاوي ١ : ٦٨٣ ، تفسير الرازي ٥ : ٣٦٥ ، تفسير ابن جزي ٢ : ١٦٢ ، تفسير النيسابوري هامش الطبري ١٤ : ١٢٢ ، بهجة

المحافل ١ : ٩٤ ، تفسير ابن كثير ٢ : ٥٨٧ ، الدرّ المنثور ٤ : ١٣٢ ، تفسير الخازن ٣ : ١٤٣ ، الإصابة ٢ : ٥١٢ ، تفسير الشوكاني ٣ : ١٩١ ، تفسير الآلوسي ١٤ : ٢٣٧.

(آية رابعة) ذكر الواحدي من طريق السديّ انّ قوله تعالى : أَفَمَن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمَن متّعناه متاع الحياة الدُنيا ثمّ هو يوم القيامة من المحضرين (القصص : ٦١) نزل في عمّار والوليد بن المغيرة.

راجع أسباب النزول للواحدي ص ٢٥٥ ، تفسير القرطبي ١٣ : ٣٠٣ ، تفسير الزمخشري ٢ : ٣٨٦ ، تفسير الخازن ٣ : ٤٣ ، تفسير الشربيني ٣ : ١٠٥ .

(آية خامسة) أخرج أبوعمر من طريق إبن عبّاس في قوله تعالى : أوَمَن كان ميّتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس (الأنعام : ١٢٢) إنّه عمّار بن ياسر .

وأخرج نزولها في عمّار إبن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبوالشيخ راجع الإستيعاب ٢ : ٤٣٥ ، تفسير ابن جزي ٢ : ٢٠ ، تفسير ابن كثير ٢ : ١٧٢ ، تفسير البيضاوي ١ : ٤٠٠ ، تفسير السيوطي ٣ : ٤٣ ، تفسير الشربيني ١ : ٤٢٩ ، تفسير الخازن ٢ : ٣٢ ، تفسير الشوكاني ٢ : ١٥٢ .

الثناء الجميل على عمّار

أمّا الأحاديث الواردة في الثناء عليه فحدّث عنها ولا حرج وإليك نزراً منها :

١ـ عن إبن عبّاس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث : إنّ عمّاراً مُلئ ايمانه من قرنه إلى قدمه ، واختلط الايمان بلحمه ودمه .

راجع حلية الأولياء ١ : ١٣٩ ، تفسير الزمخشري ٢ : ١٧٦ ، تفسير البيضاوي ١ : ٦٨٣ ، بهجة المحافل ١ : ٩٤ ، تفسير الرازي ٥ : ٣٦٥ ، تفسير الخازن ٣ : ١٤٣ ، كنز العمّال ٦ : ١٨٤ وج ٧ : ٧٥ ، تفسير الآلوسي ١٤ : ٢٣٧ .

٢ـ أخرج ابن عساكر من طريق عليّ : عمّار خلط الله الايمان ما بين قرنه إلى قدمه ، وخلط الايمان بلحمه ودمه ، يزول مع الحقّ حيث زال ، وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً (كنز العمّال ٦ : ١٨٣) .

٣ـ أخرج البزّار من طريق عائشة قالت : ما أحدٌ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا لوشئت لقلت فيه ما خلا عمّاراً فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : مُلئ ايماناً

إلى مشاشه . وفي لفظ أبي عمر : مُلئ عمّار ايماناً إلى أخمص قدميه . وفي لفظ له : إنّ عمّار بن ياسر حشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة اُذنيه ايماناً .

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٥ وقال : رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن ماجة من طريق عليّ كما في طرح التثريب ١ : ٨٧ ، وأخرجه إبن ديزيل والنسائي من طريق عمرو بن شرحبيل عن رجل مرفوعاً كما في تيسير الوصول ٣ : ٢٧٩ ، والبداية والنهاية ٧ : ٣١١ ولفظه : لقد مُلئ عمّار ايماناً من قدمه إلى مشاشه . ورواه عبد الرزاق والطبراني وابن جرير وابن عساكر كما في كنز العمّال ٦ : ١٨٤ . وأخرجه أبو عمر بالألفاظ الثلاثة في الاستيعاب ٢ : ٤٣٥ .

٤ـ أخرج إبن ماجة وأبو نعيم من طريق هاني بن هاني قال : كنّا عند عليّ فدخل عليه عمّار فقال : مرحباً بالطيِّب المطيَّب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : عمّار مُلئ ايماناً إلى مشاشه .

سنن ابن ماجة ١ : ٦٥ ، حلية الأولياء ١ : ١٣٩ ، الإصابة ٢ : ٥١٢ .

٥ـ أخرج إبن سعد في الطبقات ٣ : ١٨٧ ط ليدن مرفوعاً : إنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه ، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار ، وقاتل عمّار في النار .

وأخرج الطبراني والبيهقي والحاكم من طريق إبن مسعود مرفوعاً : إذا اختلف النّاس كان ابن سميّة مع الحقّ .

ذكره ابن كثير في تاريخه ٧ : ٢٧٠ ، والسيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ٦ : ١٨٤ ، وفي لفظ إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ـ في سيرة عليّ ـ : جاء رجلٌ إلى ابن مسعود فقال : أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله . قال : أرأيت إن جاء قوم كلّهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا اختلف النّاس كان ابن سميّة مع الحقّ .

وأخرج أبو عمر في الاستيعاب ٢ : ٤٣٦ من طريق حُذيفة : عليكم بابن سميّة فإنّه لن يُفارق الحقّ حتّى يموت . أو قال : فإنّه يدور مع الحقّ حيث دار .

٦ـ أخرج ابن ماجة من طريق عطاء بن يسار عن عائشة مرفوعاً : عمّار ما عُرض عليه أمران إلّا اختار الأرشد منهما .

وفي لفظ أحمد من طريق ابن مسعود مرفوعاً : ابن سميّة ما عُرض عليه أمران قطّ إلّا أخذ بالأرشد منهما . وفي لفظ آخر له من طريق عائشة : لا يخيّر بين أمرين إلّا اختار أرشدهما . وفي لفظ الترمذي : ما خُيّر عمّار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما .

راجع مسند أحمد ١ : ٣٨٩ وج ٦ : ١١٣ ، سنن ابن ماجة ١ : ٦٦ ، مصابيح البغوي ٢ : ٢٨٨ ، تفسير القرطبي ١٠ : ١٨١ ، تيسير الوصول ٣ : ٢٧٩ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٧٤ ، كنز العمّال ٦ : ١٨٤ ، الإصابة ٢ : ٥١٢ .

٧- أخرج الترمذي من طريق عليّ قال : إستأذن عمّار على النبيّ ﷺ فقال : إئذنوا له : مرحباً بالطيّب المطيّب . فقال : حسنٌ صحيحٌ .

وأخرجه الطبراني وابن أبي شيبة وأحمد في المسند ١ : ١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ، والبخاري في تاريخه ٤ : ٢٢٩ من القسم الثاني ، وابن جرير وصحّحه والحاكم والشاشي وسعيد بن منصور وأبو نعيم في حلية الأولياء ١ : ١٤٠ ، والبغوي في المصابيح ٢ : ٢٨٨ ، وأبو عمر في الإستيعاب ٢ : ٤٣٥ ، وابن ماجة في السنن ١ : ٦٥ ، وابن كثير في البداية ٧ : ٣١١ ، و ابن الديبع في التيسير ٣ : ٢٧٨ ، والعراقي في طرح التثريب ١ : ٨٧ ، و السيوطي في الجامع الكبير ٧ : ٧١ .

٨- عن أنس بن مالك مرفوعاً : إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة : عليّ بن أبي طالب ، وعمّار بن ياسر ؛ وسلمان الفارسي ، والمقداد .

وفي لفظ الترمذي والحاكم وابن عساكر : إشتاقت الجنّة الى ثلاثة : عليٌّ و عمّار وسلمان .

وفي لفظ لابن عساكر : إشتاقت الجنّة إلى ثلاثة : إلى عليّ وعمّار وبلال .

أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ : ١٤٢ ، والحاكم في المستدرك ٣ : ١٣٧ ، وصحّحه هو والذهبي ، والترمذي والطبراني كما في تفسير القرطبي ١٠ : ١٨١ ، وتاريخ ابن كثير ٧ : ٣١١ ، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩ : ٣٠٧ ، وأخرجه إبن عساكر في تاريخه ٣ : ٣٠٦ ، وفي ج ٦ : ١٩٨ ، ١٩٩ ، وأبو عمر في الإستيعاب ٢ : ٤٣٥ .

٩ - أخرج البزّار من طريق عليّ مرفوعاً : دم عمّار ولحمه حرامٌ على النّار أن تطعمه . وفي لفظ ابن عساكر : دم عمّار ولحمه حرامٌ على النّار أن تأكله أو تمسّه .

مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٥ ، كنز العمّال ٦ : ١٨٤ ، ج ٧ : ٧٥ .

١٠- أخرج ابن هشام مرفوعاً : مالهم ولعمّار ؟ يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار ، إنّ عمّاراً جلدةٌ ما بين عينيّ وأنفي ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه .

سيرة ابن هشام ٢ : ١١٥ ، العقد الفريد ٢ : ٢٨٩ ، شرح إبن أبي الحديد ٣ : ٢٧٤ ولفظه : مالقريش ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار ، قاتله وسالبه في النار ، وبهذا اللفظ ذكره ابن كثير في تاريخه ٧ : ٢٦٨ .

١١- أخرج الطبراني وابن عساكر من طريق عائشة مرفوعاً : كم من ذي طمرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبرّه ، منهم : عمّار بن ياسر . (مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٤ ، كنز العمّال ٦ : ١٨٤) .

١٢- أخرج أحمد من طريق خالد بن الوليد مرفوعاً : مَن عادى عمّاراً عاداه الله ، ومَن أبغض عمّاراً أبغضه الله . صحّحه الحاكم والذهبي بطريقين ، وصحّحه الهيثمي.

وفي لفظ : من يسبّ عمّاراً يسبّه الله ، ومَن يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومَن يسفّه عمّاراً يسفهه الله . صحّحه الحاكم والذهبي .

وفي لفظ : مَن يسبّ عماراً ، يسبّه الله ومَن يُعادِ عمّاراً يُعادِه الله . صحّحه الحاكم والذهبي .

وفي لفظ لأحمد : مَن يعاد عمّاراً يعاده الله عزّ وجلّ ، ومَن يبغضه يبغضه الله عزّ وجلّ ، ومَن يسبّه يسبّه الله عزّ وجلّ .

وفي لفظ الحاكم : مَن يحقّر عمّاراً يحقّره الله ، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله ، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله .

وفي لفظ ابن النجار : من سبّ عمّاراً سبّه الله ، ومن حقّر عمّاراً حقّره الله ، ومن سفّه عمّاراً سفهه الله .

وفي لفظ ابن عساكر : من يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومن يلعن عمّاراً يلعنه الله .

وفي لفظ الطبراني : من يُعادي عمّاراً يعاديه الله ، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله ، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله ، ومن يسفّه عمّاراً يسفهه الله ، ومن يحقّر عمّاراً يحقّره الله

وفي لفظ الطبراني أيضاً : من يحقّر عمّاراً يحقّره الله ، ومن يسب عمّاراً يسبّه الله ، ومن ينتقص عمّاراً ينتقصه الله ، ومن يعاد عمّاراً يعاده الله . قال الهيثمي : رجاله ثقات .

أخرج هذا الحديث على اختلاف ألفاظه جمعٌ كثير من الحفّاظ وأئمة الفنّ راجع مسند أحمد ٤ : ٨٩ ، مستدرك الحاكم ٣ : ٣٩٠ ، ٣٩١ ، تاريخ الخطيب ١ : ١٥٢ ، الاستيعاب ٢ : ٤٣٥ ، اُسد الغابة ٤ : ٤٥ ، طرح التثريب ١ : ٨٨ ، تاريخ ابن كثير ٧: ٣١١ ، الاصابة ٢ : ٥١٢ ، كنز العمّال ٦ : ١٨٥ ، ج ٧ : ٧١ - ٧٥ .

١٣ - عن حذيفة انّه قيل له : إنّ عثمان قد قُتل فما تأمرنا ؟ قال : ألزموا عمّاراً قيل : إنّ عمّاراً لا يفارق عليّاً قال : إنّ الحسد هو أهلك للجسد ، و إنّما ينفركم من عمّار قربه من عليّ . فوالله لعليٌّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب ، وإنّ عمّاراً من الأخيار . أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمّال ٧ : ٧٣ .

١٤ - عن عبدالله بن جعفر قال : ما رأيت مثل عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر كانا لا يحبّان أن يعصيا الله طرفة عين ، ولا يخالفان الحقّ قيد شعرة . أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٢ .

١٥ - ذكر الأبشيهي في المستطرف ١ : ١٦٦ في حديث : هبط جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم اُحد (وكان يسأل عن أصحابه) إلى أن قال : من هذا الذي بين يديك يتّقي عنك ؟ قال : عمّار بن ياسر . قال : بشّره بالجنّة حرمت النار على عمّار .

هذا عمّار

إذا درستَ هذه كلّها فهل تجد من الحقّ أن يُعمل معه تلكم الفظاظات مرّة بعد اُخرى ؟ وهل تجد مبرّراً لشيء منها ؟ فإن زعمت انّها تأديبٌ من خليفة الوقت فانّ التأديب لا يسوغ إلّا على إساءة في الأدب ، وزور من القول ، ومناقضة للحقّ ، ومضادّة للشريعة ، ويُجلّ عمّار عن كلّ ذلك ، فلم يصدر منه غير دُعاء إلى الحقّ ، وأذان بالحقيقة ، وتضجُّرٍ لمظلوم ، وعمل بالوصيّة واجب ، ورسالةٍ عن اُناس مؤمنين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فهل حظر الإسلام شيئاً من هذه فأراد الخليفة أن يعيد عمّاراً إلى نصاب الحقّ ؟ أو أنّ الخليفة مفوّضٌ في النفوس كما يرى انّه مفوّضٌ في الأموال

فيراغم فيها عامّة المسلمين بارضاء من يجب إرغامهم من اُناس لا خلاق لهم ؟ و كذلك فعل بالنفوس فعل المستبدّين ولوازم الدكتاتوريّة ومقتضيات الملك العضوض .

ولو كان الخليفة ناصباً نفسه للتأديب فهل أدّب أمثال عبيد الله بن عمر ، والحكم ابن أبي العاص ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة ، وسعيد بن العاص ، ونظرائهم من رجال العيث والفساد المستحقّين للتأديب حيناً بعد حين ؟ وهو كان يرنو إلى أعمالهم من كثب ، لكنّه لم يصدر منه إلّا إرضائهم وتوفير العطاء لهم والدفاع عنهم ، و تسليطهم على النفوس والأموال حتى أوردوه مورد الهلكة ، ولقد ادّخر تأديبه كلّه لصلحاء الاُمّة مثل عمّار وأبي ذر وابن مسعود ومن حذا حذوهم ، فإلى الله المشتكى .

وإنّك لو أمعنت النظرة في أعماله وأفعاله لتجدنّه لا يقيم وزناً لأيّ صالح من الاُمّة ، ولقد ترقّى ذلك أو تسافل حتى انّه جابه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام غير مرّة بقوارص كلماته ومما قال له ممّا مرّ في صفحة «١٨ ، ١٩» قوله : أنت أحقّ بالنفي منه . وقوله : لئن بقيتُ لا أعدم طاغياً يتخذك سلّماً وعضداً ويعدّك كهفاً وملجأً . يريد بالطاغي أباذر وعمّار وأمثالهما و يجعل الامام عليه السلام سُلّماً و عضداً و كهفاً و ملجأ لمن سمّاهم الطغاة . كبرت كلمةً تخرج من أفواههم .

كأنّ الرجل لم يصاحب النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، أو لم يعِ إلى ماهتف به من فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من أوّل يومه آناء الليل و أطراف النهار في حلّه ومرتحله ، في ظعنه وإقامته ، عند أفراد من أصحابه أو في محتشد منهم ، ولدى الحوادث والوقايع ، وعند كلّ مناسبة ، وفي حروبه و مغازيه .

وكأنّه لم يشهد بلاء مولانا الإمام عليه السلام في مآزق الاسلام الحرجة ، ولم يشهد كرّاته وقد فرّ أصحابه ، وتفانيه في سبيل الدعوة عند خذلان غيره ، و اقتحامه المهالك لصالح الإسلام حيث ركنوا إلى دعة ، وتقهقر بهم الفرَق ، وثبّطهم الخول.

يزعم القوم أنّ الخليفة كان حافظاً للقرآن وانّه كان يتلوه في ركعة في لياليه ولو صحّ ما يقولون فهلّا كان يمرّ بآية التطهير و مولانا الإمام عليه السلام أحد الخمسة الذين اُريدوا بها ؟ وبآية المباهلة وهو نفس النبيّ فيها ؟ إلى آيات اُخرى نازلة فيها بالغة إلى

ثلاثمائة آية كما يقوله حبر الأمة عبدالله بن العباس[1] أو أنه كان يمر بها على حين غفلة من مفادها؟ أو يمر بها وقد بلغ منه اللغوب من كثرة التلاوة فلا يلتفت اليها؟ أو أنه كان يرتلها ملتفتاً إلى مغازيها؟ ولكن ....

أنا لا أدري بماذا يعلل قوارص الخليفة علياً عليه السلام إبنا حجر و كثير و أمثالهما المعللون أقوال الخليفة وأفعاله في مثل أبي ذر وابن مسعود ومالك الأشتر، بأن مصلحة بقائهم في الأوساط الإسلامية مع الحرية في المقال لا تكافئ المفسدة المترتبة عليه من سقوط أبهة الخلافة. على انه ما كان عند القوم إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهل يجرهم الحب المعمي والمصم إلى أن يقولوا بمثل ذلك في حق عظيم الدنيا والدين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؟ فهل كانت مفسدة هنا لك مترتبة على مقام الإمام في المدينة حتى يكون نفيه عنها أولى؟ وهل هو إلا الصلاح كله؟ و هل المصالح النوعية والفردية يستقى من غيره؟ ولعمر الحق ان أبهة تسقط لمكان أمير المؤمنين عليه السلام وفضله ونزاهته وعلمه وإصلاحه لحرية بالسقوط، و أيم الله لو وسع أولئك المدافعون عن تلكم العظائم لدنسوا ساحة قدس الإمام بالفرية الشائنة، و اتهموه بمثل ما اتهموا به غيره من صلحاء الأمة و أعلام الصحابة و الخيرة الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر، ولكن ...

ولو كان الخليفة يعير لنصائح الإمام عليه السلام أذناً واعية لصانه عن المهالك، و لم تزل الأبهة مصونة له، والعز والنجاح ذخراً له و لأهل الإسلام، و كان خيراً له من ركوبه النهابير التي جرعته الغصص و أودت به و جرت الويلات على الأمة حتى اليوم، ولكنه ...

لاجرم ان الله يعلم ما يسرون و مايعلنون، إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا.

ـ ٤٣ ـ
تسيير الخليفة صلحاء الكوفة إلى الشام

روى البلاذري عن عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: لما

(١) راجع ما مر في الجزء الاول ص ٣٣٤ ط ٢.

عزل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة عن الكوفة وولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها، فكان يجالس قرّاءها ووجوه أهلها و يسامرهم فيجتمع عنده منهم: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، وزيد و صعصعة إبنا صوحان العبديّان، و حرقوص بن زهير السعدي، وجندب بن زهير الأزدي، وشريح بن أوفى بن يزيد بن زاهر العبسي، و كعب ابن عبدة النهدي، وكان يقال لعبدة بن سعد بن ذو الحبكة ـ وكان كعب ناسكاً وهو الذي قتله بُسر بن أرطاة بتثليث ـ وعدي بن حاتم الجواد الطائي ويكنّى أبا طريف، و كدام بن حضري بن عامر، ومالك بن حبيب بن خراش، وقيس بن عطارد بن حاجب، و زياد بن خصفة بن ثقف، ويزيد بن قيس الأرحبي، وغيرهم فانّهم لعنده وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السّواد والجبل ففضّلوا السّواد و قالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل و له هذا النخل، وكان حسّان بن محدوج الذهلي الذي إبتدأ الكلام في ذلك فقال عبدالرحمن بن خُنيس الأسدي صاحب شرطة: لوددت أنّه للأمير وانّ لكم أفضل منه. فقال له الأشتر: تمنّ للأمير أفضل منه ولا تمنّ له أموالنا. فقال عبدالرحمن: مايضرّكِ من تمنّي حتّى تزوي ما بين عينيك فوالله لو شاء كان له. فقال الأشتر: و الله لو رام ذلك ما قدر عليه. فغضب سعيد وقال: إنّما السّواد بستان لقريش. فقال الأشتر: أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك و لقومك؟ والله لو رامه أحدٌ لقُرع قرعاً يتصأصأ منه. ووثب بابن خنيس فأخذته الأيدي.

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إنّي لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يُدعون القرّاء وهم السفهاء شيئاً. فكتب إليه أن سيّرهم إلى الشام. وكتب إلى الأشتر: إنّي لأراك تضمر شيئاً لو أظهرته لحلّ دمك وما أظنّك منتهياً حتّى يصيبك قارعةٌ لا بُقيا بعدها، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك مَن قِبلك وإنّك لا تألوهم خبالا. فسيّر سعيد الأشتر و مَن كان وثب مع الأشتر و هم: زيد و صعصعة إبنا صوحان، وعائذ بن حملة الطُهوي من بني تميم، وكميل بن زياد النخعي، وجُندب بن زهير الأزدي، والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، و يزيد بن المكفف النخعي، وثابت بن قيس بن المنقع النخعي، وأصعر (١) بن قيس بن الحارث الحارثي

(١) كذا في انساب الاشراف بالعين المهملة وفي الاصابة بالمعجمة.

فخرج المسيّرون من قرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق نزلوا مع عمرو بن زرارة فبرّهم معاوية وأكرمهم، ثمّ انّه جرى بينه وبين الأشتر قول حتّى تغالظا فحبسه معاوية فقام عمرو بن زرارة فقال: لئن حبسته لتجدنّ من يمنعه. فأمر بحبس عمرو فتكلّم سائر القوم فقالوا: أحسن جوارنا يا معاوية! ثمّ سكتوا فقال معاوية: مالكم لا تكلّمون فقال زيد بن صوحان: وما نصنع بالكلام؟ لئن كنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله، وإن كنّا مظلومين فانّا نسأل الله العافية. فقال معاوية: يا أبا عائشة! أنت رجل صدق. وأذن له في اللحاق بالكوفة، وكتب إلى سعيد بن العاص: أمّا بعد: فانّي قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه فأحسن جواره وكفّ الأذى عنه وأقبل اليه بوجهك وودّك، فانّه قد أعطاني موثقاً أن لا ترى منه مكروهاً. فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج من حبس ففعل.

وبلغ معاوية أنّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشتر وأصحابه فكتب إلى عثمان: إنّك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي ويعلموهم مالا يحسنونه حتّى تعود سلامتهم غائلة، واستقامتهم إعوجاجا.

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيّرهم إلى حمص، ففعل وكان واليها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة، ويقال: إنّ عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجّ منهم سعيد ثانية فكتب في تسييرهم إلى حمص فنزلوا الساحل. الأنساب ٥:٣٩ـ٤٣.

صورة مفصّلة

إنّ عثمان أحدث أحداثاً مشهورة نقمها الصحابة عليه من تأمير بني اُميّة ولاسيّما الفسّاق منهم وأرباب السفه وقلّة الدين، وإخراج مال الفيء إليهم وماجرى في أمر عمار وأبي ذر وعبد الله بن مسعود وغير ذلك من الاُمور التي جرت في أواخر خلافته، ثمّ اتّفق انّ الوليد بن عقبة لمّا كان عاملاً على الكوفة وشهد عليه بشرب الخمر صرفه، وولّى سعيد بن العاص مكانه فقدم سعيد الكوفة واستخلص من أهلها قوماً يسمرون عنده فقال سعيد يوماً: إنّ السّواد بستان لقريش وبني اُميّة، فقال الأشتر النخعي: وتزعم انّ السّواد الذي أفاءه الله على المسلمين بأسيافنا بستان لك و لقومك؟ فقال صاحب شرطته: أتردّ على الأمير مقالته؟ وأغلظ له، فقال الأشتر لمن حوله من النخع وغيرهم

من أشراف الكوفة : ألاتسمعون ؟ فوثبوا عليه بحضرة سعيد فوطؤه وطأ عنيفاً و جرّوا برجله ، فغلظ ذلك على سعيد وأبعد سماره ، فلم يأذن بعدُ لهم فجعلوا يشتمون سعيداً في مجالسهم ثمّ تعدوا ذلك إلى شتم عثمان ، واجتمع اليهم ناسٌ كثيرٌ حتّى غلظ أمرهم فكتب سعيد إلى عثمان في أمرهم فكتب إليه أن يسيّرهم إلى الشام لئلّا يفسدوا أهل الكوفة وكتب الى معاوية وهو والي الشام : إنّ نفراً من أهل الكوفة قد همّوا بإثارة الفتنة وقد سيّرتهم إليك ، فانهم فإن آنست منهم رشداً فأحسن إليهم واردد هم إلى بلادهم . فلمّا قدموا على معاوية ، وكانوا : الأشتر ، ومالك بن كعب الأرحبي ، والأسود بن يزيد النخعي ، وعلقمة بن قيس النخعي ، وصعصعة بن صوحان العبدي ، وغيرهم جمعهم يوماً وقال لهم :

إنّكم قومٌ من العرب ذووا أسنان وألسنة و قد أدركتم بالإسلام شرفاً و غلبتم الأمم وحويتم مواريثهم ؛ وقد بلغني انّكم ذممتم قريشاً ،ونقمتم على الولاة فيها ،ولولا قريش لكنتم أذلّة إنّ أئمّتكم لكم جُنّة فلاتفرّقوا عن جنّتكم ، إنّ أئمّتكم ليصبرون على الجور ويحتملون فيكم العتاب ، والله لتنتهينّ أوليبتلينكم الله بمن يسومكم الخسف ولا يحمد كم على الصبر ثمّ تكون شركاؤهم فيما جررتم على الرعيّة في حياتكم وبعد وفاتكم .

فقال له صعصعة بن صوحان : أمّا قريش فإنّها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهليّة ، وإنّ غيرها من العرب لأكثر منها وأمنع .

فقال معاوية : إنّك لخطيب القوم ولا أرى لك عقلاً وقد عرفتكم الآن ، وعلمت أنّ الذي أغراكم قلّة العقول ، أعظّم عليكم أمر الإسلام فتذكروني الجاهليّة ، أخزى الله قوماً عظّموا أمركم ، افقهوا عنّي ولا أظنّكم تفقهون : إنّ قريشاً لم تعزّ في جاهليّة ولا في الإسلام إلّا بالله وحده ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدّها ولكنّهم كانوا أكرمهم أحساباً ، وأمحضهم أنساباً ، وأكملهم مروءة ، ولم يمتنعوا في الجاهليّة والناس تأكل بعضهم بعضا إلّا بالله ، فبوّأهم حرماً آمناً يتخطّف الناس من حولهم ، هل تعرفون عرباً أو عجماً أوسوداً أوحمراً ؟ إلّا وقد أصابهم الدهر في بلدهم وحرمهم إلّا ماكان من قريش ، فانّه لم يردّهم أحدٌ من الناس بكيد إلّاجعل الله خدّه الأسفل حتّى أراد الله تعالى أن يستنقذ

من اكرمه باتّباع دينه من هوان الدنيا وسوء مردّ الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثمّ ارتضى له أصحاباً، وكان خيار هم قريشاً، ثمّ بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصحّ الأمر إلّا بهم، وقد كان الله يحوطهم في الجاهليّة وهم على كفرهم، أفتراه لايحوطهم وهم على دينه؟ اُفٍّ لك ولأصحابك، أمّا أنت يا صعصعة! فانّ قريتك شرّ القرى، أنتنها نبتاً، وأعمقها وادياً، وألأمها جيراناً، وأعرفها بالشرّ، لم يسكنها شريفٌ قطّ، ولاوضيع إلّا سبّ بها نزاع الأمم وعبيد فارس، وأنت شرّ قومك أحين أبرزك الإسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي دين الله عوجا، وتنزع إلى الغواية؟ إنّه لن يضرّ ذلك قريشاً ولا يضعهم ولا يمنعهم من تأدية ماعليهم، إنّ الشيطان عنكم لغير غافل، قد عرفكم بالشرّ فأغراكم بالناس، وهو صارعكم وإنّكم لا تدركون بالشرّ أمراً إلاّ فتح عليكم شرّ منه وأخزى، قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم، لا ينفع الله بكم أحداً ابداً ولا يضرّه، ولستم برجال منفعة ولا مضرّة، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا تبطرنكم النعمة، فإنّ البطر لايجرّ خيرا، اذهبوا حيث شئتم، فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

وكتب إلى عثمان: إنّه قدم عليّ قومٌ ليست لهم عقولٌ ولاأديان، اضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلّمون بحجّة، إنّما همهم الفتنة والله مبتليهم وفاضحهم وليسوا بالذين نخاف نكايتهم، وليسوا الأكثر ممّن له شغب ونكير. ثمّ أخرجهم من الشام.

وروى الحسن المدائني: انّه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم، وإنّ معاوية قال لهم في جملة ماقاله: إنّ قريشاً قدعرفت انّ أباسفيان أكرمها وابن أكرمها إلّاما جعل الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فانّه إنتجبه وأكرمه، ولوانّ أباسفيان ولدالناس كلّهم لكانوا حلماء.

فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت، قد ولد هم خيرٌ من أبي سفيان، مَن خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرّ والفاجر والكيّس والأحمق.

قال: ومن المجالس التي دارت بينهم: إنّ معاوية قال لهم: أيّها القوم ردّوا خيراً

واسكنوا وتفكّروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوه وأطيعوني .

فقال له صعصعة : لست بأهل لذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله .

فقال : إنّ أول كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا .

فقال صعصعة : بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

فقال : إن كنت فعلت فإنّي الآن أتوب وآمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة وأن توقّروا أئمّتكم وتطيعوهم .

فقال صعصعة : إذا كنت تبت فإنّا نأمرك أن تعتزل أمرك فإنّ في المسلمين من هو أحقّ به منك ممّن كان أبوه أحسن أثراً في الاسلام من أبيك ، وهو أحسن قدماً في الإسلام منك .

فقال معاوية : إنّ لي في الإسلام لقدماً و إن كان غيري أحسن قدماً منّي لكنّه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه منّي ، و لقد رأى ذلك عمر بن الخطاب ، فلو كان غيري أقوى منّي لم يكن عند عمر هوادة لي ولغيري ، و لا حدث ما ينبغي له أن أعتزل عملي ، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليّ فاعتزلت عمله ، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له علي ذلك إلّا و هو خير ، فمهلاً فإنّ في دون ما أنتم فيه ، ما يأمر في الشيطان وينهى ، ولعمري لو كانت الأمور تقضي على رأيكم وأهوائكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً وليلة ، فعودوا الخير وقولوه . فقالوا : لست لذلك أهلاً . فقال : أما والله إنّ لله لسطوات و نقمات وإنّي لخائف عليكم أن تتبايعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرّحمن فيحلّكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل .

فوثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته فقال : مه ، إنّ هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتّى يقتلوكم فلعمري إنّ صنيعكم ليشبه بعضه بعضا ، ثمّ قام من عندهم فقال : والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت و كتب إلى عثمان :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد : يا أمير المؤمنين! فانّك بعثت إليّ أقواماً يتكلّمون بألسنة الشياطين ومايملون

عليهم ويأتون النّاس زعموا من قبل القرآن فيشبّهون على النّاس ، وليس كلّ النّاس يعلم مايريدون ، و إنّما يريدون فرقة ، ويقرّبون فتنة ، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم ، و تمكّنت رقى الشيطان من قلوبهم ، فقد أفسدوا كثيراً من النّاس ممّن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة ، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغرّوهم بسحرهم و فجورهم فارددهم إلى مصرهم ، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم . والسّلام .

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردّهم إليه فلم يكونوا إلّا أطلق ألسنةً منهم حين رجعوا ، وكتب سعيد إلى عثمان يضجّ منهم ، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان أميراً على حمص وهم : الأشتر ، وثابت بن قيس الهمداني (١) وكميل بن زياد النخعي ، وزيد بن صوحان وأخوه صعصعة ، وجندب بن زهير الغامدي ، وحبيب بن كعب الأزدي ، وعروة ابن الجعد (٢) وعمرو بن الحمق الخزاعي .

وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه : أمّا بعد : فانّي قد سيّرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها فإنّكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً . والسّلام .

فلمّا قرأ الأشتر الكتاب قال : أللّهمّ أسوأنا نظراً للرعيّة ، وأعملنا فيهم بالمعصية فعجّل له النقمة . فكتب بذلك سعيد إلى عثمان ، وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل وأجرى عليهم رزقاً .

وروى الواقدي : إنّ عبد الرحمن بن خالد جمعهم بعد أن أنزلهم أيّاماً وفرض لهم طعاماً ثمّ قال لهم : يا بني الشيطان ! لا مرحباً بكم ولا أهلاً ، قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ في بساط ضلالكم وغيّكم ، جزى الله عبد الرحمن إن لم يؤذكم ، يامعشر مَن لاأدري أعربٌ هم أم عجم ، أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية ؟ أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن مَن عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقئ عين الردّة ، والله ياابن صوحان ! لأطيرنّ بك طيرة بعيدة المهوى إن بلغني أنّ أحداً ممّن معي دقّ أنفك فاقتنعت رأسك ، قال : فأقاموا عنده شهراً كلّما ركب أمشاهم معه و يقول لصعصعة : ياابن الخطية ! إنّ مَن لم

(١) في تاريخ الطبري : النخعي . بدل: الهمداني .
(٢) في اسد الغابة ٣:٣ ٤٠ :كان ممّن سيره عثمان رضي الله عنه الى الشام من أهل الكوفة .

يُصلحه الخير أصلحه الشرّ، مالك لاتقول كما كنت تقول لسعيد و معاوية ؟ فيقولون : نتوب إلى الله ، أقلنا أقالك الله ، فما زال ذاك دأبه ودأبهم حتى قال : تاب الله عليكم . فكتب إلى عثمان يسترضيه عنهم ويسأله فيهم فردّهم إلى الكوفة .

تاريخ الطبري ٥ : ٨٨ - ٩٠ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٥٧- ٦٠ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٥٨- ١٦٠ ورأى هذه الصورة أصحّ ماذكر في القضيّة ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٨٧ - ٣٨٩ ، تاريخ أبي الفداج ١ : ١٦٨ في حوادث سنة ٣٣ .

قال الأميني : كان في عظمة أكثر هؤلاء القوم وصلاحهم المتسالم عليه و تقواهم المعترَف بها مُرتدَعٌ عن أذاهم وإجفالهم عن مستوى عزّهم وموطن إقامتهم وتسييرهم من مَنفى إلى منفى ، و الإصاخة الى سعاية ذلك الشابّ المستهتر والله سبحانه يقول : إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين [1] و كان على الخليفة أن يبعث اليه باللائمة بل يعاقبه على ما فرط في جنب أولياء الله بتسميته إيّاهم السفهاء وهم قرّاء المصر ، وزعماء الملأ ، ونسّاك القطر ، وفقهاء القارّة ، وهم القدوة في التقوى والنسك ، وبهم الاسوة في الفقه والأخلاق ، و لم يكن عليهم إلّا عدم التنازل لميول ذلك الغلام الزائف ، وعدم مماشاتهم إيّاه على شهواته ومزاعمه ، وهلّا استشفّ الخليفة حقيقة ماشجر بينه وبين القوم حتى يحكم فيه بالحقّ ، لكنّه بدل أن يتّخذ تلكم الطريقة المثلى في القضيّة استهواه ذلك الشابّ المترف فمال أليه بكلّه ، ونال من القوم ما نال ، وأوقع بهم ماحبّذه له الحبّ المعمي والمصمّ ، لكن الدين وملأه أنكرا ذلك عليه وحفظه التاريخ ممّا نقم به على عثمان .

كانت لائمة معاوية للقوم مزيجها الملاينة لاعن حلم ، و خشونة لا يستمرّ عليها ، كلّ ذلك لم يكن لنصرة حقّ أو ابتغاء إصلاح ، وإنّما كان يكاشفهم جلباً لمرضاة الخليفة ، ويوادعهم لما كان يدور في خلده من هوى الخلافة غداً ، وكان يعرف القوم بالشدّة والمتبوعيّة ، فما كان يروقه قطع خطّ الرجعة بينه وبينهم متى تسنّى له الحصول على غايته المتوخّاة ، وكانت هذه الخواطر لاتبارحه ، ولا يزال هو يعدّ الدقائق و الثواني للتوصّل إليها ، وكان أحبّ الأشياء إليه إكتساح العراقيل دونها ، ولذلك أطلق سراح

(١) سورة الحجرات : ٦ .

القوم وتثبط عن النهضة لنصرة عثمان لمّا استنصره (كماسيأتي تفصيله) حتّى قتل و معاوية في الخاذلين له .

وأمّا إبن خالد فقد جرى مجرى أبيه في الفظاظة والغلظة ، فلم يعاملهم إلّا بالرعونة ولم يجاملهم إلّا بالقسوة ، وكلّ إناء بالذي فيه ينضح .

وهاهنا نوقفك على نبذ من أحوال مَن يهمك الوقوف على حياته الثمينة من أولئك الرجال المنفيّين الأبرار ، حتّى تعلم أن ما تقوّلوه فيهم وفعلوه بهم في منتأى عنهم ، وإنّما كان ذلك ظلماً وعدواناً ، وتعلم أنّ ابن حجر مائن فيما يصف به الأشتر من المروق[1] غير مصيب في قذفه ، متجانف للإثم في الدفاع عن عثمان بقوله : إنّ المجتهد لايعترض عليه في أموره الإجتهاديّة ، لكن أولئك الملاعين المعترضون لافهم لهم بل ولا عقل[2] .

الأشتر

١ ـ مالك بن الحارث الأشتر ، أدرك النبيّ الأعظم وقد أثنى عليه كلّ مَن ذكره ؛ ولم أجد أحداً يغمز فيه ، وثّقه العجلي وذكره ابن حبان في الثقات ، ولا يحمل عدم رواية أيّ إمام عنه على تضعيفه ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٠ : ١٢ : قال مهنّا : سألت أحمد عن الأشتر يروي عنه الحديث ؟ قال : لا . قال : ولم يرد أحمد بذاك تضعيفه ، وإنّما نفى أن تكون له رواية . وكفاه فضلاً ومنعة كلمات مولانا أمير المؤمنين في الثناء عليه في حياته وبعد المنون ، وإليك بعض ما جاء في ذلك البطل العظيم :

١ـ من كتاب لمولانا أمير المؤمنين كتبه إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر:

أمّا بعد : فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع ، أشدّ على الفجّار من حريق النّار . وهو : مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ ، فإنّه سيف من سيوف الله ، لا كليل الظبة[1] ولا نابي الضريبة ، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنّه لا يقدم ولا يحجم ، ولا يؤخّر ولا يقدّم إلّا عن أمري ، و قد

(١) راجع الصواعق ص ٦٨ .

(٢) راجع الصواعق ص ٦٨ .

آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم ، وشدّة شكيمته على عدوّكم . إلخ .

تاريخ الطبري ٦ : ٥٥ ، نهج البلاغة ٢ : ٦١ ، شرح إبن أبي الحديد ٢ : ٣٠ .

صورة اُخرى

رواهاالشعبي من طريق صعصعة بن صوحان .

أمّا بعد : فإنّي قدبعثت إليكم عبداً منعباد الله لا ينام أيّام الخوف ، ولا ينكل عنالأعداء حذارالدوائر ، لاناكل من قدم ، ولا واه في عزم ، من أشدّ عباد الله بأساً ، وأكرمهم حسباً ، أضرّ على الفجّار من حريق النّار ، وأبعد الناس من دنس أو عار ، وهو : مالك بنالحرث الأشتر ؛ حسام صارم ، لانابي الضريبة ، ولا كليلالحدّ ، حكيم في السّلم ، رزين في الحرب ، ذو رأي أصيل ، وصبر جميل ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنّه لا يقدم ولا يحجم إلّابأمري ، وقدآثرتكم به نفسي نصيحة لكم ، وشدّة شكيمته علىعدوّكم . إلخ .(٢)

٢ــ من كتاب للمولى أميرالمؤمنين كتبه إلى أميرين من اُمراء جيشه :

وقد أمّرت عليكما وعلى من في حيّز كما مالك بن الحارث الأشتر ، فاسمعا له وأطيعا واجعلاه درعاً ومجنّاً ، فإنّه ممّن لا يخاف وهنه ولا سقطته ، ولا بطؤه عمّا الاسراع إليه أحزم ، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل .

قال إبن أبيالحديد في شرحه٣ : ٤١٧ : فأمّا ثناء أميرالمؤمنين عليه السلام عليه في هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل ، ولعمري كان الأشتر أهلاً لذلك ، كان شديد البأس جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً ، وكان يجمع بين اللين والعنف ، فيسطو في موضع السطوة ، ويرفق فيموضع الرفق ؛ ومن كلام عمر : إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لقويّ في غير عنف ، وليّن في غيرضعف . اه .

٣ــ من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر يذكر فيه الأشتر فيقول :

إنّ الرجل الذي كنت ولّيته مصر كان لنا نصيحاً ، وعلى عدوّنا شديداً ، وقد

(١) الظبة بتخفيف الموحدة : حدّ السيف .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٢٩ ، جمهرة الرسائل ١ : ٥٤٩ .

استكمل أيامه ، ولاقى حمامه ، ونحن عنه راضون ، فرضي الله عنه ، وضاعف له الثواب ، وأحسن له المآب .

تاريخ الطبري ٦ : ٥٥ ، نهج البلاغة ٢ : ٥٩ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ١٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٣٠ .

٤ ـ لمّا بلغ عليّاً (أمير المؤمنين) موت الأشتر قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين ؛ أللهمّ إنّي أحتسبه عندك فإنّ موته من مصائب الدهر . ثمّ قال : رحم الله مالكاً فقد كان وفى بعهده ، وقضى نحبه ، ولقي ربّه ، مع أنّا قد وطّنا أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فإنّها من أعظم المصائب ، قال المغيرة الضبي : لم يزل أمر عليّ شديداً حتّى مات الأشتر [1] .

٥ ـ عن جماعة من أشياخ النخع قالوا : دخلنا على عليّ أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهّف ويتأسّف عليه ثمّ قال : لله درّ مالك ، وما مالك ؟ لو كان من جبل لكان فنداً [2] ، ولو كان من حجر لكان صلدا ، أما والله ليهدنّ موتك عالماً ، وليفرحنّ عالماً ، على مثل مالك فليبك البواكي ، وهل موجودٌ كما لك ؟ .

وقال علقمة بن قيس النخعي : فمازال عليٌّ يتلهّف ويتأسّف حتّى ظننّا انّه المصاب دوننا ، وعرف ذلك في وجهه أيّاماً .

وفي لفظ الشريف الرضي والزبيدي : لو كان جبلاً لكان فنداً ، لا يرتقيه حافر ، ولا يوفى عليه الطائر .

نهج البلاغة ٢ : ٢٣٩ ، شرح إبن أبي الحديد ٢ : ٣٠ ، لسان العرب ٤ : ٣٣٦ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ١٥٣ ، تاج العروس ٢ : ٤٥٤ .

٦ ـ قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٤١٦ : كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها ، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره وقال فيه بعد موته : رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله .

٧ ـ دسّ معاوية بن أبي سفيان للأشتر مولى عمر فسقاه شربة سويق فيها سمٌّ فمات

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٩ .

(٢) الفند بالكسر : القطعة العظيمة من الجبل .

فلمّا بلغ معاوية موته قام خطيباً في النّاس فحمد الله وأثنى عليه وقال : أمّابعد : فإنّه كانت لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهمايوم صفّين وهو عمّاربن ياسر، و قطعت الأخرى اليوم وهو مالكالأشتر. تاريخ الطبري ٦ : ٢٥٥ ، الكامل لإبن الأثير ٣ : ١٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٩ .

قال الأميني : ماأجرأ الطليق ابن الطليق الطاغية على السرور والتبهّج بموت الأخيار الأبرار بعد ما يقتلهم ، ويقطع عن أديم الأرض اصول بركاتهم ، ويبشّر بذلك اُمّته الفئة الباغية ، ويأمرهم بالدعاء عليهم ، اُولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون ، وسوف يعلمون حين يرون العذاب مَن أضلّ سبيلا ؟.

٨ـ وقبل هذه كلّها ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دفن أبي ذر سيّد غفّار من قوله في لفظ الحاكم وأبي نعيم وأبي عمر : ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين . وفي لفظ البلاذري : يلي دفنه رهطٌ صالحون . وقد دفنه مالك الأشتر وأصحابه الكوفيّون كما في أنساب البلاذري ٥ : ٥٥ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١ : ١٧ ، والمستدرك للحاكم ٣ : ٣٣٧ ، والإستيعاب لأبي عمر ١ : ٨٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣: ٤١٦ فقال : هذا الحديث يدلّ فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله وهي شهادة قاطعةٌ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه مؤمن .

قال الأميني : ما أبعد المسافة بين هذه الشهادة وبين وصف إبن حجر إيّاه في الصواعق ص٦٨ بالمروق وعدم الفهم والعقل ، ولعنه إيّاه وأصحابه الصلحاء ، وقد عزب عنه انّه لا يلفظ من قول إلّا ولديه رقيبٌ عتيد .

نحن لسنا الآن في صدد التبسّط في فضائل مالك وتحليل نفسيّاته الكريمة ومآثره الجمّة وإلّا لأريناك منه كتاباً ضخماً ، ولقدناه بشطر مهمّ منها الفاضلان الشريفان السيّد محمّد الرضا آل السيّد جعفر الحكيم النجفي ، وابن عمه السيّد محمّد التقي بن السيّد السعيد الحكيم النجفي في كتابيهما المطبوعين المخصوصين بمالك ، وقد سبقهما الي ذلك بعض علمائنا السابقين ، يوجد كتابه المخطوط في مكتبة مولانا الإمام الرضا عليه السلام بخراسان المشرّفة ، حيّا الله حملة العلم سلفاً وخلفاً .

٢ ـ زيدبن صوحان العبدي الشهير بزيدالخير، أدرك النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وترجمه

أبو عمر وابن الأثير وابن حجر في معاجم الصحابة ، قال أبو عمر : كان فاضلاً ديناً سيداً في قومه .

أخرج أبويعلى وابن مندة والخطيب وابن عساكر من طريق علي عليه السلام مرفوعاً: من سرّه أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّة فلينظر إلى زيد بن صوحان .

وفي حديث آخر : الأقطع الخير زيد ، زيد رجل من أمّتي تدخل الجنّة يده قبل بدنه - قطعت يده يوم القادسيّة - .

و في حديث أخرجه ابن مندة وأبو عمر وابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله زيد وما زيد ؟ يسبقه بعض جسده إلى الجنّة ثمّ يتبعه سائر جسده إلى الجنّة .

وأخرج ابن عساكر من طريق الحكم بن عيينه قال : لمّا أراد زيد أن يركب دابّته أمسك عمر بركابه ثمّ قال لمن حضره : هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه .

تاريخ ابن عساكر ٦ : ١١ - ١٣ ، تاريخ الخطيب ٨ : ٤٤٠ ، الاستيعاب ١ : ١٩٧ ، اسد الغابة ٣ : ٢٣٤ ، بهجة المحافل ٢ : ٢٣٧ ، الاصابة ١ : ٥٨٢ .

وفي الفائق للزمخشري ١ : ٣٥ : قال فيه النبيّ عليه الصّلاة والسّلام : زيد الخير الأجذم من الخيار الأبرار .

وفي معارف ابن قتيبة ص١٧٦ : كان من خيار الناس ، وروي في الحديث انّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : زيد الخير الأجذم ، وجندب ماجندب؟ فقيل : يارسول الله ! أتذكر رجلين ؟ فقال : أمّا أحدهما فسبقته يده إلى الجنّة بثلاثين عاماً ؛ وأمّا الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحقّ والباطل ، فكان أحد الرجلين زيد بن صوحان شهد يوم جلولاء فقطعت يده وشهد مع عليّ يوم الجمل فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أراني إلّا مقتولا ، قال : وما علمك بهذا يا أباسليمان ؟ قال : رأيت يدي نزلت من السّماء وهي تستشيلني . فقتله عمرو ابن يثربي وقتل أخاه سليمان يوم الجمل .

وفي تاريخ الخطيب ٨ : ٤٣٩ : كان زيد يقوم الليل ويصوم النهار واذا كانت ليلة الجمعة أحياها ، وقال : قتل يوم الجمل وقال : ادفنوني في ثيابي فانّي مخاصم . وفي رواية : لا تغسلوا عنّي دماً و لا تنزعوا عنّي ثوباً إلّا الخفين ، وارمسوني الأرض رمساً فانّي رجل محاجّ . زاد أبو نعيم : أحاجّ يوم القيامة .

وفي مرآة الجنان لليافعي ١ : ٩٩ : كان زيد من سادة التابعين صوّاماً قوّاماً . وفي شذرات الذهب ١ : ٤٤ : من خوّاص عليّ من الصلحاء الأتقياء .

وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية في حديث مروج الذهب ٢ : ٧٥ : أمّا زيد وعبد الله (أخوه) فانّهما نهران جاريان يصبّ فيهما الخلجان ، و يغاث بهما اللهفان ، رجلا جدّ لا لعب معه .

ووصفه أخوه صعصعة لابن عبّاس لمّا قال له : أين أخواك منك زيد وعبدالله ؟ صفهما فقال : كان « زيد » والله ياابن عبّاس عظيم المروّة ، شريف الأخوّة ، جليل الخطر ، بعيد الأثر ، كميش العروة ، أليف البدوّة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الدهر ، ذاكراً لله طرفي النهار وزلفاً من الليل ، الجوع والشبع عنده سيّان ، لا ينافس في الدنيا ، وأقلّ في أصحابه من ينافس فيها ، يطيل السكوت ، ويحفظ الكلام ، وإن نطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الأشرار ، ويألفه الأحرار الأخيار . فقال ابن عباس : ما ظنّك برجل من أهل الجنّة ، رحم الله زيداً .

٣- صعصعة بن صوحان العبدي أخو زيد الخير المذكور ، ذكر في معاجم الصحابة قال أبو عمر : كان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم يلقه ولم يره . كان سيّداً فصيحاً خطيباً ديّناً . قال الشعبي : كنت أتعلّم منه الخطب ، و قال عقيل بن عليّ بن أبي طالب لمعاوية في حديث : أمّا صعصعة فعظيم الشأن ، عضب اللسان ، قائد فرسان ، قاتل أقران ، يرتق ما فتق ، ويفتق ما رتق ، قليل النظير . وقال ابن الأثير : كان سيّداً من سادات قومه عبد القيس ، وكان فصيحاً خطيباً لسناً ديّناً فاضلاً يُعدّ في أصحاب عليّ رضي الله عنه.

له مع عثمان محاورة سيوافيك شيء منها ، و مواقفه مع معاوية ذكرت جملة منها في مروج الذهب ٢ : ٧٦ - ٨٣ ، وتاريخ ابن عساكر ٦ : ٤٢٤ - ٤٢٧ ، وثّقه ابن سعد والنسائي وابن حبّان وابن عساكر وابن الأثير وابن حجر .

أخرج ابن شبة أنّ عمر بن الخطاب قسّم المال الذي بعث اليه أبوموسى وكان ألف ألف درهم وفضلت منه فضلة فاختلفوا عليه حيث يضعها فقام خطيباً فحمدالله و أثنى عليه وقال : أيّها الناس قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس فما تقولون فيها ؟ فقام صعصعة بن صوحان و هو غلام شابّ فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّما تُشاور الناس فيما لم ينزل الله

فيه قرآناً ، أمّا ماأنزل الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها فقال : صدقت أنت منّي وأنا منك . فقسّمه بين المسلمين .

راجع طبقات ابن سعد ، مروج الذهب ، تاريخ ابن عساكر ، الاستيعاب ، اُسد الغابة ، الإصابة ، تهذيب التهذيب ، خلاصة الجزري .

٤ ـ جندب بن زهير الأزدي ، صحابيٌّ مترجم له في الاستيعاب ، واُسد الغابة ، والإصابة وله في يومي الجمل وصفّين مواقف محمودة مع أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ ـ كعب بن عبدة ، سمعت فيما مرّ عن البلاذري أنّه كان ناسكاً .

٦ ـ عدي بن حاتم الطائي ، صحابيٌّ عظيمٌ قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة ٧ لم يختلف اثنان في ثقته أخرج حديثه أئمّة الصحاح الست ، وقد أثنى عليه عمر بن الخطاب لمّا قال له : يا أمير المؤمنين أتعرفني ؟ فقال : نعم والله إنّي لأعرفك ، اكرمك الله بأحسن المعرفة ، أعرفك والله آمنت إذ كفروا ، وعرفت إذ أنكروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، وإنّ أوّل صدقة بيّضت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و وجوه أصحابه صدقة طيء جئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثمّ أخذ يعتذر .

أخرجه أحمد في المسند ١ : ٤٥ ، و ابن سعد في الطبقات ، ومسلم في صحيحه ، وأبو عمر في الاستيعاب ، والخطيب في تاريخه ، و ابن الأثير في اُسد الغابة وفيه : انّه كان منحرفاً عن عثمان ، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ١٦٦ .

وأعجب ما أجده من التحريف في تاريخ الخطيب ماأخرجه في ج١ : ١٩١ بالإسناد عن المغيرة قال : خرج عدي بن حاتم ، وجرير بن عبدالله البجلي ، وحنظلة الكاتب من الكوفة فنزلوا قرقيساء وقالوا : لا نقيم ببلد يُشتم فيه عثمان .

والصّواب : يُشتم فيه عليٌّ . فبدّلت يد التحريف عليّاً بعثمان وذكره على علاّته ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ١٦٧ .

توجد ترجمة عدي في الاستيعاب ، تاريخ بغداد ج ١ ، اُسد الغابة ، الإصابة ، تهذيب التهذيب .

٧ـ مالك بن حبيب . له إدراكٌ عُدّ من الصحابة .

٨ ـ يزيد بن قيس الأرحبي . له إدراكٌ وكان رئيساً كبيراً عظيماً عند الناس ولمّا

ثار أهل الكوفة على عثمان اجتمع قرّاء الكوفة وأمّروه ، وكان مع عليّ في حروبه و ولّاه شرطته ثمّ ولّاه اصبهان والري وهمذان وهو المعنيّ في قول ثمامة :

معاوي إن لا تسرع السير نحونا ✿ فبايع علياً أو يزيد اليمانيا

وله يوم صفّين مواقف وخطابات تعرب عن نفسيّاته الكريمة وملكاته الفاضلة ، تذكر وتشكر ، ذكر جملة منها ابن مزاحم في كتاب صفّين ، والطبري في تاريخه ، وابن الأثير في الكامل ، وممّا ذكروه قوله :

إنّ المسلم السليم من سلم دينه و رأيه ، إنّ هؤلاء القوم ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيّعناه ، ولا إحياء عدل رأونا أمتناه ، ولا يقاتلونا إلّا على إقامة الدنيا ، ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً ، فلو ظهروا عليكم ـ لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً ـ إذاً ألزموكم مثل سعيد والوليد وعبيدالله بن عامر السفيه ، يحدّث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت ، ويأخذ مال الله ويقول : هذا لي ولا إثم عليّ فيه ، كأنّما أعطي تراثه من أبيه ، وإنّما هو مال الله أفاءه علينا بأسيافنا ورماحنا ، قاتلوا ، عبادالله ! القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم في جهادهم لومة لائم ، إنّهم إن يظهروا عليكم يفسدوا دينكم ودنياكم ، وهم من قد عرفتم وجرّبتم ، والله ما أرادوا إلى هذا إلّا شراً ، واستغفر الله العظيم لي ولكم [١] .

٩ ـ عمرو بن الحمق [٢] بن حبيب الخزاعي الكعبي . صحب النبيّ الأعظم وحفظ عنه أحاديث ، وحظي بدعائه صلّى الله عليه وآله وسلّم له لمّا سقاه لبناً وبقوله : أللهمّ أمتعه بشبابه فاستكمل الثمانين من عمره ولم ير شعرة بيضاء [٣] أخرج حديثه البخاري في التعاليق ، وابن ماجة والنسائي وغيرهم ، وكان من أعوان حُجر بن عدي سلام الله عليه وعليهم ، ترجمه أبو عمر في الاستيعاب ، وابن الأثير في أُسد الغابة ، وابن حجر في الإصابة ، ولم أجد كلمة غمز لأيّ أحد فيه مع قولهم : كان ممّن سار إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أحد

---

(١) كتاب صفين ص ٢٧٩ ، تاريخ الطبرى ٦ : ١٠ ، شرح ابن ابى الحديد ١ : ٤٨٥ ، الاصابة ٣ : ٦٧٥ .

(٢) بفتح المهلة وكسر الميم .

(٣) اسد الغابة ٤ : ١٠٠ ، الاصابة ٢ : ٥٣٣ .

الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا وصار بعد ذلك من شيعة عليّ . وقولهم : إنّه كان ممّن قام على عثمان . وقولهم : كان أحد من ألّب على عثمان .

وله يوم صفين مواقف مشكورة وكلم قيّمة خالدة مع الأبد تُعرب عن ايمانه الخالص ، وروحه النزحة الطاهرة ، راجع كتاب صفّين لابن مزاحم ص ١١٥ ، ٤٣٣ ، ٤٥٤ ، ٥٥١ .

قال ابن الأثير في اسد الغابة ٤ : ١٠١ : قبره مشهور بظاهر الموصل يزار ، وعليه مشهد كبير ابتدأ بعمارته أبوعبدالله سعيد بن حمدان ـ وهو ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة ابني حمدان ـ في شعبان من سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة ، وجرى بين السنّة والشيعة فتنة بسبب عمارته .

١٠ـ عروة بن الجعد ، ويقال : أبي الجعد البارقي الأزدي ، صحابيّ مرضيّ مترجم له في معاجم الصحابة : الاستيعاب ، أُسد الغابة ، الإصابة . روى حديث : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر و المغنم . قال شيب بن غرفدة : رأيت في دار عروة سبعين فرساً رغبة في رباط الخيل [1] أخرج حديثه أئمة الصحاح الستّ فيها .

١١ ـ أصعر بن قيس بن الحارث الحارثي : له إدراكٌ ذكره ابن حجر في الإصابة ١ : ١٠٩ .

١٢ـ كميل بن زياد النخعي ، كان شريفاً في قومه قتله الحجّاج سنة ٤٢ ، وثّقه ابن سعد ، وابن معين ، والعجلي ، وابن عمّار ، وذكره ابن حبّان في الثقات [2] .

١٣ ـ الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني ، من رواة الصحاح الأربعة من الستة قال ابن معين : ثقة . و قال ابن أبي داود : كان أفقه الناس ، و أحسب الناس ، و أفرض الناس ، تعلّم الفرائض من عليّ . قال ابن أبي خيثمة : قيل ليحيى : يُحتجّ بالحارث ؟ فقال : ما زال المحدّثون يقبلون حديثه . وقال أحمد بن صالح المصري : ثقة ما أحفظه وما أحسن ما روى عن عليّ وأثنى عليه . ووثّقه ابن سعد .

وهناك مَن كذّبه و العمدة في ذلك الشعبي . قال ابن عبدالبرّ في كتاب العلم :

(١) صحيح البخاري في المناقب باب قول الله تعالى : يعرفونه كما يعرفون ابنائهم .
(٢) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٤٧ .

أظن الشعبي عوقب بقوله في الحارث : كذّاب ، ولم يبن من الحارث كذبه ، وإنّما نقم عليه إفراطه في حبّ عليّ .

وقال أحمد بن صالح : لم يكن الحارث يكذب في الحديث ، إنّما كان كذبه في رأيه

وقال الذهبي : والنسائي مع تعنّته في الرجال قد احتجّ به والجمهور على توهينه مع روايتهم لحديثه في الأبواب . (تهذيب التهذيب ٢ : ١٤٥ ، ١٤٧)

فمحصّل القول في الهمداني : انّه لامغمز فيه غير نزعته العلويّة الممدوحة عند الله وعند رسوله .

-٤٤-

تسيير الخليفة كعب بن عَبدة وضربه

كتب جماعة من القرّاء إلى عثمان منهم مَعقل بن قيس الرياحي ، و عبدالله بن الطفيل العامري ، ومالك بن حبيب التميمي ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وحجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وسليمان بن صرد الخزاعي ويُكنّى أبا مطرف ، والمسيّب بن نجبة الفزاري ، وزيد بن حصن الطائي ، وكعب بن عبدة النهدي ، وزياد ابن النضر بن بشر بن مالك بن الديّان الحارثي ، ومسلمة بن عبد القاري من القارة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة .

إنّ سعيداً كثّر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في أمرهم على مالا يحلّ في دين ولا يحسن في سماع ، وإنّا نذكرك الله في اُمّة محمّد ، فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك ، لأنّك قد حملت بني أبيك على رقابهم ، واعلم أنّ لك ناصراً ظالماً ، وناقماً عليك مظلوماً ، فمتى نصرك الظالم ونقم عليك الناقم تباين الفريقان واختلفت الكلمة ، ونحن نُشهد عليك الله وكفى به شهيدا ، فانّك أميرنا ما أطعت الله و استقمت ، ولن تجد دون الله مُلتحدا ولا عنه مُنتقذا .

ولم يُسمّ أحدٌ منهم نفسه في الكتاب و بعثوا به مع رجل من عنزة يكنّى أبا ربيعة و كتب كعب بن عبدة كتاباً من نفسه تسمّى فيه و دفعه إلى أبي ربيعة ، فلمّا قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن أسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره فأراد ضربه و حبسه فمنعه عليّ من ذلك و قال : إنّما هو رسول أدّى ما حُمل ، و كتب عثمان إلى

سعيد أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً ، و يحوّل ديوانه إلى الري . ففعل ثمّ إنّ عثمان تحوّب و ندم فكتب في إشخاصه اليه ففعل فلمّا ورد عليه قال له : إنّه كانت منّي طيرة ثمّ نزع ثيابه وألقى اليه سوطاً وقال : إقتص ، فقال : قد عفوت يا أمير المؤمنين !.

ويقال : إنّ عثمان لمّا قرأ كتاب كعب كتب إلى سعيد في إشخاصه اليه فأشخصه اليه مع رجل أعرابيّ من أعراب بني أسد فلمّا رأى الأعرابيُّ صلاته و عرف نسكه و فضله قال :

ليت حظّي من مسيري بكعب ✿ عفوه عنّي و غفران ذنبي

فلمّا قدم به على عثمان قال عثمان : لان تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه و كان شابّاً حديث السنّ نحيفاً ثمّ أقبل عليه فقال : أأنت تعلّمني الحقّ و قد قرأت كتاب الله و أنت في صلب رجل مشرك ؟ فقال له كعب : إنّ إمارة المؤمنين إنّما كانت لك بما أوجبته الشورى حين عاهدت الله على نفسك في (أن) تسيرن بسيرة نبيّه ، لاتقصّر عنها وإن يشاورونا فيك ثانية نقلناها عنك ، يا عثمان ! إنّ كتاب الله لمن بلغه و قرأه و قد شركناك في قرائته ، ومتى لم يعمل القارئ بما فيه كان حجّة عليه . فقال عثمان : والله ما أظنّك تدري أين ربّك ؟ فقال : هو بالمرصاد . فقال مروان : حلمك أغرى مثل هذا بك وجرّأه عليك . فأمر عثمان بكعب فجرّد وضُرب عشرين سوطاً ، وسيّره إلى دُباوند[1] ويقال : إلى جبل الدخان ، فلمّا ورد على سعيد حمله مع بكير بن حمران الأحمري فقال : الدهقان الذي ورد عليه : لِمَ فُعل بهذا الرجل ما أرى ؟ قال بكير : لأنّه شريرٌ فقال : إنّ قوماً هذا من شرارهم لخيار.

ثمّ إنّ طلحة والزبير و بّخا عثمان في أمر كعب وغيره وقال طلحة : عند غبّ الصدر يحمد عاقبة الورد . فكتب في ردّ كعب رضي الله عنه وحمله إليه فلمّا قدم عليه نزع ثوبه وقال : يا كعب ! إقتص . فعفا رضي الله عنهم اجمعين[2]

وعدّ الحلبي في السيرة ٢ : ٨٧ من جملة ما انتقم به على عثمان : انّه ضرب كعب

---

(١) بفتح المهملة وتضم ويقال: دنباوند ، ودماوند بالميم بدل الموحّدة :كورة من كورة الرى

(٢) انساب البلاذرى ٥ : ٤١ - ٤٣ ، تاريخ الطبرى ٥ : ١٣٧ ، الرياض النضرة ٢ : ١٤٠ - ١٤٩ ، شرح ابن ابى الحديد ١ : ١٦٨ ، الصواعق ص ٦٨ ، واللفظ للبلاذرى .

ابن عبدة عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال .

قال الأميني : ألا تعجب في أمر هذا الخليفة ان مناوئيه كلّهم في عاصمة الخلافة وبقيّة الأوساط الإسلاميّة خيار البلاد وصلحاء الأمّة ؟ كما أنّ من اكتنف به وأغراه بالأبرار هم المتهتّكون في الدين ، المفضوحون بالسمعة الشائنة ، رُوّاد الشرَه ، وسماسرة المطامع ، من طغمة الأمويّين ومَن يقتصّ أثرهم ، فلاترى له سوط عذاب يرفع إلّاوكان مصبّهاً أولئك الصالحون ، كماأنّك لاتجد جميلاً له يسدى ولا يداً موفورة إلّا لأولئك الساقطين ، فهل بُعث الخليفة (وهو رحمة للعالمين) نقمةً على المؤمنين ؟ أم ماذا كانت حقيقة الأمر ؟ أنا لا أدري لماذا أسخط الخليفة كتاب القوم فأراد بحامله السوء من حبس وضرب بعد يأسه عن معرفة كاتبيه لولاأنّ عليّاً أمير المؤمنين حال بينه وبين ما يشتهيه ، وهل كان الرجل إلّاوسيطاً كلّف بالرسالة فأدّاها ؟ ولعلّه لم يكن يعلم ما فيها ، وليس في الكتاب إلّا التذكير بالله ، والتحذير عمّا يوجب تفريق الكلمة، وإقلاق السّلام ، وإظهار الطاعة بشرط طاعة الله والاستقامة الذي هو مأخوذٌ في الخليفة قبل كلّ شيء (وعليه جرى انتخاب يوم الشورى) وإيقافه على مكان سعيد الشابّ الغرّ من السعاية التي خافوا أن تكون وبالاً عليه ، وبالأخير وقع ماخافوا منه وحذّروا الخليفة عنه ، والشهادة لأولئك المنفيّين بالبراءة ممّا نُبزوا به وانّهم من أهل الورع والفضل والعفاف ، وإنّ تسييرهم لايحلّ في دين الله ، ويشوّه سمعة الخليفة .

ولماذا أغضبه كتاب كعب ؟ وهو بطبع الحال لدة ماكتبه القوم من النصح الجميل .

ولماذا أمر بإشخاصه إلى المدينة وضربه وجازاه على نصحه بجزاء سنمّار ؟

فهلّا انبعث الخليفة إلى التفاهم مع القوم فيما أظهروا انّهم يتحرّون ما فيه صلاحه وصلاح الأمّة ؟ فإمّا أن يُقنعهم بما عنده ، أو يقتنع بما يبدونه ، فيرتفع ذلك الحوار ، وتُدفع عنه المثلات ، لكنّه أبى إلّا أن يستمرّ على ما ارتآه وحبّذه له المحتفّون به الذين اتّخذوه قنطرة إلى شهواتهم ، ولذلك لم يتفاهم مع كعب إلّا بالغلظة فقال له : أأنت تعلّمني . الخ . أنا لا أدري موقع هذا الكلام التافه ، هل الكون في صلب رجل مشرك يحطّ من كرامة الإنسان وقد آمن بالله ورسوله ؟ إذن لتسرّب النقص إلى الصحابة الذين نقلوا من أصلاب المشركين وارتكضوا في أرحام المشركات ، وكثير منهم أشركوا

بالله قبل إسلامهم ، لكن الإسلام يجبّ ما قبله ، وهل الأصلاب والأرحام إلّا أوعية ؟

ثمّ السبق إلى قرّاء الكتاب العزيز هل هو بمجرّده يرفع من قدر الرجل حتى إذا لم يعمل به كما أجاب به وفصّله كعب ؟

ولا أدري ما يريد الخليفة بقوله : والله ما أظنّك تدري أين ربّك . هل هو يريد المكان ؟ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا ، وأيّ مسلم لا يعرف انّ ربّه لا يُقلّه حيّز ، فإنّه حريّ بالسقوط ، وما أحسن جواب كعب من قوله : هو بالمرصاد ، فإن كان يريد مثل ما قاله كعب فلماذا احتمل انّ مثل كعب الموصوف بالفضيلة والتقوى لا يعرف ذلك ؟ وهل يريد عندئذ إلّا إهانة الرجل وهتكه ؟ .

ثمّ ماذا كان في هذه المحاورة حتى عدّ مروان سكوت الخليفة عنه من الحلم و كلام كعب من الجرأة وثوّار الخليفة على الرجل ؟ وهنالك إنفجر بركان غضبه فأمر به فجرّد وضُرب و سيّر ، وعوقب لنصحه وصلاحه ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .

لقد أراد القوم أن يزحزحوا التبعة عن عثمان فاختلق كلّ شيئاً من غير تواطؤ بينهم حتى يفتعلوا أمراً واحداً ، ففي ذيل هذه الرواية انّ الخليفة ندم على ما فعل وتاب بعد توبيخ طلحة والزبير إيّاه واستعفى الرجل فعفى عنه ، ولم يعلم المتقوّل أنّ خليفةً لا يملك طيشه حيث لا موجب له لا يُأتمن على دين ولا دنيا ، فانّ من الممكن عندئذ أن يقتحم المهالك حيث لا مُوبّخ فيستمرّ عليها فيهلك ويُهلك ، وإنّ ممّا قاله الخليفة نفسه يوم الدار عن الثائرين عليه : إنّهم يخيّروني إحدى ثلاث : إمّا يقيدونني بكلّ رجل أصبته خطأ أو صواباً غير متروك منه شيء ، فقلت لهم : أمّا إقادتي من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطىء وتصيب فلم يُستقد من أحد منهم . الخ . وهذه الكلمة تعطينا انّه ما كان يتنازل للإقادة حتى في أحرج ساعاته المشارفة لقتله ، فكيف بآونة السعة وساعة المقدرة ؟ فما يزعمه هذا الناحت لذيل الرواية من أنّه تنازل لكعب لأن يقيده بنفسه لا يكاد يلائم مع هذه النفسيّة ، ولو كان فعل شيئاً من ذلك لتشبّث به في ذلك المأزق الحرج .

وهناك رواية أخرى جاء بها الطبري من طريق السري الكذّاب المتروك عن شعيب المجهول عن سيف الوضّاع المرميّ بالزندقة المتّفق على ضعفه[1] عن محمّد وطلحة

(١) راجع ما مرّ في ج ٨ : ٨٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٣٢٦ - ٣٢٣ من كلمات الحفاظ حول رجال الاسناد .

انّ كعباً كان يعالج نيرنجاً [١] فبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك فإن أقرّ به فأوجعه ، فدعابه فسأله فقال : إنّما هو رفق وأمر يُعجب منه فأمر به فعزّر وأخبر النّاس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان : إنّه قد جُدّ بكم فعليكم بالجدّ وإيّاكم والهزّال فكان النّاس عليه وتعجّبوا من وقوف عثمان على مثل خبره فغضب فنفر في الذين نفروا فضرب معهم فكتب إلى عثمان فيه ، فلمّا سُيّر إلى الشام مَن سُيّر سُيّر كعب بن ذي الحبكة ومالك بن عبد الله وكان دينه كدينه إلى دُنباوند لأنّها أرض سَحرة فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد .

لعمري لئن طرّدتني ما إلى التي ✿ طمعتَ بها من سقطتي لسبيلُ
رجوت رجوعي يا ابن أروى ورجعتي ✿ إلى الحقّ دهراً غال ذلك غولُ
وإنّ اغترابي في البلاد وجفوتي ✿ وشتمي في ذات الإله قليلُ
وإنّ دعائي كلّ يوم وليلة ✿ عليك بدُنباوندكم لطويلُ

فلمّا ولّى سعيد أقفله وأحسن إليه و استصلحه فكفره فلم يزدد إلّا فساداً [٢]

شوّه الطبري صحيفة تاريخه بمكاتبات السري وقد أسلفنا في الجزء الثامن انّها موضوعة كلّها ، أختلق الرجل في كلّ ما ينتقد به عثمان رواية تظهر فيها لوائح الكذب ، يريد بها رفاءً لما هنالك من فتق ، وهو الذي قذف أبا ذر و نظرائه من الصالحين ، غير مكترث لمغبّة الكذب والإفتراء ، ومن ملامح الكذب في هذه الرواية أنّ تسيير مَن سُيّر إلى الشام مِن قرّاء الكوفة ونُسّاكها و ضرب كعب إنّما هو على عهد سعيد بن العاص لا الوليد بن عقبة كما زعمه مختلق الرواية .

وإنّ كتاب عثمان إلى الوليد لا يصحّ ولم يؤثر في أيٍّ مِن مدوّنات التاريخ والسير ولو كان تفرّد به أُناس يوثق بهم لكان مجالاً للقبول ، لكن الرواية كما قيل :

صحاحهم عن سجاح عن مسيلمة ✿ عن ابن حيّان والدوسيّ يمليهِ
وكلّهم ينتهي إسناد باطله ✿ إلى عزازيل مُنشيه ومُنهيهِ [٣]

(١) النيرج والنيرنج : اخذ كالسحر وليس به .
(٢) تاريخ الطبرى ٥ : ١٣٧ .
(٣) البيتان من قصيدة للشريف ابن فلاح الكاظمي.

على أنّه يقول فيها : إنّ وليداً قرأه على رؤس الأشهاد ، كأنّه يحاول معذرة عمّا أُرتكب من كعب ، وإنّه كان برضىً من المسلمين ، ولو صحّت المزعمة لكانت مستفيضة إذ الدواعي كانت متوفّرة على نقلها ، لكنهم لم يسمعوها فلم يرووها ، مضافاً إلى أنّ المعروف من كعب بن عبدة انّه كان من نسّاك الكوفة وقرّائها كما سمعته من كلام البلاذري وغيره لا ممّن يتلهّى بالنيرنجات وأشباهها .

وإن تعجب فعجبٌ أنّ صاحب النيرنج - لو صدقت الأحلام - يُعزّز ويعاقب ، ومُعاقر الخمور - وليد الفجور - لا يُحدّ لشربه الخمر إلّا بعد نقمة الصحابة على خليفة الوقت من جرّاء ذلك ، ثمّ يكون مُقيم الحدّ عليه غيره وهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

ولم يكن في أُولئك المسيّرين مَن يسمّى مالك بن عبد الله وإنّما كان فيهم مالك بن الحارث الأشتر ، ومالك بن حبيب الصحابيّان كما تقدّم ذكرهما .

وأبيات كعب تناسب أن يخاطب بها عثمان لا الوليد فإنّه هو ابن أروى بنت كريز وفيها صراحة بسبب إغتراب كعب وجفوته وشتمه ، وانّها كانت في ذات الله ، يقول ذلك بملأ فمه ولا يردّ عليه رادّ بأنّها ليست في ذات الله وإنّما هي لأنّه كان يعالج نيرنجاً .

هكذا لعبت بالتاريخ يد الأهواء و الشّهوات تزلّفاً إلى أُناس و انحيازاً عن آخرين ، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الذي يوعدون .

-٤٥-

تسيير الخليفة عامر بن عبد قيس التميمي البصري الزاهد الناسك إلى الشام .

أخرج الطبري من طريق العلاء بن عبد الله بن زيد العنبري إنّه قال : إجتمع ناسٌ من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان وماصنع ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلّمه ويخبره بأحداثه ، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثمّ العنبرى وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس فأتاه فدخل عليه فقال له : إنّ ناساً من المسلمين إجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قدر كبت أُموراً عظاماً فاتّق الله عزّ وجلّ وتب إليه و انزع عنها . قال له عثمان : انظر إلى هذا فإنّ النّاس يزعمون أنّه قارىء ثمّ هو يجيء فيكلّمني في المحقّرات فوالله مايدري أين الله . قال عامر : أنا لا أدري أين الله ؟ قال نعم ، والله ماتدري أين الله . قال عامر : بلى و الله إنّي لأدري إنّ الله بالمرصاد لك . فأرسل عثمان إلى

معاوية بن أبي سفيان ، وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وإلى سعيد ابن العاص ، وإلى عمرو بن العاص ، وإلى عبد الله بن عامر فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب إليه وما بلغ عنهم فلمّا اجتموا عنده قال لهم : إنّ لكلّ امرئ وزراء ونصحاء و انّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي ، وقد صنع النّاس ما قدرأيتم ، وطلبوا إلى أن أعزل عمّالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى مايحبّون فاجتهدو رأيكم وأشيروا عليّ .

فقال له عبدالله بن عامر : رأيي لك ياأمير المؤمنين ! أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمّرهم في المغازي حتّى يذلّوا لك ، فلا يكون همّة أحدهم إلّا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه .

ثمّ أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن كنتَ تريد رأينا فاحسم عنك الداء واقطع عنك الذي تخاف ، واعمل برأيي تصب . قال : وما هو ؟ قال : إنّ لكلّ قوم قادة متى تهلك يتفرّقوا ولا يجتمع لهم أمرٌ . فقال عثمان : إنّ هذا الرأي لولا ما فيه .

ثمّ أقبل على معاوية فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى لك يا أمير المؤمنين ! أن تردّ عمّالك على الكفاية لما قِبَلهم وأنا ضامنٌ لك قِبَلي .

ثمّ أقبل على عبدالله بن سعد فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى يا أمير المؤمنين ! إنّ النّاس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم .

ثمّ أقبل على عمرو بن عاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : أرى إنّك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعتدل ، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل ، فإن أبيت فاعتزم عزماً وامض قدماً .

فقال عثمان : مالك قمل فروك ؟ أهذا الجدّ منك ؟ فأسكت عنه دهراً حتّى إذا تفرّق القوم قال عمرو : لاوالله ياأمير المؤمنين ! لأنت أعزّ عليّ من ذلك ، ولكن : قدعلمت أن سيبلغ النّاس قول كلّ رجل منّا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود إليك خيراً أو أدفع عنك شرّاً .

فردّ عثمان عمّاله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على مَن قِبَلهم وأمرهم بتجمير

النّاس في البعوث ، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاج إليه[(١)].

وقال البلاذري في الأنساب ٥ : ٥٧ : قال أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره : كان عامر ابن قيس التميمي يُنكر على عثمان أمره وسيرته فكتب حُمران بن أبان مولى عثمان إلى عثمان بخبره فكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كريز في حمله فحمله فلمّا قدم عليه فرآه و قد أعظم الناس إشخاصه و إزعاجه عن بلده لعبادته و زهده ، ألطفه و أكرمه وردّه إلى البصرة .

و روى ابن المبارك في الزهد من طريق بلال بن سعد أنّ عامر بن عبد قيس وُشي به إلى عثمان ، فأمر أن يُنفى إلى الشام على قتب ، فأنزله معاوية الخضراء وبعث اليه بجارية وأمرها أن تعلمه ماحاله ، فكان يقوم الليل كلّه ويخرج من السحر فلايعود إلّا بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً ، كان يجيء معه بكسر فيجعلها في ماء فيأكلها ويشرب من ذلك الماء ، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدنيه فقال : لاارب لي في ذلك .　　　　(الاصابة لابن حجر ٣ : ٨٥)

وذكر ابن قتيبة في المعارف ص ٨٤ و ١٩٤ ، وابن عبدربه في العقد الفريد ٢: ٢٦١ ، والراغب في المحاضرات ٢ : ٢١٢ جملة ممّا نُقم به على عثمان وعدّوا منه : انّه سيّر عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام ، وقال ابن قتيبة : كان خيّراً فاضلاً .

قال الأميني : منظرٌ غريبٌ لعمرك في ذلك اليوم ، أليس من المستغرب انّ صلحاء البلاد مضطهدون فيه على بكرة أبيهم ؟ فمن راسف تحت نير الاضطهاد ، ومن معتقل في غيابة الجب ، ومن مغترب يجفل به من منفى إلى منفى ، ومن منقطع عن العطاء ، ومن ممقوت ينظر اليه شزراً ، ومن مضروب تُدقّ به أضالعه ، إلى مشتوم يُهتك في الملأ الديني لماذا ذلك كلّه ؟ لأنّهم غضبوا للحق ، وانكروا المنكر ، فهلاّ كان في وسع مَن يفعل بهم ذلك إقناعهم بالإقلاع عمّا ينكرونه وفيه رضاالله قبل كلّ شيء ، ومرضاة رسوله من بعده ، ومرضاة الأمّة جمعاء ، وبه كانت تُدحر عنه المثلات وتخمد الفتن ، وكانت فيه مجلبة للمودّة ، ومكتسح للقلاقل ، وهو أدعى لجمام النفس ، وسيادة الأمن ، وإزاحة

(١) أنساب البلاذري ٥ : ٤٣ ، تاريخ الطبري ٥ : ٩٤ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٦٢ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٩٠ .

الهرج ، وكان خيراً له من ارتكاب العظائم بالنفي والضرب والشتم والإزعاج والجفوة ، ولو كان الخليفة يرى خطأهم في إنكارهم عليه فإنّه كان في وسعه أن يَعقد لهم محتفلاً للتفاهم ، فإمّا أن يتنازلوا عن بعض ماأرادوا ، أو يتنازل هو عن بعض مايبتغيه ، أو يتكافئا في التنازل فتقع خيرة الكلّ على أمر واحد ، وكان عقد هذا المنتدى خيراً له ممّا عقده للنظر في شأن عامر بن عبد قيس ، وجمع خلقاً من اُصول الجور ، وجذوم الفتن ، وجراثيم العيث والفساد ، فروع الشجرة الملعونة ، وهم الذين جرّوا اليه الويلات بجورهم وفجورهم واستعبادهم الاُمّة وابتغائهم الغوائل ، وهملجتهم وراء المطامع ، فلم يُسمع منهم في ذلك المجتمع ولا في غيره إلّا رأي مُستغش ، ونظريّة خائن ، أو أفيكة مائن ، أو دسيسة لعين بلسان النبيّ الأقدس مرّة بعد اُخرى ، وهو مع ذلك يراهم وزراءه ونصحاءه وأهل ثقته أولا تعجب من خلافة يكون هؤلاء وزرائها ونصحائها وأهل ثقة صاحبها ؟ .

ثمّ انظر كيف كان التفاهم بين الرجلين : الخليفة و سفير المسلمين اليه ، هذا يذكّره بالتقوى والتوبة إلى الله وينهاه عن ارتكاب العظائم التي استعظمها المسلمون العلماء منهم والقرّاء والنساك وذووا الرأي والمسكة ، والخليفة يعدّ ما استعظمته الاُمّة من المحقّرات ، ثمّ يهزأ به و يقذفه بقلّة المعرفة مشفوعاً ذلك باليمين كما قذف به كعباً و صعصعة بن صوحان وسمع منهما ما سمعه من عامر لأنّهم حملة العلم ، و العلم حرفٌ واحد كثّره الجاهلون .

و الأعجب كيف يعير الخليفة الى سعاية حمران بن أبان اُذناً واعية وقد رآه على الفاحشة هو بنفسه وذلك انه تزوّج امرأة في العدّة فضربه ونفاه الى البصرة [١] و أسرّ اليه سرّاً فأخبر به عبد الرحمن بن عوف ، فغضب عليه عثمان ونفاه [٢] وقال البلاذري في الأنساب ٥ : ٧٥ : كان عثمان وجّه حُمران إلى الكوفة حين شكا الناس الوليد بن عقبة ليأتيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد فلمّا قدم على عثمان كذب عن الوليد و قرّظه ثمّ إنّه لقي مروان فسأله عن الوليد فقال له : الأمر جليل فأخبر مروان عثمان بذلك فغضب على حمران وغرّبه إلى البصرة لكذبه إيّاه وأقطعه داراً .

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ٩١ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٦٠ .
(٢) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٤ .

كيف وثق خليفة المسلمين بخبر إنسان هذا شأنه من الفسق والتهور والله جل اسمه يقول : إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، أن تصيبوا قوماً بجهالة . الآية ؟ .

ثم اعجب أن حمران نفاه الخليفة على فسقه وأقطعه داراً لجمع شمله ، والعبد الصالح أبو ذر الغفاري الصادق المصدوق أجفل الى الربذة ، وترك في البر الأقفر لا يأوي إلى مضرب ، ولا يظله خباء ، هذا من هوان الدنيا على الله .

وهل الخليفة عرف عامراً و مكانته في الأمة ومنزلته من الزهد والتقوى ومحله من التعبد والنزاهة ، فأصاخ فيه إلى قول الوشاة وأشخصه إلى المدينة مرة وسيره إلى الشام على القتب اخرى ، وأزرى به و أهانه حين مثل بين يديه ؟ أو انه لم يعرفه ولا شيئاً من فضله ، فوثق بما قالوه ؟ وكان عليه أن يعرفه لما علم بسفارته من قبل وجهاء البصرة وأهل الحريجة والتقوى ، ذوي الحلوم الراجحة ، والآراء الناضجة ، فإنهم لا يرسلون طبعاً إلا من يرضونه في مكانته وعلمه وعقله وتقواه . وهل كان فيما يقوله مغضبة أو انه ما كان يتحرى صالح الأمة وصلاح من يسوسها ؟ .

إن من العصيب أن نعترف بأنه ما كان يعرف عامراً وصلاحه ، فقد كان يسير بذكره الركبان ، وهبت بأريج فضله النسائم في الأجواء والأرجاء ، وفي طيات المعاجم والسير اليوم نماذج من تلكم الشهرة الطائلة عن عامر بين العباد و في البلاد يوم ألزم نفسه أن يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة[1] فكانوا يعدونه من أولياء الله المقربين ، وأول الزهاد الثمانية ، وذكروا له كرامات ومكرمات .

أفمن الممكن إذن أن لا يعرفه الخليفة ؟ ولم يكن فيما ينكره إلا ما أصفقت على إنكاره أهل الحل والعقد يومئذ من الصالح العام في الحواضر الإسلامية كلها ، غير انهم لم يجدوا كما أن عامراً لم يجد اذناً مصغية لهتافهم ، فتكافىء دؤب الخليفة على التصامم ودؤب القوم على الإنكار حتى استفحل الخطب ودارت الدوائر .

و هلم معي ننظر إلى رواية الضعفاء رواية كذاب متروك عن مجهول منكر عن وضاع متهم بالزندقة متفق على ضعفه : السري عن شعيب عن سيف بن عمر عن محمد و طلحة : إن عثمان سير حمران بن أبان أن تزوج امرأة في عدتها وفرق بينهما و ضربه و

(١) تاريخ ابن عساكر ٧ : ١٦٩ ، الاصابة ٣ : ٨٥ .

سيره الى البصرة ، فلما أتى عليه ما شاءالله و أتاه عنه الذي يحب ، أذن له فقدم عليه المدينة ومعه قوم سعوا بعامر انه لايرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ، ولا يشهدالجمعة فألحقه عثمان بمعاوية فلما قدم عليه رأى عنده ثريداً فأكل أكلاً عربياً ، فعرف أن الرجل مكذوب عليه فعرفه معاوية سبب إخراجه فقال : أما الجمعة فاني أشهدها في مؤخر المسجد ثم ارجع في أوائل الناس ، وأما التزويج فاني خرجت وأنا يخطب علي ، وأما اللحم فقد رأيت[1] .

أَولاتعجب من الذين اتخذوا هذه الرواية مصدراً في تعذيرعثمان عن نفي عامر وإشخاصه وهم يبطلون الرواية في غير هذا المورد بوجود واحد من رجال هذا السند الثلاثة ، لكنهم يحتجون برواياتهم جميعاً هاهنا ، وفي كل ما نقم به على عثمان ؟

ثم لننظر فيما وُشي به على الرجل بعدالفراغ من النظرة في حال الواشي و هو حمران المتقدم ذكره ، هل يوجب شيء منها ذماً أوتعزيراً أو تأديباً أوتغريباً ؟ وهل هي من المعاصي المسقطة لمحل الانسان ؟ أماترك التزويج فلم يثبت حرمته إن لم يكن من باب التشريع وأخذه ديناً ، وإنما النكاح من المرغب فيه ، على أنه كان لم يزل يخطب لنفسه لكنه لايجد من يلائمه في خفة المؤنة ، أخرج أبونعيم في الحلية ٢ : ٩٠ : ان عامر بن عبد قيس بعث اليه أمير البصرة فقال : إن أمير المؤمنين أمرني أن أسألك مالك لا تزوج النساء ؟ قال : ماتركتهن واني لدائب في الخطبة ، قال : ومالك لا تأكل الجبن؟ قال : أنا بأرض فيها مجوس فماشهدشاهدان من المسلمين أن ليس فيه ميتة أكلته . قال : وما يمنعك أن تأتي الأمراء ؟ قال : إن لدى أبوابكم طلاب الحاجات فادعوهم واقضوا حوائجهم ، ودعوا من لا حاجة له اليكم .

وأخرج من طريق أحمدبن حنبل باسناده عن الحسن قال : بعث معاوية إلى عبدالله بن عامر أن انظرعامر بن عبد قيس فأحسن إذنه وأكرمه و مره أن يخطب إلى من شاء وامهرعنه من بيت المال ، فأرسل اليه ان أميرالمؤمنين قدكتب إلي وأمرني أن آمرك أن تخطب إلى من شئت وأمهر عنك من بيت المال . قال : أنا في الخطبة دائب . قال : إلى

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ٩١ ، تاريخ ابن عساكر ٧ : ١٦٧ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٦٠، اسد الغابة ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٨٩ .

مَن ؟ قال : إلى مَن يقبل منيّ الفلقة والتمرة .

وهذان الحديثان يكذّبان ماجاء به السري ، ولوصحّ ذلك فما وجه هذه المسألة في أيّام معاوية عن تزويج عامر؟

و أمّا ترك اللحوم فليس من المحرّم ايضاً وقد جاءت السنّة بتحليلها كلّها من غير ايجاب ، نعم تركها النهائي مكروه إن لم يكن من باب التديّن ، وقد تستدعي المبالغة في الزهادة الذهول عن شؤن الدنيا بأسرها فلا يلتفت صاحبها إلى الملاذّ كلّها ، وكان مع ذلك لعامر عذر ، قال ابن قتيبة في المعارف ص١٩٤ : وكان سبب تسييره أنّ حمران بن أبان كتب فيه : انّه لا يأكل اللحم ، و لا يغشى النساء ، ولا يقبل الأعمال ، فعرض بأنّه خارجيٌّ ، فكتب عثمان إلى ابن عامر : أن ادع عامراً فإن كانت فيه الخصال فسيّره فسأله فقال : أمّا اللحم فإنّي مررت بقصّاب يذبح ولا يذكر اسم الله ، فإذا اشتهيت اللحم اشتريت شاة فذبحتها ، وأمّا النساء فإنّ لي عنهنّ شغلاً ، وأمّا الأعمال فما أكثر مَن تجدونه سواي . فقال لـه حمران : لا أكثر الله فينا أمثالك ، فقال له عامر : بل أكثر الله فينا من أمثالك كسّاحين حجّامين .

وأمّا عدم الحضور للجمعة : فقد بيّن عامر نفسه حقيقته لمعاوية وهو الصّادق الأمين على انّه كان له أن لا يحضر الجمعة والجماعة إن لم يرَ لمقيمها أهليّة للإئتمام به، وليس من المنكر ذلك في حقّ الولاة الأمويّين يومئذ .

وعلى فرض صحّة الرواية وكون كلّ ممّا نُبزبه حوباً كبيراً فكان من الميسور تحقيق حال الرجل من قِبَل والي البصرة كما وقع ذلك فيما مرّ من رواية أبي نعيم بالنسبة إلى التزويج وأكل الجبن وإتيان الأُمراء . ولا أدري هل من الفرائض في الشريعة السمحاء أكل الجبن بحيث يوجب تركه التجسّس والتفتيش ؟ و على كلّ فما الموجب لإجفال الرجل العظيم من مستقرّ أمنه على قتب إلى الشام منفى الثائرين على الخليفة ؟ وأيّ عقل يقبل تسييره وتعذيبه لتلك الأُمور التافهة ؟ نعم : الغريق يتشبّث بكلّ حشيش .

-٣٦-

تسيير الخليفة عبدالرحمن الجمحي

عُدَّ ممّن سيّره الخليفة عبدالرحمن بن حنبل الجمحي . قال اليعقوبي : سيّر

عبدالرحمن صاحب رسول الله ﷺ إلى القموس [١] من خيبر، وكان سبب تسييره إيّاه أنّه بلغه كرهه مساوي ابنه وخاله وانّه هجاه .

وقال العلائي عن مصعب وأبو عمر في الأستيعاب انّه لمّا أعطى عثمان مروان خمس مائة ألف من خمس أفريقيّة قال عبدالرحمن :

وأحلف بالله جهد اليمين ✿ ما ترك الله أمراً سُدى
و لكن جعلتَ لنا فتنة ✿ لكي نُبتلى بك أو تبتلي
دعوت الطريد فأدنيته ✿ خلافاً لما سنّه المصطفى
و ولّيت قرباك أمر العباد ✿ خلافاً لسنّة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيمة ✿ آثرته و حميت الحمى
و مالاً أتاك به الأشعري ✿ من الفيء أعطيته من دنا
فإنّ الأمينين قد بيّنا ✿ منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلة ✿ و لا قسّما درهماً في هوى [٢]

فأمر به فحبس بخيبر ، وأنشد له المرزباني في معجم الشعراء انّه قال وهو في السجن :

إلى الله أشكو لا إلى الناس ما عدا ✿ أبا حسن غلاً شديداً أُكابده
بخيبر في قعر الغموص كأنّها ✿ جوانب قبر أعمق اللحد لاحده
أإن قلتُ حقاً أو نشدتُ أمانة ✿ قُتلت ؟ فمن للحقّ إن مات ناشده؟

وكتب إلى عليّ وعمّار من الحبس :

أبلغ عليّاً و عمّاراً فأنّهما ✿ بمنزل الرشد إنّ الرشد مُبتدرُ
لا تتركا جاهلاً حتى يوقّره ✿ دين الإله وإن هاجت به مررُ
لم يبق لي منه إلّا السيف إذ علقت ✿ حبائل الموت فينا الصّادق البررُ
يعلم بأنّي مظلومٌ إذا ذكرت ✿ وسط النديّ حجاج القوم والعذرُ

فلم يزل عليٌّ يكلّم عثمان حتى خلّى سبيله على أنّه لا يساكنه بالمدينة فسيّره

---

(١) كذا في لفظ اليعقوبي . وفي الاصابة : الغموص كما في الابيات . والصحيح : القموص. بالقاف المفتوحة وآخره صاد مهملة .

(٢) قد تنسب هذه الابيات الى أسلم راجع ٨ : ٢٥٤ .

إلى خيبر فأنزله قلعة بها تسمى « القموص » فلم يزل بها حتى ناهض المسلمون عثمان و ساروا اليه من كل بلد فقال عبدالرحمن :

لولا علي فإن الله أنقذني ☆ على يديه من الأغلال والصفد
لما رجوت لدى شد بجامعة ☆ يمنى يدي غياث الفوت من أحد
نفسي فداء علي إذ يخلصني ☆ من كافر بعد ما أغضى على صمد

كان عبدالرحمن مع علي في صفين قال الطبري من طريق عوانة : إنه جعل ابن حنبل يقول يومئذ .

إن تقتلوني فأنا ابن حنبل ☆ أنا الذي قد قلت فيكم نعثل

راجع تاريخ الطبري ٦ : ٢٥ ، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٠، الاستيعاب ٢: ٤١٠ ، شرح ابن ابي الحديد ١ : ٦٦ ، الاصابة ٢ : ٣٩٥ .

قال الأميني : هذا أحد المعذبين الذين أقلتهم غيابة الجب مصفداً بالحديد و لم يجهز عليه إلا لإنكاره المنكر، وجنوحه إلى الحق المعروف ، والكلام فيه لدة ما كررناه في غير واحد من زملائه الصالحين ، وأحسن ما ينم عن سريرته شعره الطافح بالايمان .

- ٤٧ -
تسيير الخليفة علياً أمير المؤمنين

لعل التبسط في البحث عما جرى بين عثمان أيام خلافته و بين علي أمير المؤمنين يوجب خدش العواطف ، وينتهي إلى ما يحمد عقباه ، و التاريخ وإن لم يحفظ منه إلا النزر اليسير غير أن في ذلك القليل غنى و كفاية و به تعرف جلية الحال ، ونحن نمر به كراماً ، فلانحوم حول البحث عن كلمه القوارص لعلي عليه السلام ، البعيدة عن ساحة قدسه النائية عن مكانته الراقية التي لا يدرك شأوها ، ويقصر دون استكناهها البيان .

أيسع لمن أسلم وجهه لله و هو محسن و آمن بالكتاب وبما نزل من آيه في سيد العترة ، وصدق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبما صدع به من فضائل علي عليه السلام ، وجاوره مع ذلك حقباً وأعواماً بيت بيت ، ووقف على نفسياته الكريمة وهو على ضمادة من أفعاله وتروكه وشاهد مواقفه المبرورة ومساعيه المشكورة في تدعيم الدين الحنيف ، أيسع لمسلم هذا شأنه أن يخاطب أخا الرسول المطهر بلسان الله بقوله : لم لا يشتمك - مروان - إذا

شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه ؟ [١] و مروان طريد رسول الله و ابن طريده و لعينه وابن لعينه .

أم بقوله له : والله يا أباالحسن ! ماأدري أشتهي موتك ؟ أمأشتهى حياتك ؟ فوالله لئن مت ما أحب أن أبقى بعدك لغيرك لأني لاأجد منك خلفاً ، و لئن بقيت لا أعدم طاغياًيتخذك سلماً وعضداً ، ويعدك كهفاً وملجأً ، لايمنعني منه إلامكانهمنكو مكانك منه ، فأنامنك كالابن العاق من أبيه إن مات فجعه و إن عاش عقه . إلى آخر ما مر في في ص١٨ ؟ .

أم بقوله له . ما أنت بأفضل من عمار ، ومأأنت أقل إستحقاقاً للنفي منه [٢] ؟.

أم بقوله له : أنت أحق بالنفي من عمار ؟ [٣] .

أم بقوله الغليظ الذي لا يحب المؤرخون ذكره ونحن سكتنا عن الإعراب عنه ؟ [٤] .

وبعد هذه كلها يزحزحه عليه السلام عن مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و يقلقه من عقر داره و يخرجه إلى ينبع مرة بعدأخرى قائلاً لابن عباس : قل له فليخرج إلى ماله بالينبع ، فلا أغتم به ولا يغتم بي .

ألا مسائل الرجل عما أوجب أولوية الإمام الطاهر المنزه عن الخطل ، المعصوم من الزلل بالنفي ممن نفاهم من الأمة الصالحة ؟ أكان بزعمه علي عليه السلام شيوعياًإشتراكياً شيخاً كذاباً كأبي ذر الصادق المصدق ؟ أم كان عنده دويبة سوء كابن مسعود أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

أم كان الرجل يراه ابن متكاء ، عاضاً اير أبيه ، طاغياً كذاباً يجترأ عليه ويجرأ عليه الناس كعمار جلدة ما بين عيني النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟

أم كان يحسبه معالجاً نيرنجاً ككعب بن عبدة الصالح الناسك ؟ .

---

(١) راجع ج ٨ ص ٣٠٤ ، ٣١٠ .
(٢) الفتنة الكبرى ص ١٦٥ .
(٣) راجع صفحة ١٩ من هذا الجزء .
(٤) راجع ج ٨ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٣ .

أم كان يراه تاركاً الجبن واللحم والجمعة والتزويج كعامر بن عبد قيس القارىء الزاهد المتعبد ؟ .

أم كان الإمام متكلماً بألسنة الشياطين غير عاقل ولا دين كصلحاء الكوفة المنفيين ؟ .

حاشا صنو النبي الأقدس عن أن يُرمى بسقطة في القول أو في العمل بعد ما طهره الجليل، واتخذه نفساً لنبيه، واختارهما من بين بريته نبياً ووصياً .

وحاشا اولئك المنفيون من الصحابة الأولين الأبرار والتابعين لهم بإحسان عن تلكم الطامات والأفائك والنسب المفتعلة .

نعم كان يرى الرجل كلاً من أولئك الصفوة البررة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر طاغياً إتخذ علياً عليه السلام سُلماً ويعده كهفاً وملجأً يدافع عنهم بوادر غضب الخليفة، ويحول بينهم وبين ما يرومه من عقوبة تلك الفئة الصالحة الناقمة عليه لما ركبه من النهابير، فدفع هذا المانع الوحيد عن تحقق هواجس الرجل كان عنده أولى بالنفي من أولئك الرجال المنفيين، ولولاه لكان يشفي منهم غليله، ويتسنى له ماكان يبتغيه من البغي عليهم، والله يدافع عن الذين آمنوا وانه على نصرهم لقدير .

على أنه ليس من المعقول أن يكون من يأوي إلى مولانا أمير المؤمنين و آواه هو طاغياً كما يحسبه هذا الخليفة، فإنه لا يأوي إلى مثله إلا الصالح الراشد من المظلومين وهو عليه السلام لا يحمي إلا من هو كذلك، وهو ولي المؤمنين، وأمير البررة، وقائد الغر المحجلين، وإمام المتقين، وسيد المسلمين، كل ذلك نصاً من الرسول الصادق الأمين وليتني أدري مم كان يغتم عثمان من مكان أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة ؟ و وجوده رحمةٌ ولطفٌ من الله سبحانه و تعالى على الأمة جمعاء لاسيما في البيئة التي تقلّه، يكسح عن أهلها الفساد، و يكبح جماح المتغلبين، و يقف أمام نعرات المتهوسين، و يسير بالناس على المنهج اللاحب سيراً سجحاً .

نعم : يغتم به سماسرة النهمة والشره فيروقهم بعاده ليهملج كل منهم إلى غاياته قلق الوضين . وماكان هتاف الناس به يومئذ إلا لأن يقيم أود الجامعة، ويعدل الخطة العوجاء، ويقف بهم على المحجة الواضحة، غير أن ذلك الهتاف لايروق من لايروقه

ذلك كله ، فالإغتمام به جناية على المجتمع الديني ، ووقوف أمام سير الصالح العام .

ولعمر الله ان هذه القوارص هي التي فتحت باب الجرأة على أمير المؤمنين بمصراعيه طيلة حياته ، وهتكت منه حجاب حرمته وكرامته ، وأطالت عليه ألسنة البذاءة والوقيعة فيه ، وعثمان هو الذي أزرى الإمام في الملأ الديني ، وصغره في أعين الناس وجرأ عليه طغام الأمويين وسفلة الأعراب ، فباذأه أبناء أمية وهم على آسال خليفتهم إتخذوه أسوة وقدوة في شتيمته وقذيعته وآذوا نبيهم في أخيه علم الهدى ، إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ، وأعد لهم عذاباً مهينا ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا .

- ٤٨ -
آية نازلة في الخليفة

أخرج الواحدي والثعلبي من طريق ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك قالوا : نزلت قوله تعالى في سورة النجم ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ : أفرأيت الذي تولى ، و أعطى قليلاً وأكدى [(١)] ، أعنده علم الغيب فهو يرى . نزلت في عثمان رضي الله عنه كان يتصدق وينفق في الخير فقال له أخوه من الرضاعة عبدالله بن أبي سرح : ما هذا الذي تصنع ؟ يوشك أن لا يبقي لك شيئاً . فقال عثمان : إن لي ذنوباً وخطايا وإني أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه ، فقال له عبدالله : أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها . فأعطاه و أشهد عليه و أمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة ، فأنزل الله تعالى : أفرأيت الذي تولى . الخ . فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله .

وذكره جمع من المفسرين وفي تفسير النيسابوري : معنى تولى : ترك المركز يوم أحد .

راجع أسباب النزول للواحدي ص ٢٩٨ ، تفسير القرطبي ١٧ : ١١١ ، الكشاف ٣ : ١٤٦ ، تفسير النيسابوري هامش الطبري ٢٧ : ٥٠ ، تفسير الشربيني ٤ : ١٢٨ .

---

(١) قال ابن عباس ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك : اكدى : انقطع فلا يعطي شيئاً . يقال : البئر اكدت .

قال الأميني : لاغرابة من ابن أبي سرح وقد تشاكلت أحواله يوم كفره وإسلامه وردته وزلفته من عثمان على عهد خلافته إن لهج بهذه السخافة التي لاتلائم أياً من نواميس العدل، ولكن إن تعجب فعجب قبول عثمان تلكم الخرافة منه ، ومنحه إياه ناقته برحلها على أن يحمل عنه ذنوبه (و لا تزر وازرة وزر اخرى) وإشهاده عليه و إمساكه عن الصدقات ، و حسبانه ان ماقاله ذلك الساخر كائن لامحالة ، كأن بيد إبن أبي سرح أزمة الحساب ، و عنده مقاليد يوم القيامة ، و هو الخبير بما يكون فيه ، فأنبأه بأن ذنوبه محيت بتلك المبادلة ، أو أن عثمان نفسه كان يعلم الغيب ، فهو يرى ان مايقوله حميمه حق ، وكأنه نسي قوله تعالى : و قال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا و لنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ، و ليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون[1] وقوله تعالى : مَن يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا[2] وقوله تعالى : فمَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومَن يعمل مثقال ذرة شراً يره[3] وقوله تعالى : كل نفس بما كسبت رهينة[4] ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه[5] اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم[6] ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون[7] إلى آي كثيرة من أمثالها وهي كلها تقرر حكم العقل بقبح أخذ أي أحد بجريمة غيره .

والعدل يحكم بأن إبن أبي سرح وهو مثال المئاثم والمخازي إن حمل إثماً من جراء قولته هذه فإنما هو جرأته علي الله تعالى وتصغيره عظمة نيران القسط الإلهي و نهيه عن الصدقة لا ماسبق لعثمان إقترافه من السيئات ، لكن هلم معي إلى ضئولة عقل مَن يصدق تلكم المهزأة ، ويرتب عليها آثاراً عملية حتى ندد به الذكر الحكيم .

---

(١) سورة العنكبوت : ١٢ ، ١٣ .

(٢) سورة النساء : ١٢٣ .

(٣) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٤) سورة المدثر : ٣٨١ .

(٥) سورة النساء : ١١١

(٦) سورة غافر : ١٧ .

(٧) سورة الجاثية : ٢٢ .

وهب أنا غاضينا الراوي على عود الرجل إلى ماكان بعد نزول الآية الكريمة ، لكن ذلك لا يجديه نفعاً يزيح عنه وصمة ضعف الرأي وقوة الرعونة فيه ، نعم : كان يجديه لولم يعبأ بتلكم الضلالة ، أوانه عدل عنها بقوة التفكير لابتوبيخ الوحي الإلهي ، وليته لم يعدل فإنه عدل إلى ما عرفت من سيرته في الصدقات ، وجاء يخضم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع .

-٤٩-

الخليفة لا يعرف المخلص من النار

أخرج ابن عساكر في تاريخه ٢ : ٥٨ من طريق أحمد بن محمد أبي علي بن مكحول البيروتي قال : مر عمر على عثمان بن عفان فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فجاء عمر إلى أبي بكر الصديق فقال : يا خليفة رسول الله ! ألا أخبرك بمصيبة نزلت بنا من بعد رسول الله ؟ قال : وما هي ؟ قال : مررت على عثمان فسلمت عليه فلم يرد علي السلام . فقال أبو بكر : أو كان ذلك ؟ قال : نعم . فأخذ بيده وجاء إلى عثمان فسلما عليه فرد عليهما السلام . فقال أبو بكر : جاءك عمر فسلم عليك فلم ترد عليه ؟ فقال : والله ياخليفة رسول الله ! ما رأيته . قال : وفي أي شيء كانت فكرتك ؟ قال : كنت مفكراً في رسول الله ﷺ فارقناه ولم نسأله : كيف الخلاص والمخلص من النار ؟ فقال أبو بكر : والله لقد سألت رسول الله ﷺ فأخبرني فقال عثمان : ففرج عنا قال أبو بكر : قال رسول الله ﷺ : تمسكوا بالعروة الوثقى قول لا إله إلا الله .

قال الأميني : أكان في أذن الرجل وقر على عهد النبوة عما كان يتهالك دونه رسول الله ﷺ و يهتف به آناء الليل وأطراف النهار منذ بدء البعثة إلى أن لقي ربه من الإشادة بكلمة التوحيد ، و إن الإخلاص بها هو المنقذ الفذ ، والسبب الوحيد للنجاة من الهلكة التي من ورائها النار ، وان من يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى[١] فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى[٢] والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة[٣] وانه من يشرك بالله فقد

(١) سورة لقمان : ٢٢ .
(٢) سورة البقرة : ٢٥٦ .
(٣) سورة البقرة : ٨٢ .

حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النّار[١] .

ألم يك يسمع نداءه صلى الله عليه وآله وسلم : قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا[٢] ؟ .

وقوله : مَن شهد أن لا إله إلّا الله ، وانّ محمّداً رسول الله ، حرّم الله عليه النار .

وقوله : مَن قال : لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنّة .

وقوله : ما مِن أحد يشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، صدقاً من قلبه إلّا حرّمه الله على النّار .

وقوله : إنّي لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقّاً من قلبه فيموت على ذلك إلّا حرّم على النّار : لا إله إلّا الله . إلى أحاديث كثيرة جمع جملة ضافية منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٢ : ١٦٠ ـ ١٦٤ .

أو انّ الرجل كان يسمع هذه الكلمات الذهبيّة ، لكنّه لا يعيرها اُذناً واعية فنسيها ؟ فإن كان لم يعِ هذه وهي أساس الدعوة فما الذي وعاه ؟ وما الذي تعقّله من نبيٍّ جاء وذهب ولم يعرّف ماهو المخلص من النّار ؟ ولم يبعث إلّا لانتشال اُمّته منها ، وفي يده كتابه الكريم فيه تبيان كلّ شيء ، وأيّ نبيّ كان يحسبه عثمان ، نبيّ العظمة ؟ وعلى أيّ أساس علا صروح إسلامه ؟ وأيّ مسلم هذا يدرك أيّام دعوة نبيّه كلّها ثمّ يدركه صلى الله عليه وآله وسلم الموت ولم يعرف المسكين بعدُ ما ينجيه من النّار ؟ نعم : لم يأل نبيُّ الإسلام في تنوير سبل السّلام ، وإنقاذ البشر من النّار ، فماذا عليه ؟ إن لم تصادفه نفسٌ صاغية إلى تعاليمه فلم تحفظها .

-٥٠-

ترك الخليفة التكبير في كلّ خفض ورفع

أخرج أحمد بالإسناد عن مطرف عن عمران بن حصين قال : صلّيت خلف عليّ صلاة ذكّرني صلاة صلّيتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله و الخليفتين قال : فانطلقت فصلّيت معه فإذا هو يكبّر كلّما سجد وكلّما رفع رأسه من الركوع فقلت : يا أبا نجيد مَن أوّل مَن تركه ؟ قال : عثمان رضي الله عنه حين كبر وضعف صوته تركه[٣] .

---

(١) سورة المائدة ٧٢ .

(٢) تاريخ البخارى ج ٤ القسم الثانى ص١٤ .

(٣) مسند احمد ٤ : ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ .

قال الأميني : سيوافيك البحث الضافي في الجزء العاشر إنشاء الله تعالى حول التكبيرة في الصلاة عند كل رفع وخفض وانها سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ تسالمت عليها الأمة ، وعمل بها الصحابة ، واستقر عليها إجماع أئمة المذاهب ، وهذا الحديث يعطينا خبراً بأن أول من تركها هو عثمان وتبعه معاوية وبنو امية ، وما زال الناس على هذا المزن وتمرنت عليه الأمة طوعاً أو كرهاً حتى ضاعت السنة الثابتة ونسيت، وكان من جاء بها يعد أحمقاً كأنه إرتكب بأمر إمرشاذ عن الشرع المقدس ، والتبعة في ذلك كله على الخليفة البادي بترك سنة الله التي لا تبديل لها . قال الزرقاني في شرح الموطأ ٢: ١٤٥ : ولأحمد عن عمران : أول من ترك التكبير عثمان حين كبر، وللطبري عن أبي هريرة : أول من ترك معاوية ، ولأبي عبيد : أول من تركه زياد . ولا ينافي ماقبله لأن زياداً تركه بترك معاوية ، وكأنه تركه بترك عثمان وقد حمله جماعة من العلماء على الإخفاء . هـ .

وتبرير عمل عثمان بالحمل على الإخفاء يأباه صريح لفظ ترك . وإنما يخبر ابن حصين عن تكبير أمير المؤمنين في الهوي والإنتصاب لا عن جهره به ، والسائل إنما يسأله عن أول من تركه لا عمن خافت به أولاً ، ويزيفه مايأتي عن ابن حجر والشوكاني وغيرهما من قولهم كما سمعت عن الزرقاني :كان معاوية تركه بترك عثمان . ولم يؤثر عن معاوية غير الترك والتنقيص كما يأتي حديثه بلفظ نقص ، وقد اتبع إثر عثمان في احدوثته فالى الملتقى .

نتاج البحث

هذه نبذ قليلة نشرتها يد التاريخ الجانية بعد أن طوى كشحاً عن ذكر مهمات ماجرى في ذلك العهد المشحون بالقلاقل ، الطافح بالفتن ، المفعم بالهنابث ، وقد عرفناه جانياً بستر تلكم الحقايق ، جنوحاً إلى العاطفة ، سايراً مع الميول ، والتاريخ حر يجب أن يمضي مع الواقع وأن لا يلويه مع القصد تعصب لأحد أو تحيز إلى فئة ، لكن القوم لم يسيروا في سرد التاريخ كما يجب عليهم ، فطفقوا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويثبتون ما يوافق هواهم ، ويدعون مالا يروقهم .

قال الطبري في تاريخه ٥ : ١٠٨ : إن الواقدي ذكر في سبب مسير المصريين إلى

عثمان ونزولهم ذا خشب أموراً كثيرة ، منها ماتقدّم ذكره ، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة منّي ذكره لبشاعته .

وقال في ج ٥ : ١١٣ : قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوه إنّهم جعلوها ذريعةً إلى قتله ، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعلل دعت الى الإعراض عنها .

وقال في ص ٢٣٢ : إنّ محمّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية لمّا ولي فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يتحمّل سماعها العامّة .

و مرّ في ج ٨ : ٣٠٥ في ذكر ما جرى بين عليّ عليه السلام و عثمان قول المسعودي : فأجابه عثمان بجواب غليظ لا اُحبّ ذكره وأجابه عليّ بمثله .

و قال ابن الأثير في الكامل ٣ : ٧٠ : قد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعةً إلى قتله لعلل دعت إلى ذلك .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٧ : ١٦٦ : وفي هذه السنة (يعني ٣٣) سيّر عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام وإلى مصر بأسباب مسوّغة لما فعله رضي الله عنه فكان هؤلاء ممّن يؤلّب عليه ويمالىء الأعداء في الحطّ و الكلام فيه وهم الظالمون في ذلك ، وهو البارّ الراشد رضي الله عنه .

وقال في ص ١٧٧ : جرت اُمورٌ سنورد منها ما تيسّر وبالله المستعان . ثمّ ذكر من الأمور ماراقه ويلائم ذوقه ولم يذكر إلّا سلسلة أكاذيب لم يصحّ شيءٌ منها .

وقال الدكتور أحمد فريد رفاعي في عصر المأمون ١ : ٥ : أمّا نحن فلا يُطلب منّا أن نبدي رأينا في عثمان ، فهو صحابيٌّ عظيمٌ وله أثره الخالد في جمع القرآن وغير القرآن وله دينه السمح الذي لاتشوبه شائبة ، وماكان الدين ليحتّم على الناس جميعاً أن يكون نظرهم إلى الحياة الدنيا نظر التقشّف والزهد ، ولا يُطلب منّا أن نثبت ضعف الحكومة العثمانيّة ، وإنّما يُطلب منّا أن نسرد الحوادث بايجاز ، ولنا في تسلسل هذه الحوادث و دراستها و تقييد آثارها ماقد يسمح لنا بالتعرّض له حين معالجتنا الكلام عن عصر نافيما بعدُ . ه‍ .

ثمّ ذكر ما جاء به اليعقوبي من الأيعاز إلى بعض ما نُقم به على عثمان فتخلّص عن البحث فيه بما أتى به إبن الأثير من رواية الطبري عن السري الكذّاب عن شعيب المجهول عن سيف المتروك الساقط المتّهم بالزندقة أو عن اُناس آخرين أمثال هؤلاء .

أضف إلى هذه كثيراً من كتب التاريخ المؤلّفة قديماً وحديثاً فإنّها أُلِّفت بيد أثيمة على ودايع العلم والدين ، ولعلَّ في المذكور في كتابنا هذا وهو قليلٌ من كثير مقنعاً للحصول على العلم بنفسيّات الخليفة من شتّى نواحيه ، ومبلغه من العلم ، ومقداره من التقوى ، ومداه من الرأي ، ومآثره من ناحية ملكاته ، وقد عرف كلَّ ذلك مَن عاصره وعاشره ، فكانت كلمتهم في حقّه واحدة ، ورأيهم فيه فذّاً ، وأعمالهم معه كلٌّ يشبه الآخر ، ونحن نذكر لك نماذج ممّا لُفظ به من قول وعُمل به من فعل في ذلك الدور القاتم بالفجايع والفظايع فدونكها :

١ - حديث أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب صلوات الله عليه

١ - من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان : لو أمرت به لكنت قاتلاً ، أو نهيت عنه لكنت ناصراً ، غير انَّ من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله مَن أنا خيرٌ منه ، و مَن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خيرٌ منّي ، وأنا جامعٌ لكم أمره : إستأثر فأساء الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، ولله حكمٌ واقعٌ في المستأثر والجازع [1]

قال ابن أبي الحديد في الشرح ١ : ١٥٨ : قوله : غير أنَّ مَن نصره . معناه انَّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه ، لأنَّ الذين نصروه كان أكثرهم فسّاقاً كمروان بن الحكم وأضرابه ، وخذله المهاجرون والأنصار .

٢ - من كلام له عليه السلام قاله لابن عبّاس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصورٌ يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع فقال عليه السلام :

يا ابن عبّاس ! ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب [2] أُقبل وأُدبر بعث إليَّ أن أخرج ثمَّ بعث إليَّ أن أقدم ، ثمَّ هو الآن يبعث إليَّ أن أخرج ، والله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثماً [3] .

٣ - أخرج البلاذري في الأنساب ٥ : ٩٨ من طريق أبي حادة انّه سمع عليّاً رضي الله عنه يقول وهو يخطب فذكر عثمان فقال : والله الذي لا إله إلّا هو ما قتلته ، و

(١) نهج البلاغه ١ : ٧٦ .
(٢) الناضح : البعير يستقى عليه . الغرب : الدلو العظيمة .
(٣) نهج البلاغة ١ : ٤٦٨ .

لا ما لأت على قتله ، ولا ساءني .

٤ ـ أخرج ابن سعد من طريق عمّار بن ياسر قال : رأيت عليّاً على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله حين قُتل عثمان وهو يقول : ما أحببت قتله ولا كرهته ، و لا أمرت به و لا نهيت عنه . الأنساب للبلاذري ٥ : ١٠١ .

وأوعز شاعر أهل الشام كعب بن جعيل إلى قول الامام عليه السلام بأبيات له ألا وهي :

و ما في عليّ لمستعتب ✫ مقالٌ سوى ضمّه المحدثينا
و إيثاره اليوم أهل الذنوب ✫ و رفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه حذا شبهة [1] ✫ و عمّى الجواب على السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ ✫ ولا في النُهاة ولا الآمرينا
و لا هو ساء و لا سرّه ✫ ولا بدّ من بعض ذا أن يكونا [2]

قال ابن أبي الحديد بعد ذكر الأبيات : ما قال هذا الشعر إلّا بعد أن نقل إلى أهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين في عثمان يجري هذا المجرى نحو قوله : ماسرّني ولا ساءني ، وقيل له : أرضيت بقتله ؟ فقال : لم أرض ؛ فقيل له : أسخطت قتله ؟ فقال : لم أسخط . و قوله تارةً : ألله قتله و أنا معه . و قوله تارة اُخرى : ما قتلت عثمان ولا مالأت في قتله . وقوله تارةً اُخرى : كنت رجلاً من المسلمين أوردتُ إذا وردوا ، و أصدرتُ إذا صدروا . ولكلّ شيء من كلامه إذا صحّ عنه تأويلٌ يعرفه اُولوا الألباب .

٥ ـ أخرج أبو مخنف من طريق عبدالرحمن بن عبيد : انّ معاوية بعث إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن سمط ومعن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه وأنا عنده (إلى أن قال بعد كلام حبيب وشرحبيل وذكر جواب مولانا أمير المؤمنين) : فقالا أتشهد أنّ عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً ؟ فقال لهما : لا أقول ذلك . قالا : فمن لم يشهد انّ عثمان قُتل مظلوماً فنحن منه بُرءآء . ثمّ قاما فانصرفا فقال عليّ : إنّك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين ، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تُسمع إلّا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون .

(١) في العقد الفريد : زوى وجهه .
(٢) كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٦٣ ، العقد الفريد ٢ : ٢٦٧ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٥٨

كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٢٧ و اللفظ له ، تاريخ الطبري ٦ : ٤ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٥ .

٦ - ذكر البلاذري في الأنساب ٥ : ٤٤ في حديث قول عليّ عليه السلام لعثمان : يا عثمان ! إنّ الحق ثقيلٌ مريء ، وإنّ الباطل خفيفٌ وبيء ، وإنّك متى تُصدق تسخط ومتى تُكذب ترضَ .

٧- كان عليٌّ كلّما اشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل إبنه الحسن إليه فلمّا أكثر عليه قال له : إنّ أباك يرى أنّ أحداً لا يعلم ما يعلم ، ونحن أعلم بما نفعل ، فكفّ عنّا ، فلم يبعث عليٌّ إبنه في شيء بعد ذلك ، وذكروا أنّ عثمان صلّى العصر ثمّ خرج إلى عليّ يعوده في مرضه ومروان معه فرآه ثقيلاً فقال : أما والله لولا ما أرى منك ما كنت أتكلّم بما اُريد أن أتكلّم به ، والله ما أدري أيّ يوميك أحبّ إليّ أو أبغض ، أيوم حياتك ؟ أو يوم موتك ؟ أما و الله لئن بقيت لا أعدم شامتاً يعدّك كهفاً ، ويتّخذك عضداً ، ولئن متّ لأفجعنّ بك ، فحظّي منك حظّ الوالد المشفق من الولد العاقّ ، إن عاش عقّه ، وإن مات فجعه ، فليتك جعلت لنا من أمرك لنا علماً نقف عليه ونعرفه ، إمّا صديقٌ مسالم ، وإمّا عدوٌّ معاني ، ولا تجعلني كالمختنق بين السّماء والأرض ، لا يرقى بيد ولا يهبط برجل ، أما والله لئن قتلتك لا اصيب منك خلفاً ، ولئن قتلتني لا تصيب منّي خلفاً ، وما اُحبّ أن أبقى بعدك . قال مروان : إي والله ، واُخرى انّه لا ينال ما وراء ظهورنا حتّى تكسر رماحنا ، وتقطع سيوفنا ، فما خير العيش بعد هذا ؟ فضرب عثمان في صدره وقال: ما يدخلك في كلامنا ؟ فقال عليٌّ : إنّي والله في شغل عن جوابكما ولكنّي أقول كما قال أبو يوسف : فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون .

(العقد الفريد ٢ : ٢٧٤ ، الإمامة والسياسة ١ : ٣٠) .

٨- في كتاب لمولانا أمير المؤمنين يجيب به معاوية بن أبي سفيان قال : و ذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي إيّاهم والبغي عليهم ، فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون ، وأمّا الكراهة لهم فوالله ما اعتذر للناس من ذلك ، وذكرت بغيي على عثمان وقطعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت ، وعمل به النّاس ما قد بلغك ، فقد علمت أنّي كنت من أمره في عزلة إلّا أن تجنّى فتجنّ ما شئت ، وأمّا ذكرك قتلة عثمان وما سألت من دفعهم

إليك فإنّي نظرتُ في هذا الأمر وضربتُ أنفه وعينه فلم يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، وإن لم تنزع عن غيّك لنعرفنّك عمّا قليل يطلبونك ولا يكلّفونك أن تطلبهم في سهل ولا جبل ولا برّ ولا بحر .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص١٠٢ ، العقد الفريد٢ : ٢٨٦ ، نهج البلاغة ٢ : ١٠، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٤٠٩ .

٩- أخرج الطبري من طريق إسماعيل بن محمّد : انّ عثمان صعد يوم الجمعة المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقام رجل فقال : أقم كتاب الله ، فقال عثمان : اجلس فجلس حتّى قام ثلاثاً فأمر به عثمان فجلس فتحاثوا بالحصباء حتّى ما ترى السّماء وسقط عن المنبر وحمل فأُدخل داره مغشيّاً عليه فخرج رجل من حجّاب عثمان ومعه مصحفٌ في يده وهو ينادي : إنّ الذين فارقوا دينهم وكانوا شيَعاً لستَ منهم في شيء إنّما أمرهم إلى الله . ودخل عليّ بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما وهو مغشيٌّ عليه وبنو اُميّة حوله ، فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فأقبلت بنو اُميّة بمنطق واحد فقالوا : يا عليّ ! أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين ، أما والله لئن بلغت الّذي تريد لتُمرنّ عليك الدنيا . فقام عليٌّ مغضباً .

تاريخ الطبري ٥ : ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٦٧ .

١٠ - ذكر ابن قتيبة في الامامة والسياسة ١ ص ٤٢ في حديث مسائلة عمرو بن العاص راكباً : فقال له عمرو : ما الخبر ؟ قال : قتل عثمان ، قال : فما فعل الناس ؟ فقال : بايعوا عليّاً . قال : فما فعل عليٌّ في قتلة عثمان ؟ قال : دخل عليه وليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال : ما أمرت ولا نهيت ، ولا سرّني ولا ساءني . قال : فما فعل بقتلة عثمان ؟ فقال : آوى ولم يرضَ ، وقد قال له مروان : إن لا تكن أمرت فقد تولّيت الأمر ، وإن لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين ، فقال عمرو بن العاص : خلط والله أبو الحسن .

١١ - روى الأعمش عن الحكم بن عتيبة عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت عليّاً عليه السلام على منبر الكوفة وهو يقول : يا أبناء المهاجرين ! انفروا إلى أئمّة الكفر ، وبقيّة الأحزاب وأولياء الشيطان ، إنفروا إلى مَن يقاتل على دم حمّال الخطايا ، فوالله الّذي

فلق الحبّة و برأ النسمة انّه ليحمل خطايا هم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً[1] .

قال الأميني : طعن ابن أبي الحديد في هذا الحديث بمكان قيس[2] بن أبي حازم و قال : هو الذي روى حديث انّكم لترون ربّكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ، وقد طعن مشايخنا المتكلّمون فيه وقالوا : إنّه فاسق ولا تقبل روايته لأنّه قال : إنّي سمعت عليّاً يخطب على منبر الكوفة و يقول : انفروا إلى بقيّة الأحزاب . فأبغضته ودخل بغضه في قلبي ومَن يبغض عليّاً عليه السلام لا تقبل روايته . ثمّ حمله على فرض الصحّة على إرادة معاوية من قوله : حمّال الخطايا فقال: لأنّهم يحامون عن دمه ، ومَن حامى عن دم إنسان فقد قاتل عليه . ا ه .

ألا مُسائل الرجل عن انّ رواية حديث الرؤية أيّ منقصة و حزازة فيها و قد أخرجها البخاري و مسلم في صحيحيهما و أحمد في مسنده ؟ فهل طعن أحدٌ في أولئك الأئمّة لروايتهم إيّاها ؟ .

ثمّ لو كان مَن أبغض عليّاً عليه السلام فاسقاً غير مقبول الرواية ـ كما هو الحقّ ـ فما قيمة الصحاح عندئذ في سوق الإعتبار ؟ وما أكثر فيها من الرواية عن مناوئي أمير المؤمنين ومنهم نفس الرجل (قيس بن أبي حازم) فقد أخرج أئمّة الصحاح أحاديث من طريقه، هو من رجالهم .

على أنّ علماء الفنّ من القوم مع قولهم بأنّه كان يحمل على عليّ نصّوا على ثقة الرجل وقالوا : متقن الرواية ، والحديث عنه من أصحّ الإسناد ، و قال ابن خراش : كوفيٌّ جليلٌ . و قال ابن معين : ثقةٌ . و ذكره ابن حبّان في الثقات ، وقال ابن حجر : أجمعوا على الذهبي الإحتجاج به ومن تكلّم فيه فقد آذى نفسه .

(راجع تهذيب التهذيب ٨ : ٣٨٦)

وأمّا تأويل : (حمّال الخطايا) بإرادة معاوية منه فمن التافه البعيد عن سياق العربيّة نظير تأويل معاوية الحديث الوارد في عمّار من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : تقتلك الفئة الباغية .

١٢ ـ كان مولانا أمير المؤمنين يخطب و يلوم الناس على تثبيطهم و تقاعدهم و

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٧٩ .

(٢) من رجال الصحيحين : البخاري ومسلم .

يستنفرهم إلى أهل الشام فقال له الأشعث بن قيس : هلاّ فعلت فعل ابن عفان ؟ فقال له: إنّ فعل ابن عفّان لمخزاةٌ على من لادين له ولا وثيقة معه ، إنّ امرأ أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيفٌ رأيه ، مأفونٌ عقله ، أنت فكن ذاك ، إن أحببت فأمّا أنا فدون أن اعطي ذاك ضرب بالمشرفيّة الفصل [1] .

١٣ ـ من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر:

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه وذُهب بحقّه ، فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر، و المقيم والظاعن ، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكرٌ يُتناهى عنه [2] .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ٥٨ : هذا الفصل يشكل عليّ تأويله لأنّ أهل مصر هُم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام انّهم غضبوا لله حين عُصي في الأرض ، فهذه شهادةٌ قاطعةٌ على عثمان بالعصيان و إتيان المنكر. ثمّ تأوّله بما رآه تعسّفاً ، والتعسّف لايغني عن الحقّ شيئاً ولا تتمّ به الحجّة .

هَبْ ابن أبي الحديد تعسّف هاهنا وتأوّل فما يصنع ببقيّة كلمات مولانا أمير المؤمنين وكلمات ساير الصحابة لدة هذه الكلمة وهي تربو على مئات ؟ فهل يسعنا أن نكون عسوفاً في كلّ ذلك ؟ سل عنه خبيراً .

١٤ ـ من كلام لأمير المؤمنين قاله لعثمان لمّا اجتمع الناس إليه وشكوا إليه ما نقموه على عثمان فدخل عليه السلام عليه فقال :

إنّ الناس ورائي و قد استفسروني بينك و بينهم ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلّك على أمر لاتعرفه ، إنّك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلّغكه و قد رأيتَ كما رأينا ، وسمعتَ كما سمعنا وصحبت رسول الله كما صحبنا ، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحقّ منك ، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجة رحم منهما ، وقد نلتَ من صهره مالم ينالا ، فالله الله في نفسك فانّك والله ما تُبصّر من عمىً ، ولا تُعلّم من جهل ، وإنّ الطرق

---

(١) شرح ابن ابى الحديد ١ : ١٧٨ .

(٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥ ، نهج البلاغة ، ٢ : ٦٣ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٩ .

لواضحة، وإنّ أعلام الدين لقائمة، فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدي وهَدى، فأقام سنّة معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإنّ السنن لنيّرة لها أعلام، وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام، وأن شرّ الناس عند الله إمام جائر، ضَلّ وضُلّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيُلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرحى ثمّ يرتبط في قعرها، وإنّي أُنشدك الله أن تكون إمام هذه الأُمّة المقتول فإنّه كان يُقال: يُقتل في هذه الأُمّة إمام يفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة، و يُلبِس أُمورها عليها، و يُثبِّت الفتن فيها، فلا يبصرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجا، ويمرجون فيها مرجا، فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ و تقضّي العمر، فقال له عثمان: كلّم الناس في أن يؤجّلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك اليه[1].

تاريخ الطبري ٥ : ٩٦، الأنساب للبلاذري ٥ : ٦٠، نهج البلاغة ١ : ٣٠٣، الكامل لابن الأثير ٣ : ٦٣، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٦٨.

١٥- أخرج ابن السمّان من طريق عطاء إنّ عثمان دعا عليّاً فقال: يا أبا الحسن! إنّك لو شئت لاستقامت عليّ هذه الأُمّة فلم يخالفني واحد. فقال عليّ: لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها ما استطعت أن أدفع عنك أكفّ الناس؛ ولكنّي سأدلّك على أمر هو أفضل ممّا سألتني: تعمل بعمل أخويك أبي بكر وعمر، وأنالك بالناس لا يخالفك أحد

(الرياض النضرة ٢ : ١٢٩)

١٦- من خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام الشقشقيّة قوله: إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع؛ إلى انكث فتله، وأجهز عليه عمله، و كبت به بطنته.

مرّت مصادر هذه الخطبة في الجزء السابع ص ٨٢ - ٨٥ ط ٢.

١٧- قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٢ : ٢٦٧: قال حسّان بن ثابت لعليّ: إنّك تقول: ما قتلتُ عثمان و لكن خذلته، ولا آمر به ولكن لم أنه عنه، فالخاذل

(١) سيأتي تمام الحديث في صور توبة الخليفة وحنثه ايّاها مرّة بعد اخرى.

شريك القاتل ، والساكت شريك القاتل .

١٨ - أخرج البلاذري في الأنساب ٥ : ١٣ من طريق عبدالله بن عباس قال: إنّ عثمان شكا عليّاً إلى العبّاس فقال له : يا خال ؛ إنّ عليّاً قد قطع رحمي ، وألّب الناس إبنك ، والله لئن كنتم يابني عبدالمطلب ؛ أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تيم وعدي فبنو عبد مناف أحقّ أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه . قال عبدالله بن العبّاس : فأطرق أبي طويلاً ثمّ قال : ياابن أخت ؛ لئن كنت لاتحمد عليّاً فما يحمدك له ، وإنّ حقّك في القرابة والإمامة للحقّ الذي لا يُدفع ولا يُجحد ، فلو رقيت فيما تطأطأ أو تطأطأت فيما رقى تقاربتما ، وكان ذلك أوصل وأجمل ، قال : قد صيّرت الأمر في ذلك اليك فقرّب الأمر بيننا . قال : فلمّا خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه ، فما لبثنا أن جاء أبي رسول عثمان بالرجوع إليه فلمّا رجع قال : ياخال ؛ اُحبّ أن تؤخّر النظر في الأمر الذي ألقيت إليّ حتّى أرى من رأيي ، فخرج أبي من عنده ثمّ التفت إليّ فقال: يا بنيّ ليس إلى هذا الرجل من أمره شيءٌ ، ثمّ قال : أللهمّ أسبق بي الفتن ولاتبقني إلى مالا خير لي في البقاء اليه . فما كانت جمعة حتى هلك .

١٩ - أخرج البلاذري في الأنساب ٥ : ١٤ من طريق صهيب مولى العبّاس : إنّ العبّاس قال لعثمان : اُذكّرك الله في أمر ابن عمّك وابن خالك وصهرك و صاحبك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد بلغني انّك تريد أن تقوم به وبأصحابه ، فقال : أوّل ما اُجيبك به أنّي قد شفعتك ، انّ عليّاً لو شاء لم يكن أحدٌ عندي إلّا دونه ولكنّه أبى إلّا رأيه ، ثمّ قال لعليّ مثل قوله لعثمان ، فقال عليٌّ : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت .

٢٠ - من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية : أمّا بعد : فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك ، وإنّي لأرجو أن ألحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته .

(العقد الفريد ٢ : ٢٢٣ ، وفي ط ٢٨٥)

ولا تنس في الختام قول حسّان بن ثابت :

صبراً جميلاً بني الأحرار لاتهنوا ✿ قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا

ياليت شعري وليت الطير تخبرني ✿ ما كان شأن عليٍّ و ابن عفّانا

لتسمعنّ و شيكاً في دياركُم ✿ الله أكبـر يا ثارات عثمانا [1]

قال الأميني : يُعطينا الأخذ بمجامع هذه الأحاديث انّ الإمام عليه السلام ماكان يرى الخليفة إمام عدل يسوءه قتله ، أو يهمّه أمره ، أو يُسخطه التجمهر عليه ، بل كان يعتزل عن أمره ويخشى أن يكون آثماً إن دؤب على الدفاع عنه ، ولا يرى الثائرين عليه متحوّبين في نهضتهم وإلّا لساءه ذلك فضلاً عن أن يسكت عنهم ، أو يطريهم كما سمعته من كتابه إلى اهل مصر ، أو يرى الخاذلين له خيراً ممّن نصره ، و لو كان يراه إمام عدل فأقلّ المراتب أن يقول : إنّ ناصره خيرٌ من خاذله . بل الشأن هذا في أفراد المسلمين العدول من الرعيّة فضلاً عن إمامها .

وحديث شكاية عثمان إلى عمّه العبّاس المتوفّى سنة ٣٢ يُعلمنا بأنّ الخلاف والتشاجر بينهما كانا قبل تجمهر الثائرين عليه في أواسط أيّام خلافته قبل وفاته بأعوام وقول أمير المؤمنين له : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت . فيه إيعازٌ إلى أنّ انكاره عليه السلام على الرجل لم يكن قطّ في الملك ، وماكان يرضى بشقّ عصا المسلمين بالخلاف عليه في أمره ، وإنّما كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يك يرى لنفسه بُدّاً من ذلك .

ولو أمعنت النظر فيما سردناه من ألفاظه الدريّة لانفتح عليك أبواب من رأي الإمام عليه السلام في الخليفة لم نوعز إليها ، ويُعرب عن رأيه فيه ما مرّ في ج٨ ص ٢٨٧ ط٢ من خطبة له عليه السلام خطبها في اليوم الثاني من بيعته من قوله : ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان . و كلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردودٌ في بيت المال . فلو كان الرجل إمام عدل عند الإمام عليه السلام لكان أخذه و ردّه و قطعه و عطاءه حجّة لا يتطرّق إليها الردّ، ولكن ....

١ حديث عائشة

بنت أبي بكر اُمّ المؤمنين

١ ـ قال ابن سعد : لمّا حُصر عثمان كان مروان يُقاتل دونه أشدّ القتال ، و أرادت عائشة الحجّ وعثمان محصورٌ فأتاها مروان وزيد بن ثابت وعبد الرّحمن بن عتاب

(١) أنساب البلاذري ٥ : ١٠٤ .

فقالوا : يا اُمّ المؤمنين ! لو أقمت فانّ أمير المؤمنين على ماترين محصورٌ ومقامك ممّا يدفع الله به عنه . فقالت : قد حلبت ظهري ، وعرّيت غرائري ، ولست أقدر على المقام فأعادوا عليها الكلام فأعادت عليهم مثل ما قالت لهم ، فقام مروان وهو يقول :

وحرّق قيسٌ عليَّ البلا — دحتّى إذا استعرت أجذما

فقالت عائشة : أيّها المتمثّل عليّ بالأشعار وددتُ والله إنّك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رِجل كلّ واحد منكما رَحاً وإنّكما في البحر ، وخرجت إلى مكّة

وفي لفظ البلاذري : لمّا اشتدّ الأمر على عثمان أمر مروان بن الحكم وعبد الرحمن ابن عتاب بن اسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحجّ فقالا لها : لو أقمتِ فلعلّ الله يدفع بكِ عن هذا الرجل . فقالت : قد قرنتُ ركابي وأوجبتُ الحجّ على نفسي ، ووالله لا أفعل . فنهض مروان وصاحبه ومروان يقول :

وحرّق قيسٌ عليَّ البلا — دحتّى إذا اضطرمت أجذما

فقالت عائشة : يا مروان ! وددت والله انّه في غرارة [1] من غرائري هذه وأنّي طوّقت حمله حتّى اُلقيه في البحر .

٢ ـ مرّ عبدالله بن عبّاس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها فقالت : يا ابن عبّاس ؟ إنّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية . أخرجه البلاذري .

وفي لفظ الطبري : خرج ابن عبّاس فمرّ بعائشة في الصلصل [2] فقالت : يا ابن عبّاس ! انشدك الله فإنّك قد اُعطيت لساناً إزعيلاً أن تخذّل عن هذا الرجل وأن تشكّك فيه النّاس ؛ فقد بانت لهم بصائرهم وانهجت ورفعت لهم المنار وتحلّبوا من البلدان لأمر قد جمّ ، وقد رأيت طلحة بن عبد الله قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح ، فإن يل يسير بسيرة ابن عمّه أبي بكر رضي الله عنه . قال : قلت : يا اُمّه ! لو حدث بالرجل حدثٌ مافزع النّاس إلّا إلى صاحبنا . فقالت : أيهاً عنك إنّي لستُ اريد مكابرتك ولا مجادلتك . وحكاه ابن أبي الحديد عن تاريخ الطبري في شرح النهج غير انّ فيه :

---

(١) الغرارة بكسر المعجمة : الجوالق .

(٢) صلصل بالضم والتكرير : موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها .

فقالت : يا ابن عباس ! انشدك الله فإنك قد أعطيت فهماً ولساناً و عقلاً أن لا تخذل الناس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان ، وانهجت ورفعت لهم المنابر وتجلبوا من البلدان لأمر عظيم قد حم ، وان طلحة قد اتخذ رجالاً على بيوت الأموال ، وأخذ مفاتيح الخزائن ، وأظنه يسير إنشاء الله بسيرة ابن عمه أبي بكر . الحديث .

٣- كانت عائشة وأم سلمة حجتا ذلك العام (عام قتل عثمان) وكانت عائشة تؤلب على عثمان فلما بلغها أمره وهي بمكة أمرت بقبتها فضربت في المسجد الحرام وقالت : إني أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبوسفيان قومه يوم بدر . رواه البلاذري .

٤- أخرج عمر بن شبة من طريق عبيد بن عمرو القرشي قال : خرجت عائشة رضي الله عنها وعثمان محصور فقدم عليها مكة رجل يقال له : أخضر ، فقالت : ماصنع الناس؟ فقال : قتل عثمان المصريين . قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أيقتل قوماً جاؤا يطلبون الحق وينكرون الظلم ؟ والله لا نرضى بهذا . ثم قدم آخر فقالت : ما صنع الناس ؟ قال : قتل المصريون عثمان ، قالت : العجب لأخضر زعم ان المقتول هو القاتل فكان يضرب به المثل : أكذب من أخضر . وأخرجه الطبري .

٥- مر في الجزء الثامن صفحة ١٢٣ ط٢ : أن الشهود على الوليد بن عقبة بشربه الخمر استجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال : أما تجد مراق أهل العراق و فساقهم ملجأً إلا بيت عائشة . فسمعت فرفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت : تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل . ألحديث فراجع .

٦ - أسلفنا في هذا الجزء صفحة ١٦ في مواقف عمار : ان عائشة لما بلغها ما صنع عثمان بعمار فغضبت وأخرجت شعراً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثم قالت : ما أسرع ماتركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد؟ فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول . ألحديث .

وقال أبو الفدا : كانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه وكانت تخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشعره وتقول : هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بلي دينه .

٧- وفي كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام كتبه لما قارب البصرة إلى طلحة والزبير و عائشة : وأنت ياعائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان

عنك موضوعاً ، ثمّ تزعمين انّكِ تريدين الإصلاح بين المسلمين ، فخبّريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال ، والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحرّمة ؟ ثمّ أنّك طلبتِ على زعمك دم عثمان وما أنتِ وذاك ؟ عثمان رجلٌ من بني أُميّة وأنتِ من تيم ، ثمّ بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، ثمّ تطلبين اليوم بدمه ؟ فاتّقي الله وارجعي إلى بيتكِ ، واسبلي عليكِ ستركِ ، والسّلام .

٨ـ أخرج الطبري وابن قتيبة : انّ غلاماً من جهينة أقبل على محمّد بن طلحة (يوم الجمل) وكان محمّد رجلاً عابداً فقال : أخبرني عن قتلة عثمان فقال : نعم دم عثمان ثلاثة أثلاث : ثلثٌ على صاحبة الهودج يعني عائشة ، وثلثٌ على صاحب الجمل الأحمر يعني طلحة ، وثلثٌ على عليّ بن أبي طالب . وضحك الغلام وقال : ألا أراني على ضلال ولحق بعليّ وقال : في ذلك شعراً :

سألت ابن طلحة عن هالك ✩ بجوف المدينة لم يُقبرِ ؟
فقال : ثلاثـة رهطٍ هُـمُ ✩ أماتوا ابن عفّان واستعبرِ
فثلثٌ على تلك في خدرها ✩ وثلثٌ على راكب الأحمرِ
و ثلثٌ على بن أبي طالب ✩ و نحن بدويّـةٍ قرقرِ
فقلت : صدقت على الأوّلين ✩ وأخطأت في الثالث الأزهرِ

٩ـ أخرج الطبري من طريقين : انّ عائشة رضي الله عنها لمّا انتهت إلى سَرِف [(١)] راجعةً في طريقها إلى مكّة لقيها عبد بن أُم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أُمّه فقالت له : مهيمْ ؟ قال : قتلوا عثمان رضي الله عنه فمكثوا ثمانياً . قالت : ثمّ صنعوا ماذا ؟ قال : أخذها أهل المدينة بالإجتماع فجازت بهم الأُمور إلى خير مجاز ، اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب . فقالت : والله ليت إنّ هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك ردّوني ردّوني . فانصرفت إلى مكّة وهي تقول : قُتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبنّ بدمه . فقال لها ابن أُمّ كلاب : ولِمَ ؟ فوالله انّ أوّل من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر [(٢)] . قالت : إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه ، و قد

(١) سرف بالفتح ثم الكسر : موضع على ستة أميال من مكة .
(٢) في لفظ ابن قتيبة : فجر .

قلت وقالوا وقولي الأخير خيرٌ من قولي الأوّل . فقال لها ابن امّ كلاب [١] .

منكِ البداء ومنكِ الغِيَرْ ☆ ومنكِ الرياح ومنكِ المطَرْ
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام ☆ وقلتِ لنا : إنّه قد كفر
فهبنا أطعناكِ في قتله ☆ وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ☆ ولم ينكسف شمسنا والقمرْ
وقد بايع النّاس ذا تُدرإ ☆ يزيل الشبا ويُقيم الصَّعَرْ
ويلبس للحرب أثوابها ☆ ومامن وفى مثلُ من قد غدرْ

فانصرفت إلى مكّة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فستّرت واجتمع اليها الناس فقالت : يا أيّها الناس ! إنّ عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه

١٠ ـ قال أبو عمر صاحب الاستيعاب : إنّ الأحنف بن قيس كان عاقلاً حليماً ذا دين وذكاء وفصاحة ودهاء ، لمّا قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف بن قيس فأبى أن يأتيها ثمّ أرسلت اليه فأتاها فقالت : ويحك يا أحنف ! بم تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين ! عثمان رضي الله عنه ؟ أمن قلّة عدد ؟ أو أنّك لا تُطاع في العشيرة ؟ قال : يا امّ المؤمنين ! ما كبرت السنّ ولا طال العهد وإنّ عهدي بكِ عام أوّل تقولين فيه وتنالين منه . قالت : ويحك يا أحنف ! إنّهم ماصوه موص الإناء ثمّ قتلوه . قال : يا امّ المؤمنين ! إنّي آخذٌ بأمركِ وأنتِ راضية ، وأدعه وأنت ساخطة .

١١ ـ أخرج ابن عساكر من طريق أبي مسلم انّه قال لأهل الشام وهم ينالون من عائشة في شأن عثمان ، يا أهل الشام ! أضرب لكم مثلكم ومثل امّكم هذه : مثلها ومثلكم كمثل العين في الرأس توذي صاحبها ولا يستطيع أن يعاقبها إلّا بالذي هو خيرٌ لها .

١٢ ـ قال ابن أبي الحديد : قال كلّ من صنّف في السير والأخبار : إنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان حتّى أنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها وكانت تقول للدا خلين اليها : هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنّته . قالوا : أوّل من سمّى عثمان نعثلاً عائشة ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلا .

(١) في لفظ ابن قتيبة : عذر والله ضعيف ، يا ام المؤمنين . ثم ذكر الابيات .

١٣ ـ روى المدائني في كتاب الجمل قال: لمّا قُتل عثمان كانت عائشة بمكّة وبلغ قتله إليها وهي بشراف فلم تشكّ في أنّ طلحة هو صاحب الأمر و قالت: بُعداً لنعثل و سحقاً، ايه ذا الإصبع! ايه أبا شبل! ايه يا ابن عمّ! لكأنّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له، حثوا الابل ودعدعوها. قال: وقد كان طلحة حين قُتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره ثمّ فسد أمره فدفعها إلى عليّ بن أبي طالب.

١٤ ـ قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: إنّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكّة أقبلت مسرعة وهي تقول: ايه ذا الإصبع لله أبوك، أما انّهم وجدوا طلحة لها كفواً، فلمّا انتهت إلى شراف [1] استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟ قال: قُتل عثمان. قالت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ حارت بهم الأمور إلى خير محار، بايعوا عليّاً. فقالت: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا، و يحك انظر ما ذا تقول. قال: هو ما قلت لك يا أمّ المؤمنين!. فولولت. فقال لها: ما شأنك يا أمّ المؤمنين؟ والله ماأعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحقّ، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فماردّت عليه جواباً.

وقد روي من طرق مختلفة: انّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكّة قالت: أبعده الله، ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلاّم للعبيد.

١٥ـ قال: وقد روى قيس بن أبي حازم: انّه حجّ في العام الذي قُتل فيه عثمان وكان مع عائشة لمّا بلغها قتله فتحمّل إلى المدينة قال: فسمعها تقول في بعض الطريق ايه ذا الإصبع. وإذا ذكرت عثمان قالت: أبعده الله. حتّى أتاها خبر بيعة عليّ فقالت: لوددت أنّ هذه وقعت على هذه. ثمّ أمرت بردّ ركائبها إلى مكّة فرددت معها ورأيتها في سيرها إلى مكّة تخاطب نفسها كأنّها تخاطب أحداً: قتلوا ابن عفان مظلوماً. فقلت لها: يا أمّ المؤمنين! ألم أسمعك آنفاً تقولين أبعده الله؟ وقد رأيتك قبلُ أشدّ الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً، فقالت: لقد كان ذلك ولكنّي نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه.

١٦ـقال: وروي من طرق اُخرى: أنّها قالت لمّا بلغها قتله: أبعده الله قتله ذنبه،

(١) راجع صفحة ٢٣٦ من الجزء الثامن، وص ٨٠ من هذا الجزء.

وأقاده الله بعمله ، يامعشر قريش ! لايسومنّكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه ، إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر ذو الإصبع . فلمّا جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام قالت : تعسوا لا يردّون الأمر في تيم أبداً . كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكّة كتباً أن خذّلي النّاس عن بيعة عليّ ، وأظهري الطلب بدم عثمان . وحملا الكتب مع ابن اختها عبدالله بن الزبير ، فلمّا قرأت الكتب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان ، وكانت أُمّ سلمة رضي الله عنها بمكّة في ذلك العام فلمّا رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك وأظهرت موالاة عليّ عليه السلام ونصرته على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الضرّتين .

١٧- قال أبومخنف : جاءت عائشة إلى أُمّ سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها : يا بنت أبي أُميّة أنت أوّل مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنت كبيرة أُمّهات المؤمنين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم لنا من بيتك ، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك . فقالت أُمّ سلمة : لأمرٍ ما قلتِ هذه المقالة ؟ فقالت عائشة : إنّ عبد الله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان فلمّا تاب قتلوه صائماً في شهر حرام ، وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعلّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا . فقالت : أنا أُمّ سلمة ، إنّكِ كنت بالأمس تحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول ، وماكان إسمه عندكِ إلّا نعثلاً ، وإنّكِ لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . الحديث[1] .

١٨- روى ابن عبد ربّه عن العتبي قال : قال رجلٌ من بني ليث : لقيت الزبير قادماً فقلت : يا أبا عبد الله ما بالك ؟ قال : مطلوبٌ مغلوبٌ يغلبني إبني ويطلبني ذنبي ، قال : فقدمت المدينة فلقيت سعد بن أبي وقّاص فقلت : أبا إسحاق ! مَن قتل عثمان؟ قال : قتله سيف سلّته عائشة ، وشحّذه طلحة ، و سمّه عليٌّ . قلت : فما حال الزبير ؟ قال : أشار بيده وصمت بلسانه .

وفي الإمامة والسياسة : كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقّاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولّى كبره ، فكتب إليه سعد : إنّك سألتني من قتل عثمان ، وإنّي أُخبرك إنّه قُتل بسيف سلّته عائشة ، وصقّله طلحة ، وسمّه ابن أبي طالب ، و

(١) فيه فوائد جمّة لا تفوت الباحث وعليه به .

سكت الزبير وأشاريده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكن عثمان غيّر وتغيّر وأحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا ؛ فنستغفر الله ، وأُخبرك أنّ الزبير مغلوبٌ بغلبة أهله و بطلبه بذنبه ، و طلحة لو يجد أن يشقّ بطنه من حبّ الإمارة لشقّه .

١٩ـ وقال ابن عبد ربّه : دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت : ياأباعبد الله ! لو رأيتني يوم الجمل قد انفذت النصل هودجي حتّى وصل بعضها إلى جلدي . قال لها المغيرة : وددت والله إنّ بعضها كان قتلك . قالت : يرحمك الله ولِمَ تقول هذا ؟ قال لعلّها تكون كفّارةً في سعيك على عثمان . قالت : أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله إنّي أردت قتله ، ولكن علم الله إنّي أردت أن يُقاتل فقوتلت ، وأردت أن يُرمى فرُميت ، وأردت أن يُعصى فعصيت ، ولو علم منّي أنّي أردت قتله لقُتلت .

٢٠ـ وروى ابن عبد ربّه عن أبي سعيد الخدري قال : إنّ ناساً كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكّة فمرّ بنا عثمان فما بقي أحدٌ من القوم إلّا لعنه غيري فكان فيهم رجلٌ من أهل الكوفة فكان عثمان على الكوفة أجرأ منه على غيره فقال : ياكوفي ! أتشتمني ؟ فلمّا قدم المدينة كان يتهدّده قال : فقيل له : عليك بطلحة ، قال : فانطلق معه حتّى دخل على عثمان فقال عثمان : والله لأجلدنّه مائة سوط . قال طلحة : والله لا تجلده مائة إلّا أن يكون زانياً . قال : والله لأحرمنّه عطاءه . قال : الله يرزقه .

٢١ قال ابن الأثير والفيروز آبادي وابن منظور والزبيدي : النعثل الشيخ الأحمق ونعثل يهوديٌّ كان بالمدينة . قيل شبّه به عثمان رضي الله عنه كما في التبصير ، ونعثل رجلٌ من أهل مصر كان طويل اللحية ، قال أبوعبيد : كان يشبه عثمان ، وشاتموا عثمان يسمّونه نعثلاً ، وفي حديث عثمان انّه كان يخطب ذات يوم فقام رجلٌ فنال منه فوذأه ابن سلام فاتّذأ فقال له رجلٌ : لايمنعنك مكان ابن سلام أن تسبّ نعثلاً فإنّه من شيعته ، وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً ، وفي حديث عائشة : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً . تعني عثمان ، وكان هذا منها لمّا غاضبته وذهبت إلى مكّة ، وفي حياة الحيوان : النعثل كجعفر : الذكر من الضباع وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً .

٢٢ـ روى البلاذري في الأنساب قال : خرجت عائشة رضي الله تعالى عنها باكية

تقول : قُتل عثمان رحمه الله . فقال لها عمّار بن ياسر : أنتِ بالأمس تحرّضين عليه ثمّ أنت اليوم تبكينه .

راجع طبقات ابن سعد ٥ : ٢٥ ط ليدن ، انساب البلاذري ٥ : ٧٠ ، ٧٥ ، ٩١ ، الإمامة والسياسة ١ : ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٧ ، تاريخ الطبري ٥ : ١٤٠ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، العقد الفريد ٢ : ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، تاريخ ابن عساكر ٧ : ٣١٩ ، الاستيعاب ترجمة الأحنف صخر بن قيس ، تاريخ ابي الفداج ١ : ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٧٧ ، ٥٠٦ ، تذكرة السبط ص ٣٨ ، ٤٠ ، نهاية ابن الأثير ٤ : ١٦٦ ، اسد الغابة ٣ : ١٥ : الكامل لابن الأثير ٣ : ٨٧ ، القاموس ٤ : ٥٩ ، حياة الحيوان ٢ : ٣٥٩ ، السيرة الحلبيّة ٣ : ٣١٤ ، لسان العرب ١٤ : ١٩٣ ، تاج العروس ٨ : ١٤١ .

قال الأميني : هذه الروايات تُعطينا درساً ضافياً بنظريّة عائشة في عثمان وإنّها لم تكن ترى له جدارة تسنّم ذلك العرش ، وبالغت في ذلك حتّى ودّت إزالته عن مستوى الوجود . فأحبّت له أن يُلقي في البحر وبرجله رحىً تجرّه إلى أعماقه ، أو أنّه يُجعل في غرارة من غرائرها وتشدّ عليه الحبال فيقذف في عباب اليمّ فيرسب فيه من غير خروج ، أو أن يودي به حراب المتجمهرين عليه فتكسح عن الملأ معرّة أحدوثاته ، ولذلك كانت تثير الناس عليه بإخراج شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ثوبه و نعله ، و لم تبرح تؤلّب الملأ الديني عليه وتحثّهم على مقته وتخذِّلهم عن نصرته في حضرها وسفرها ، وإنّها لم تعدل عن تلكم النظريّة حتّى بعد ما اُجهز على عثمان إلّا لمّا علمت من إنفلات الأمر عن طلحة الذي كانت عائشة تتهالك دون تأميره وتضمر تقديمه منذ كانت تُرهج النقع على عثمان ، وتهيّج الاُمّة على قتله ، فكانت تروم أن تُعيد الإمرة تيميّة مرّة اُخرى ، و لعلّها حجّت لبثّ هاتيك الدعاية في طريقها وعند مجتمع الحجيج بمكّة ، فكان يُسمع منها قولها في طلحة : ايه ذا الاصبع ! ايه أبا شبل ! ايه يا ابن عمّ ! لكأنّي أنظر إلى اصبعه وهو يبايع له ، وقولها : ايه ذا الإصبع ! لِلّه أبوك ، أما انّهم وجدوا طلحة لها كفواً .

وقولها في عثمان : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، وقولها لابن عبّاس : إيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية ، وقولها بمكّة : بُعداً لنعثل وسحقاً ، وقولها لمّا بلغها قتله : أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلّام للعبيد .

لكنّها لمّا علمت أنّ خلافة الله الكبرى عادت علويّة واستقرّت في مقرّها الجدير بها - ولم يكن لها مع أمير المؤمنين عليه السلام هوى - قلبت عليها ظهر المجنّ، فطفقت تقول: لوددت انّ السّماء إنطبقت على الأرض إن تمّ هذا، وأظهرت الأسف على قتل عثمان ورجعت إلى مكّة بعد ما خرجت منها، ونهضت ثائرةً تطلب بدم عثمان لعلّها تجلب الإمرة إلى طلحة من هذا الطريق، وإلّا فماهي من أولياء ذلك الدم، وقد وُضع عنها قود العساكر ومباشرة الحروب، لأنّها امرأة خلقها الله لخدرها، وقد نهيت كبقيّة نساء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خاصّة عن التبرّج، وقد أنذرها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحذّرها عن خصوص واقعة الجمل، غير أنّها اعرضت عن ذلك كلّه لما ترجّح في نظرها من لزوم تأييد أمر طلحة، وتصاممت عن نبح كلاب الحوأب، وقد ذكره لها الصّادق الأمين عند الإنذار والتحذير، ولم تزل يقودها الأمل حتّى قُتل طلحة فألمّت بها الخيبة، وغلب أمر الله وهي كارهة.

٣ - حديث عبدالرحمن بن عوف

أحد العشرة المبشّرة، شيخ الشورى، بدريّ.

١ - أخرج البلاذري عن سعد قال: لمّا توفّي أبوذر بالربذة تذاكر عليّ و عبدالرّحمن بن عوف فعل عثمان فقال عليّ: هذا عملك. فقال عبدالرّحمن: إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، انّه قد خالف ما أعطاني.

٢ - قال أبو الفدا: لمّا أحدث عثمان رضي الله عنه ما أحدث من توليته الأمصار للأحداث من أقاربه روي انّه قيل لعبدالرحمن بن عوف: هذا كلّه فعلك. فقال: ما كنت أظنّ هذا به، لكن لله عليّ أن لا أُكلّمه ابداً، ومات عبدالرّحمن وهو مهاجر لعثمان رضي الله عنهما، ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه فتحوّل إلى الحائط ولم يُكلّمه.

٣ - روى البلاذري من طريق عثمان بن الشريد قال: ذُكر عثمان عند عبدالرّحمن ابن عوف في مرضه الذي مات فيه فقال عبد الرّحمن: عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه فبلغ ذلك عثمان فبعث إلى بئر كان يُسقى منها نعم عبدالرّحمن بن عوف فمنعه إيّاها فقال عبد الرحمن: اللهمّ اجعل ماءها غوراً. فما وجدت فيها قطرة.

٤ - عن عبدالله بن ثعلبة قال: إنّ عبدالرّحمن بن عوف كان حلف ألا يكلّم عثمان أبداً.

٥ - عن سعد قال : إنّ عبدالرّحمن أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان ، فصلّى عليه الزبير أو سعد بن أبي وقاص ، وتوفّي سنة اثنتين وثلاثين .

٦ - قال ابن عبد ربّه : لمّا أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلّة من أصحاب محمّد قيل لعبدالرّحمن : هذا عملك . قال : ماظننت هذا . ثمّ مضى ودخل عليه وعاتبه وقال : إنّما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال : إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله . قال عبد الرّحمن : لله عليّ أن لا اُكلّمك أبداً . فلم يكلّمه أبداً حتّى مات و هو مهاجرٌ لعثمان ، ودخل له عثمان عائداً له في مرضه فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه .

راجع انساب البلاذري ٥ : ٥٧ ، العقد الفريد ٢ : ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، تاريخ ابي الفداج ١ : ١٦٦ .

٧ - أخرج الطبري من طريق المسور بن المخرمة قال : قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم فبلغ ذلك عبدالرّحمن بن عوف فأرسل إلى المسور بن المخرمة وإلى عبدالرّحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها فقسّمها عبدالرّحمن في الناس وعثمان في الدار .

تاريخ الطبري ٥ : ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٦٥ .

٨ - قال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل : اُستجيبت دعوة عليّ عليه السلام في عثمان وعبدالرّحمن فماماتا إلّا متهاجرين متعاديين ، أرسل عبدالرّحمن إلى عثمان يعاتبه (إلى أن قال) : لمّا بنى عثمان قصره طمار الزوراء وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس اليه كان فيهم عبدالرّحمن فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال : يا ابن عفان ! لقد صدّقنا عليك ماكنّا نكذّب فيك ، وإنّي أستعيذ بالله من بيعتك ، فغضب عثمان وقال : أخرجه عنّي ياغلام ! فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه ، فلم يكن يأتيه أحدٌ إلّا ابن عبّاس كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض ، ومرض عبدالرّحمن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلّمه حتّى مات . شرح ابن أبي الحديد ١ : ٦٥ ، ٦٦ .

قول العسكري : اُستجيبت دعوة عليّ . إشارةٌ إلى ما ورد من قوله ﷺ يوم الشورى لعبدالرّحمن بن عوف : والله ما فعلتها إلّا لأنّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه دقّ الله بينكما عطر منشم [1] .

ومنشم امرأة عطّارة من حمير ، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها ، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثر القتلى فيما بينهم ، فكان يقال : أشأم من عطر منشم فصار مثلاً .

وقول عبدالرّحمن : لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذّب فيك . ايعازٌ إلى قول مولانا أميرالمؤمنين يوم الشورى ايضاً : أما إنّي أعلم أنّهم سيولون عثمان ، وليحدثنّ البدع و الأحداث ، و لئن بقي لأذكرنّك ، وإن قُتل أو مات ليتداولونها بنو اُميّة بينهم ، وإن كنت حيّاً لتجدني حيث تكرهون [2] .

قال الشيخ محمّد عبده في شرح نهج البلاغة ١ : ٣٥ : لمّا حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ، ووجد عليه كبار الصحابة روي إنّه قيل لعبد الرحمن : هذا عمل يديك . فقال : ماكنت أظنّ هذا به ولكن لله عليّ أن لا اُكلّمه أبداً ، ثمّ مات عبدالرحمن وهو مهاجرٌ لعثمان ، حتّى قيل : أنّ عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحوّل إلى الحائط لا يكلّمه ، والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء .

وقال ابن قتيبة في المعارف ص ٢٣٩ : كان عثمان بن عفّان مهاجراً لعبدالرّحمن ابن عوف حتّى ماتا .

قال الأميني ، لابدّ أن يُسائل هؤلاء عن أشياء فيقال لهم : إنّ سيرة الشيخين التي بويع عثمان عليها هل كانت تطابق سنّة رسول الله ﷺ أو تخالفها ؟ وعلى الأوّل فشرطها مستدركٌ ، ولا شرط للخلافة إلّا مطابقة كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ ولا نقمة على تاركها إلّا بترك السنّة لا السيرة ، فذكرها إلى جانب السنّة الشريفة كضمّ اللاحجّة إلى الحجّة ، أو كوضع الحجر إلى جنب الإنسان ، وعلى الثاني فإنّ من

(١) شرح ابن ابى الحديد ١ : ٦٣ .
(٢) شرح ابن ابى الحديد ١ : ٦٤ .

الواجب على كلّ مسلم مخالفتها بعد فرض إيمانه بالله وبكتابه ورسوله واليوم الآخر ، فكان من حق المقام أن ينكروا على عثمان مخالفة السنّة فحسب . ولهذا لم يقبل مولانا أميرالمؤمنين لمّا ألقى إليه عبدالرّحمن أمرالبيعة على الشرط المذكور إلّا مطابقة أمره للسنّة والاجتهاد فيها [1].

وليت شعري إنّه لمّا شرط ابن عوف على عثمان ذلك هل كان يعلم بما قلناه من الموافقة أو المخالفة أو لا ؟ وعلى فرض علمه يتوجّه عليه ما سطرناه على كلّ من الفرضين ، وعلى تقدير عدم علمه وهو أبعد شيء يفرض فكيف شرط عليه ما لا يعلم حقيقته ، و كيف يناط أمر الدين و زعامته الكبرى بحقيقة مجهولة ؟ وما الفائدة في إشتراطه ؟ .

وللباقلاني في التمهيد ص ٢١٠ في بيان هذا الشرط وجه نُجلّ عنه ساحة كلّ متعلّم فاهم فضلاً عن عالم مثله .

ثمّ نأتي إلى عثمان فنحاسبه على قبوله لأوّل وهلة ، هل كان يعلم شيئاً ممّا قدّمناه من النسبة بين السنّة والسيرة أولاً ؟ فهلّا شرط الأمر على تقدير الموافقة ؟ ورفضه على فرض المخالفة ؟ وإن كان لا يعلم فكيف قبل شرطاً لا يدري ما هو ؟ ثمّ هل كان يعلم يومئذ أنّه يطيق على ذلك أو لا ؟ أو كان يعلم أنّه لا يطيقه ؟ وعلى الأخير فكيف قبل مالا يطيقه ؟ وعلى الثاني كيف أقدم على الخطر فيما لا يعلم انّه يتسنّى له أن ينوء به ؟ وعلى الأوّل فلماذا خالف ما اُشترط عليه وقبله ووقعت البيعة عليه ؟ وحصل القبول والرضا من الاُمّة به ؟ ثمّ جاء يعتذر لمّا أخذه ابن عوف بمخالفته إيّاها بأنّه لا يطيق ذلك فقال فيما أخرجه أحمد في مسنده ١ : ٦٨ من طريق شقيق : وأمّا قوله : ولم أترك سنّة عمر ؟ فإنّي لا اُطيقها ولا هو . وذكره ابن كثير في تاريخه ٧ : ٢٠٦ .

وكيفما اُجيب عن هذه المسائل فعبرتنا الآن بنظريّة عبد الرّحمن بن عوف الأخيرة في الخليفة ، وهي من أوضح الحقايق لمن استشفّ ما ذكرناه من قوله له : إنّي أستعيذ بالله من بيعتك . وقوله لمولانا أميرالمؤمنين عليه السلام : إذا شئت فخذ سيفك وآخذ

---

(١) مسند احمد ١ : ٧٥ ، تاريخ الطبرى ٥ : ٤٠ ، تمهيد الباقلانى ص ٢٠٩ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٤٦ .

سيفي . إلخ . مستحلاً قتاله ، و قوله : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه . وقد بالغ في الإنكار عليه و رأيه في سقوطه انَّه لم يره أهلاً للصَّلاة عليه وأوصى بذلك عند وفاته فصلّى عليه الزبير، وهجره وحلف أن لا يكلّمه أبداً حتّى انَّه حوَّل وجهه إلى الحائط لمَّا جاء عائداً ، وإنَّه كان لا يرى لتصرّفاته نفوذاً ولذلك لمَّا بلغه إعطاء عثمان إبل الصدقة لبعض بني الحكم أرسل إليها المسور بن المخرمة و عبد الرَّحمن بن الأسود فأخذها فقسَّمها عبد الرَّحمن في النَّاس وعثمان في الدار ، ولهذه كلّها كان يراه عثمان منافقاً و يقذفه بالنفاق كما ذكره ابن حجر في الصواعق ص ٦٨ وأجاب عنه متسالماً عليه بأنَّه كان متوحّشاً منه لأنَّه كان يجيئه كثيراً . إقرأ واضحك . وذكره الحلبي في السيرة ٢ : ٨٧ فقال: أجاب عنه ابن حجر ولم يذكر الجواب لعلمه بأنَّه أُضحوكة .

و نسائل القوم بصورة أُخرى مع قطع النظر عن جميع ما قلناه : إنَّ ما أُشترط على عثمان وُعقد عليه أمره هل كان واجب الوفاء ؟ أو كان لعثمان منتدحٌ عنه بتركه ؟ وعلى الأوَّل فما وجه مخالفة الخليفة له ؟ و لماذا لم يقبله مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام وهو عيبة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعارف بأحكامه وسننه وبصلاح الأُمَّة منذ بدء أمرها إلى منصرمه ، وهل يخلع الخليفة في صورة المخالفة ؟ فلماذا كان عثمان لا يروقه التنازل عن أمره لمَّا أرادت الصحابة خلعه للمخالفة ؟ أو أنَّه لا يُخلع ؟ فلماذا تجمهروا عليه فخلعوه وقتلوه ؟ وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العدول كلّهم في نظر القوم ، و إن كان لا يجب الوفاء به ؟ فلماذا لم يبايعو أميرالمؤمنين عليه السلام لمَّا جاء بعدم الإلتزام بما لا يجب الوفاء به ؟ وما معنى إعتذار عبدالرَّحمن بن عوف في تقديمه عثمان على أميرالمؤمنين عليه السلام بأنَّه قبل متابعة سيرة الشيخين ولم يقبلها عليٌّ عليه السلام ؟ و لماذا ألزموا عثمان به ؟ و لماذا التزم به عثمان ؟ و لما ذا تمَّت البيعة عليه ؟ و لما ذا تجمهروا عليه لمَّا شاهدوا منه المخالفة ؟ .

وَلَيُسْئَلُنَّ يومَ القِيامَةِ عمّا كانُوا يَفتَرونَ
فيومَئِذٍ لا يَنفَعُ الذينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهم وَلا هُمْ يُستَعتَبون

٤- حديث طلحة بن عبيد الله
أحد العشرة المبشّرة ، وأحد الستّة أصحاب الشورى

١- من كلام لمولانا أميرالمؤمنين في طلحة : و الله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته ، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه ، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك ، ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث : لئن كان ابن عفّان ظالماً - كما كان يزعم - لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه أو ينابذ ناصريه . و لئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعذّرين فيه . ولئن كان في شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً ويدع النّاس معه ، فما فعل واحدة من الثلاث ، وجاء بأمر لم يعرف بابه ، ولم تسلم معاذيره (١) .

قال إبن أبي الحديد في الشرح ٢ : ٥٠٦ : فإن قلت : يمكن أن يكون طلحة إعتقد إباحة دم عثمان أوّلاً ثمّ تبدّل ذلك الإعتقاد بعد قتله فاعتقد أنّ قتله حرامٌ وأنّه يجب أن يقتصّ من قاتليه . قلت : لو اعترف بذلك لم يقسم عليٌّ عليه السلام هذا التقسيم و إنّما قسّمه لبقائه على إعتقاد واحد ، وهذا التقسيم مع فرض بقائه على إعتقاد واحد صحيحٌ لا مطعن فيه ، وكذا كان حال طلحة فإنّه لم ينقل عنه إنّه قال : ندمت على ما فعلت بعثمان .

فإن قلت : كيف قال أميرالمؤمنين : فما فعل واحدةً من الثلاث ؟ وقد فعل واحدة منها لأنّه وازر قاتليه حيث كان محصوراً . قلت : مراده : إنّه إن كان عثمان ظالماً وجب أن يوازر قاتليه بعد قتله يحامي عنهم ويمنعهم ممّن يروم دماءهم ، ومعلوم أنّه لم يفعل ذلك . وإنّما وازرهم وعثمان حيٌّ وذلك غير داخل في التقسيم . اه .

٢- أخرج الطبري من طريق حكيم بن جابر قال : قال عليٌّ لطلحة - و عثمان محصورٌ - : أنشدك الله إلّا رددت النّاس عن عثمان قال : لا والله حتّى تعطي بنوأميّة الحقّ من أنفسها .

---

(١) نهج البلاغة ١ : ٣٢٣ .

تاريخ الطبري ٥ : ١٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٦٨ فقال : فكان علي عليه السلام يقول : لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل .

٣ ـ أخرج الطبري من طريق بشر بن سعيد قال : حدّثني عبدالله بن عبّاس بن أبي ربيعة قال : دخلت على عثمان رضي الله عنه فتحدّثت عنه ساعة فقال : يا ابن عبّاس ! تعال فأخذ بيدي فأسمعني كلام مَن على باب عثمان فسمعنا كلاماً ، منهم من يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم مَن يقول : انظروا عسى أن يراجع ، فبينا أنا و هو واقفان إذ مرّ طلحة بن عبيدالله فوقف فقال : أين ابن عديس ؟ فقيل : ها هو ذا . قال : فجاء ابن عديس فناجاه بشيء ثمّ رجع ابن عديس فقال لأصحابه : لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده قال : فقال لي عثمان : هذا ما أمر به طلحة بن عبيدالله ثمّ قال عثمان : أللهمّ اكفني طلحة بن عبيد الله فإنّه حمل عليّ هؤلاء وألّبهم ، والله إنّي لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه ، انّه انتهك منّي مالا يحلّ له ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحلّ دم امرئ مسلم إلّا في إحدى ثلاث : رجلٌ كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجلٌ زنى بعد إحصانه فيرجم ، أو رجلٌ قتل نفساً بغير نفس . ففيمَ اُقتل ؟ قال : ثمّ رجع عثمان . قال ابن عبّاس : فأردت أن أخرج فمنعوني حتّى مرّ بي محمّد بن أبي بكر فقال : خلّوه . فخلّوني . تاريخ الطبري ٥ : ١٢٢ ، الكامل ابن الأثير ٣ : ٧٣ .

٤ـ أخرج الطبري من طريق الحسن البصري : إنّ طلحة بن عبيدالله باع أرضاً له من عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه فقال طلحة : إنّ رجلاً تتسق هذه عنه [1] وفي بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله عزّوجلّ لغرير بالله سبحانه ، فبات ورسوله يختلف بها في سكك المدينه يقسّمها حتّى أصبح فأصبح و ما عنده منها درهم . قال الحسن : و جاء هاهنا يطلب الدينار والدرهم . أو قال : الصفراء والبيضاء .

تاريخ الطبري ٥ : ١٣٩، تاريخ ابن عساكر ٧ : ٨١.

٥ ـ حكى ابن أبي الحديد عن الطبري : انّ عثمان كان له على طلحة خمسون الفاً فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة : قد تهيّأ مالك فاقبضه فقال : هو لك

(١) في شرح ابن ابي الحديد : عنده .

يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . قال : فكان عثمان يقول وهو محصور جزاء سنمار [1] .

وقال ابن أبي الحديد : كان طلحة من أشد الناس تحريضاً عليه ، و كان الزبير دونه في ذلك . روي ان عثمان قال : ويلي على ابن الحضرمية - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرض على نفسي ، أللهم لاتمتعه به ولقه عواقب بغيه .

قال : وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار : ان طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام ، ورووا ايضاً : أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه . شرح ابن أبي الحديد ٢:٤٠٤ .

٦ - روى المدائني في كتاب مقتل عثمان : إن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام ، وإن علياً لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام ، و أن حكيم بن حزام أحد بني أسد ابن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحرث بن نوفل استنجدا بعلي على دفنه فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه ، فأرسل علي إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه ، فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب .

وأخرج المدائني في الكتاب قال : دفن عثمان بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وابنة عثمان وثلاثة من مواليه فرفعت ابنته صوتها تندبه وقد جعل طلحة ناساً هناك أكمنهم كميناً فأخذتهم الحجارة وصاحوا : نعثل نعثل . فقالوا : الحائط الحائط . فدفن في حائط هناك .

٧ - أخرج الواقدي قال : لما قتل عثمان تكلموا في دفنه فقال طلحة : يدفن بدير سلع . يعني مقابر اليهود . ورواه الطبري في تاريخه ٥ : ١٤٣ غير أن فيه مكان طلحة : رجل .

٨ - أخرج الطبري بالاسناد قال : حصر عثمان وعلي بخيبر فلما قدم أرسل إليه

(١) هذا الحديث اخرجه الطبري في تاريخه ٥ : ١٣٩ وليس فيه ما حكاه عنه ابن أبي الحديد (فكان عثمان يقول وهو محصور : جزاء سنمار) .

عثمان يدعوه فانطلق فقلت : لأنطلقنّ معه ولأسمعنّ مقالتهما ، فلمّا دخل عليه كلّمه عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد فإنّ لي عليك حقوقاً حقّ الإسلام وحقّ الإخاء، وقد علمت أنّ رسول الله ﷺ حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك ، وبين حقّ القرابة والصهر وماجعلت لي في عنقك من العهد والميثاق ، فوالله لو لم يكن من هذا شيء ثمّ كنّا إنّما نحن في جاهليّة لكان مبطّأً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تيم ملكهم . فتكلّم عليّ فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد : فكلّ ما ذكرتَ من حقّك عليّ على ما ذكرت ، أمّا قولك : لو كنّا في جاهليّة لكان مبطّأً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تيم ملكهم ، فصدقت وسيأتيك الخبر . ثمّ خرج فدخل المسجد فرأى اُسامة جالساً فدعاه فاعتمد على يده فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهي رجّاس من الناس فقام إليه فقال : ياطلحة ! ماهذا الأمر الذي وقعت فيه ؟ فقال : يا أباحسن ! بعد مامسّ الحزام الطبيين[1] فانصرف عليّ و لم يحر إليه شيئاً حتّى أتى بيت المال فقال : افتحوا هذا الباب . فلم يقدر على المفاتيح فقال : اكسروه فكُسر باب بيت المال فقال : أخرجوا المال . فجعل يعطي النّاس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع عليّ فجعلوا يتسلّلون إليه حتّى تُرك طلحة وحده ، و بلغ الخبر عثمان فسرّ بذلك ، ثمّ أقبل طلحة يمشي عامداً إلى دار عثمان فقلت : والله لأنظرنّ مايقول هذا فتتبّعته فاستأذن على عثمان فلمّا دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ! أستغفر الله وأتوب إليه أردت أمراً فحال الله بيني وبينه ، فقال عثمان : إنّك والله ما جئت تائباً ولكنّك جئت مغلوباً ، الله حسيبك ياطلحة . تاريخ الطبري ٦ : ١٥٤ ، كامل ابن الأثير ٣ : ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٦٥ !. تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٩٧ .

قال الأميني : هذا لفظ تاريخ الطبري المطبوع وقد لعبت به أيدي الهوى بالتحريف وزادت فيه حديث الإخاء بين عثمان وعليّ المتسالم على بطلانه بين فرق المسلمين ، كأنّ القوم آلوا على أنفسهم بأن لا يدعوا حديثاً إلّا شوّهوه بالاختلاق ، وقد حكى ابن أبي الحديد هذا الحديث عن تاريخ الطبري في شرحه ٢ : ٥٠٦ ولا توجد فيه مسألة الإخاء وإليك لفظه :

---

(١) أي : اشتدّ الامر وتفاقم . كتب عثمان الى عليّ عليه السلام : قد بلغ السيل الزبا وجاوز الحزام الطبيين . تاج العروس ١ : ٢٢٢ .

روى الطبري في التاريخ : أنّ عثمان لمّا حصر كان عليّ عليه السلام بخيبر في أمواله فلمّا قدم أرسل إليه يدعوه فلمّا دخل عليه قال له : إنّ لي عليك حقوقاً : حقّ الإسلام ، وحقّ النسب ، وحقّ مالي عليك من العهد والميثاق ، ووالله إن لو لم يكن من هذا كلّه شيءٌ وكنّا في جاهليّة لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو تيم ملكهم يعني طلحة ، فقال له عليه السلام : سيأتيك الخبر . إلى آخر الحديث باللفظ المذكور .

وقد أسلفنا في الجزء الثالث ص ١٠٤-١١٦ حديث المواخاة بأوسع ما يُسطر وفيه : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي واخى أمير المؤمنين عليه السلام لا غيره .

٩- ذكر البلاذري في حديث : إنّ طلحة قال لعثمان : إنّك أحدثت أحداثاً لم يكن النّاس يعهدونها ، فقال عثمان : ما أحدثت أحداثاً ولكنّكم أظنّاء تفسدون عليّ النّاس وتؤلّبوهم . الأنساب ٥ : ٤٤ .

١٠- حكى البلاذري عن أبي مخنف وغيره : حرس القوم عثمان ومنعوا من أن يُدخل عليه ، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يُحرم ويُلبّي ويخرج فيأتي مكّة فلا يُقدم عليه . فبلغهم قوله فقالوا : والله لئن خرج لا فارقناه حتّى يحكم الله بيننا وبينه ، واشتدّ عليه طلحة بن عبيد الله في الحصار ، ومنع من أن يُدخل إليه الماء حتّى غضب عليّ ابن أبي طالب من ذلك ، فأُدخلت عليه روايا الماء . الأنساب ٥ : ٧١ .

١١- في رواية للبلاذري ص ٩٠ : كان الزبير وطلحة قد استوليا على الأمر ، و منع طلحة عثمان من أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل عليّ إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة : أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بئره يعني بئر رومة ، و لا تقتلوه من العطش . فأبى فقال عليّ : لولا أنّي قد آليت يوم ذي خُشب انّه إن لم يُطعني لأردّ عنه أحداً لأدخلت عليه الماء .

وفي الإمامة والسياسة ١ : ٣٤ : أقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً و نهاراً وطلحة يحرّض الفريقين جميعاً على عثمان ، ثمّ إنّ طلحة قال لهم : إنّ عثمان لا يبالي ما حضرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه .

١٢ - قال البلاذري : قالوا : مرّ مجمع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيد الله فقال : يا مجمّع ما فعل صاحبك ؟ قال : أظنكم والله قاتليه . فقال طلحة : فإن قُتل فلا

ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ . الأنساب ٥ : ٧٤ .

١٣ ـ وروى البلاذري في حديث : وسلّم عثمان على جماعة فيهم طلحة فلم يردّوا عليه فقال : يا طلحة ! ما كنت أرى إنّه أعيش إلى أن اُسلّم عليك فلا تردّ عليّ السّلام الأنساب ٥ : ٧٦ .

كأنّ هذه القضيّة غير ما وقع في أيّام الحصار الثاني ممّا ذكره الديار بكري في تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٠ قال : أشرف عثمان عليهم ذات يوم وقال : السّلام عليكم . فما سمع أحداً من الناس يردّ عليه إلّا أن يردّ في نفسه . وسيوافيك حديث جبلة بن عمرو الأنصاري ونهيه الناس عن ردّ السّلام على عثمان إذا سلّمهم .

١٤ ـ أخرج البلاذري من طريق يحيى بن سعيد قال : كان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار ، فبعث عثمان عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب إلى عليّ بهذا البيت :

وإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي ✡ وإلّا فأدركني و لمّا اُمزّق (١)

وقال أبو مخنف : صلّى عليٌّ بالناس يوم النحر وعثمان محصورٌ فبعث إليه عثمان ببيت الممزّق ، وكان رسوله به عبد الله بن الحارث ففرّق عليٌّ الناس عن طلحة ، فلمّا رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر فقال له عثمان : يا ابن الحضرميّة ! ألّبت عليّ الناس ودعوتهم إلى قتلي حتّى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً ، لاقبل الله ممّن قبل عذرك . الأنساب ٥ : ٧٧ .

١٥ ـ روى البلاذري باسناده من طريق ابن سيرين انّه قال : لم يكن من أصحاب النبيّ ﷺ أشدّ على عثمان من طلحة . الأنساب ٥ : ٨١ ، وذكره ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٢ : ٢٦٩ .

١٦ ـ أخرج ابن سعد وابن عساكر قال : كان طلحة يقول يوم الجمل : إنّا داهنّا في أمر عثمان فلا نجد شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه ، أللهمّ خذ لعثمان منّي اليوم حتّى ترضى . طبقات ابن سعد ؛ تاريخ ابن عساكر ٧ : ٨٤ ، تذكرة السبط ص ٤٤ .

١٧ ـ أخرج ابن عساكر قال : كان مروان بن الحكم في الجيش ـ يوم الجمل ـ

(١) هذا البيت للممزق العبدى شاش بن لها بن الاسود . وبه سمي الممزق .

فقال : لأطلب بثاري بعداليوم ، فهوالذي رمى طلحة فقتله ، ثمّ قال لأبان بن عثمان : قد كفيتك بعض قتلة أبيك ، وكان السهم قدوقع في عين ركبته ، فكانوا إذا أمسكوها انتفخت وإذا أرسلوها انبعثت فقال : دعوها فانّها سهمٌ أرسله الله . تاريخ ابن عساكر ٧ : ٨٤ .

قال أبو عمر في الاستيعاب : لايختلف العلماء الثقات في أنّ مروان قتل طلحة يومئذ وكان في حزبه ، روى عبدالرّحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال طلحة يوم الجمل :

ندمت ندامة الكُسَعيّ لمّا ✿ شريت رضا بني جرم برغمي[1]

أللهمّ خذ منّي لعثمان حتى يرضى .

« بيان » الكسع : حيٌّ من قيس عيلان ، و قيل : هم حيٌّ من اليمن رماة ، و منهم الكسعيُّ الذي يضرب به المثل في الندامة وهو رجلٌ رامٍ رمى بعد ما أسدف الليل عِيراً فأصابه و ظنّ انّه أخطأه فكسّر قوسه و قيل : وقطع إصبعه ثمّ ندم من الغد حين نظر إلى العِير مقتولا و سهمه فيه ، فصار مثلاً لكلّ نادم على فعل يفعله . و إيّاه عنى الفرزدق بقوله :

ندمت ندامة الكُسعيّ لمّا ✿ غدت منّي مطلّقةً نوارُ

وقال آخر :

ندمت ندامة الكُسعيّ لمّا ✿ رأت عيناه ما فعلت يداه

وقيل : كان اسم الكُسعيّ محارب بن قيس .

وأخرج أبو عمر من طريق ابن أبي سبرة قال : نظر مروان إلى طلحة يوم الجمل فقال : لأطلب بثاري بعداليوم . فرماه بسهم فقتله .

وأخرج من طريق يحيى بن سعيد عن عمّه انّه قال : رمى مروان طلحة بسهم ثمّ التفت إلى أبان بن عثمان فقال : قد كفينا بعض قتلة أبيك .

و أخرج من طريق قيس نقلاً عن ابن أبي شيبة انّ مروان قتل طلحة ، و من طريق وكيع واحمد بن زهير باسنادهما عن قيس بن أبي حازم حديث : لأطلب بثاري

(١) هذا البيت معه ثلاثة ابيات اخر ذكرها ابن الاثير في اسد الغابة ٣ : ١٠٤ ، وسبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٤٤ .

بعداليوم . وزاد في « اسدالغابة » مامرّ من قول مروان لأبان .

و قال ابن حجر في الإصابة ٢ : ٢٣٠ : روى ابن عساكر من طرق[1] متعددة : أنّ مروان بن الحكم هو الذي رماه فقتله ، منها : وأخرجه أبو القاسم البغوي بسند صحيح عن الجارودبن أبي سبرة قال : لمّا كان يوم الجمل نظر مروان إلى طلحة فقال : لا أطلب ثاري بعد اليوم فنزع له بسهم فقتله .

وأخرج يعقوب بن سفيان بسندصحيح عن قيس بن أبي حازم أنّ مروان بن الحكم رأى طلحة في الخيل فقال : هذا أعان على عثمان فرماه بسهم في ركبته ، فما زال الدم يسيح حتّى مات . وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣ : ٣٧٠ .

أخرجه عبد الحميد بن صالح عن قيس ، وأخرجه الطبراني من طريق يحيى بن سليمان الجعفي عن وكيع بهذا السند قال : رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع في عين ركبته ، فمازال الدم يسيح إلى أن مات .

وأخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ٣٧٠ من طريق عكراش قال : كنّا نقاتل عليّاً مع طلحة ومعنا مروان قال : فانهزمنا فقال مروان : لا أدرك بثاري بعد اليوم من طلحة فرماه بسهم فقتله .

وقال محبّ الدين الطبري في الرياض ٢ : ٢٥٩ : المشهور أنّ مروان بن الحكم هو الذي قتله رماه بسهم وقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم . وذلك أنّ طلحة زعموا انّه كان ممّن حاصر عثمان واشتدّ عليه .

وأخرج البلاذري في « الأنساب » ص ١٣٥ في حديث عن روح بن زنباع : إنّه قال : رمى مروان طلحة فاستقاد منه لعثمان .

يوجد حديث قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله أخذاً بثارعثمان في مروج الذهب ٢ : ١١ ، العقد الفريد ٢ : ٢٧٩ ، مستدرك الحاكم ٣ : ٣٧٠ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٤ ، صفة الصفوة لابن الجوزي ١ : ١٣٢ ، اُسدالغابة ٣ : ٦١ ، دول الإسلام للذهبي

(١) حذفتها يدالطبع الامينة على ودايع العلم حيا الله الامانة . لقد لعبت يدالشيخ عبدالقادر بن بدران بتاريخ ابن عساكر لمّا هذبه ورتبه على زعمه فأخرج عما هوعليه ، وجعله مسيخاً مشوّهاً بادخال آرائه الساقطة فيه ، وأسقط منه أحاديث كثيرة متناً واسناداً ممّا لايروقه .

١ ، ١٨ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٤٧ ، تذكرة السبط ص ٤٤ ، مرآة الجنان لليافعي ١ : ٩٧ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٢١ ، تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ٧ : ١٨٩ .

١٨ـ أخرج ابن سعد بالاسناد عن شيخ من كلب قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : لولا أنَّ أميرالمؤمنين مروان أخبرني انّه قتل طلحة ما تركت أحداً من ولد طلحة إلّا قتلته بعثمان .

١٩ـ أخرج الحميدي في النوادر من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن مروان قال : دخل موسى بن طلحة على الوليد فقال له الوليد : ما دخلتَ عليَّ قطُّ إلّا هممتُ بقتلك لولا أنَّ أبي أخبرني أنَّ مروان قتل طلحة . تهذيب التهذيب ٥ : ٢٢ .

٢٠ـ أخرج الطبري في حديث : فقام طلحة والزبير خطيبين (يعني بالبصرة) فقالا : يا أهل البصرة توبةٌ بحوبة ، إنّما أردنا أن يُستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله فغلب سفهاء النّاس الحلماء حتّى قتلوه . فقال النّاس لطلحة : يا أبا محمّد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا . تاريخ الطبري ٥ ١٧٩٠ .

٢ـ ذكر المسعودي في حديث وقعة الجمل : ثمَّ نادى عليٌّ رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير : ياأبامحمّد ؛ ما الذى أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان . قال عليٌّ : قتل الله أولانا بدم عثمان[1] مروج الذهب ٢ : ١١ .

٢٢ـ لمّا نزل طلحة والزبير السبخة[2] أتاهما عبدالله بن الحكيم التميمي لكتب كانا كتباها إليه فقال لطلحة : يا أبا محمّد ؛ أماهذه كتبك إلينا ؟ قال : بلى . قال : فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه ، فلعمري ما هذا رأيك ، لا تريد إلّا هذه الدنيا ، مهلاً إذا كان هذا رأيك فلمَ قبلت من عليٍّ ما عرض عليك من البيعة ؟ فبايعته طائعاً راضياً ثمَّ نكثت بيعتك ، ثمَّ جئت لتدخلنا في فتنتك . الحديث .[3]

٢٣ـ قال ابن قتيبة : ذكروا انّه لمّا نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة إصطفَّ

---

(١) لقد استجاب الله تعالى دعاء الامام علية السلام فقتل طلحة فى اسرع وقت .

(٢) السبخة بالتحريك موضع بالبصرة .

(٣) شرح ابن ابى الحديد ٢ : ٥٠٠ .

لها النّاس في الطريق يقولون : يا أمّ المؤمنين ! ما الذي أخرجك من بيتك ؟ فلمّا أكثروا عليها تكلّمت بلسان طلق وكانت من أبلغ النّاس فحمدت الله و أثنت عليه ثمّ قالت : أيّها النّاس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحلّ دمه[1] ولقد قتل مظلوماً ، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل ، وإنّ من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به ثمّ يردّ هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطّاب .فمن قائل يقول : صدقت . وآخر يقول : كذبت . فلم يبرح النّاس يقولون ذلك حتّى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينما هم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان . فقال لطلحة : هل تعرف هذا الكتاب ؟ قال نعم . قال : فما ردّك على ما كنت عليه ، وكنت أمس تكتب الينا تؤلّبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه ؟ وقد زعمتما انّ عليّاً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسنّ منه فأبيتما إلّا أن تقدّماه لقرابته وسابقته فبايعتماه ، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما ؟ قال طلحة : دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها و بايعه الناس ، فعلمنا حين عرض علينا انّه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار ، وخفنا أن نردّ بيعته فنقتل فبايعناه كارهين ، قال : فما بدا لكما في عثمان ؟ قال : ذكرنا ما كان من طعننا عليه و خذلاننا إيّاه ، فلم نجد من ذلك مخرجاً إلّا الطلب بدمه . قال : ما تأمراني به ؟ قال : بايعنا على قتال عليّ و نقض بيعته ، قال : أرأيتما إن أتانا بعدكما من يدعونا اليه ما نصنع ؟ قالا : لاتبايعه . قال ما أنصفتما أتأمراني أن اُقاتل عليّاً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما و تنهاني عن بيعة من لا بيعة له عليكما ؟ أما إنّنا قد بايعنا عليّاً ، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا . قال : ثمّ تفرّق النّاس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف ، و فرقة مع طلحة والزبير . ثمّ جاء جارية بن قدامة فقال : يا اُمّ المؤمنين ! لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون ، إنّه كانت لك من الله حرمة و ستر ، فهتكت سترك ، وأبحت حرمتك ، انّه من رأى قتالك فقد رأى قتلك ، فإن كنت يا اُمّ المؤمنين ! أتيتينا طائعة ؟ فارجعي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتينا مستكرهة ؟ فاستعتبي .[2]

---

(١) أنتى هذا المحال والتمحل من قوارصها التى مرّت في ص ٧٧-٨٥ .
(٢) الامامة والسياسة ١ : ٦٠ .

٢٤- ذكر ابومخنف من طريق مسافر بن عفيف من خطبة[1] لمولانا أمير المؤمنين قوله : اللهمّ إنّ طلحة نكث بيعتي وألّب على عثمان حتى قتله ثمّ عضهني به ورماني ألّلهمّ فلا تمهله ، اللهمّ إنّ الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر على عدوّي فاكفنيه اليوم بماشئت[2] .

٢٥- أخرج الطبري في تاريخه ٥ : ١٨٣ من طريق علقمة بن وقاص الليثي قال : لمّا خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم رأيت طلحة وأحبّ المجالس إليه أخلاها وهو ضاربٌ بلحيته على زَوره[3] فقلت : يا أبا محمّد ! أرى أحبّ المجالس اليك أخلاها وأنت ضاربٌ بلحيتك على زورك ، إن كرهت شيئاً فاجلس . قال : فقال لي : ياعلقمة بن وقّاص ! بينا نحن يدٌ واحدة على مَن سوانا إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً انّه كان منّي في عثمان شيءٌ ليس توبتي إلّا أن يُسفك دمي في طلب دمه .

الوجه في هذه التوبة إن صحّت وكان الموءود من النفوس المحترمة أن يسلّم نفسه لأولياء القتيل أو لإمام الوقت فيقيدوا منه ، لاأن يلقح فتنة كبرى تُراق فيها دماءٌ بريئة من دم عثمان ، و تزهق أنفسٌ لم تكن هنالك في حلّ و لا مرتحل ، فيكون قد زاد ضغثاً على إبّالة ، وجاء بها حشفاً وسوء كيلة .

٥ - حديث الزبير بن العوام

أحد العشرة المبشّرة ، وأحد أصحاب الشورى الستّ .

١ - أخرج الطبري في حديث وقعة الجمل : خرج عليٌّ على فرسه فدعا الزبير فتواقفا فقال عليٌّ للزبير : ما جاء بك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منّا . فقال عليٌّ : لستُ[4] له أهلاً بعد عثمان رضي الله عنه ؟ قد كنّا نعدّك من بني عبدالمطلب حتّى بلغ إبنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك . وعظّم عليه أشياء فذكر أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مرّ عليهما فقال لعليّ : ما يقول ابن عمّتك ؟ ليقاتلنّك وهو لك ظالمٌ[5]

(١) ذكرها ابن ابي الحديد في شرح النهج ١ : ١٠١ .

(٢) يالها من دعوة مستجابة اصابت الرجلين من دون مهلة .

(٣) الزور : الصدر وقيل : وسط الصدر. وقيل: أعلى الصدر. وقيل : ملتقى أطراف عظام الصدر

(٤) في الكامل لابن الاثير : ألست .

(٥) هذا الحديث اخرجه جمع من الحفاظ كما اسلفناه في الجزء الثالث ص١٩١ ط٢ .

فانصرف عنه الزبير وقال : فإنّي لا أُقاتلك ، فرجع إلى ابنه عبدالله ، فقال : مالي في هذا الحرب بصيرة . فقال له ابنه : إنّك قد خرجت على بصيرة ، ولكنّك رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أنّ تحتها الموت فجبنت ، فأحفظه حتّى أرعد وغضب وقال : ويحك إنّي قد حلفت له أ لّا أُقاتله . فقال له إبنه : كفّر عن يمينك بعتق غلامك (سَرجيس) فأعتقه وقام في الصفّ معهم ، وكان عليّ قال للزبير : أتطلب منّي دم عثمان ؟ وأنت قتلته ، سلّط الله على أشدّنا عليه اليوم ما يكره (١) .

وقول عليّ عليه السلام للزبير : أتطلب منّي دم عثمان وأنت قتلته . الخ . أخرجه أيضاً الحافظ العاصمي في زين الفتى . وفي لفظ المسعودي : قال عليّ : ويحك يازبير! ماالذي أخرجك ؟ قال : دم عثمان . قال عليّ : قتل الله أولانا بدم عثمان .

قال الأميني : إنّما حلف الزبير على ترك القتال لأنّه وجده بعد تذكير الإمام عليه السلام له الحديث النبويّ ، وبعد إتمام الحجّة عليه بذلك محرّماً عليه في الدين ، وانّه من الظلم الفاحش الذي استقلّ العقل بتحريمه ، فهل التكفير بعتق الغلام يُبيح ذلك المحرّم بالعقل والشريعة ؟ ويسوّغ الخروج على الإمام المفترض طاعته ؟ لا . لكن تسويل عبد الله هو الذي فرّق بين الزبير وبين آل عبدالمطلب ، وأباح له كلّ محظور ، فقاتل إمام الوقت ظالماً كما ورد في النصّ النبويّ ، وصدّق الخُبر الخَبر .

٢ ـ ذكر المسعودي في حديث : انّ مروان بن الحكم قال ـ يوم الجمل ـ : رجع الزبير، يرجع طلحة ، ماأُبالي رميت ها هنا أم ها هنا ، فرماه في أكحله فقتله .

(مروج الذهب ٢ : ١١)

٣ ـ قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢ : ٤٠٤ : كان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك ، رووا أنّ الزبير كان يقول : اُقتلوه فقد بدّل دينكم . فقالوا له : إنّ ابنك يحامي عنه بالباب . فقال : ماأكره أن يُقتل عثمان ولو بُدئ بابني ، إنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً .

٤ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ٥ : ٧٦ من طريق أبي مخنف قال : جاء الزبير إلى عثمان فقال له : إنّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة يمنعون من ظلمك ، ويأخذونك

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ٢٠٤ ، مروج الذهب ٢ : ١٠ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ١٠٢

بالحقّ ، فأخرج فخاصم القوم إلى أزواج النبيّ ﷺ ، فخرج معه فوثب الناس عليه بالسلاح فقال : يازبير! ماأرى أحداً يأخذ بحقّ ، ولايمنع من ظلم ، ودخل ومضى الزبير إلى منزله .

٥ ـ قال البلاذري في الأنساب ٥ : ١٤ : وجدت في كتاب لعبد الله عن الصالح العجلي ذكروا : انّ عثمان نازع الزبير فقال الزبير : إن شئت تقاذفنا ؟ فقال عثمان : بما ذا أبا لبعير يا أبا عبدالله ؟ قال : لا والله ولكن بطبع خباب ، وريش المقعد ، وكان خباب يطبع السيوف ، وكان المقعد يريش النبل .

وقال ابن المغيرة بن الأخنس متغنّياً على قعود له :

حكيم و عمّار الشجا و محمّد ☆ وأشتر والمكشوح جرّوا الدواهيا
و قد كان فيها للزبير عجاجة ☆ و صاحبه الأدنى أشاب النواصيا [(١)]

٦ ـ حديث طلحة والزبير

١ ـ من كلام لمولانا أمير المؤمنين في شأن الرجلين : والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ، وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه ، ودماً هم سفكوه ، فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه ، وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلّا قبلهم، وإنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم ، وإنّ معي لبصيرتي ما لبّست ولالبّس عليّ ، وإنّها للفئة الباغية فيها الحما والحمة[(٢)]. (نهج البلاغة ١ : ٢٥٤)

وفي لفظ أبي عمر في « الإستيعاب » في ترجمة طلحة بن عبيد الله : إنّي منيت بأربعة : أدهى النّاس وأسخاهم طلحة ، وأشجع النّاس الزبير ، وأطوع النّاس في النّاس عائشة ، وأسرع النّاس إلى الفتنة يعلى بن منية ، والله ما أنكروا عليّ شيئاً منكراً ، ولا استأثرت بمال ، ولا ملت بهوى ، وانّهم ليطلبون حقّاً تركوه ، و دماً سفكوه ، ولقد ولوه دوني ، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه ، وما تبعة عثمان إلّا عندهم ، وانّهم لهم الفئة الباغية . إلى قوله ﷺ : والله إنّ طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أنّي على الحقّ وأنّهم مبطلون .

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ط مصر ص ٦٠ ، ٦٦ .

(٢) قال ابن ابي الحديد : كنى عليّ عليه السلام عن الزوجة بالحمة . وهي : سم العقرب . والحما يضرب مثلا لغير الطيب ولغير الصافي .

٢ـ من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة : أمّا بعد : فإنّي اُخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه ، إنّ النّاس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين اُكثر استعتابه ، و اُقلّ عتابه ، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف ، وكان من عائشة فيه فلتة غضب ، فاُتيح له قومٌ فقتلوه ، وبايعني الناس غير مستكرَهين ولا مجبَرين بل طائعين مخيّرين .

(نهج البلاغة ٢ : ٢ ، الإمامة والسياسة ١ : ٥٨)

قال ابن أبي الحديد في الشرح ٣ : ٢٩٠ : أمّا طلحة والزبير فكانا شديدين عليه (على عثمان) والوجيف : سير سريعٌ وهذا مثلٌ يقال للمستمرّين في الطعن عليه حتى أنّ السير السريع أبطأ ما يسيران في أمره ، والحداء العنيف أرفق ما يحرّضان به عليه.

٣ـ قال البلاذري : حدّثني المدائني عن ابن الجعدبة قال : مرّ عليٌّ بدار بعض آل أبي سفيان فسمع بعض بناته تضرب بدُف وتقول :

ظُلامة عثمان عند الزبير ☆ وأوتر منه لنـا طلحهْ

هما سعراها بأجذالهـا ☆ وكانا حقيقين بالفضحهْ

فقال عليٌّ : قاتلها الله ، ما أعلمها بموضع ثأرها ؟ الأنساب ٥ : ١٠٥ .

٤ـ أخرج الطبري من طريق ابن عبّاس قال : قدمت المدينة من مكّة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بخمسة أيّام فجئت عليّاً أدخل عليه فقيل لي : عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلّم عليّ فقال : متى قدمت؟ فقلت : ألساعة . فدخلت على عليّ فسلّمت عليه فقال لي : لقيت الزبير وطلحة ؟ قال : قلت : لقيتهما بالنواصف . قال : مَن معهما ؟ قلت : أبوسعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش . فقال عليٌّ : أما انّهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون : نطلب بدم عثمان والله نعلم أنّهم قتلة عثمان .

(تاريخ الطبري ٥ : ١٦٠)

٥ـ أخرج الطبري عن عمر بن شبه من طريق عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال : لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال : أين تذهبون ؟ و ثأركم على أعجاز الإبل اقتلوهم [1] ثمّ ارجعوا إلى منازلكم لاتقتلوا أنفسكم . قالوا :

---

(١) يعني طلحة والزبير وأصحابهما .

بل نسير فلعلّنا نقتل قتلة عثمان جميعاً . فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال : إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ أصدقاني . قالا : لأحدنا أيّنا اختاره الناس . قال : بل اجعلوه لولد عثمان فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه . قالا : ندعُ شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ؟ قال : أفلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف ؟ فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن اسيد فقال المغيرة بن شعبة : الرأي ما رأى سعيد من كان هاهنا من ثقيف فليرجع فرجع . الحديث

(تاريخ الطبري ٥ : ١٦٨)

٦ - وفي كتاب كتبه ابن عبّاس إلى معاوية جواباً : وأمّا طلحة والزبير فإنّهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه ، ثمّ خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النكث كما قاتلناك على البغي . كتاب نصر بن مزاحم ص٤٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٨٩.

٧ - قدم على حابس بن سعد سيّد طيّ بالشام ابن عمّه فأخبره أنّه شهد قتل عثمان بالمدينة المنوّرة وسار مع عليّ إلى الكوفة وكان له لسانٌ وهيبة فغدا به حابس إلى معاوية فقال : هذا ابن عمّي قدم من الكوفة ، وكان مع عليّ وشهد قتل عثمان بالمدينة وهو ثقةٌ فقال معاوية : حدّثنا عن أمر عثمان . قال : نعم وليه محمّد بن أبي بكر ، وعمّار ابن ياسر ، وتجرّد في أمره ثلاث نفر : عدي بن حاتم ، والأشتر النخعي ، وعمرو بن الحمق ، ودبّ[1] في أمره رجلان : طلحة والزبير ، وأبرأ الناس منه عليّ بن أبي طالب ثمّ تهافت الناس على عليّ بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلّت[2] النعل ، وسقط الرداء ، ووطىء الشيخ ولم يذكر عثمان ولم يذكروه . الخ .

(الإمامة والسياسة ١ ص ٧٤ ، كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٥٩) .

٨ - أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ١١٨ باسناده عن إسرائيل بن موسى أنّه قال : سمعت الحسن يقول : جاء طلحة والزبير إلى البصرة فقال لهم الناس : ما جاء بكم ؟ قالوا : نطلب دم عثمان . قال الحسن : أيا سبحان الله ! أفما كان للقوم عقولٌ فيقولون : والله ماقتل عثمان غيركم ؟

---

(١) لفظ ابن مزاحم : وجدّ في أمره رجلان .

(٢) وفي لفظ : ضاعت النعل .

٩- لمّا انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حفر أبي موسى [١] قريباً من البصرة أرسل عثمان بن حنيف وهو يومئذ عامل عليّ على البصرة إلى القوم أباالأسود الدؤلي فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت: أطلب بدم عثمان. قال: إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحدٌ، قالت. صدقت ولكنهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت استنهض اهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟ فقال لها: ماأنت من السوط والسيف؟ إنّما أنت حبيس رسول الله ﷺ أمرك أن تقرّي في بيتك، وتتلي كتاب ربّك، وليس على النساء قتال، ولالهنّ الطلب بالدماء، وانّ عليّاً لأولى بعثمان منك وأمسّ رحماً فانّهما إبنا عبد مناف. فقالت: لست بمنصرفة حتى أمضي لماقدمت إليه، أفتظنّ يا اباالأسود؛ انّ أحداً يقدم على قتالي؟ قال: أما والله لتقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد. ثمّ قام فأتى الزبير فقال: ياأبا عبدالله؛ عهد الناس بك و أنت يوم بويع أبوبكر آخذٌ بقائم سيفك تقول: لاأحد أولى بهذا الأمر من إبن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له دم عثمان، قال: أنت وصاحبك وليتماه فيمابلغنا. قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع مايقول. فذهب إلى طلحة فوجده سادراً في غيّه مصرّاً على الحرب والفتنة. الحديث.

الإمامة والسياسة ١ص٥٧، العقد الفريد ٢: ٢٧٨، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨١.

١٠- خرج عثمان بن الحنيف إلى طلحة والزبير في أصحابه فناشدهم الله والإسلام واذكرهما بيعتهما عليّاً فقالا: نطلب بدم عثمان. فقال لهما: وما أنتما وذاك؟ أين بنوه؟ أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم؟ كلّا والله، ولكنّكما حسدتماه حيث إجتمع النّاس عليه، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له، وهل كان أحدٌ أشدّ على عثمان قولاً منكما؟ فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أُمّه. الحديث. شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٠.

١١- لمّا نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد ابن العاصي على نجيب له فأشرف على النّاس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكّأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها: أين تريدين ياأُمّ المؤمنين؟ قالت: أُريد البصرة.

(١) حفر ابى موسى هى ركايا احفرها ابوموسى الاشعرى على جادة البصرة الى مكة بينها و بين البصرة خمس ليال.

قال : وما تصنعين بالبصرة ؟ قالت : أطلب بدم عثمان. قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك ، ثمّ أقبل على مروان فقال له : أين تريد أيضاً ؟ قال : البصرة . قال : وما تصنع بها ؟ قال : أطلب قتلة عثمان . قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك ، إنّ هذين الرجلين قتلا عثمان : طلحة والزبير، وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلمّا غلبا عليه قالا : نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة .

ثمّ قال المغيرة بن شعبة : أيّها النّاس إن كنتم إنّما خرجتم مع اُمّكم ؟ فارجعوا بها خيراً لكم ، وإن كنتم غضبتم لعثمان ؟ فرؤساؤكم قتلوا عثمان ، وإن كنتم نقمتم على عليّ شيئاً ؟ فبيّنوا ما نقمتم عليه ، أنشدكم الله ، فتنتين في عام واحد ؟ فأبوا إلّا أن يمضوا بالنّاس . « الإمامة والسياسة ١ : ٥٥ »

١٢ـ لمّا نزل طلحة والزبير البصرة قال عثمان بن حنيف : نعذر إليهما برجلين. فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله و أبا الأسود الدؤلي فأرسلهما إلى الرجلين فذهبا إليهما فناديا : ياطلحة ! فأجابهما فتكلّم أبو الأسود الدؤلي فقال : يا محمّد ؟ انّكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله ، وبايعتم عليّاً غير مؤامرين لنا في بيعته ، فلم نغضب لعثمان إذ قتل ، ولم نغضب لعليّ إذ بويع ، ثمّ بدا لكم فأردتم خلع عليّ ونحن على الأمر الأوّل ، فعليكم المخرج ممّا دخلتم فيه . ثمّ تكلّم عمران فقال : ياطلحة ! إنّكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا ، ثمّ بايعتم عليّاً وبايعنا من بايعتم ، فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لما ذا ؟ وإن كان خطأ ؟ فحظّكم منه الأوفر ، و نصيبكم منه الأوفى ، فقال طلحة : يا هذان إنّ صاحبكما لا يرى أنّ معه في هذا الأمر غيره وليس على هذا بايعناه ، و أيم الله ليسفكنّ دمه . فقال أبو الأسود : يا عمران ! أمّا هذا فقد صرّح انّه إنّما غضب للملك . ثمّ أتيا الزبير فقالا : يا أبا عبد الله ! إنّا أتينا طلحة . قال الزبير : إنّ طلحة و إيّاي كروح في جسدين ، و إنّه والله يا هذان ! قد كانت منّا في عثمان فلتات إحتجنا فيها إلى المعاذير ، ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه الحديث . «الإمامة والسياسة ١ ص ٥٦» .

١٣ ـ من خطبة لعمّار بن ياسر خطبها بالكوفة فقال : ياأهل الكوفة ! إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت اليكم اُمورنا ، إنّ قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس ولا ينكرون ذلك ، وقد جعلوا كتاب الله بينهم و بين محاجّيهم فيه ، أحيا الله من أحيا ،

وأمات مَن أمات ، وإنّ طلحة والزبير كانا أوّل من طعن وآخر من أمر ، و كانا أوّل من بايع عليّاً ، فلمّا أخطأهما ما أمّلاه نكثا بيعتهما من غير حدث . الحديث .

«الإمامة والسياسة١ : ٥٩»

١٤ـ روى البلاذري عن المدائني قال : ولّى عبدالملك علقمة بن صفوان بن المحرّث مكّة فشتم طلحة والزبير على المنبر فلمّا نزل قال لأبان بن عثمان : أرضيتك في المدهنين في أمير المؤمنين عثمان ؟ قال : لا والله ، ولكن سؤتني ، بحسبي بليّة أن تكونا شركا في دمه «الأنساب للبلاذري ٥ : ١٢٠» .

١٥ـ أخرج أبو الحسن عليّ بن محمّد المدائني من طريق عبدالله بن جنادة خطبة لمولانا أمير المؤمنين منها قوله : بايعني هذان الرجلان في أوّل مَن بايع ، تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرّقا جماعتكم ، ويلقيا بأسكم بينكم ، أللهمّ فخذهما بما عملا أخذةً واحدةً رابية ، ولا تنعش لهما صرعة ، ولا تقل لهما عثرة ، و لا تمهلهما فواقا ، فانّهما يطلبان حقّاً تركاه ، ودماً سفكاه ، أللهمّ إنّي أقتضيك وعدك فانّك قلت : وقولك الحقّ لمن بغي عليه لينصرنّه الله ، أللهمّ فانجز لي موعدك ، ولا تكلني إلى نفسي إنّك على كلّ شيء قدير .

« شرح ابن أبي الحديد١ : ١٠٢ » .

١٦ـ من خطبة لمولانا أمير المؤمنين ذكرها الكلبي كما في شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٠٢ : فما بال طلحة والزبير ؟ وليسا من هذا الأمر بسبيل ، لم يصبرا عليّ حولاً ولا أشهراً حتّى وثبا ومَرقا ، ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلا بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين ، يرتضعان اُمّا قد فطمت ، ويحييان بدعةً قد اُميتت ، أدم عثمان زعما ؟ والله ما التبعة إلّا عندهم وفيهم ، وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم ، وأنا راض بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم . الحديث .

١٧ ـ من كلمة لمالك الأشتر : لعمري يا أمير المؤمنين ! ما أمر طلحة والزبير و عائشة علينا بمخيّل ، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثتَ ولا جور صنعتَ ، زعما انّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما ، فانّهما أوّل من ألّب عليه وأغرى الناس بدمه ، واُشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنلحقنّهما بعثمان

فإنّ سيوفنا في عواتقنا ، وقلوبنا في صدورنا ، ونحن اليوم كما كنّا أمس .
«شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٠٣» .

قال الأميني : إنّ الأخذ بمجامع هذه الأخبار البالغة خمسين حديثاً يعطينادرساً ضافياً بأنّ الرجلين هما أساس النهضة في قصّة عثمان ، وهما اللذان أسعرا عليه الفتنة، وانّهما لم يريان حرجاً في إراقة دمه ، وقداستباحا عندئذ مايحرم إرتكابه في المسلمين إلّا أن يكون مهدورالدم بسبب من الأسباب الموجبة لذلك ، فلم يتركاه حتّى أوديابه ، وكان لطلحة هنالك مواقف مشهودة ، فمنع عنه الماء الذي هو شرع سواء بين المسلمين ، وانّه لم يردّ على عثمان لمّا سلّم عليه ومن الواجب ردّ السّلام على كلّ مسلم ، وقد منع عن دفنه ثلاثاً في مقابر المسلمين ، وقدأوجبت الشريعة الإسلاميّة المبادرة إلى دفن المسلم ، وقد أمر برمي الجنازة و رمي من يتولّى تجهيزها بالحجارة والمسلم حرمته ميتاً كحرمته حيّاً ، فلم يرض طلحة بالأخير إلّا دفنه في مقبرة اليهود «حشّ كوكب» وهل لهذه الأعمال وجه بعد حفظ كرامة صحبتهما ؟ والقول بعدالة الصحابة كلّهم ؟ و قبول ما ورد في الرجلين إنّهما من العشرة المبشّرة ؟ إلّا أن يقال : إنّهما كانا يريان القتيل خارجاً عن حوزة المسلمين ؛ وإلّا لردعتهما الصحبة والعدالة والبشارة عن ارتكاب تلكم الأعمال في أيّ من ساقة المسلمين فضلاً عن خليفتهم .

ونحن في هذا المقام نقف موقف المتحايد ، ولسنا هاهنا إلّا في صدد بيان آراء الصحابة الأوّلين في عثمان ، وما أفضناه من رأيهما كان معروفاً عنهما في وقتهما ، و لم يزل كذلك في الأجيال المتأخّرة عنهما حتّى العصر الحاضر ، إن كانت الآراء تؤخذ من المصادر الوثيقة ، وكانت حرّة غير مشوبة بحكم العاطفة ، نزهة عن الميول والشهوات

و أمّا ما أظهراه من التوبة بعد أن نكثا البيعة الصحيحة المشروعة فقد قدّمنا وجهها في ص ١٠١ في طلحة ويشاركه في ذلك الزبير ايضاً ، فقد قفّيا الحوبة بالحوبة لا بالتوبة حسبا (إن كانا يصدقان) أنها تمحو السيّئة ، بل الحوبة الأخيرة أعظم عندالله ، فقد أراقا بهامن الصفّين في واقعة الجمل دماءً تعدّ بالآلاف بريئة من دم عثمان .

وهتكا حرمة رسول الله بإخراج حشيّة من حشاياه من خدرها ، وقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم نساءه عن ذلك ، وأوقفاها في محتشد العساكر وجبهة القتال الدامي ، وقصدا اقتل إمام الوقت

المفترض طاعته الواجب حفظه ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، والله من ورائهم محيط .

٧ ـ حديث عبدالله بن مسعود

الصحابيّ البدريّ العظيم

مرّ في هذا الجزء ص٣ ـ ٦ شطراً من أحاديثه المعربة عن رأيه السديد في عثمان وعمّا كان حاملاً بين جنبيه من الموجدة عليه ، وإنّه كان من الناقمين عليه يعيبه ويقدح فيه ، أفسد عليه العراق بذكر محدثاته ، وأخذه عثمان بذلك أخذاً شديداً وحبسه وهجره ومنعه عطاءه سنين و أمر به وأُخرج من مسجد رسول الله إخراجاً عنيفاً ، و ضُرب به الأرض فدقّ ضلعه وضربه أربعين سوطاً .

وكان ابن مسعود على اعتقاده السيّء في الرجل مغاضباً له حتّى لفظ نفسه الأخير وأوصى أن لا يصلّي عليه ، وفي الفتنة الكبرى ص١٧١ : روي انّ ابن مسعود كان يستحلّ دم عثمان أيّام كان في الكوفة ، وهو كان يخطب الناس فيقول : إنّ شرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ محدث بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار[1] يعرض في ذلك بعثمان و عامله الوليد . اه .

هذا رأي ذلك الصحابيّ العظيم في الرّجل ، فبأيّ تمحّل يتأتّى للباحث تقديس عثمان بعد ما يستحلّ دمه أو يشدّد النكير عليه ويراه صاحب محدثات وبدع مثل ابن مسعود أشبه النّاس هدياً ودلّاً وسمتاً بمحمّد نبيّ العظمة صلّى الله عليه وآله وسلّم ؟ .

٨ ـ حديث عمار بن ياسر

البدريّ العظيم الممدوح بالكتاب والسنّة

١ـ من خطبة لعمّار خطبها يوم صفّين قال :

انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون انّهم يطلبون بدم ظالم ، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان ، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو دَرَس هذا الدين : لِمَ قتلتموه ؟ فقلنا : لأحداثه ، فقالوا : إنّه لم يُحدث

(١) راجع ص٣ من هذا الجزء .

شيئاً ، وذلك لأنّه مكّنهم من الدُنيا فهم يأكلونها ويرعونها ، ولا يبالون لو انهدمت الجبال ، والله ما أظنّهم يطلبون بدم ، ولكن القوم ذاقوا الدُنيا فاستحلّوها واستمرؤها وعلموا : أنّ صاحب الحقّ لووليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون منها ، إنّ القوم لم يكن لهم سابقةٌ في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قُتل إمامنا مظلوماً ليكونوا جبابرة وملوكاً ، تلك مكيدة قد بلغوا بها ماترون ولولاها ما تابعهم من الناس رجلٌ . إلخ .

وفي لفظ نصر بن مزاحم في كتاب صفّين : امضوا (معي) عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله ، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان . إلخ . وله لفظٌ آخر يأتي بُعيد هذا .

وفي لفظ الطبري في تاريخه : أيّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم ابن عفّان ويزعمون انّه قتل مظلوماً . إلخ .

راجع كتاب صفّين لابن مزاحم ط مصر ص٣٦١ ، ٣٦٩ ، تاريخ الطبري ٦ :٢١، الكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٣ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٥٠٤ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٦٦ ، جمهرة الخطب١ : ١٨١ .

٢ـ خطب معاوية يوم وفد إليه وفدٌ[(١)] بعثه إليه أميرالمؤمنين عليه السلام فقال :

أمّا بعد فإنّكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأمّا الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي ، وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنّا لا نراها ، إنّ صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرّق جماعتنا ، وآوى ثأرنا وقتلنا ، وصاحبكم يزعم انّه لم يقتله ، فنحن لانردُّ ذلك عليه ، أرأيتم قتلة صاحبنا ؟ ألستم تعلمون أنّهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ، ثمّ نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال له شبث بن ربعي : أيسرُّك يا معاوية ؟ انّك اُمكنت من عمّار تقتله ؟ وفي لفظ ابن كثير : لو تمكّنت من عمّار أكُنت قاتله بعثمان ؟ فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك ؟ و الله لو اُمكنت [(٢)] من ابن سميّة ما قتلته بعثمان رضي الله عنه ، و لكن

(١) كان فيه : عديّ بن حاتم ، يزيد بن قيس ، شبث بن ربعي ، زياد بن حفصة .

(٢) في لفظ ابن مزاحم : لوامكنني صاحبكم من ابن سمية .

كنت قاتله بناتل مولى عثمان .

فقال شبث : وإله الأرض وإله السماء ما عدلت معتدلاً ؛ لا والذي لا إله إلا هو ، لا تصل إلى عمّار حتّى تندر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها . إلخ .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٢٣ ، تاريخ الطبري ٦ : ٣ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٤ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣٤٤ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٥٧ ، جمهرة الخطب ١ : ١٥٨ .

٣- أرسل أمير المؤمنين إبنه الحسن وعمّار بن ياسر إلى الكوفة فلمّا قدماها كان أوّل مَن أتاهما مسروق بن الأجدع فسلّم عليهما وأقبل على عمّار فقال : يا أبا اليقظان ! علام قتلتم عثمان رضي الله عنه ؟ قال : على شتم أعراضنا ، وضرب أبشارنا[1] . فقال : والله ما عوقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين .

فخرج أبوموسى فلقي الحسن فضمّه إليه وأقبل على عمّار فقال : يا أبا اليقظان ! أعدوت[2] فيمن عدا على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجّار ؟ قال : لم أفعل ولم يسؤني ، فقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى فقال : يا أبا موسى ! لم تثبّط الناس عنّا ؟ فوالله ما أردنا إلّا الإصلاح وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، فقال : صدقت بأبي أنت وأمّي ، ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّها ستكون فتنة القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الراكب ، وقد جعلنا الله عزّ وجلّ إخواناً وحرّم علينا أموالنا ودماءنا وقال : يا أيّها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولاتقتلوا أنفسكم إنّ الله بكم رحيما . وقال عزّ وجلّ : ومَن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم . الآية . فغضب عمّار وساءه وقام وقال : يا أيّها النّاس إنّما قال رسول الله له خاصّة : أنت فيها قاعداً خيرٌ منك قائماً . وقام رجلٌ من بني تميم فقال لعمّار : أسكت أيّها العبد أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا و

---

(١) ابشار جمع البشرة : أعلى جلدة الوجه والجسد من الانسان .

(٢) شرح ابن ابي الحديد : غدوت فيما غدا .

ثار زيد بن صوحان. ألحديث[1].

تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢٨٥، الكامل لابن الأثير ٣ : ٩٧.

٤- قال الباقلاني في التمهيد ص ٢٢٠ : روي انّ عمّاراً كان يقول : عثمان كافرٌ. وكان يقول بعد قتله : قتلنا عثمان يوم قتلناه كافراً. وهذا سرفٌ عظيمٌ من خرج إلى ما هودونه استحقّ الأدب من الإمام. فلعلّ عثمان انتهره وأدّ به لكثرة قوله : قدخلعت عثمان وأنا بريءٌ منه، فأدّى الأدب إلى فتق أمعائه، ولو أدّى الأدب إلى تلف النفس لم يكن بذلك مأثوماً ولامستحقّاً للخلع، فإمّا أن يكون ضربه باطلاً وإمّا أن يكون صحيحاً فيكون ردعاً وتأديباً ونهياً عن الإغراق والسرف، وذلك صوابٌ من فعل عثمان وهفوةٌ من عمّار.

قال الأميني : هذه التمحّلات تضادّ ما صحّ وثبت عن النبيّ الأقدس في عمّار، ونحن لا يسعنا تكذيب النبيّ الصادق الأمين تحفّظاً على كرامة أيّ ابن اُنثى فضلاً عن أن يكون من أبناء الشجرة المنعوتة في القرآن.

٥- روى أبومخنف عن موسى بن عبد الرّحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال : أقبلنا مع الحسن وعمّار بن ياسر من ذي قار حتّى نزلنا القادسيّة فنزل الحسن وعمّار ونزلنا معهما، فاحتبى عمّار بحمائل سيفه، ثمّ جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم، ثمّ سمعته يقول : ما تركت في نفسي حزّة أهمّ إليّ من أن لانكون نبشنا عثمان من قبره ثمّ أحرقناه بالنار. « شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢٩٢ »

٦- جاء في محاورة وقعت بين عمّار بن ياسر وعمرو بن العاص فيما أخرجه نصر في كتابه : قال له عمرو : فما ترى في قتل عثمان ؟ قال : فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو : فعليٌّ قتله، قال عمّار : بل الله ربّ عليّ قتله وعليٌّ معه. قال عمرو : أكنت فيمن قتله ؟ قال : كنت مع مَن قتله وأنا اليوم اُقاتل معهم. قال عمرو : فلِم قتلتموه ؟ قال عمّار : أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه ؟ فقال عمرو : ألا تسمعون ؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عمّار : و قد

(١) في هذا الحديث اشياء موضوعة حذف بعضها ابن الاثير في الكامل وزاد فيه أيضاً، وهو من مكاتبات السري وكلها باطل فيها دجل.

قالها فرعون قبلك لقومه : ألا تسمعون ؟ . الحديث .

كتاب صفين لابن مزاحم ص ٣٨٤ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٧٣ :

٧ـ إن عمار بن ياسر نادى يوم صفين[1] : أين من يبغي رضوان ربه و لا يؤوب إلى مال و لا ولد ؟ قال : فأتته عصابة من الناس فقال : أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً ، والله إن كان إلا ظالماً لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله . كتاب صفين ص ٣٦٩ » .

و في الفتنة الكبرى ص ١٧١ : فقد روي أن عمار بن ياسر كان يكفر عثمان و يستحل دمه ويسميه نعثل .

قال الأميني : هذا الصحابي البطل الذي عرفته في صفحة ٢٠ـ٢٨ من هذا الجزء عمار بن ياسر المعني في عدة آيات كريمة من الذكر الحكيم ، ومصب الثناء البالغ المتكرر المستفيض من صاحب الرسالة ، من ذلك : أنه ملىء ليماناً من قرنه إلى قدمه ، و انه مع الحق والحق معه يدور معه أينما دار ، وانه ما عرض عليه أمران إلا أخذ بالأرشد منهما ، و انه من نفر تشتاق اليهم الجنة ، و إنه جلدة بين عينيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنه تقتله الفئة الباغية ، فمعتقد هذا الرجل العظيم وهو متلفع بهاتيك الفضائل كلها في الخليفة ما تراه يكرره من أنه كان ظالماً لنفسه ، حاكماً بغير ما أنزل الله ، مريداً تغيير دين الله تغييراً أباح لهم قتاله ، وانه قتله الصالحون ، المنكرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان ، إلى ما لهذه من عقائد تركته جازماً بما نطق به ، مصراً على ما ارتكبه ، معترفاً بأنه كان مع المجهزين عليه ، متأسفاً على ما فاته من نبش قبره وإحراقه بالنار ، فلم يبرح كذلك حتى أخذ يقاتل الطالبين بثاره مع قاتليه و خاذليه ، مذعناً بأن الثائرين لـه مبطلون يجب قتالهم فلم يفتأ على هذا المعتقد حتى قتلته الفئة الباغية : أصحاب معاوية ، وقاتله وسالبه وباغضه في النار نصاً من النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم .

حديث المقداد

ابن الأسود الكندي فارس يوم بدر .

قال اليعقوبي في تاريخه ٢ : ١٤٠ في بيعته عثمان واستخلافه : مال قوم مع علي

(١) في شرح ابن ابي الحديد ٢ : ٢٦٩ : ناداه في صفين قبل مقتله بيوم اويومين .

ابن أبي طالب ، وتحاملوا في القول على عثمان ، فروى بعضهم قال : دخلت مسجد رسول الله فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهّف تلهّف من كأنّ الدنيا كانت له فسلبها و هو يقول : واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر على أهل بيت نبيّهم ، و فيهم أوّل المؤمنين ، وابن عمّ رسول الله ، أعلم الناس وأفقههم في دين الله ، وأعظمهم عناءاً في الإسلام ، وأبصرهم بالطريق ، وأهداهم للصراط المستقيم ، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقيّ ، وما أرادوا إصلاحاً للأمّة ، ولا صواباً في المذهب ، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة ، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين .

فدنوت منه فقلت : مَن أنت يرحمك الله وَمن هذا الرجل ؟ فقال : أنا المقداد بن عمرو وهذا الرجل عليّ بن ابي طالب ، قال فقلت : ألا تقوم بهذا الأمر بهذا فاعينك عليه؟ فقال : ياابن أخي ! إنّ هذا الأمر لا يُجزي فيه الرجل ولا الرجلان ، ثمّ خرجت فلقيت أباذر فذكرت له ذلك ، فقال : صدق أخي المقداد ، ثمّ أتيت عبدالله بن مسعود فذكرت ذلك له ، فقال : لقد أخبرنا فلم نأل .

وذكر ابن عبد ربه في العقد ٢ : ٢٦٠ في حديث بيعة عثمان : فقال عمّار بن ياسر (لعبدالرّحمن) : إن أردت أن لا يختلف المسلمون ؟ فبايع عليّاً ، فقال المقداد بن الأسود: صدق عمّار إن بايعت عليّاً قلنا : سمعنا وأطعنا. قال ابن ابي سرح : إن أردت أن لاتختلف قريش ؟ فبايع عثمان ، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا . فشتم عمّار إبن أبي سرح وقال : متى كنت تنصح المسلمين ؟ فتكلّم بنوهاشم وبنو اُميّة فقال عمّار: ايّها الناس إنّ الله أكرمنا بنبيّنا و أعزّنا بدينه ، فأنّى تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيّكم ؟ فقال له رجل من بني مخزوم : لقد عدوت طورك يابن سميّة ، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ؟ فقال سعد بن أبي وقاص : أفزع قبل أن يفتتن الناس ، فلا تجعلن أيّها الرهط على أنفسكم سبيلا . ودعا عليّاً فقال : عليك عهدالله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخليفتين من بعده ، قال : أعمل بمبلغ علمي وطاقتي ، ثمّ دعا عثمان فقال : عليك عهدالله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخليفتين من بعده . فقال : نعم . فبايعه فقال عليّ حبوته محاباة ليس ذا بأوّل يوم تظاهرتم فيه علينا ، أما والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر اليك ، والله كلّ يوم هو في شأن . فقال عبدالرّحمن : يا عليّ لا تجعل على نفسك

سبيلاً فإنّي قدنظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان أحداً ، فخرج عليٌّ و هو يقول : سيبلغ الكتاب أجله ، قال المقداد : أما و الله لقد تركته من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون ، فقال : يامقداد ! والله لقد اجتهدت للمسلمين . قال : لئن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين . ثمّ قال المقداد : ما رأيت مثل ما اوتي أهل هذا البيت بعد نبيّهم ، ولا أقضى منهم بالعدل ، ولا أعرف بالحقّ ، أما والله لو أجد أعواناً . قال له عبدالرّحمن : يامقداد ! اتّق الله فإنّي أخشى عليك الفتنة . وأخرج الطبري نحوه في تاريخه ٥ : ٣٧ ، و ذكره ابن الأثير في الكامل ٣ : ٢٩ ، ٣٠ ، وابن أبي الحديد في شرح النهج ١ : ٦٥ .

وفي لفظ المسعودي في المروج ١ : ٤٤٠ : فقام عمّار في المسجد فقال : يامعشر قريش ! أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم ههنا مرّة وههنا مرّة فما أنا بآمن أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله ، وقام المقداد فقال : ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيّهم . فقال له عبدالرّحمن بن عوف : و ما أنت و ذاك يا مقداد بن عمرو ؟ فقال : إنّي و الله لأحبّهم بحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و إنّ الحقّ معهم و فيهم يا عبد الرحمن ! أعجب من قريش ـ و أنت تطولهم على الناس أهل هذا البيت ـ قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وآله بعده من أيديهم ، أما وأيم الله يا عبدالرّحمن ! لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إيّاهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر . و جرى بينهم من الكلام خطبٌ طويل قد أتينا ذكره في كتابنا أخبار الزمان في أخبار الشورى والدار .

ومرّ في هذا الجزء ص ١٧ : أنّ المقداد أحد الجمع الذين كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربّه وأعلموه انّهم مواثبوه إن لم يُقلع . راجع حديث البلاذري المذكور .

قال الأميني : لعلّك تعرف المقداد ومبلغه من العظمة ، ومبوّأه من الدين ، ومثواه من الفضيلة ، قال أبو عمر : كان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار . هاجر الهجرتين و شهد بدراً والمشاهد كلّها ، أوّل من حارب فارساً في الإسلام . كان فارساً يوم بدر ، ولم يثبت انّه كان فيها على فرس غيره ، وهو عند القوم أحد السبعة الذين أظهروا الإسلام ، وأحد

النجباء الأربعة عشروزراء رسول الله ورفقائه[1] سمّاه رسول الله ﷺ أو ّاباً كما في حديث أخرجه أبو عمر في « الاستيعاب ».

وأنّى يسع للباحث أن يستكنه ما لهذا الصحابيّ العظيم من الفضائل أو يدرك شأوه وبين يديه قول رسول الله ﷺ في الثناء عليه : إنّ الله أمرني بحبّ أربعة ، وأخبرني أنّه يحبّهم : عليّ . والمقداد . وأبوذر . وسلمان ؟[2].

وقوله ﷺ : إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة : عليّ . وعمّار . وسلمان . والمقداد أخرجه ابونعيم في حلية الأولياء ١ : ١٤٢ .

فهذا الرجل الديني الذي يحبّه الله ويأمر نبيّه ﷺ بحبّه كان ناقماً على الخليفة واجداً على خلافته من أوّل يومه ، متلهّفاً على استخلافه تلهّف من كأنّ الدنيا كانت له فسلبها ، و كان يُثبّط الناس و يُخذّلهم عنه ، و يرى إمرته إمراً من الأمر وإدّاً ، يعتقدها ظلماً على أهل بيت العصمة ، ويستنجد أعواناً يقاتل بهم مستخلفيه كقتاله إيّاهم يوم بدر ، هذا رأيه في عثمان من يوم الشورى قبل بوائقه ، فكيف بعد ما شاهد منه من هنات وهنات .

-١٠-

حديث حجر بن عدي

الكوفي سلام الله عليه وعلى أصحابه

إنّ معاوية بن أبي سفيان لمّا ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد : فإنّ لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ، و قد قال المتلمس[3] :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا ✿ و ما عُلّم الإنسان إلّا ليعلما

و قد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم ، و قد أردت ايصاءك بأشياء كثيرة فأنا

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، الاستيعاب ١ : ٢٨٩ ، اسد الغابة ٤ : ٤١٠ ، الاصابة ٣ : ٤٥٥ .

(٢) أخرجه الترمذى فى جامعه ، وابوعمر فى الاستيعاب ١ : ٢٩٠ ، وذكره ابن الاثير فى اسد الغابة ٤ : ٤١٠ ، وابن حجر فى الاصابة ٣ : ٤٥٥ .

(٣) هو جرير بن عبدالمسيح من بنى ضبيعة ، توجد ترجمته فى (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ص ٥٢ ، وفى (المؤتلف والمختلف) ص ٧١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ .

تاركها إعتماداً على بصرك بما يرضيني ، ويسعد سلطاني ، و يصلح به رعيّتي ، و لست تاركاً ايصاءك بخصلة : لا تتحمّ عن شتم عليّ وذمّه ، والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب عليّ و الإقصاء لهم و ترك الإسماع منهم ، و باطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه و الإدناء لهم و الإستماع منهم . فقال المغيرة : قد جرّبت و جُرّبت و عملت قبلك لغيرك فلم يُذمم بي دفعٌ ولا رفعٌ ولا وضعٌ ، فستبلو فتحمد أوتذمّ ثمّ قال : بل نحمد إن شاءالله .

فأقام المغيرة بالكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً لايدع ذمّ عليّ والوقوع فيه ، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والإستغفار له والتذكية لأصحابه ، فكان حُجر بن عدي إذاسمع ذلك قال : بل إيّاكم فذمّم الله و لعن . ثمّ قام فقال : إنّ الله عزّ و جلّ يقول : كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ، و أنا أشهد أنّ من تذمّون وتعيرون لأحقّ بالفضل ، وانّ من تزكّون و تُطرون أولى بالذمّ . فيقول له المغيرة : يا حجر ! لقد رُمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك ، يا حجر ! و يحك إتّق السلطان ، إتّق غضبه وسطوته ، فإنّ غضبةالسلطان أحياناً ممّا يهلك أمثالك كثيراً ، ثمّ يكفّ عنه ويصفح ، فلم يزل حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في عليّ و عثمان كما كان يقول و كانت مقالته : اللهمّ أرحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله فإنّه عمل بكتابك واتّبع سنّة نبيّك ﷺ وجمع كلمتنا وحقن دمائنا وقُتل مظلوماً ، اللهمّ فارحم أنصاره وأولياءه ومحبّيه والطالبين بدمه . و يدعو على قتلته فقام حجر بن عدي فنعر نعرةً بالمغيرة سمعها كلّ مَن كان في المسجد و خارجاً منه وقال : إنّك لا تدري بمن تولّع من هرمك أيّها الإنسان ! مر لنا بأرزاقنا واعطياتنا فإنّك قد حبستها عنّا وليس ذلك لك ، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك ، وقد أصبحت بذمّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين . قال : فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون : صدق والله حجر وبرّ ، مُر لنا بأرزاقنا واعطياتنا ، فانّا لا ننتفع بقولك هذا ، و لا يجدي علينا شيئاً وأكثروا في مثل هذاالقول ونحوه .

إلى أن هلك المغيرة سنة ٥١ فجمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثمّ صعد المنبر فخطب ثمّ ذكر عثمان وأصحابه فقرّظهم وذكر

قتلته ولعنهم ، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة .

قال محمّد بن سيرين : خطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصّلاة فقال له حجر بن عدي : الصّلاة . فمضى في خطبته ثمّ قال : الصّلاة فمضى في خطبته ، فلمّا خشى حجر فوت الصّلاة ضرب بيده إلى كفّ من الحصا وثار إلى الصّلاة وثار النّاس معه ، فلمّا رأى ذلك زياد نزل فصلّى بالناس ، فلمّا فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثّر عليه فكتب إليه معاوية : أن شدّه في الحديد ثمّ احمله إليّ . فلمّا أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعوه فقال : لا ، ولكن سمعٌ وطاعةٌ . فشدّ في الحديد ثمّ حمل إلى معاوية . ساروا به وبأصحابه وهم :

١ - الأرقم بن عبدالله الكندي من بني الأرقم .

٢ - شريك بن شدّاد الحضرمي .

٣ - صيفي بن فسيل الشيباني .

٤ - قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي .

٥ - كريم بن عفيف الخثعمي من بني عامر ثمّ من قحافة .

٦ - عاصم بن عوف البجلي .

٧ - ورقاء بن سميّ البجلي .

٨ - كدام بن حيّان العنزي .

٩ - عبدالرّحمن بن حسّان العنزي .

١٠ - محرز بن شهاب التميمي من بني منقر .

١١ - عبدالله بن حوية السعدي من بني تميم .

وأتبعهم زياد برجلين وهما : عتبة بن الأخنس السعدي ، وسعيد بن نمران الهمداني ، فمضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء (بينها وبين دمشق اثنا عشر ميلاً) فحبسوا بها فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستّة وبقتل ثمانية ، فقال لهم رسول معاوية : إنّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، وإنّ أمير المؤمنين يزعم انّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير انّه قد عفى عن ذلك ، فابرؤا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم قالوا : أللهمّ إنّا

لسنا فاعلي ذلك. فأمر بقبورهم فحفرت واُدنيت أكفانهم، وقاموا الليل كلّه يصلّون فلمّا أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء! لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصّلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ. فقال أصحاب معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم. ثمّ قاموا إليهم فقالوا: تبرؤن من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولّاه ونتبرّأ ممّن تبرّأ منه. فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً ليقتله وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتّى قتلوا ستّة وهم.

١- حجر ٢- شريك ٣- صيفي ٤- قبيضة ٥- محرز ٦- كدام.

أخذنا من القصّة ما يهمّنا ذكره راجع الأغاني لأبي الفرج ١٦: ٢ - ١١، تاريخ الطبري ٦: ١٤١ - ١٦٠، تاريخ ابن عساكر ٢: ٣٧٠-٣٨١، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٠٢ - ٢١٠، تاريخ ابن كثير ٨: ٤٩ - ٥٥.

قال الأميني: هذه نظريّة الصحابيّ العظيم حجر وأصحابه العظماء الصلحاء الأخيار في عثمان فكانوا يرونه أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ، وكان حجر يراه من المجرمين فيما جابه به المغيرة بالكوفة، وقد بلغ هو وزملائه الأبرار من ذلك حدّاً إستساغوا القتل دون ما يرونه، وأبوا أن يتحوّلوا عن عقائدهم، وبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، فاستمرؤا جُرَع الموت في سبيلها زعافاً ممقراً.

-١١-

حديث عبد الرحمن
ابن حسّان العنزي الكوفي

لمّا قُتل حجر بن عدي سلام الله عليه وخمسة من أصحابه رضوان الله عليهم قال عبد الرّحمن بن حسّان وكريم بن عفيف الخثعمي (وكانا من أصحاب حُجر): ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية فاخبروه فبعث: إئتوني بهما فالتفتا إلى حجر فقال له العنزي: لاتبعد ياحجر! ولايبعد مثواك فنعم أخو الإسلام كنتَ. وقال الخثعمي نحوذ لك. ثمّ مضى بهما فالتفت العنزي فقال متمثّلاً:

كفى بشفاة القبر بُعداً لهالك ✡ وبالموت قطّاعاً لحبل القرائن

فلمّا دخل عليه الخثعمي قال له : ألله ألله يا معاوية ! إنك منقولٌ من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، و مسؤولٌ عمّ أردت بقتلنا و فيم سفكت دماءنا ، فقال : ما تقول في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولك ، أتتبرّأ من دين عليّ الذي كان يدين الله به ؟ وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه ، فقال : هو لك غير أنّي حابسه شهراً فحبسه ثمّ أطلقه على أن لا يدخل الكوفة مادام له سلطان ، فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة فمات قبل معاوية بشهر .

وأقبل على عبدالرّحمن بن حسّان فقال له : ياأخا ربيعة ! ماتقول في عليّ ؟ قال : أشهد أنّه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والعافين عن الناس . قال : فماتقول في عثمان ؟ قال : هو أوّل من فتح أبواب الظلم ، وارتج أبواب الحقّ قال : قتلت نفسك . قال : بل إيّاك قتلت لا ربيعة بالوادي (يعني انّه ليس ثمّ أحدٌ من قومه فيتكلّم فيه) فبعث به معاوية إلى زياد و كتب إليه : إنّ هذا شرّ مَن بعثت به ، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها ، واقتله شرّ قتلة . فلمّا قدم به على زياد بعث به إلى قيس الناطف فدفنه حيّاً .

الأغاني لأبي الفرج ١٦ : ١٠ ، تاريخ الطبري ٦ : ١٥٥ ، تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣٧٩ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٢٠٩ .

قال الأميني : انظر إلى تصلّب الرجل الدينيّ في معتقده في حقّ الرجلين : عليّ أمير المؤمنين ، وعثمان ، و كيف بلغ من ذلك حدّاً إستباح فيه أن يُراق دمه دون أن يعدل عمّا عقد عليه ضميره ، وأخبتت إليه نفسه ، وكان يرى من واجبه الإشادة بماذكر وان اُريق عليه دمه الطاهر ، واُسبلت نفسه الزكيّة .

-١٢-
حديث هاشم المرقال

خرج يوم صفّين (من عسكر معاوية) فتىً شابّ وهو يقول :

أنا ابن أرباب الملوك غسّانْ ✲ والدائن اليوم بدين عثمانْ

أنبأنا أقوامنا بما كانْ : ✲ إنّ عليّاً قتل ابن عفّانْ

ثمّ شدّ فلاينثني يضرب بسيفه ، ثمّ جعل يلعن عليّاً ويشتمه و يسهب في ذمّه ، فقال له هاشم بن عتبة : إنّ هذا الكلام بعده الخصام ، وإنّ هذا القتال بعده الحساب فاتّق الله فانّك راجع إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به ، قال : فإنّي اُقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي ، وإنّكم لا تصلّون ، واُقاتلكم إنّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله . فقال له هاشم : و ما أنت وابن عفان ؟ إنّما قتله أصحاب محمّد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمّد هم أصحاب الدين ، وأولى بالنظر في اُمور المسلمين ، وما أظنّ أنّ أمر هذه الاُمّة ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قطّ . قال الفتى : أجل أجل والله لا أكذب فانّ الكذب يضرّ ولا ينفع ويشين ولا يزين . فقال له هاشم : إنّ هذا الأمر لا علم لك به فخلّه وأهل العلم به . قال : أظنّك والله قد نصحتني . وقال له هاشم : و أمّا قولك : إنّ صاحبنا لا يصلّي . فهو أوّل من صلّى مع رسول الله ، و أفقهه في دين الله ، و أولاه برسول الله ، وأمّا من ترى معه فكلّهم قارئ الكتاب ، لا ينامون الليل تهجّداً ، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون . قال الفتى : ياعبدالله ! إنّي لأظنّك امرءاً صالحاً ، وأظنّني مخطئاً آثماً ، أخبرني هل تجد لي من توبة ؟ قال : نعم ، تب إلى الله يتب عليك فإنّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات ويحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين . الحديث[١] .

قال الأميني : هذا هاشم المرقال الصحابي المقدّس ، وبطل الدين العظيم ، و هذا رأيه في عثمان وهو يبوح به في موقف قتال حصل من جرّاء قتله ، مبرّراً فيه عمل المجهزين عليه ، ويرى انّه خالف حكم الكتاب وأحدث أحداثاً أباحت لأصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم قتله وانّ مَن قتله هم أهل الدين والقرآن .

-١٣-

حديث جهجاه بن سعيد

الغفاري ممّن بايع تحت الشجرة[٢]

ورد من طريق أبي حبيبة انّه قال : خطب عثمان الناس فقام اليه جهجاه الغفاري :

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ط مصر ص ٤٠٢ ، تاريخ الطبري ٦ : ٢٣ ، شرح ابن ابي الحديد ٢ : ٢٧٨ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ١٣٥ .

(٢) الاستيعاب . اسد الغابة . الاصابة .

فصاح : ياعثمان ؛ ألا إنّ هذه شارفٌ قد جئنا بها عليها عباءة وجامعة فأنزل فلندرّعك العباءة ولنطرحك في الجامعة ولنحملك على الشارف ثمّ نطرحك في جبل الدخان . فقال عثمان : قبّحك الله وقبّح ماجئت به . قال أبوحبيبة : ولم يكن ذلك منه إلاّ عن ملأ من الناس ، وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بني اُميّة فحملوه فأدخلوه الدار .

وجاء من طريق عبدالرّحمن بن حاطب قال : أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبيّ ﷺ التي كان عليها وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال له جهجاه : قم يا نعثل ؛ فانزل عن هذا المنبر . وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى ، فدخلت شظية منها فيها فبقي الجرح حتّى أصابته الأكلة فرأيتها تدود ، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدّوها فكانت مضبية ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلّا خرجةً أو خرجتين حتّى حُصر فقتل .

وفي لفظ البلاذري : خطب عثمان في بعض أيّامه فقال له جهجاه بن سعيد الغفاري ياعثمان ؛ انزل ندرّعك عباءةً ونحملك على شارف من الإبل إلى جبل الدخان كما سيّرت خيار الناس ، فقال له عثمان : قبّحك الله وقبّح ما جئت به . وكان جهجاه متغيّظاً على عثمان ، فلمّا كان يوم الدار دخل عليه ومعه عصاً كان النبيّ ﷺ يتخصّر بها فكسرها على ركبته فوقعت فيها الاكلة .

راجع الأنساب للبلاذري ٥ : ٤٧ ، تاريخ الطبري ٥ : ١١٤ ، الاستيعاب في ترجمة جهجاه ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٦٥ ، الرياض النضرة ٢ : ١٢٣ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٧٥ ، الاصابة ١ : ٢٥٣ ، تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٠ .

قال الأميني : الجهجاه من أهل بيعة الشجرة الذين رضي الله عنهم و رضوا عنه بنصّ الذكر الحكيم و هو يستبيح خلع عثمان و نفيه وتشهيره ملفوفاً بعباءة مكبّلاً بالحديد إلى جبل الدخان ، ولا يتحرّج من هتكه وكسر مخصرته ، وإنّما قال ما قاله وفعل ما فعل بمحضر من المهاجرين والأنصار ، فلم يؤاخذه على ذلك أحدٌ منهم ولا ردّ عليه رادٌّ ، فكأنّه كان يُخبر عن صميم أفئدتهم ، وأظهر ما أضمروه ، وجاء بما أحبّوه حتّى قضى ما كان مقتضياً .

إنّ حدوث الجرح في ركبة جهجاه لولوج شيء من كسرات العصا فيها المتحوّل اُكلة إن صحّ فمن ولائد الإتفاق و ليس بكرامة للقتيل ، كما أنّ وقوع عبد الله بن

أبي ربيعة المخزومي والي عثمان على اليمن من مركبه وموته وقد جاء لنصرة عثمان لم يكن نقمة ولا نكبة له. قال أبو عمر وغيره: جاء عبد الله المخزومي لينصره لما حصر فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات[1].

و قال البلاذري في الأنساب ٥ ٨٧: أقبل عبد الله المخزومي وكان عامله على مخاليف الجند لينصره فلما انتهى إلى بطن نخلة سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف إلى أهله.

١٤ ـ حديث سهل بن حنيف

أبي ثابت الأنصاري (بدري)

١٥ ـ رفاعة بن رافع بن مالك

أبي معاذ الأنصاري (بدري)

١٦ ـ الحجاج بن غزية الانصاري

قال البلاذري في الأنساب ٥ : ٧٨ : قال أبومخنف في روايته : إن زيد بن ثابت الأنصاري قال : يامعشر الأنصار ! إنكم نصرتم الله ونبيه فانصروا خليفته . فأجابه قوم منهم فقال سهل بن حنيف : يازيد ! أشبعك عثمان من عضدان المدينة ـ والعضيدة نخلة قصيرة ينال حملها ـ فقال زيد : لا تقتلوا الشيخ ودعوه حتى يموت فما أقرب أجله . فقال الحجاج بن غزية الأنصاري أحد بني النجار : والله لولم يبق من عمره إلا بين الظهر والعصر لتقربنا إلى الله بدمه .

وجاء رفاعة بن مالك الأنصاري ثم الزرقي بنار في حطب فأشعلها في أحد البابين فاحترق وسقط ، وفتح الناس الباب الآخر واقتحموا الدار .

و في لفظ للبلاذري ص ٩٠ : قال زيد للأنصار : إنكم نصرتم رسول الله ﷺ فكنتم أنصار الله فانصروا خليفته تكونوا أنصاراً لله مرتين . فقال : الحجاج بن غزية : والله إن تدري هذه البقرة الصيحاء ماتقول ، والله لولم يبق من أجله إلا مابين العصر إلى الليل لتقربنا إلى الله بدمه .

وقال ابن حجر في الإصابة ١ : ٣١٣ : روى الحجاج بن غزية أصحاب السنن

---

(١) الاستيعاب ١ : ٣٥١ ، اسد الغابة ٣ : ١٥٥ ، الاصابة ٢ : ٣٠٥ .

حديثاً صرّح بسماعه فيه من النبيّ صلى الله عليه وآله في الحجّ قال ابن المديني: هو الذي ضرب مروان يوم الدار حتّى سقط[1].

قال الأميني: نظريّة هؤلاء الثلاثة ليست بأقلّ صراحة من نظريّات إخوانهم المهاجرين والأنصار في استباحة دم الخليفة وإزالته عن منصّة الملك الإسلام الديني.

-١٧-

حديث أبي أيوب الانصارى

من السابقين من جلّة الصحابة البدريّين

قال في خطبة له: إنّ أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ قد استمع من كانت له اُذنٌ واعية وقلبٌ حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حقّ قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وخير المسلمين وأفضلهم وسيّدهم بعده، يفقّهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المحلّين، فوالله لكأنّكم صمٌّ لاتسمعون، وقلوبكم غلفٌ مطبوعٌ عليها فلا تستجيبون، عباد الله! أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس؟ وقد شمل العباد، وشاع في الإسلام، فذو حقّ محرومٌ مشتومٌ عرضه، ومضروبٌ ظهره، وملطومٌ وجهه، وموطوءٌ بطنه، ومُلقىً بالعراء، فلمّا جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحقّ، ونشر العدل، وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولّوا مجرمين، ولا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا وهم لايسمعون، أشحذوا السيوف وجدّدوا آلة الحرب، واستعدّوا للجهاد، فإذا دُعيتم فأجيبوا، وإذا اُمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصّادقين.

الإمامة والسياسة ١: ١١٢ في طبع وفي آخر ص١٢٨، جمهرة الخطب ١: ٢٣٦

قال الأميني: هذا أبو أيّوب الأنصاري عظيم الصحابة الذي اختار الله داره منزلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله من بين الأنصار، وحسبه ذلك شرفاً، وهو من البدريّين وشهد المغازي كلّها، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أخذ شيئاً من كريمته الشريفة بقوله: لايصيبك السوء يا أبا أيّوب! وهذا يعمّ الأسواء الظاهرة من قتل بهوان وأسر وسجن في مذلّة وأمراض مخزية من جذام وبرص وغيرهما واختلال في العقل، والأسواء المعنويّة من تزحزح عن الايمان وتضعضع في العقيدة، وانحياز عن الدين: فهو رضوان الله عليه مكلوءٌ

(١) سيوافيك حديث ضربه مروان.

عن هذه كلّها بتلك الدعوة المجابة ، وهو مع فضله هذا يعدّ عهد عثمان عهد جور و عدوان ، ويعدّد ما حدث هنالك من البوائق النازلة على صلحاء الاُمّة كأبي ذر وعمّار وابن مسعود وغيرهم ممّا مرّ تفصيله ، ولولم يكن إلّا شهادة أبي أيّوب لكفت حجّة في كلّ مهمّة ، فكيف وقد صافقه على ما يقول سروات المهاجرين والأنصار ؟ .

-١٨-

حديث قيس بن سعد

ابن عبادة الأنصاري ، سيّد الخزرج « بدري »

١ـ من خطبة له خطبها بمصر في أخذ البيعة لأمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه قال : ألحمد لله الذي جاء بالحقّ وأمات الباطل ، وكبت الظالمين ، أيّها النّاس إنّا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمّد نبيّنا ﷺ فقوموا أيّها النّاس فبايعوا على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ .

تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٨ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ١١٥ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٣ .

٢ـ من كتاب لمعاوية إلى قيس بن سعد قبل وقعة صفّين : أمّا بعد : فإنّكم إن كنتم نقمتم على عثمان بن عفّان رضي الله عنه في أثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها ، أو شتيمة رجل ، أو في تسييره آخر ، أو في إستعماله الفتي ، فإنّكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أنّ دمه لم يكن يحلّ لكم ، فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إدّاً ، فتب إلى الله عزّ وجلّ يا قيس بن سعد ؛ فإنّك كنت في المجلبين على عثمان بن عفّان رضي الله عنه إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً .

فأمّا صاحبك : فإنّا استيقنّا أنّه الذي أغرى به النّاس وحملهم على قتله حتّى قتلوه وإنّه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فإن استطعت ياقيس ؛ أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل ، تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين إذا ظهرتُ مابقيتُ ، ولمن أحببتَ من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لي سلطان ، وسلني غير هذا ممّا تحبّ فإنّك لا تسألني شيئاً إلّا اُوتيته ، واكتب إليّ برأيك فيما كتبت به إليك والسّلام .

فكتب إليه قيس :

أمّا بعد : فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان رضي الله عنه وذلك أمرٌ لم أُقارفه ولم أطف به . وذكرت صاحبي هو أغرى الناس بعثمان ودسّهم إليه حتّى قتلوه ، وهذا لم أطّلع عليه ، و ذكرت عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فأوّل النّاس كان فيه قياماً عشيرتي . إلخ .

وفي لفظ : فلعمري إنَّ أولى الناس في أمره عشيرتي . فلعمري إنَّ أوّل النّاس كان فيه قياماً عشيرتي ولهم أُسوة .

تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٧ ، كامل ابن الأثير ٣ : ١١٦ ، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٣ ، النجوم الزاهرة ١ : ٩٩ ، جمهرة الرسائل ١ : ٥٢٤ .

٣- تحاور قيس بن سعد و النعمان بن بشير بين الصفّين بصفّين فقال النعمان : يا قيس بن سعد ! أما أنصفكم مَن دعاكم إلى مارضي لنفسه ؟ إنّكم يامعشر الأنصار ! أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار ، وقتلكم أنصاره يوم الجمل ، وإقحامكم على أهل الشام بصفّين فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً ،كان هذا بهذا ، ولكنّكم خذلتم حقّاً ، و نصرتم باطلاً ، ثمّ لم ترضوا أن تكونوا كالناس ، شمّاتم الحرب ، ودعوتم إلى البراز ، فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعاً إلى برازكم غير أنكاس عن حربكم . الكلام .

فضحك قيس وقال : والله ما كنت أراك يا نعمان ! تجترئ على هذا المقام ، أمّا المنصف المحقّ فلا ينصح أخاه مَن غشّ نفسه ، وأنت والله الغاشّ لنفسه ، المبطل فيما نصح غيره .

أمّا ذكر عثمان فإن كان الايجاز يكفيك ؟ فخذه . قتل عثمان مَن لستَ خيراً منه ، وخذله من هو خيرٌ منك ، وأمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث ، وأمّا معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار . وأمّا قولك : إنّا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنّا مع رسول الله ، نلقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا ، حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن أُنظر يا نعمان ! هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أعرابيّاً أو يمانيّاً مستدرجاً ؟ وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان ، الذين رضي الله

عنهم ورضواعنه ؟ ثمّ انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك ؟ [١] ولستما والله بدريّين ولا عقبيّين [٢] ولا لكما سابقةٌ في الإسلام ولا آية في القرآن .

كتاب صفّين لابن مزاحم ص٥١١ ، الامامة والسياسة ١ : ٩٤ ، وفي ط ٨٣ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٩٨ ، جمهرة الخطب ١ : ١٩٠ .

٤ ـ قدم المدينة قيس بن سعد فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به وكان حسان عثمانيّاً فقال له : نزعك عليٌّ بن أبي طالب وقد قتلت عثمان ، فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر . فقال له قيس : يا أعمى القلب والبصر ، والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك ، اُخرج عنّي . تاريخ الطبري ٥ : ٢٣١ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٥.

قال الأميني : إنَّ فتى الأنصار وأمير الخزرج وابن أميرها قيس بن سعد الذي تقدّمت فضائله وفواضله في الجزء الثاني ص٦٩ـ١١٠ ط٢ تراه يتبجّح في كتابه إلى معاوية بأنَّ عشيرته الأنصار كانوا أوَّل الناس قياماً في دم عثمان ، وفي خطبته يرى أنَّ الحقّ المحيى مع مولانا أمير المؤمنين ، وإنَّ الباطل الذي اُميت كان في العهد البائد بقتل عثمان ، وأنَّ المقتولين في واقعة الدار هم الظالمون ، واعطف على هذه كلّها محاورته مع النعمان بن بشير بصفّين ، فالكلُّ لهجةٌ واحدةٌ من رمّيٍ في الدين والدنيا واحد .

ـ ١٩ ـ
حديث فروة بن عمرو
ابن ودقة البياضي الأنصاري (بدريٌّ)

أخرج مالك في الموطأ حديثه في باب (العمل في القراءة) وسكت عن اسمه ولم يسمّه ، بل ذكره بلقبه «البياضي» وقال ابن وضاح [٣] وابن مزين [٤] : إنّما سكت مالك عن اسمه ، لأنّه كان ممّن أعان على قتل عثمان .

وعقّبه أبو عمر في «الاستيعاب» فقال : هذا لا يُعرف ولا وجه لما قالاه في ذلك ولم يكن لقائل هذا علمٌ بما كان من الأنصار يوم الدار .

(١) يعنى به عمرو بن العاص .
(٢) يعنى ممن بايعوه صلى الله عليه وآله فى العقبة .
(٣) ابو عبدالله محمد بن الحسين بن على بن الوضاح الانبارى المتوفى ٣٤٥ .
(٤) كذا في الاستيعاب واسد الغابة وشرح الموطأ للزرقاني ، وفى الاصابة : ابن سيرين .

الإستيعاب ترجمة فروة ، اسد الغابة ٤ : ١٧٩ ، الاصابة ٣ : ٢٠٤ ، شرح الموطأ للزرقاني ١ : ١٥٢ .

قال الأميني : الذي يشهد ببطلان ما قالاه انّ ما حسبوه جريمة من فروة إن كان مسقطاً لعدالته ؟ فالإخراج عنه باطل سمّاه أو لم يسمّه ، وإن كان غير مسقط لها ؟ فهو مشمول لما عمّ الصحابة عند القوم من الفضل والعدالة ، وإنّ روايته حجّة يؤخذ بها ولا يضرّه إذن إلغاء الإسم ، ثمّ إن كانت هذه الجريمة ممّا يؤاخذ به صاحبه ؟ فهي عامّة للأنصار كلّهم كما أوعز إليه أبوعمر بقوله : لم يكن لقائل هذا علمٌ بما كان من الأنصار يوم الدار . فيجب إسقاط رواياتهم أو السكوت عن اسمائهم جمعاء . وبالجملة : إنّ هذا الأنصاريّ البدري عُدّ ممّن أعان على قتل عثمان ، ولم يشذّ في رأيه عن الأنصار أو عن بقيّة الصحابة أجمع .

-٢٠-

حديث محمد بن عمرو

ابن حزم أبي سليمان الأنصاري

أحد المحامدة الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمّداً . قال أبوعمر في «الاستيعاب» في ترجمته : يقال : إنّه كان أشدّ الناس على عثمان المحمّدون : محمّد بن أبي بكر . محمّد بن أبي حذيفة . محمّد بن عمرو بن حزم .

-٢١-

حديث جابر بن عبدالله

أبي عبد الله الأنصاريّ الصحابيّ العظيم وقوم آخرين من الصحابة

لمّا فرغ الحجّاج من أمر ابن الزبير كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وأتته ولاية مكّة والمدينة ، وكان عبد الملك حين بعثه لقتال عبد الله بن الزبير عقد له على مكّة ولكنّه أحبّ تجديد ولايته إيّاها ، فشخص الحجّاج إلى المدينة ، واستخلف على مكّة عبد الرحمن بن نافع بن عبدالحارث الخزاعي ، فلمّا قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم وقال : إنّهم قتلة أمير المؤمنين عثمان ، وختم يد جابر بن عبدالله برصاص وأيدى قوم آخرين كما يُفعل بالذمّة ، منهم : أنس بن مالك

ختم عنقه، وأرسل إلى سهل بن سعد فدعاه فقال: مامنعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان ابن عفان؟ قال: قد فعلت. قال: كذبت. ثمّ أمر به فختم في عنقه برصاص.

أنساب البلاذري ٥ : ٣٧٣، تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٦؛ الكامل لابن الأثير ٤ :١٤٩

قال الأميني: تعطي هذه الرّواية أنّ مؤاخذة الحجّاج لبقيّة الصحابة و فيهم جابر - صاحب الحلقة في مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله يؤخذ منه العلم كما في الاصابة ١ :٢١٣ - كانت لتدخّلهم في واقعة عثمان بمباشرة أو تخذيل عنه أو بتقاعد عن نصرته، نحن لا نقول بوثاقة الرجل فيما يرويه كما لا نقول بسداده فيما يرتأيه، غير أنّ الحالة تشهد أنّ تلكم النسبة كانت مشهورة بين الملأ فاحتجّ بها الحجّاج على ما ارتكبه من إهانتهم ولم يظهر من القوم أيّ إنكار لما رُموا به ردءاً للعادية الطاغية، لكنّهم صبروا على البلاء وشدّة النازلة ثباتاً منهم على ما ارتكبوه في واقعة الدار.

-٣٢-

حديث جبلة بن عمرو(١)

ابن ساعدة الساعدي الأنصاري (بدريّ)

أخرج الطبري من طريق عثمان بن الشريد قال: مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعة فقال: يا نعثل؟ والله لأقتلنّك ولأحملنّك على قلوص جرباء ولأخرجنّك إلى حرّة النار، ثمّ جاءه مرّة اُخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه

وأخرج من طريق عامر بن سعد قال: كان أوّل من اجرأ على عثمان بالمنطق السيّء جبلة بن عمرو الساعدي، مرّ به عثمان وهو جالس في نديّ قومه وفي يد جبلة بن عمرو جامعة، فلمّا مرّ عثمان سلّم فردّ القوم فقال جبلة: لِمَ تردّون على رجل فعل كذا وكذا؟ قال: ثمّ أقبل على عثمان فقال: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه. قال عثمان: أيّ بطانة؟ فوالله إنّي لا أتخيّر الناس. فقال: مروان تخيّرته، ومعاوية تخيّرته، وعبد الله بن عامر بن كريز تخيّرته، و عبد الله بن سعد تخيّرته، منهم من نزل القرآن بذمّه وأباح رسول الله دمه(٢) قال: فانصرف عثمان فما

(١) قال البلاذرى فى الانساب ٥ : ٤٧ : قال الكلبى : هو رخيلة بن ثعلبة البياضى، بدرى.
(٢) هو عبدالله بن سعد راجع ما اسلفناه فى ج ٨ : ٢٨٠ ط ٢.

زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم .

تاريخ الطبري ٥ : ١١٤ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٧٠ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٧٦ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٦٥ .

وأخرج البلاذري في الأنساب ٥ :٤٧ الحديث الأوّل باللفظ المذكور فقال : ثمّ أتاه وهو على المنبر فأنزله ، وكان أوّل من اجترأ على عثمان وتجهّمه بالمنطق الغليظ وأتاه يوماً بجامعة فقال : والله لأطرحنّها في عنقك ، أو لتتركنّ بطانتك هذه ، أطعمت الحارث بن الحكم السوق وفعلت وفعلت ، وكان عثمان ولّى الحارث السوق فكان يشتري الجلب بحكمه ويبيعه بسومه ، ويجبي مقاعد المتسوّقين ، ويصنع صنيعاً منكراً ، فكلّم في إخراج السوق من يده فلم يفعل ، وقيل لجبلة في أمر عثمان وسُئل الكفّ عنه فقال: والله لا ألقى الله غداً فأقول: إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل .

وأخرج ابن شبه في أخبار المدينة من طريق عبدالرّحمن بن الأزهر : انّهم لمّا أرادوا دفن عثمان فانتهوا إلى البقيع فمنعهم من دفنه جبلة بن عمرو فانطلقوا إلى حشّ كوكب فدفنوه فيه [١] .

قال الأميني : إنّك جِدّ عليم بما في هذا الرجل المبجّل ـ البدريّ الذي أثنى عليه أبو عمر في «الاستيعاب» بقوله : كان فاضلاً من فقهاء الصحابة . و هو أحد الصحابة العدول الذين يُحتجّ بما رووه أو رأوه ـ من شدّة على عثمان وتباة عليها ، حتّى انّه يعدّ المحايدة يومئذ من الضلال الذي يأمر به السّادة والكبراء الضالّون ، و يهدّد عثمان و يرعد ويبرق وينهى عن ردّ السّلام عليه الذي هو تحيّة المسلمين ، و من الواجب شرعاً ردّها ، وينزّله عن منبر الخطابة إنزالاً عنيفاً بين الملأ ، ثمّ لم يزل يستخفّ به و يهينه ولا تأخذه فيه هوادة حتّى منعه عن الدفن في البقيع ، فدفن في حشّ كوكب مقابر اليهود وكلّ هذه لا تلتئم مع حسن ظنّه به فضلاً عن حسن عقيدته .

نعم : إنّ جبلة فعل هذه الأفاعيل بين ظهراني الملأ الديني الصحابة العدول وهم بين مُتجمهرٍ معه ، و مُخذِّلٍ عن الخليفة المقتول ، و متثبّطٍ عنه ، وراضٍ بما دارت على الخليفة من دائرة سوء ، ماخلا شذّاذ من الأمويّين الذين وصفهم جبلة في بيانه ،

(١) الاصابة ١: ٢٢٣ .

وقدّمنا نحن تفصيل ما نزل من القرآن فيهم في الجزء الثامن [١] ولم تقم الجامعة الدينيّة لهم ولآرائهم وزناً .

-٢٣-

حديث محمد بن مسلمة

أبي عبدالرحمن الأنصاري (بدريٌّ)

أخرج الطبري من طريق محمّد بن مسلمة قال : خرجت في نفر من قومي إلى المصريّين وكان رؤساء هم أربعة : عبدالرّحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حمران المرادي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وابن النباع [٢] قال : فدخلت عليهم وهم في خباء لهم أربعتهم ورأيت الناس لهم تبعاً ، قال : فعظّمتُ حقّ عثمان ، ومافي رقابهم من البيعة ، وخوّفتهم بالفتنة ، وأعلمتهم أنّ في قتله اختلافاً وأمراً عظيماً ، فلا تكونوا أوّل من فتحه وانّه ينزع عن هذه الخصال التي نقمتم منها عليه وأنا ضامنٌ لذلك . قال القوم : فإن لم ينزع قال : قلت فأمركم إليكم . قال : فانصرف القوم وهم راضون فرجعت إلى عثمان فقلت : اخلني . فأخلاني فقلت : اللهالله ياعثمان ! في نفسك ، إنّ هؤلاء القوم إنّما قدموا يريدون دمك وأنت ترى خذلان أصحابك لك ، لا ، بل هم يقوّون عدوّك عليك ، قال : فأعطاني الرضا و جزّاني خيراً قال : ثمّ خرجت من عنده فأقمت ماشاء الله أن اُقيم ، قال : و قد تكلّم عثمان برجوع المصريّين وذكر أنّهم جاءوا لأمر فبلغهم غيره فانصرفوا . فأردت أن آتيه فاُعنّفه ثمّ سكتُّ فإذا قائلٌ يقول : قد قدم المصريّون وهم بالسويداء [٣] قال: قلت : أحقٌّ ما تقول ؟ قال: نعم . قال : فأرسل إليّ عثمان ، قال : و إذا الخبر قد جاءه و قد نزل القوم من ساعتهم ذاخُشب [٤] فقال : يا أبا عبدالرّحمن ! هؤلاء القوم قد رجعوا فما الرأي فيهم ؟ قال قلت : و الله ما أدري إلّا إنّي أظنّ أنّهم لم يرجعوا لخير قال : فارجع إليهم فارددهم قال : قلت : لا والله ما أنا بفاعل ، قال : و لِمَ ؟ قال : لأنّي ضمنت لهم اموراً تنزع عنها ، فلم تنزع عن حرف منها قال : فقال : الله المستعان قال : وخرجت

---

(١) راجع صفحة ٢٤٧-٢٤٩، ٢٧٥ ، ٢١٨ ط ٢ .

(٢) كذا في تاريخ الطبري وفيما حكى عنه والصحيح : ابن البياع وهو عروة بن شييم الليثي.

(٣) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .

(٤) واد على مسيرة ليلة من المدينة .

وقدم القوم وحلّوا بالأسواف و حصروا عثمان و جاءني عبدالرّحمن ابن عديس ومعه سودان بن حمران وصاحباه فقالوا : يا أبا عبدالرّحمن ؛ ألم تعلم أنّك كلّمتنا ورددتنا و زعمت أنّ صاحبنا نازعٌ عمّا نكره ؟ فقلت : بلى ، فإذا هم يُخرجون إليّ صحيفة صغيرة وإذا قصبة من رصاص فإذا هم يقولون : وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان فأخذنا متاعه ففتّشناه فوجدنا فيه هذا الكتاب . الحديث يأتي بتمامه .

تاريخ الطبري ٥ : ١١٨ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٧٠ .

قال الأميني : إنّك تجد محمّد بن مسلمة ها هنا لا يشك في أنّ مانقمه القوم على الخليفة موبقات يستحلّ بهاهتك الحرمات ممّن ارتكبها ، لكنّه كره المناجزة وحاول الإصلاح حِذار الفتنة المستتبعة لطامات وهنابث ، وسعى سعيه في ردّ القوم بضمانه عسى أن ينزع الخليفة عمّا فرّط في جنب الله ، و أن يكون ذلك توبة نصوحاً ، فلعلّ الفورة تهدأ ، ولهيب الثورة يخبأ ، لكنّه لمّا شاهد الفشل في مسعاه ، وأخفق ظنّه بعثمان ، و رأى منه حنث الإلّ ، وعدم النزوع عن أحداثه ، تركه والقوم ، فارتكبوا منه ما ارتكبوا ولم يجبه حينما استنصره ، ولم يُقم لطلبته و زناً ، و لم يرَ له حرمة يدافع بها عنه ، و لذلك خاشنه في القول ، فكان ما كان مقضيّاً .

-٢٤-
حديث ابن عباس
حبر الأمّة ابن عمّ النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم

١- أخرج أبو عمر في « الاستيعاب » في ترجمة مولانا أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه من طريق طارق قال : جاء ناسٌ إلى ابن عبّاس فقالوا : جئناك نسألك فقال : سلوا عمّا شئتم فقالوا : أيّ رجل كان أبو بكر ؟ فقال : كان خيراً كلّه . أو قال : كالخير كلّه على حِدّة كانت فيه . قالوا : فأيّ رجل كان عمر ؟ قال : كان كالطائر الحذر الذي يظنّ أنّ له في كلّ طريق شركاً . قالوا : فأيّ رجل كان عثمان ؟ قال : رجل ألهته نومته عن يقظته . قال : فأيّ رجل كان عليّ ؟ قال : كان قد مُلىء جوفه حكماً وعلماً وبأساً و نجدةً مع قرابته من رسول الله صلّى الله عليه وآله و كان يظنّ أن لا يمدّ يده إلى شيء إلّا ناله ، فما مدّ يده إلى شيء فناله .

٢- من كتاب لمعاوية إلى ابن عبّاس : لعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا ، و أن يكون رأياً صواباً ، فإنّك من الساعين عليه ، والخاذلين له ، و السافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي ولا بيدك أمان [1].

فكتب إليه ابن عبّاس جواباً طويلاً يقول فيه : وأمّا قولك « إنّي من الساعين على عثمان والخاذلين له ، والسافكين له ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي » فا قسم بالله لأنت المتربّص بقتله ، و المحبّ لهلاكه ، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ فما حفلت به حتّى بعثت إليه معذراً باجرة أنت تعلم انّهم لن يتركوه حتّى يقتل ، فقتل كما كنت أردت ثمّ علمت عند ذلك أن النّاس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعي عثمان وتلزمنا دمه ، وتقول قتل مظلوماً ، فإن يك قتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين ، ثمّ لم تزل مصوّباً و مصعّداً وجاثماً ورابضاً تستغوي الجهّال وتنازعنا حقّنا بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين.

قال الأميني : إنّ حبر الأمّة وإن لم يكن له أيّ تدخّل في واقعة الدار ، وكان أمير الحاجّ في سنته تلك ، لكنّك تراه لايشذّ عن الصحابة في الرأي حول الخليفة ، ولا يقيم له وزناً ، ولايرى له مكانة ، ومن أجل ذلك أعطى المقام حقّه في جواب السائل عن الخلفاء ، غير انّه لم يصف عثمان إلّا بما ينبأ عن عدم كفائته برقدته الطويلة الغاشية على يقظته ، وسباته العميق الساتر لإنتباهته ، ومن جرّاء ذلك الإعتقاد تجده لم يهتم بشيء من أمره لمّا جاءه نافع بن طريف بكتاب [2] من الخليفة يستنجد الحجيج و يستغيث بهم ، على حين انّه محصور ، فقرأه نافع على الناس بينما كان ابن عبّاس يخطب فلمّا نجزت قراءته أتمّ خطبته من حيث أفضت اليه ، ولم يلو إلى أمر عثمان و حصاره ، ولم ينبس في أمره ببنت شفة ، و كان في وسعه أن يستثيرهم لنصرته ، و هل ذلك كلّه لسوء رأي منه في الخليفة ؟ أولعدم الإهتمام في أمره ؟ أولحسن ظنّه بالثائرين عليه ؟ إختر ما شئت ، ولعلّك تختار تحقّق الجميع لدى ابن عبّاس ، وكأنّ عائشة شعرت منه

(١) شرح ابن الحديد ٤ : ٥٨ . قال : كتبه اليه عند صلح الحسن عليه السلام يدعوه الى بيعته
(٢) يأتي تفصيله في هذا الجزء عند ذكر كتب عثمان ان شاء الله .

ذلك فقالت يوم مر بها ابن عباس في منزل من منازل الحج : يا ابن عباس ! إن الله قد اتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية .[١]

ومن جراء رأيه الذايع الشايع كان يحذر معاوية ويخاف بطشه ، ولما قال له أمير المؤمنين عليه السلام : إذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها . قال : إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يحبسني لقرابتي منك ، ولكن اكتب معي إلى معاوية فمنه و عده . الحديث [٢] .

وفي أثر ذلك الرأي كان يسكت عن لعن قتلة عثمان و لما كتب اليه معاوية : أن اخرج إلى المسجد والعن قتله عثمان . أجاب بقوله : لعثمان ولد و خاصة وقرابة هم أحق بلعنهم مني ، فإن شاء وا أن يلعنوا ، و إن شاءوا أن يمسكوا فليمسكوا[٣]

-٢٥-
حديث عمرو بن العاصي
الذي عرفناكه في ج ٢ ص ١٢٠ - ١٧٦

أخرج الطبري من طريق أبي عون مولى المسور قال : كان عمرو بن العاصي على مصر عاملاً لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ، واستعمل عبدالله بن سعد على الخراج ، ثم جمعهما لعبدالله بن سعد ، فلما قدم عمرو بن العاصي المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل اليه يوماً عثمان خالياً به فقال : يا ابن النابغة ما أسرع ما قمل به جربان جبتك ؟ إنما عهدك بالعمل عاماً أول ، أتطعن علي ، ويأتيني بوجه ، وتذهب عني بآخر ؟ والله لولا أكلة ما فعلت ذلك . فقال عمرو : إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلي ولاتهم باطل ، فاتق الله يا أمير المؤمنين ! في رعيتك ، فقال عثمان : والله لو استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك ، فقال عمرو : قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض فقال عثمان : وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ولكني لنت عليك فاجترأت علي ، أما والله لأنا أعز منك نفراً في الجاهلية وقبل أن ألي هذا

(١) راجع ما مر في هذا الجزء من حديث عائشة .
(٢) تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٢٨ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٨٣ .
(٣) الامامة والسياسة قتيبة ١ : ١٤٨ .

السلطان ، فقال عمرو : دع عنك هذا فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وهدانا به، قد رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان فوالله للعاصي كان أشرف من أبيك [١] فانكسر عثمان وقال : مالنا ولذكر الجاهلية ، وخرج عمرو ودخل مروان فقال : يا أمير المؤمنين ! وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاصي أباك ، فقال عثمان : دع هذا عنك ، مَن ذكر آباء الرجال ذكروا أباه . قال فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي علياً مرّة فيؤلّبه على عثمان ، ويأتي الزبير مرّة فيؤلّبه على عثمان ، ويأتي طلحة مرّة فيؤلّبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلمّا كان حصر عثمان الأوّل خرج من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها : السبع ، فنزل في قصر له يقال له : العجلان و هو يقول : العجب ما يأتينا عن ابن عفان قال : فبينا هو جالس في قصره ذلك و معه إبناه محمّد ، وعبدالله ، وسلامة بن رَوح الجذامي إذمرّ بهم راكب فناداه عمرو :من أين قدم الرجل ؟ فقال : من المدينة ، قال : ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان . قال : تركته محصوراً شديد الحصار قال عمرو : أنا أبو عبد الله قد يضرط العير والمِكواة في النّار فلم يبرح مجلسه ذلك حتّى مرّ به راكب آخر فناداه عمرو : ما فعل الرّجل ؟ يعني عثمان . قال : قُتل . قال : أنا أبوعبد الله إذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأحرّض عليه حتّى إنّي لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل . فقال له سلامة بن روح : يا معشر قريش ! إنّه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه ، فما حملكم على ذلك ؟ فقال : أردنا أن نخرج الحقّ من حافرة الباطل ، وأن يكون الناس في الحقّ شرعاً سواء ، وكانت عند عمرو اُخت عثمان لاُمّه اُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ففارقها حين عزله [٢].

٢- لمّا ركب علي وركب معه ثلاثون رجلاً من المهاجرين والأنصار إلى أهل مصر في أوّل مجيئهم المدينة ناقمين على عثمان ، وردّهم عنه فانصرفوا راجعين ورجع

(١) ليت شعرى ما مكانة عفان من الشرف ان كان يفضل عليه العاصى الساقط المشرف بقوله تعالى : « ان شانئك هو الأبتر » كما مرّ تفصيله فى الجزء الثانى ص ١٢٠ ط٢ .

(٢) تاريخ الطبرى ٥ : ١٠٨، ٢٠٣، الأنساب للبلاذرى ٥ : ٧٤ ، الامامة والسياسة ١ : ٤٢، الاستيعاب ترجمة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، شرح ابن أبى الحديد ١ : ٦٣ ، وأوعز اليه ابن كثير فى تاريخه ٧ : ١٧٠ بصورة مصغرة جرياً على عادته فيما لايروقه .

علي ﷺ إلى عثمان وأخبره انّهم قد رجعوا ، حتّى إذا كان الغد جاء مروان عثمان فقال له : تكلّم وأعلم النّاس أنّ أهل مصر قد رجعوا ، وإنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً ، فإنّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه . فأبى عثمان أن يخرج ، فلم يزل به مروان حتّى خرج فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أما بعد : إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقّنوا أنّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم[1] فناداه عمرو بن العاصي من ناحية المسجد : إتّق الله ياعثمان ! فإنّك قد ركبت نهابير[2] وركبناها معك فتب إلى الله نتب ، فناداه عثمان : وإنّك هناك يا ابن النابغة ؟ قملت والله جبّتك منذ تركتك من العمل، فنودي من ناحية اُخرى : تب إلى الله وأظهر التوبة يكفّ النّاس عنك . فرفع عثمان يديه مدّاً واستقبل القبلة فقال : أللهمّ إنّي أوّل تائب تاب إليك . ورجع إلى منزله ، وخرج عمرو بن العاصي حتّى نزل منزله بفلسطين فكان يقول : والله إن كنت لألقى الراعي فاُحرّضه عليه . وفي لفظ البلاذري : ياابن النابغة ! وإنّك ممّن تؤلّب عليّ الطغام ؟ وفي لفظ : قال عمرو : يا عثمان ! إنّك قد ركبت بهذه الاُمّة نهاية من الأمر وزغت فزاغوا فاعتدل أواعتزل . وفي لفظ : ركبت بهذه الاُمّة نهابير من الاُمور فركبوها منك ، وملت بهم فمالوا بك ، اعدل أو اعتزل .

تاريخ الطبري ٥ . ١١٠ ، ١١٤ ، أنساب البلاذري ٥ : ٧٤ ، الإستيعاب ترجمة عثمان ، شرح ابن أبي الحديد ٢ . ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٦٨ ، الفائق للزمخشري ٢ : ٢٩٦ ، نهاية ابن الأثير ٤ : ١٩٦ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٧٥ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٩٦ ، لسان العرب ٧ : ٩٨ ، تاج العروس ٣ : ٥٩٢ .

٣ـ قال ابن قتيبة : ذكروا انّ رجلاً من همدان يقال له « برد » قدم على معاوية فسمع عمراً يقع في عليّ فقال له : يا عمرو إنّ أشياخنا سمعوا رسول الله ﷺ يقول : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه . فحقٌّ ذلك أم باطلٌ ؟ فقال عمرو: حقٌّ وأنا أزيدك انّه ليس

(١) ما عذر الخليفة في هذا الكذب الفاحش على منبر النبي الأعظم وهو بين يدي قبره الشريف لعله يعتذر بأن مروان حثه عليه ولم يكن له منتدح من قبول أمره ، والملك عقيم .

(٢) النهابير والنهابر : المهالك : الواحدة : نهبرة ونهبور .

أحدٌ من صحابة رسول الله له مناقبٌ مثل مناقب عليّ . ففزع الفتى فقال عمرو : إنّه أفسدها بأمره في عثمان فقال برد : هل أمر أو قتل ؟ قال : لا ، و لكنه آوى و منع ، قال : فهل بايعه الناس عليها ؟ قال : نعم . قال : فما أخرجك من بيعته ؟ قال : إتّهامي إيّاه في عثمان . قال له : وأنت أيضاً قد اُتّهمت . قال : صدقت فيها ، خرجت إلى فلسطين . فرجع الفتى إلى قومه فقال : إنّا أتيناقوماً أخذنا الحجّة عليهم من أفواههم ، عليٌّ على الحقّ فاتّبعوه . « الإمامة والسياسة ١ ص ٩٣ » .

٤ ـ أخرج الطبري في تاريخه ٥ : ٢٣٤ من طريق الواقدي قال : لمّا بلغ عمراً قتل عثمان رضي الله عنه قال : أنا أبوعبدالله قتلته وأنا بوادي السباع ، من يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يلِه طلحة فهو فتى العرب سيباً ، وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلاّ سيستنظف الحقّ ، وهو أكره من يليه إليّ .

٥ ـ أسلفنا في حديث طويل في الجزء الثاني ص ١٣٣ ـ ١٣٦ ط ٢ من قول الإمام الحسن السبط الزكي لعمرو بن العاصي : و أمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعّرت عليه الدنيا نـاراً ، ثمّ لحقت بفلسطين فلمّا أتاك قتله قلتَ : أنا أبو عبد الله إذا نكأت « أي قشرت » قرحةً أدميتها ، ثمّ حبست نفسك إلى معاوية وبعت دينك بدنياه ، فلسنا نلومك على بغض ، و لا نعاتبك على ودّ ، و بـالله مـا نصرت عثمان حيّـاً ، و لا غضبت له مقتولاً .

قال أبو عمر في « الاستيعاب » في ترجمة عبدالله بن سعيد بن أبي سرح : كان عمرو ابن العاصي يطعن على عثمان ويؤلّب عليه ويسعى في إفساد أمره ، فلمّا بلغه قتل عثمان وكان معتزلاً بفلسطين قال : إنّي إذا نكأت قرحة أدميتها أو نحو هذا .

وقال في ترجمة محمّد بن أبي حذيفة : كان عمرو بن العاص مذ عزله عثمان عن مصر يعمل حيلة في التأليب والطعن على عثمان .

وفي الإصابة ٣ : ٣٨١ : إنّ عثمان لمّا عزل عمرو بن العاص عن مصر قدم المدينة فجعل يطعن على عثمان ، فبلغ عثمان فزجره ، فخرج إلى أرض له بفلسطين فأقام بها .

قال الأميني : لعلّ ممّا يستغني عن الإفاضة فيه مناوءة ابن العاصي لعثمان ورأيه في سقوطه ، وتبجّحه بالتأليب عليه ، ومسرّته على قتله ، وقوله بملأ فمه : أنا أبوعبدالله قتلته

وأنا بوادي السباع . وقوله : إنّي إذا نكأت قرحة أدميتها . وهل الأحن بينهما استفحلت فتأثرت بها نفسيّة ابن العاصي حتّى انّه اجتهد فأخطأ . أو انّه أصاب الحقّ ، فكان اجتهاده عن مقدّمات صحيحة مقطوعة عن الضغائن الثائرة ، معتضدة بآراء الصحابة ، و أيّاً ماكان فهو عند القوم من أعاظم الصحابة العدول يرى في الخليفة هذا الرأي .

-٢٦-

حديث عامر بن واثلة

أبي الطفيل الشيخ الكبير الصحابيّ .

قدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية فأخبر معاوية بقدومه فأرسل إليه فأتاه وهو شيخ كبير فلمّا دخل عليه قال له معاوية : أنت أبو الطفيل عامر ابن واثلة ؟ قال : نعم . قال معاوية : أكنت ممّن قتل عثمان أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن ممّن شهده فلم ينصره . قال : و لِمَ ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار . فقال معاوية أما والله إن نصرته كانت عليهم وعليك حقّاً واجباً وفرضاً لازماً ، فإذ ضيّعتموه فقد فعل والله بكم ما أنتم أهله وأصاركم إلى ما رأيتم . فقال أبو الطفيل : فما منعك يا أمير المؤمنين ! إذ تربّصت به ريب المنون أن لا تنصره ومعك أهل الشام ؟ قال معاوية : أوَ ماترى طلبي لدمه نصرة له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال بلى: ولكنّي وإيّاك[1] كما قال عبيد بن الأبرص :

لأعرفنّك بعد الموت تندبني ✡ و في حياتي ما زوّدتني زادي

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبدالرّحمن بن الحكم فلمّا جلسوا نظر إليهم معاوية ثمّ قال : أتعرفون هذا الشيخ ؟ قالوا : لا . فقال معاوية : هذا خليل عليّ بن أبي طالب ، و فارس صفّين و شاعر أهل العراق ، هذا أبو الطفيل . قال سعيد بن العاص : قد عرفناه يا أمير المؤمنين! فما يمنعك منه ؟ و شتمه القوم فزجرهم معاوية قال : فربّ يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعاً ثمّ قال : أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل ؟ قال : ما أُنكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير وأنشد شعراً :

فإن تكن العداوة قد أكنّت ✡ فشرّ عداوة المرء السبابُ

فقال معاوية : يا أبا الطفيل ! ما أبقى لك الدهر من حبّ عليّ ؟ قال : حبّ أُم

(١) كذا والصحيح كما في مروج الذهب . ولكنك واياه .

موسى وأشكو إلى الله التقصير . فضحك معاوية وقال : ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سألوا عنّي ما قالوا هذا . فقال مروان : أجل والله لا نقول الباطل .

الإمامة والسياسة ١ : ١٥٨ ، مروج الذهب ٢ : ٦٢ ، تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٠١ ، الإستيعاب في الكنى ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٣ .

قال الأميني : أترى هذا الشيخ الكبير الصالح كيف يعترف بخذلانه عثمان ؟ و يحكي مصافقته على ذلك عن المهاجرين والأنصار الصحابة العدول ، غير متندّم على ما فرّط هنالك ، ولو كان يتحرّج هو ومَن نقل عنهم موافقتهم له لردعتهم الصحبة والعدالة عمّا ارتكبوه من القتل والخذلان ، ولو كان لحقه وإيّاهم شيءٌ من الندم لباح به و باحوا ، لكنّهم اعتقدوا أمراً فمضوا على ضوئه ، وإنّهم كانوا على بصيرة من أمرهم ، وما اعتراهم الندم إلى آخر نفس لفظوه .

ـ ١٧ ـ
حديث سعد بن ابي وقاص
أحد العشرة المبشّرة ، وأحد الستّة أصحاب الشورى

١ ـ روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١ ص ٤٣ قال : كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقّاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولّى كبره فكتب إليه سعد : إنّك سألتني من قتل عثمان وأنّي اخبرك انّه قتل بسيف سلّته عائشة ، وصقّله طلحة ، وسمّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكن عثمان غيّر و تغيّر و أحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله . الحديث مرّ بتمامه ص ٨٣ .

٢ ـ عن أبي حبيبة قال : نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثمّ خرج من عنده وهو يسترجع ممّا يرى على الباب فقال له مروان : الآن تندم ؟ أنت أشعرته . فأسمع سعداً يقول : استغفر الله لم أكن أظنّ النّاس يجترؤن هذه الجرأة ولا يطلبون دمه ، وقد دخلت عليه الآن فتكلّم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك فنزع عن كلّ ما كُره منه وأعطى التوبة . وقال : لا أتمادى في الهلكة انّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق فأنا أتوب وأنزع . فقال مروان : إن كنت تريد أن تذبّ عنه فعليك

بابن أبي طالب فإنّه متستّر وهو لا يجبه . فخرج سعد حتّى أتى علياً وهو بين القبر والمنبر فقال : يا أبا الحسن ! قم فداك أبي وأمّي جئتك والله بخير ما جاء به أحدٌ قطّ إلى أحد ، تصل رحم ابن عمّك ، وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقن دمه ، ويرجع الأمر على ما نحبّ . قد أعطى خليفتك من نفسه الرضى فقال عليٌّ : تقبّل الله منه يا أبا إسحاق ! والله ما زلتُ أذبّ عنه حتّى انّي لأستحيي ، ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى ، فإذا نصحته وأمرته أن تنحّيهم استغشّني حتى جاء ما ترى . قال : فبينا هم كذلك جاء محمّد بن أبي بكر فسارّ علياً فأخذ عليٌّ بيدي ونهض عليٌّ وهو يقول : وأيّ خير توبته هذه ؟ فوالله مابلغت داري حتّى سمعت الهائعة : انّ عثمان قد قتل . فلم نزل والله في شرّ إلى يومنا هذا . تاريخ الطبري ٥ : ١٢١ .

قال الأميني : يُترأى للقارئ من هذه الجمل أنّ سعداً خذل الخليفة على حين أنّه مكثورٌ لا يُراد به إلّا القتل وهو على علم منه أنّه مقتولٌ لا محالة لما كان يرى أنّه غيّر وتغيّر ، وغير عازب عن سعد حينئذ حكم الشريعة بوجوب كلاءة النفس المحترمة للمتمكّن منها وهو يقول : وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه . حتّى أنّه بعد هدوء الثورة غير جازم بأنّه ارتكب حوباً في خذلانه فيقول : إن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله ، وعلى تقدير كونه إساءةً يراها من اللمم المحوّ بالاستغفار، ولعلّ الشقّ الأخير من كلمته مجاملة مع عمرو بن العاصي لئلاّ يلحقه الطلب بدم عثمان ولذلك ألقى المسؤوليّة على اُناس آخرين من عليّة الاُمّة ذكرهم في كتابه ، وعليه فصميم رأيه هو ما ارتكبه ساعة القتل من الخذلان .

-٢٧-
حديث مالك الاشتر

ابن الحارث المترجم له فيما مرّ ص ٣٨ ـ ٤٠

ذكر البلاذري في الأنساب ٥ : ٤٦ : إنّ عثمان كتب إلى الأشتر وأصحابه مع عبد الرحّمن بن أبي بكر، والمسور بن مخرمة يدعوهم إلى الطاعة ويُعلمهم انّهم أوّل من سَنّ الفرقة ، ويأمرهم بتقوى الله ومراجعة الحقّ ، والكتاب إليه بالذي يُحبّون .

فكتب إليه الأشتر :

من مالك الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سنّة نبيّه ، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

أمّا بعد : فقد قرأنا كتابك فانه نفسك وعمّالك عن الظلم والعدوان وتسيير الصالحين نسمح لك بطاعتنا ، وزعمت أنّا قد ظلمنا أنفسنا ، وذلك ظنّك الذي أرداك ، فأراك الجور عدلاً ، والباطل حقّاً ، وأمّا محبّتنا فإن تنزع وتتوب وتستغفر الله من تجنّيك على خيارنا ، وتسييرك صلحاءنا ، وإخراجك إيّانا من ديارنا ، وتوليتك الأحداث علينا ، وأن تولّي مصرنا عبدالله بن قيس أبا موسى الأشعري وحذيفة فقد رضيناهما ، واحبس عنّا وليدك وسعيدك ومن يدعوك إليه الهوى من أهل بيتك إن شاء الله والسّلام .

وخرج بكتابهم يزيد بن قيس الأرحبي ، ومسروق بن الأجدع الهمداني ، وعبد الله بن أبي سبرة الجعفي ، وعلقمة بن قيس أبو شبل النخعي ، وخارجة بن الصلت البرجمي في آخرين . فلمّا قرأ عثمان الكتاب قال : أللهمّ إنّي تائب وكتب إلى أبي موسى وحذيفة : أنتما لأهل الكوفة رضى ولنا ثقة ، فتولّيا أمرهم وقوما به بالحقّ غفر الله لنا ولكما . فتولّى أبوموسى وحذيفة الأمر ، وسكّن أبوموسى النّاس وقال عتبة بن الوغل :

تصدّق علينا يا ابن عفّان واحتسب　✡　وأمّر علينا الأشعريّ لياليا

فقال عثمان : نعم وشهوراً إن بقيت .

قال الأميني : نظريّة مالك الذي عرفته صحيفة ٣٨ في عثمان صريحة واضحة لا تحتاج إلي تحليل وتعليل ، وإنّما أعطى من نفسه الرضا في كتابه بشرط النزوع و التوبة ، لكنّه لمّا لم يجد للشرط وفاءاً بل وجد منه إصراراً على ما نقمه هو والصحابة كلّهم تنشّط للمخالفة ، وأجلب عليه خيلاً ورجلاً ، ولم يزل مشتدّاً في ذلك حتّى بلغ ما أراد .

وسنوقفك على حقيقة أمر الخليفة من توبته بعد توبته في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى .

-٢٨-

حديث عبدالله بن عكيم

أخرج ابن سعد والبلاذري باسنادهما عن عبد الله بن عكيم الجهني « الصحابي » قال : لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان . فقيل له : يا أبا معبد وأعنت على دمه ؟ قال : إنّي أعدّ ذكر مساويه إعانة على دمه .

طبقات إبن سعد ٣ : ٥٦ ، الأنساب للبلاذري٥ : ١٠١ .

قال الأميني : هذا الحديث صريحٌ في أنّ الرجل كان يعتقد في عثمان مساوي ومثالب ، وقد اطمأنّ بثبوتها له ، فتحدّث بها في الأندية والمحاشد إعانةً على دمه ، فكان ذلك من موجبات قتله ، ولم يزل معترفاً به بعد أن اُسيلت نفسه واُريق دمه .

-٢٩-

حديث محمد بن أبي حذيفة

كان أبو القاسم محمّد بن أبي حذيفة العبشمي من أشدّ الناس تأليباً على عثمان ، و ذكر البلاذري في الأنساب قال : كان محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة ، ومحمّد بن أبي حذيفة ، خرجا إلى مصر عام خرج عبدالله بن سعد بن أبي سرح إليها ، فأظهر محمّد بن أبي حذيفة عيب عثمان والطعن عليه وقال : إستعمل عثمان رجلاً أباح رسول الله صلى الله عليه وآله دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره حين قال : سأنزل مثل ما أنزل الله(١) .

وكانت غزاة ذات الصواري في المحرّم سنة أربع وثلاثين وعليها عبد بن سعد ، فصلّى بالناس فكبّر ابن أبي حذيفة تكبيرة أفزعه بها فقال : لولا إنّك أحمق لقرّبت بين خطوك ، ولم يزل يبلغه عنه وعن ابن أبي بكر ما يكره ، وجعل ابن أبي حذيفة يقول : يا أهل مصر ! إنّا خلّفنا الغزو وراءنا . يعني غزو عثمان .

إنّ محمّد بن أبي حذيفة ومحمّد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ووافقا بمصر محمّد بن طلحة بن عبيدالله وهو مع عبد الله بن سعد ، و إنّ ابن أبي حذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة الليلة التي قدم

(١) يعني بذلك عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو صاحب يوم الفتح وفيه نزلت الآية كما مرّ في ص ٢٨١ من ج ٨ ط٢ .

فيها فقاتته الصّلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قراءته فسأل عنه ، فقيل : رجلٌ أبيض وضيء الوجه . فأمر إذا صلّى أن يؤتى به فلمّا رآه قال : ما جاء بك إلى بلدي؟ قال : جئت غازياً ، قال : ومَن معك ؟ قال : محمّد بن أبي بكر . فقال : والله ما جئتما إلّا لتُفسدا الناس ، وأمر بهما فسجنا ، فأرسلا إلى محمّد بن طلحة يسألانه أن يكلّمه فيهما لئلّا يمنعهما من الغزو ، فأطلقهما ابن أبي سرح وغزا ابن أبي سرح افريقيّة فأعدّ لهما سفينة مُفردة لئلّا يُفسد عليه الناس ، فمرض ابن أبي بكر فتخلّف وتخلّف معه ابن أبي حذيفة ، ثمّ إنّهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلّا وقد أوغرا صدور الناس على عثمان فلمّا وافى ابن أبي سرح مصر وافاه كتاب عثمان بالمصير إليه ، فشخص إلي المدينة وخلف على مصر رجلاً كان هواه مع ابن أبي بكر وابن أبي حذيفة ، فكان ممّن شايعهم وشجّعهم على المسير إلى عثمان .

قالوا : وبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبحمل عليه كسوة فأمر فوضُع في المسجد و قال : يامعشر المسلمين ! ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني و يرشوني عليه ؟ فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعناً عليه ، واجتمعوا إلى ابن أبي حذيفة فرأسوه عليهم ، فلمّا بلغ عثمان ذلك دعا بعمّار بن ياسر فاعتذر إليه ممّا فعل به واستغفر الله منه وسأله أن لا يحقده عليه ، وقال : بحسبك من سلامتي لك ثقتي بك ، وسأله الشخوص إلى مصر ليأتيه بصحّة خبر ابن أبي حذيفة ، وحقّ ما بلغه عنه من باطله ، و أمره أن يقوم بعذره ، ويضمن عنه العُتبى لمن قدم عليه ، فلمّا ورد عمّار مصر [1] حرّض الناس على عثمان ودعاهم إلى خلعه ، وأشعلها عليه ، وقوى رأي ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر وشجّعهما على المسير إلى المدينة ، فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان يُعلمه ما كان من عمّار ، ويستأذنه في عقوبته ، فكتب إليه : بئس الرأي رأيت يا ابن أبي سرح فأحسن جهاز عمّار وأحمله إليّ ، فتحرّك أهل مصر وقالوا : سُيّر عمّار ، ودبّ فيهم ابن أبي حذيفة ودعاهم إلى المسير فأجابوه [2] .

وذكر أبو عمر الكندي في امراء مصر : انّ عبدالله بن سعد أمير مصر كان توجّه

(١) سنوقفك على انّ بعث عمار الى مصر قط لا يصح .

(٢) أنساب البلاذرى ٥ : ٤٩ — ٥١ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٥٧ .

إلى عثمان لمّا قام الناس عليه ، فطلب اُمراء الأمصار فتوجّه إليه في رجب سنة ٣٥ واستناب عقبة بن عامر فوثب محمّد بن أبي حذيفة على عقبة ـ و كان يوم ذاك بمصر ـ فأخرجه من مصر وغلب عليها ، وذلك في شوّال منها ، ودعا إلى خلع عثمان ، و اسعر البلاد ، وحرّض على عثمان (١) .

وأخرج من طريق الليث عن عبد الكريم الحضرمي كما في الإصابة ٣ : ٣٧٣ : إنّ ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على أزواج النبيّ ﷺ في الطعن على عثمان كان يأخذ الرواحل فيحصرها ثمّ يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم فيجعلهم على ظهور بيت في الحرّ ، فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر ، ثمّ يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة ، ثمّ يرسل رسلاً يخبروا بقدومهم فيأمر بتلقّيهم ، فإذا لقوا الناس قالوا لهم : ليس عندنا خبر ، الخبر في الكتب ، فيتلقّاهم ابن أبي حذيفة و معه الناس فيقول لهم الرسل : عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم الكتب من اُمّهات المؤمنين : إنّا نشكوا إليكم ياأهل الإسلام كذاوكذا من الطعن على عثمان ، فيضجّ أهل المسجد بالبكاء والدعاء ، فلمّا خرج المصريّون ووجّهوا نحو المدينة على عثمان شيّعهم محمّد بن أبي حذيفة إلى عجرود ثمّ رجع .

قال الأميني : أترى هذا الصحابيّ العظيم كيف يجدّ ويجتهد في إطفاء هذه النائرة ولا يخاف فيما يعتقدانّه في الله لومة لائم ، غيرمكترث لمابهته به العثمانيّون من إختلاق الكتب على اُمّهات المؤمنين ، وتسويد الوجوه بمواجهة الشمس ، ولم يزل على دؤبه و اجتهاده حتّى قضي الأمر ، واُزيحت المثلات ، وما نبزوه به من الإفتعال والتزوير هو حرفة كلّ عاجز ، ولعلّه دُبّر في الأزمنة الأخيرة كما دُبّرت أمثاله في كلّ من الثائرين على عثمان ستراً على الحقائق الراهنة .

وهل من المستبعد أن تكتب في التأليب على عثمان صاحبة قول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً إنّه قد كفر . وقائلة : وددت والله إنّك «يا مروان» وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلّ واحد منكما رحاً وانّكما في البحر . وقائلة : بُعداً لنعثل و

(١) تاريخ الطبري ٥ : ١٠٩ ، الاستيعاب ١ : ٢٣٣ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٦٧ ، الاصابة ٣ : ٣٧٣ .

سحقاً . وقائلة : أبعده الله ، ذلك لما قدّمت يداه وما الله بظلاّم للعبيد . و قائلة : يا ابن عبّاس إنّ الله قد أتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية .

وهي كانت في الرعيل الأوّل من الثائرين على عثمان بشتّى الحيل والطرق الثائرة .

هب أنّهم بهتوا القوم بتلكم الأفائك لكن هل يسعهم إنكار تألّبهم على الخليفة يومئذ ؟ وقد التزموا بعدالتهم ، والصحاح والمسانيد مشحونة بالإحتجاج بهم والإخراج عنهم ، نعم غاية مايمكّنهم من التقوّل الحكم بالخطأ في الإجتهاد شأن كلّ متقابلين في حكم شرعيّ ، وليس تحكّمهم هذا بأرجح من رأي من يرى أنّهم أصابوا في الإجتهاد وإجماع الصحابة يومئذ كان معاضداً لهم ، وهم يقولون : إنّ اُمّة محمّد لاتجتمع على خطأ

-٣٠-

حديث عمرو بن زرارة

النخعي أدرك عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال البلاذري وغيره : إنّ أوّل من دعا إلى خلع عثمان والبيعة لعليّ عمرو بن زرارة ابن قيس النخعي ، وكميل بن زياد بن نهيك النخعي ، فقام عمرو بن زرارة فقال : أيّها النّاس إنّ عثمان قد ترك الحقّ وهو يعرفه ، وقد أغرى بصلحائكم يولّي عليهم شراركم فبلغ الوليد فكتب إلى عثمان بما كان من ابن زرارة ، فكتب إليه عثمان : إنّ ابن زرارة أعرابيّ جلف فسيّره إلى الشام . وشيّعه إلى الأشتر والأسود بن يزيد بن قيس وعلقمة بن قيس بن يزيد وهو عمّ الأسود والأسود أكبر منه فقال قيس بن قهدان يومئذ :

أقسم بالله ربّ البيت مجتهداً ✡ أرجو الثواب به سرّاً و إعلانا

لأخلعنّ أبا وهب وصاحبه ✡ كهف الضّلالة عثمان بن عفّانا

وقال ابن الأثير : هو ممّن سيّره عثمان من أهل الكوفة إلى دمشق .

راجع الأنساب للبلاذري ٥ : ٣٠ ، اسد الغابة ٤ : ١٠٤ ، الاصابة ١ : ٥٤٨ ، ج ٢ : ٥٣٦ .

قال الأميني : ليس على نظريّة هذا الصحابيّ ستر يماط عنها ، ولا انّه كان يلهج بغير المكشوف حتّى يُسدل عليه شيء من التمويه ، فانّك لاتجد رأيه إلّا في عدد آراء الصحابة جمعاء يومئذ .

-٣١-

حديث صعصعة بن صوحان

سيد قومه عبدالقيس

أخرج ابن عساكر في تاريخه ٦ : ٤٢٤ من طريق حميد بن هلال العدوي قال : قام صعصعة إلى عثمان بن عفان وهو على المنبر فقال : ياأمير المؤمنين ! ملت فمالت اُمّتك، اعتدل يا أمير المؤمنين ! تعتدل اُمّتك .

قال : وتكلّم صعصعة يوماً فأكثر فقال عثمان : ياأيّها النّاس إنّ هذا البجباج ، النفّاج ما يدري مَن الله و لا أين الله . فقال : أمّا قولك : ما أدري مَن الله . فإنّ الله ربّنا و ربّ آبائنا الأوّلين ، وأمّا قولك : لاأدري أين الله . فإنّ الله لبالمرصاد ، ثمّ قرأ : اُذن للذين يُقاتلون بأنّهم ظُلموا وانّ الله على نصرهم لقدير [1] . فقال عثمان : ما نزلت هذه الآية إلّا فيّ وفي أصحابنا اُخرجنا من مكّة بغير حقّ .

وذكره الزمخشري في الفائق ١ : ٣٥ فقال : البجباج : الذي يهبّر الكلام وليس لكلامه جهة ، وروي : الفجفاج . وهو الصيّاح المكثار . و قيل : المأفون المختال . و النفّاج : الشديد الصلف .

وأوعز إليه ابن منظور في لسان العرب ٣ : ٣٢ ، وقال : البجباج من البجبجة التي تفعل عند مناغاة الصبي ، وبجباج فجفاج كثير الكلام ، والبجباج : الأحمق ، والنفّاج: المتكبّر .

وكذا ذكره ابن الأثير في النهاية ١ : ٧٢ ، والزبيدي في تاج العروس ٢ : ٦ .

قال الأميني : هذا صعصعة الذي أسلفنا صفحة ٤٣ من هذا الجزء ذكر عظمته و فضله وبطولته وثقته في الدين والدنيا يرى أنّ الخليفة مال عن الحقّ فمالت اُمّته ولو اعتدل اعتدلت ، وفي تلاوته الآية الكريمة في محاورته ايذان بالحرب ، وإنّه ومَن شاكله مظلومون من ناحية عثمان منصورون بالله تعالى ، فهو بذلك مستبيح لمنابذته ومناجزته ، لقد لهج صعصعة بهذه على رؤس الأشهاد والخليفة على المنبر يخطب ، فلم يسمع إنكاراً أو دفاعاً من أفاضل الصحابة العدول .

---

(١) سورة الحج الاية : ٣٩.

-٣٢-

حديث حكيم بن جبلة

العبدي الشهيد يوم الجمل

كان هذا الرجل العظيم صالحاً ديِّناً مطاعاً في قومه كما وصفه أبو عمر ، وأثنى عليه المسعودي بالسيادة والزهد والنسك . كان أحد زعماء الثائرين على عثمان من أهل البصرة كما يأتي . وقال المسعودي : إنَّ النّاس لمّا نقموا على عثمان ما نقموا سار فيمن سار إلى المدينة حكيم بن جبلة . وقال الذهبي : كان ممّن ألّب على عثمان رضي الله عنه . وجاء في مقال خفاف الطائي في الحديث عن عثمان : حصره المكشوح ، وحكم فيه حكيم ، ووليه محمد وعمّار ، وتجرّد في أمره ثلاثة نفر : عدي بن حاتم . والأشتر النخعي . وعمرو بن الحمق . وجدّ في أمره رجلان : طلحة والزبير . الحديث .

وقال أبو عمر : كان ممّن يعيب عثمان من أجل عبد الله بن عامر وغيره من عمّاله . قال أبو عبيد : قطعت رجل حكيم يوم الجمل فأخذها ثمَّ زحف إلى الذي قطعها . فلم يزل يضربه بها حتّى قتله وقال :

يا نفس لن تراعي ✿ دعاك خير داعي
إن قطعت كراعي ✿ إنَّ معي ذراعي [١]

فالباحث يجد لهذا البطل الصالح الديِّن الزاهد الناسك قدماً أيَّ قدم في التأليب على الخليفة ، وله خطواته الواسعة في إستحلال دمه والتجمهر عليه ، وهو مع ذلك كلّه بعدُ صالحٌ يُذكر ويُشكر ويُثنى عليه ، ما اسودَّت صحيفة تاريخه بمناجزته الخليفة والوقيعة فيه ومقته والنقمة عليه ، ولم يتضعضع بها أركان صلاحه ، وما اختلَّ بها نظام نسكه ، ولا شوَّهت سمعته الدينيّة ، ولا دنّست ساحة قدسه ، وهذه كلّها لا تلتئم مع كون الخليفة إمام عدل .

(١) راجع كتاب صفين لابن مزاحم ص ٨٢ ، مروج الذهب ٢ : ٧ ، الاستيعاب ١ : ١٢١ ، دول الاسلام للذهبي ١ : ١٨ ، ابن أبي الحديد ١ : ٢٥٩ .

ـ٢٣ـ

حديث هشام

ابن الوليد المخزومي أخي خالد

مرّ في ص ١٥ من هذا الجزء قول الرجل لعثمان لمّا ضرب عمّاراً حتّى غُشي عليه : ياعثمان ! أمّا عليّ فاتّقيته وبني أبيه ، وأمّا نحن فاجترأت علينا و ضربت أخانا حتّى أشفيتَ به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلنَّ به رجلاً من بني اُميّة عظيم السرّة . فقال عثمان : و انّك لهاهنا يا ابن القسريّة ؟ قال : فانّهما قسريّتان ، وكانت اُمّه وجدّته قسريّتين من بجيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فاُخرج .

و لهشام أبيات في عثمان ذكرها المرزباني في معجم الشعراء كما قاله ابن حجر في الإصابة ٣ : ٦٠٦ وذكر منها قوله :

لساني طويلٌ فاحترس من شدائه ✩ عليك وسيفي من لساني أطولُ

لعلّ الباحث لا يعزب عنه رأي هذا الصحابي ـ العادل ـ في الخليفة ، ولا يجده شاذّاً عن بقيّة الصحابة في إصفاقهم على مقته بعد ما يراه كيف يجابه الرجل بفظاظة و خشونة ، و يقابله بالقول القارص ، و يهدّده بالهجاء و القتل ، غير راع له أيّ حرمة و كرامة ، لايحسب تلكم القوارص زوراً من القول ، وفنداً من الكلام ، بل يرى الخليفة أهلاً لكلّ ذلك ، فهل يجتمع هذا مع كون الرجل إمام عدل عند المخزومي ؟ .

ـ٢٤ـ

حديث معاوية

ابن أبي سفيان الأموي

١ـ من كتاب لأمير المؤمنين إلى معاوية : فسبحان الله ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتّبعة ، مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله طلبة ، وعلى عباده حجّة ، فأمّا إكثارك الحجاج في عثمان وقتله فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك ، وخذلته حيث كان النصر له[1]

٢ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية : فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك .

(١) نهج البلاغة ٢ : ٦٢ .

راجع ما مرّ من حديث امير المؤمنين .

٣- ومن كتاب له عليه السلام إلى الرجل: قد أسهبت في ذكر عثمان ، و لعمري ماقتله غيرك ، ولا خذله سواك ، و لقد تربّصت به الدوائر ، وتمنّيت له الأماني ، طمعاً فيما ظهر منك ، ودلّ عليه فعلك . شرح ابن ابي الحديد ٣ : ٤١١ .

٤- من كتاب لابن عبّاس إلى معاوية : أمّاماذكرت من سرعتنااليك بالمساءة إلى أنصار ابن عفان ، و كراهتنا لسلطان بني اُميّة ، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره ، حتّى صرت إلى ما صرت إليه ، وبيني وبينك في ذلك ابن عمّك وأخو عثمان : الوليدبن عقبة .

كتاب نصر ص ٤٧٢ ، الإمامة والسياسة١ : ٩٦ ، شرح ابن ابي الحديد ٢٨٩:٢.

٥ - من كتاب لابن عبّاس إلى معاوية : وأمّا قولك : إنّي من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه ، وماجرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي ، فاقسم بالله لأنت المتربّص بقتله ، والمحبّ لهلاكه ، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث ويستصرخ ، فما حفلت به حتى بعثت اليه معذراً باجرة أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتى يقتل ، فقتل كما كنت أردت ، ثمّ علمت عند ذلك أنّ الناس لن يعدلوا بينناوبينك فطفقت تنعي عثمان وتلزمنا دمه وتقول : قتل مظلوماً . فإن يك قتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين . مرّ تمام الكتاب في صفحة ١٣٤ .

٦- روى البلاذري في الأنساب قال : لمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه بعث يزيد بن أسدالقسري جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد أمير العراق وقال له : إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولاتقل : الشاهد يرى مالا يرى الغائب . فإنّني أنا الشاهد وأنت الغائب ؛ قال : فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان ، فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان ارسل معه ، وإنّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه . راجع شرح ابن ابي الحديد ٤ : ٥٧ .

٧- من خطبة لشبث بن ربعي يخاطب معاوية : انّه والله لايخفى علينا ماتغزو و ما تطلب ، إنّك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس ، و تستميل به أهواءهم ، و تستخلص به طاعتهم ، إلّا قولك : « قتل إمامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه » فاستجاب له سفهاء طغام ،

وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب. الخ
كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢١٠، تاريخ الطبري ٥ : ٢٤٣، الكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٣، شرح ابن ابي الحديد ١ : ٣٤٢.

٨- من كتاب لأبي أيّوب الأنصاري جواباً لمعاوية : فما نحن و قتلة عثمان إنّ الذي تربّص بعثمان وثبّط اهل الشام عن نصرته لأنت، وإنّ الذين قتلوه غير الأنصار.
الإمامة والسياسة ١ : ٩٣ وفي ط ٨١، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٨١.

٩ - من كتاب لمحمّد بن سلمة الأنصاري جواباً لمعاوية : و لئن كنت نصرت عثمان ميتاً لقد خذلته حيّاً، ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار أولى بالصواب.
الإمامة والسياسة ١ : ٨٧، شرح ابن ابي الحديد ١ : ٢٦٠.

١٠- في محاورة بين معاوية وأبي الطفيل الكناني : قال معاوية : أكنت فيمن حضر قتل عثمان ؟ قال : لا، و لكنّي فيمن حضر فلم ينصره، قال : فما منعك من ذلك و قد كانت نصرته عليك واجبة ؟ قال: منعني ما منعك إذ تربّصت به ريب المنون وأنت بالشام، قال : أو ما ترى طلبي بدمه نصرةً له ؟ قال : بلى و لكنّك وإيّاه كما قال الجعدي :

لألفينّك بعد الموت تندبني ☆ و في حياتي ما زوّدتني زادا

راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ١٣٩

١١- لمّا أتى معاوية نعي عثمان وبيعة الناس عليّاً عليه السلام ضاق صدراً بما أتاه و تظاهر بالندم على خذلانه عثمان وقال كما في كتاب صفّين ص ٨٨ :

أتاني أمرٌ فيه للنفس غمّةٌ ☆ و فيه بكاءٌ للعيون طويلُ
وفيه فناءٌ شاملٌ و خزايةٌ ☆ وفيه اجتداعٌ للانوف أصيلُ
مصاب أمير المؤمنين و هذه ☆ تكاد لها صمّ الجبال تزولُ
فلله عيناً مَن رأى مثل هالك ☆ أصيب بلا ذنب وذاك جليلُ
تداعت عليه بالمدينة عصبةٌ ☆ فريقان منها قاتلٌ وخذولُ
دعاهم فصمّوا عنه عند جوابه ☆ وذاكم على ما في النفوس دليلُ
ندمت على ما كان من تبعي الهوى ☆ وقصري[1] فيه حسرةٌ وعويلُ

(١) قصرى : أي حسبي يقال : قصرك : أي حسبك وكفايتك. كما يقال : قصارك وقصاراك.

قال الأميني : إنّ زبدة مخض هذه الكلمات المعتضدة بعضها ببعض انّ ابن هند لم يشذّ عن الصحابة في أمر عثمان ، وإنّما يفترق عنهم بأنّ اولئك كانوا مهاجمين عليه أو خاذلين له ، وأمّا معاوية فقد اختصّ بالخذلان والتخذيل اللذين كان يروقه نتاجهما حتّى وقع ما كان يحبّه ويتحرّاه ، وحتّى حسب صفاء الجوّ لما كان يضمره من التشبّث بثارات عثمان ، والظاهر بعد الأخذ بمجامع هذه النقول عن أعاظم الصحابة وبعد تصوير الحادثة نفسها من شتّى المصادر : أنّ لخذلان معاوية أتمّ مدخليّة في انتهاء أمر الخليفة إلى ما انتهى إليه ، والخاذل غير بعيد عن المجهز ، ومن هنا وهنا يقول له الامام عليه السلام : فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك . ويقول : ولعمري ما قتله غيرك ، ولا خذله سواك ، إلى كلمات آخرين لاتخفى عليهم نوايا الرجل ، فلو كان مستعجلاً بكتائبه إلى دخول المدينة ، غير متربّص قتل ابن عمّه لحاموه ونصروه ، وكان مبلغ أمره عندئذ إمّا إلى الفوز بهم ، أو تراخي الأمر إلى أن يبلغه بقيّة الأنصار من بلاد اُخرى ، فيكون النصر بهم جميعاً ، لكن معاوية ما كان يريد ذلك وإنّما كان مستبطئً أجل الرجل ، طامعاً في تقلّده الخلافة من بعده ، فتركه والقوم فهو أظلم الظالمين إن كان قُتل مظلوماً كما قاله حبر الاُمّة ، أو أنّه من الصحابة العدول ـ كما يحسبه القوم ـ وهذا رأيه في الخليفة المقتول .

-٣٥-

حديث عثمان نفسه

دخل المغيرة بن شعبة على عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ هؤلاء قد اجتمعوا عليك فإن أحببت فألحق بمكّة ؟ وإن أحببت أن نخرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام ؟ ففيها معاوية وأنصارك من أهل الشام ، وإن أبيت فاخرج ونخرج وتحاكم القوم إلى الله فقال عثمان : أمّا ما ذكرت من الخروج إلى مكّة فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يُلحد بمكّة رجلٌ من قريش عليه نصف عذاب هذه الاُمّة من الإنس والجنّ . فلن أكون ذلك الرجل إن شاء الله . الحديث .

وفي لفظ أحمد : يُلحد رجلٌ من قريش بمكّة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا إيّاه .

وفي لفظ الخطيب : يلحد بمكّة رجلٌ من قريش عليه نصف عذاب الأمّة فلن أكونه .

وفي لفظ الحلبي : إنّ ابن الزبير لمّا قال لعثمان رضي الله عنه وهو محاصرٌ : إنّ عندي نجائب أعددتها لك فهل لك أن تنجو إلى مكّة ؟ فانّهم لا يستحلّونك بها ، قال له عثمان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُلحد رجلٌ في الحرم من قريش أو بمكّة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا .

راجع مسند احمد ١ : ٦٧ رجال إسناده كلهم ثقات ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٣٥ ، تاريخ الخطيب ١٤ : ٢٧٢ ، الرياض النضرة ٢ : ١٢٩ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢١٠ ، مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٠ قال : ورواه احمد ورجاله ثقات وله طرق ، الصواعق ص ٦٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٩ ، السيرة الحلبيّة ١ : ١٨٨ ، تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٣ ، إزالة الخفا ٢ : ٢٤٣ .

☆(الإنسان على نفسه بصيرة)☆

تعطينا هذه الرواية أنّ ثقة عثمان بانطباق ما ذكره عن رسول الله ﷺ في الرجل الملحد بمكّة على نفسه من جرّاء ما علم أنّه مرتكبه من الأعمال أشدّ وأكثر من ثقته بإيمانه بما رووه له من البشارة بالجنّة في العشرة المبشّرة إلى فضايل أخرى صنعتها له أيدي الولاء والمحبّة ، على أنّ هذه كلّها نصوصٌ فيه ، وأمّا ما خشي إنطباقه عليه فهو واردٌ في رجل مجهول إستقرب الخليفة أن يكونه هو ، فامتنع عن الإنفلات إلى مكّة وآثر عليه بقاءه في الحصار حتى اودي به ، ولم يكن يعلم أنّه يقتل بمكّة لو خرج اليها ، وعلى فرض قتله بها فمن ذا الذي أخبره أنّه يكون هو ذلك الرجل ؟

كيف يخاف عثمان أن يكون هو ذلك الرجل وقد اشترى الجنّة من النبيّ ﷺ مرّتين بيع الحقّ : حيث حفر بير رومة ، وحيث جهّز جيش العسرة ؟[1]

كيف يخاف عثمان وقد عهد إليه رسول الله ﷺ بأنّه يقتل ويبعث يوم القيامة

---

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك ٣ : ١٠٧ وصححه غير ممعن نظره في اسناده وعقبه الذهبي بتضعيف عيسى بن المسيب من رجال اسناده وقال : ضعفه ابوداود وغيره .

أميراً على كلّ مخذول، يغبطه أهل المشرق والمغرب، ويشفع في عدد ربيعة ومضر؟[١]

كيف يخاف عثمان وقد سمع وصيّة رسول الله ﷺ إلى اُمّته به بقوله: عليكم بالأمير وأصحابه. وأشار الى عثمان ؟.

كيف يخاف عثمان وقد أخبر ﷺ عن شأنه في الجنّة لمّا سُئل: أفي الجنّة برقٌ؟ فقال: نعم والذي نفسي بيده إنّ عثمان ليتحوّل من منزل إلى منزل فتبرق له الجنّة؟[٢].

كيف يخاف عثمان وقد قال ﷺ بمشهد منه ومسمع: ليس من نبيّ إلاّ و له رفيقٌ من اُمّته معه في الجنّة وإنّ عثمان رفيقي ومعي في الجنّة؟[٣].

كيف يخاف عثمان وقد قال له ﷺ معتنقاً إيّاه: أنت وليّي في الدنيا والآخرة. أو قال: هذا جليسي في الدنيا ووليّي في الآخرة؟[٤].

كيف يخاف عثمان بعد ماجاء عن جابر انّ النبيّ ﷺ ما صعد المنبر فنزل حتّى قال: عثمان في الجنّة؟[٥].

نعم: للباحث أن يجيب بأنّ هذه كلّها أباطيل وأكاذيب لا يصحّ شيءٌ منها فماذنب عثمان؟ وكيف لا يخاف والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره؟.

قريضٌ يؤكّد ما سبق

ذكر البلاذري في الأنساب ٥ : ١٠٥ للأعور الشّنّي بشر بن منقذ يكنّى أبا منقذ أحد بني شن بن أقصى كان مع أمير المؤمنين يوم الجمل، ترجمه المرزباني في معجم الشعراء ص ٣٩ قوله:

بكت عين من يبكي ابن عفان بعدما	✿	نفى ورقَ الفرقان كلّ مكانِ
ثوى تاركاً للحقّ متّبع الهوى	✿	و أورث حرباً حشّها بطِعانِ
برئت إلى الرّحمان من دين نعثل	✿	و دين ابن صخر أيّها الرجلان

(١) سيوافيك الحديث باسناده ومتنه كملا.
(٢) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣١٣ ط ٢.
(٣) سيأتيك الحديث باسناده وانه باطل.
(٤) سنوقفك في هذا الجزء على انه باطل لا يصح.
(٥) من اكاذيب جاء بها محب الطبري في رياضه ٢ : ١٠٤.

ويقال : ابن الغريرة النهشلي ، ويقال : الحباب بن يزيد المجاشعي [١] :

وقال عليّ بن الغدير المضرّس الغنوي ، ويقال: إهاب بن همام بن صعصعة المجاشعي'

لعمر أبيك فلا تكذبي ✫ لقد ذهب الخير إلاّ قليلا

لقد فتن الناس في دينهم ✫ وخلّى ابن عفّان شرّاً طويلا

أعاذل كلّ امرىء هالك ✫ فسيري إلى الله سيراً جميلا

راجع الأنساب ٥ : ١٠٤ ، تاريخ الطبري ٥ : ١٥٢ ، الاستيعاب ٢ : ٤٨٠ ، تفسير ابن كثير ١ : ١٤٣ .

و أخرج نصر بن مزاحم في كتاب صفّين ص ٤٣٥ من رجز همام بن الأغفل يوم صفّين قوله :

قد قرّت العين من الفسّاق ✫ و من رؤس الكفر والنفاق

إذ ظهرت كتائب العراق ✫ نحن قتلنا صاحب المراق

و قائد البغاة والشقاق ✫ عثمان يوم الدار والإحراق [٢]

لمّا لففنا ساقهم بساق ✫ بالطعن والضرب مع العناق

وقال محمّد بن أبي سبرة بن أبي زهير القرشي كما في كتاب صفّين ص ٤٣٦ .

نحن قتلنا نعثلاً بالسيره ✫ إذ صدّ عن أعلامنا المنيره

يحكم بالجور على العشيره ✫ نحن قتلنا قبله المغيره [٣]

نالته أرماح لنا موتوره ✫ إنّا اناس ثابتو البصيره

وقال الفضل بن العبّاس مجيباً الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن أبيات له :

أتطلب ثأراً لست منه و لا له ✫ وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو ؟

كما اتّصلت بنت الحمار بأمّها ✫ وتنسى أباها إذ تسامي أولي الفخر

ألا إنّ خير الناس بعد محمّد ✫ وصيّ النبيّ المصطفى عند ذي الذكر

و أوّل من صلّى و صنو نبيّه ✫ و أوّل من أردى الغواة لدى بدر

---

(١) في تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٥٨ : الحتات بن يزيد .
(٢) اشارة الى احراق باب دار عثمان كما مر حديثه ويأتي .
(٣) هو المغيرة بن الاخنس المقتول يوم الدار مع عثمان كما يأتي حديثه .

فلو رأت الأنصار ظلم ابن عمّكم ☆ لكانوا له من ظلمه حاضري النصر
كفى ذاك عيباً أن يُشيروا بقتله ☆ وأن يُسلموه للأحابيش من مصر

« تاريخ الطبري ٥ : ١٥١ »

نادى عمرو بن العاص يوم صفّين بأعلى صوته :

ياأيّها الجند الصليب الايمانْ ☆ قوموا قياماً واستعينوا الرّحمنْ
إنّي أتاني خبرٌ ذو ألوانْ (١) : إنّ عليّاً قتل ابن عفّانْ
ردّا علينا شيخنا كما كان

فردّ عليه أهل العراق وقالوا :

أبت سيوف مذحجٍ و همدانْ ☆ بأن تردّ نعثلاً كما كانْ
خلقاً جديداً مثل خلق الرّحمن ☆ ذلك شأنٌ قد مضى وذا شانْ

ثمّ نادى عمرو بن العاص ثانية برفع صوته :

رُدّوا علينا شيخنا ثمّ بجلْ ☆ أو لاتكونوا جزراً من الأسلْ (٢)

فردّ عليه أهل العراق :

كيف نردّ نعثلاً وقد قحلْ ☆ نحن ضربنا رأسه حتّى انجفلْ (٣)
و أبدل الله به خير بدلْ ☆ أعلم بالدين و أزكى بالعملْ (٤)

شدّ الأشتر مالك بن الحارث يوم صفّين على محمّد بن روضة وهو يقول :

لا يبعد الله سوى عثمانا ☆ و أنزل الله بكم هوانا
ولا يسلّي عنكم الأحزانا ☆ مخالفٌ قد خالف الرّحمانا
نصرتموه عابداً شيطاناً (٥)

---

(١) في كتاب نصر : فأشجان .

(٢) في كتاب صفين : جزراً من الاسل . الجزر : قطع اللحم تأكله السباع . الاسل : الرماح

(٣) قحل : يبس فهو قاحل . انجفل : انقلب وسقط .

(٤) كتاب صفين ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٤٥٤ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٢ ، لسان العرب ١٤ : ٧٠ ، تاج العروس ٨ : ٧٧ .

(٥) كتاب صفين ص ١٩٩ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣٣٠ . حذف منها الشطرين الاخيرين

-٣٦-

حديث المهاجرين والانصار

١ ـ من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى معاوية : زعمت أنّك إنّما أفسد عليك بيعتي خفري بعثمان ، ولعمري ما كنت إلّا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى ، وما أمرت فلزمتني خطيئة الأمر ، و لا قتلت فأخاف على نفسي قصاص القاتل [(١)] .

٢ ـ روى البلاذري عن المدائني عن عبد الله بن فائد إنّه قال : نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فقال : إنّي لأبغضهم . فقال سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان : تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك . قال : صدقت ، قتل أبي علوج الشام و جفاته و قتل جدّك المهاجرون والأنصار . أنساب البلاذري ٥ : ١٩٥ ، ٣٧٢ .

٣ـ قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١ : ٩٢ : ذكروا أنّ أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفّين فوعظاه وقالا : يامعاوية ! عَلام تُقاتل عليّاً ؟ وهو أحقّ بهذا الأمر منك في الفضل والسابقة ، لأنّه رجلٌ من المهاجرين الأوّلين السابقين بالاحسان ، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب ، أما و الله ما نقول لك أن تكون العراق أحبّ إلينا من الشام ولكن البقاء أحبّ إلينا من الفناء ، والصّلاح أحبّ إلينا من الفساد فقال : لستُ أزعم إنّي أولى بهذا الأمر من عليّ ولكنّي اُقاتله حتّى يدفع إليّ قتلة عثمان فقالا : إذا دفعهم إليك ماذا يكون ؟ قال : أكون رجلاً من المسلمين : فأتيا عليّاً فإن دفع اليكما قتلة عثمان جعلتها شورى . فقدما على عسكر عليّ فأتاهما الأشتر فقال ياهذان ! انّه لم ينزلكما الشام حبّ معاوية ، و قد زعمتما انّه يطلب قتلة عثمان فعمّن أخذتما ذلك ؟ فقبلتماه ، أعمّن قتله ؟ فصدّقتموهم على الذنب كما صدّقتموهم على القتل . أم عمّن نصره ؟ فلا شهادة لمن جرّ إلى نفسه ، أم عمّن إعتزل ؟ إذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله ، أو عن معاوية ؟ وقد زعم أنّ عليّاً قتله ، إتّقيا الله فإنّا شهدنا وغبتما ، ونحن الحكّام على مَن غاب . فانصرفا ذلك اليوم .

---

(١) الامامة والسياسة ١ : ٨٧ ، العقد الفريد ٢ : ٢٨٤ ، الكامل للمبرد ١ : ١٥٧ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٥٢ .

فلمّا أصبحا أتيا عليّاً فقالا له : إنّ لك فضلاً لايدفع ، وقد سرت مسير فتى إلى سفيه من السّفهاء ، ومعاوية يسألك أن تدفع إليه قتلة عثمان فإن فعلت ثمّ قاتلك كنّا معك قال عليّ : أتعرفانهم ؟ قالا . نعم . قال : فخذاهم فأتيا محمّد بن أبي بكر و عمّار بن ياسر والأشتر فقالا : أنتم من قتلة عثمان وقد اُمرنا بأخذكم . فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا : نحن قتلنا عثمان . فقالا : نرى أمراً شديداً ألبس عليّاً الرجل.

فانصرف أبوهريرة وأبوالدرداء إلى منزلهما بحمص فلمّا قدما حمص لقيهما عبدالرّحمن ابن عثمان وسأل عن مسيرهما فقصّا عليه القصّة فقال : العجب منكما إنّكما من أصحاب رسول الله ﷺ ، أما والله لئن كففتما أيديكما ما كففتما ألسنتكما ، أتأتيان عليّاً و تطلبان إليه قتلة عثمان ؟ و قد علمتما أنّ المهاجرين و الأنصار لو حرّموا دم عثمان نصروه ، و بايعوا عليّاً على قتلته ، فهل فعلوا ؟ وأعجب من ذلك رغبتكما عمّا صنعوا ، و قولكما لعليّ : إجعلها شورى واخلعها من عنقك ، وإنّكما لتعلمان أنّ مَن رضي بعليّ خيرٌ ممّن كرهه ، و إنّ من بايعه خيرٌ ممّن لم يبايعه ، ثمّ صرتما رسولي رجل من الطلقاء لا تحلّ له الخلافة . ففشى قوله وقولهما فهمّ معاوية بقتله ، ثمّ راقب فيه عشيرته .

و في لفظ ابن مزاحم في كتاب صفّين ص ٢١٣ ، خرج أبو امامة الباهلي وأبو الدرداء فدخلا على معاوية و كانا معه فقالا : يا معاوية ! علام تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله لهو أقدم منك سلماً ، وأحقّ بهذا الأمر منك ، وأقرب من النبيّ ﷺ ، فعلامَ تقاتله ؟ فقال : اُقاتله على دم عثمان ، وانّه آوى قتلته فقولوا له : فليقدنا من قتلته فأنا أوّل من بايعه من أهل الشام ، فانطلقوا إلى عليّ فأخبروه بقول معاوية فقال : هم الذين ترون فخرج عشرون ألفاً أو أكثر مسربلين في الحديد لا يُرى منهم إلّا الحدق فقالوا : كلّنا قتله فإن شاؤا فليروموا ذلك منّا .

٤ـ مرّ في صفحة ١٣٩ من حديث أبي الطفيل قول معاوية له : أكنت ممّن قتل عثمان أميرالمؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن ممّن شهده فلم ينصره ، قال : ولِمَ ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار . الحديث فراجع .

٥ـ قال شعبة : ما رأيت رجلاً أوقع في رجال أهل المدينة من القاضي أبي إسحاق سعد « بن إبراهيم بن عبدالرّحمن بن عوف المدني الزهري المتوفّى سنة ١٢٥ » ماكنت

أرفع له رجلاً منهم إلّا كذّبه، فقلت له في ذلك فقال: إنّ أهل المدينة قتلوا عثمان. تاريخ ابن عساكر ٦ : ٨٣.

٦ـ ذكر ابن عساكر في تاريخه ٧ : ٣١٩ قال: كان أبو مسلم الخولاني التابعي في المدينة فسمع مكفوفاً يقول: أللهمّ العن عثمان وما ولد. فقال: يامكفوف! ألعثمان تقول هذا؟ يا أهل المدينة! كنتم بين قاتل وخاذل فكلّا جزى الله شرّاً، يا أهل المدينة! لأنتم شرٌّ من ثمود، إنّ ثمود قتلوا ناقة الله وأنتم قتلتم خليفة الله، وخليفة الله أكرم عليه من ناقته.

قال الأميني: غايتنا الوحيدة في نقل هذا الحديث ايقاف الباحث على موقف الصحابة من أهل المدينة وانّهم كانوا بين قاتل وخاذل، وأمّا رأي أبي مسلم الخولاني فيهم فتعرف جوابه من قول الأشتر قُبيل هذا.

٧ـ قال الواقدي في إسناده: لمّا كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله، وما النّاس فيه من عمّاله ويكثرون عليه و يسأل بعضهم أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد، ولم يكن أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع عن عثمان ولا يُنكر ما يقال فيه إلّا زيد ابن ثابت، وأبو اُسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت الأنصاري، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان ويعظه؟ فأتاه فقال له إنّ النّاس ورائي قد كلّموني في أمرك، ووالله ما أدري ما أقول لك، ما اعرّفك شيئاً تجهله، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه، وإنّك لتعلم ما نعلم، وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، لقد صحبتَ رسول الله ﷺ وسمعتَ ورأيتَ مثل ما سمعنا ورأينا، وما ابن أبي قحافة وابن الخطاب بأولى بالحقّ منك، ولأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، ولقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك، فإنّك لا تُبصّر من عمى، ولا تُعلّم من جهل، فقال له عثمان: والله لو كنتَ مكاني ما عنّفتك ولا أسلمتك ولا عتبتُ عليك إن وصلت رحماً[1] و سددت خلّة، وآويت ضائعاً، وولّيت من كان عمر يولّيه، نشدتك الله ألم

(١) انظر الى الرجل يحسب كلمته هذه تبرّر اعماله الشاذة عن الكتاب والسنة وتجعل اعطياته لابناء امية من الغنائم والصدقات صلة للرحم، ودفعه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى رجال الفتن والثورات المدلهمة سدّاً للخلة، وردالحكم وابناؤه مطرودي النبيّ الاعظم الى المدينة ايواء للضايع، دع هو وحسبانه، لكن العجب كل العجب انه يروم افحام مثل امير المؤمنين عليه السلام بهذه الخزعبلات.

يولّ عمر المغيرة بن شعبة ؟ و ليس هناك . قال : نعم . قال : فلِمَ تلومني إن ولّيت ابن عامر في رحمه و قرابته ؟ قال عليٌّ : سأخبرك أنّ عمر بن الخطاب كان كلُّ مَن ولّى فانّما يطأ على صماخه ، إن بلغه عنه حرفٌ جلبه ، ثمّ بلغ به أقصى الغاية ؛ وأنت لا تفعل ، ضعفتَ و رفقت على أقربائك ، قال عثمان : هم أقر باؤك ايضاً . فقال عليٌّ : لعمري إنّ رحمهم منّي لقريبة و لكن الفضل في غيرهم . قال : أو لم يولّ عمر معاوية ؟ فقال عليٌّ : إنّ معاوية كان أشدّ خوفاً و طاعة لعمر من يرفاء و هو الآن يبتزّ الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمرعثمان . ويبلغك فلا تُغيّرعلى معاوية .

راجع الأنساب للبلاذري ٥ : ٦٠ ، تاريخ الطبري ٥ : ٩٧ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٦٣ ، تاريخ ابي الفداج ١ : ١٦٨ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٩١ .

٨ - أخرج ابن سعد في طبقاته ٣ : ٤٧ ط ليدن عن مجاهد قال : أشرف عثمان على الذين حاصروه فقال : ياقوم ! لاتقتلوني فانّي والٍ وأخٌ مسلم - إلى أن قال - :فلمّا أتوه قال : أللهمّ احصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولاتبق منهم أحداً ، قال مجاهد : فقتل الله منهم من قتل في الفتنة ، وبعث يزيد إلى المدينة عشرين ألفاً فأباحوا المدينة ثلاثاً يصنعون ما شاءوا لمداهنتهم .

وقال حسّان بن ثابت فيمن تخلّف عن عثمان وخذله عن الأنصار وغيرهم و أعانه على قتله من أبيات له :

خذلته الأنصار إذ حضر المو — ت و كانت وُلاته الأنصارُ
من عذيري من الزبير و من طلحة إذ جاء أمرٌ له مقدارُ[1]
فتولّى محمّد بن أبي بكر ✿ عياناً و خلفه عمّارُ
وعليٌّ في بيته يسأل النا — س ابتداءً و عنده الأخبارُ
باسطاً للّذي يريد يديه ✿ و عليه سكينةٌ و وقارُ[2]

وقال حميد بن ثور أبو المثنّى الهلالي في قتل عثمان كما في تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٥٨ .

---

(١) في العقد الفريد :
من عذيري من الزبير ومن طلحة هاجا أمراً له اعصار
(٢) مروج الذهب ١ : ٤٤٢ ، العقد الفريد ٢ : ٢٦٧ .

إنّ الخلافةَ لمّا أظعنت ظعنت ☆ من أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا
صارت إلى أهلها منهم و وارثها ☆ لمّا رأى الله في عثمان ما انتهكوا
السافكي دمه ظلماً و معصيةً ☆ أيّ دم لاهُدوا من غيّهم سفكوا
و الهاتكي ستر ذي حقّ ومحرمة ☆ فأيّ شرّ على أشياعهم هتكوا
والخيل عابسةٌ نضج الدماء بها ☆ تنعى ابن أروى على أبطالها الشكك
من كلّ أبيض هنديّ و سابغة ☆ تغشى البنان لها من نسجها حبكُ
قد نال جلّهم حصرٌ بمحصرة ☆ و نال فتّاكهم فتكٌ بما فتكوا
قرّت بذاك عيونٌ و اشتفين به ☆ و قد تقرُّ بعين الثائر الدركُ

-٣٧-

كتاب أهل المدينة
إلى الصحابة في الثغور

أخرج الطبري من طريق عبد الرحمن بن يسار انّه قال: لمّا رأى النّاس ماصنع عثمان كتب مَن بالمدينة مِن أصحاب النبيّ ﷺ إلى مَن بالآفاق منهم و كانوا قد تفرّقوا في الثغور:

إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ تطلبون دين محمّد ﷺ فإنّ دين محمّد قد أفسده من خلفكم وترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمّد ﷺ. وفي لفظ ابن الأثير: فإنّ دين محمّد قد أفسده خليفتكم فأقيموه. وفي لفظ ابن أبي الحديد: قد أفسده خليفتكم فاخلعوه، فاختلفت عليه القلوب. فأقبلوا من كلّ اُفق حتّى قتلوه[(١)].

وأخرج من طريق محمّد بن مسلمة قال: لمّا كانت سنة ٣٤ كتب اصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله ويسأل بعضهم بعضاً: أن أقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد، و كثر النّاس على عثمان، ونالوا منه أقبح مانيل من أحد، وأصحاب رسول الله يرون ويسمعون ليس فيهم أحدٌ ينهى ولا يذبّ إلّا نفير: زيد بن ثابت، وأبو اُسيد الساعدي، و كعب بن مالك، وحسان بن ثابت. فاجتمع الماجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان ويعظه فأتاه فقال له: إنّ الناس ورائي. إلى آخر ما مرّ في ص ٧٤.

(١) تاريخ الطبرى ٥: ١١٥، الكامل لابن الاثير ٥ : ٧٠، شرح ابن ابى الحديد ١ : ١٦٥

-٣٨-

كتاب المهاجرين الى مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

من المهاجرين الأوّلين وبقيّة الشورى إلى مَن بمصر من الصحابة والتابعين .
أمّا بعد : أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها ، فإنّ كتاب الله قد بُدِّل ، وسنّة رسول الله قد غيّرت ، وأحكام الخليفتين قد بُدِّلت ، فننشد الله مَن قرأ كتابنا من بقيّة أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان إلّا أقبل إلينا وأخذ الحقّ لنا وأعطاناه ، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأقيموا الحقّ على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيّكم وفارقكم عليه الخلفاء ، غلبنا على حقّنا ، واستولى على فيئنا ، وحيل بيننا وبين أمرنا ، وكانت الخلافة بعد نبيّنا خلافة نبوّة ورحمة وهي اليوم ملكٌ عضوضٌ مَن غلب على شيء أكله[1] .

-٣٩-

كتاب اهل المدينه الى عثمان

أخرج الطبري في تاريخه ٥ : ١١٦ من طريق عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتّى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمه من الله ، فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه و أهل بيته . إلى آخر ما يأتي .

---

(١) الامامة والسياسة ١ : ٣٢ .

الاجماع والخليفه

تُعلمنا هذه الأحاديث المتضافرة الواردة عن آحاد الصحابة من المهاجرين و الأنصار أوعامّة الفريقين، أو عن جامعة الصحابة البالغة مائتين حديثاً انّه لم يشذّ عن النقمة على عثمان منهم أحدٌ ما خلا أربعة وهم : زيد بن ثابت، وحسان بن ثابت، و كعب بن مالك، وأُسيدالساعدي . فمن مُجهز عليه إلى محبّذ لعمله، إلى محرّض على قتله، إلى ناشر لاحداثه، إلى مؤلّب عليه يسعى في إفساد أمره، إلى متجاسر عليه بالوقيعة فيه، إلى مُناقد فيفعاله يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، إلى خاذل له بترك نصرته لا يرى هنالك في الناقمين الثائرين عليه منكراً ينهى عنه، أوفي جانب الخليفة حقّاً يتحيّز إليه، وهم كما مرّ في ص ١٥٧ عن مولانا أمير المؤمنين ﷺ : ماكان الله ليجمعهم على ضلال، ولا ليضربهم بالعمى. فكان ذلك إجماعاً منهم أثبت من إجماعهم على نصب الخليفة في الصدر الأوّل، فإن كانت فيه حجّة فهي في المقامين إن لم تكن في المقام الثاني أولى بالاتّباع .

ومن أمعن النظر فيما مرّ ويأتي من النصوص الواردة عن مولانا أمير المؤمنين و
٢ـ عائشة اُمّ المؤمنين . و
٣ـ عبد الرّحمن بن عوف . أحد العشرة المبشّرة ورجالات الشورى . و
٤ـ طلحة بن عبدالله . أحد العشرة المبشّرة . و
٥ـ الزبير بن العوام . أحد العشرة المبشّرة . و
٦ـ عبد الله بن مسعود صاحب سرّ رسول الله ﷺ . « بدريٌّ » و
٧ـ عمّار جلدة ما بين عيني النبيّ، النازل فيه القرآن « بدريّ » و
٨ـ المقداد بن أبي الأسود، الممدوح بلسان النبيّ الطاهر . « بدريٌّ » و
٩ـ حجر بن عدي الكوفي الصالح الناسك . و
١٠ـ هاشم المرقال الذي كان من الفضلاء الخيار كما في « الاستيعاب » . و
١١ ـ جهجاه بن سعيد الغفاري، من رجالات بيعة الشجرة . و

١٢ ـ سهل بن حنيف الأنصاري «بدري». و
١٣ ـ رفاعة بن رافع الأنصاري «بدري». و
١٤ ـ حجّاج بن غزيّة الأنصاري. و
١٥ ـ أبي أيّوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «بدري». و
١٦ ـ قيس بن سعد الأنصاري، أمير الخزرج الصالح «بدري». و
١٧ ـ فروة بن عمرو البياضي الأنصاري «بدري». و
١٨ ـ محمّد بن عمرو بن حزم الأنصاري «بدري». و
١٩ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري. و
٢٠ ـ جبلة بن عمرو الساعدي الأنصاري «بدري». و
٢١ ـ محمّد بن مسلمة الأنصاري «بدري». و
٢٢ ـ عبدالله بن عبّاس حبر الأُمّة. و
٢٣ ـ عمرو بن العاصي. و
٢٤ ـ عامر بن واثلة أبي الطفيل الكناني الليثي. و
٢٥ ـ سعد بن أبي وقاص. أحد العشرة المبشّرة. و
٢٦ ـ مالك بن الحارث الأشتر. وهل موجودٌ كمالك؛ قاله أميرالمؤمنين. و
٢٧ ـ عبدالله بن عكيم. و
٢٨ ـ محمّد بن أبي حذيفة العبشمي. و
٢٩ ـ عمرو بن زرارة بن قيس النخعي. و
٣٠ ـ صعصعة بن صوحان، سيّد عبد القيس. و
٣١ ـ حكيم بن جبلة العبدي الشهيد يوم الجمل. و
٣٢ ـ هشام بن الوليد المخزومي. و
٣٣ ـ معاوية بن أبي سفيان. و
٣٤ ـ زيد بن صوحان، من الخيار الأبرار كما في الحديث. و
٣٥ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي المشرّف بدعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. و
٣٦ ـ عديّ بن حاتم الطائي الصحابيّ العظيم. و

٣٧ ـ عروة بن السعد الصحابيّ . و

٣٨ ـ عبدالرّحمن بن حسان العنزي الكوفي . و

٣٩ ـ محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة . الممدوح بلسان مولاناأمير المؤمنين.و

٤٠ ـ كميل بن زياد النخعي . و

٤١ ـ عائذ بن حملة الطهوي التميمي . و

٤٢ ـ جندب بن الزهير الأزدي . و

٤٣ ـ الأرقم بن عبد الله الكندي . و

٤٤ ـ شريك بن شداد الخضرمي . و

٤٥ ـ قبيصة بن ضُبيعة العبسي . و

٤٦ ـ كريم بن عفيف الخثعمي العامري . و

٤٧ ـ عاصم بن عوف البجلي . و

٤٨ ـ ورقاء بن سميّ البجلي . و

٤٩ ـ كدام بن حيّان العنزي . و

٥٠ ـ صيفي بن فسيل الشيباني . و

٥١ ـ محرز بن شهاب التميمي المنقري.

٥٢ ـ عبد الله بن حويّة السعدي التميمي .

٥٣ ـ عتبة بن الأخنس السعدي . و

٥٤ ـ سعيد بن نمران الهمداني . و

٥٥ ـ ثابت بن قيس النخعي . و

٥٦ ـ أصعر بن قيس الحارثي . و

٥٧ ـ يزيد بن المكفكف النخعي . و

٥٨ ـ الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني . و

٥٩ ـ الفضل بن العبّاس الهاشمي . و

٦٠ ـ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي . و

٦١ ـ زياد بن النضر الحارثي . و

٦٢- عبد الله الأصم العامري . و
٦٣- عمرو بن الأهتم نزيل الكوفة . و
٦٤- ذريح بن عباد العبدي . و
٦٥- بشر بن شريح القيسي . و
٦٦- سودان بن حمران السكوني . و
٦٧- عبد الرحمن بن عديس أبي محمد البلوي . و
٦٨- عروة بن شييم ابن البيّاع الكناني الليثي . و
٦٩- كنانة بن بشر السكوني التجيبي . و
٧٠- الغافقي بن حرب العكي . و
٧١- كعب بن عبده ، الزاهد الناسك . و
٧٢- مثنى بن مخربة العبدي . و
٧٣- عامر بن بكير بن عبد ياليل الليثي الكناني « بدري » . و
٧٤- عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقي . و
٧٥- عبد الرحمن بن عبد الله الجمحي . و
٧٦- مسلم بن كريب القابضي الهمداني . و
٧٧- عمرو بن عبيد الحارثي الهمداني . و
٧٨- عمرو بن حزم الأنصاري ، و
٧٩- عمير بن ضابىء التميمي البرجمي . و
٨٠- أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي .

إلى نظرائهم ممن مر حديثه أو يأتي في هذا الجزء يزداد بصيرة في إنعقاد هذا الإجماع الذي لا محيد عن مؤداه ، ولا منتدح عن الجري معه ، ولا محيص عن أخذه حجة قاطعة ، وكيف لا ؟ وفيهم عمد الصحابة ودعائمها ، وعظماء الملة وأعضادها ، وذوو الرأى والتقوى والصلاح من البدريين وغيرهم ، وفيهم : أم المؤمنين و غير واحد من العشرة المبشرة ، ورجال الشورى ، فاذا لم يحتج بإجماع مثله لا يحتج بأي اجماع قط ، و لو جاءت عن أحد من هؤلاء كلمة واحدة في حق أي إنسان مدحاً أو ذماً لا تتخذوه

حجة دامغة ، فكيف بهم ؟ وقد اجتمعوا على كلمة واحدة .

وبهذه كلها تظهر قيمة الكلم التافهة التي جاء بها القوم لإغراء الدهماء بالجهل أمثال ما في تاريخ ابن كثير ٨ : ١٢ من قوله : قال أيوب والدارقطني : من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح. اه. إقرأ واضحك أو إبك . فمن قدم عثمان على أي موحد أسلم وجهه لله وهو مؤمن بعد هذا الإجماع المتسالم عليه فضلاً عن مولى المؤمنين علي صلوات الله عليه فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، والصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان .

لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين .



- ٤٠ -

قصّة الحصار الأوّل

الاجتماع على عثمان من أهل الأمصار:

المدينة . الكوفة . البصرة . مصر

أخرج البلاذري وغيره بالاسناد : إلتقى أهل الأمصار الثلاثة : الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام ، وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عبدة ، ورئيس أهل البصرة المثنى بن مخربة العبدي ، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر بن عتّاب ابن عوف السكوني ثمّ التجيبي ، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه وعاهد الله عليه ، وقالوا : لا يسعنا الرضى بهذا ، فاجتمع رأيهم على أن يرجع كلّ واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسول من شهد مكّة من أهل الخلاف على عثمان إلى مَن كان على مثل رأيهم من أهل بلده ، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستمعوه ، فإن أعتب ، وإلّا رأوا رأيهم فيه ففعلوا ذلك .

فلمّا حضر الوقت خرج الأشتر مع أهل الكوفة إلى المدينة في مائتين ، وقال ابن قتيبة : أقبل الأشتر من الكوفة في ألف رجل في أربع رفاق ، وكان اُمراؤهم هو وزيد بن صوحان العبدي ، وزياد بن النضر الحارثي ، وعبد الله بن الأصم العامري ، و على الجميع عمرو بن الأهتم .

وخرج حكيم بن جبلة العبدي في مائة من أهل البصرة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين وفيهم : ذريح بن عبّاد العبدي ، وبشر بن شريح القيسي ، وابن المحرّش ـ ابن المحترش ـ و قال ابن خلدون : و كلّهم في مثل عدد أهل مصر في أربع رايات .

وجاء أهل مصر وهم أربع مائة ، ويقال : خمس مائة ، ويقال : سبع مائة ، ويقال : ست مائة ، ويقال : ألف ، وفي شرح ابن أبي الحديد : كانوا ألفين . وكان فيهم : محمّد بن أبي بكر ، وسودان بن حمران السكوني ، وميسرة ـ ويقال قتيرة ـ السكوني ، وعمرو

ابن الحمق الخزاعي وكان من رؤسهم وعليهم أمراء أربعة :

١- عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي . على ربع
٢- عبد الرحمن بن عديس أبو محمد البلوي . على ربع
٣- عروة بن شييم بن البياع الكناني الليثي . » »
٤- كنانة بن بشر السكوني التجيبي . » »

وعليهم جميعاً : الغافقي بن حرب العكي ، وكان يصلي بالناس في أيام الحصار ، قال الطبري : كان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل الخزاعي ، وكان من أصحاب النبي (ص) ، وإلى عبد الرحمن بن عديس التجيبي .

فلما أتوا المدينة أتوا دار عثمان ، ووثب معهم رجال من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار منهم : عمار بن ياسر العبسي وكان بدرياً ، ورفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدرياً ، و الحجاج بن غزية وكانت له صحبة ، وعامر بن بكير وكان بدرياً أحد بني كنانة .

وفي كتاب لنائلة امرأة عثمان إلى معاوية في رواية ابن عبد ربه : وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى علي ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وطلحة و الزبير فأمروهم بقتله ، وكان معهم من القبائل خزاعة ، وسعد بن بكر ، وهذيل ، وطوائف من جهينة و مزينة وأنباط يثرب ، وهؤلاء كانوا أشد الناس عليه .

وفي حديث سعيد بن المسيب في الأنساب والعقد الفريد وغيرهما : و قد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر : فكان في قلوب هذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها ، وحنقت بنو مخزوم لحال عمار بن ياسر .

وفي لفظ المسعودي : وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود ، لأنه كان من أحلافها ، وهذيل لأنه كان منها ، وبنو مخزوم وأحلافها لعمار ، وغفار وأحلافها لأجل أبي ذر ، وتيم بن مرة مع محمد بن أبي بكر ، وغير هؤلاء ممن لا يحمل ذكره كتابنا . فحصروا عثمان الحصار الأول

راجع طبقات ابن سعد ط ليدن ٣ : ٤٩ ، الانساب للبلاذرى ٥ : ٢٦ ، ٥٩ ، الامامة و

السياسة ١ : ٣٤ ، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، تاريخ الطبري ٥ : ١١٦ ، مروج الذهب ١ : ٤٤١ ، العقد الفريد ٢ : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، الرياض النضرة ٢ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٦٦ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٩٣ ، شرح ابن ابي الحديد ١ : ١٠٢ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، حياة الحيوان للدميري ١ : ٥٣ ، الاصابة ٢ : ٤١١ ؛ الصواعق ص ٦٩ ؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٦ ؛ تاريخ الخميس ٢ : ٢٥٩.

كتاب المصريّين الى عثمان

أخرج الطبري في تاريخه ٥ ص ١١٦ من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : كتب أهل مصر بالسقيا (١) أو بذي خُشب (٢) إلى عثمان بكتاب فجاء به رجلٌ منهم حتّى دخل به عليه فلم يردّ عليه شيئاً فأمر به فأُخرج من الدار ، وكان فيما كتبوا اليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد : فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ، فالله الله ثمّ الله الله ، فإنّك على دنيا فاستتمّ إليها معها آخرة ، ولا تلبس (٣) نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا ، واعلم أنّا والله لله نغضب وفي الله نرضى ، و إنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبة مصرّحة أو ضلالة مجلّحة مبلّجة ، فهذه مقالتنا لك وقضيّتنا إليك والله عذيرنا منك . والسّلام .

عهد الخليفة على نفسه

أن يعمل بالكتاب والسنّة وذلك في سنة ٣٥ هـ

أخرج البلاذري من رواية أبي مخنف في الأنساب ٥ : ٦٢ : انّ المصريّين وردوا المدينة فأحاطوا وغيرهم بدار عثمان في المرّة الأولى « إلى أن قال» : و أتى المغيرة بن شعبة فقال له : دعني آت القوم فأنظر مايريدون ، فمضى نحوهم فلمّا دنا منهم صاحوا به : ياأعور! وراءك ، يافاجر! وراءك ، يافاسق! وراءك . فرجع ، ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال له : ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبى ممّا ساءهم . فلمّا دنا منهم سلّم فقالوا

(١) من أسافل أودية تهامة .
(٢) واد على مسيرة ليلة من المدينة كما مرّ.
(٣) كذا ولعله : لاتنس نصيبك ، أخذا من القرآن الكريم .

لا سلّم الله عليك ، ارجع يا عدوّ الله ؛ ارجع يا ابن النابغة ؛ فلست عندنا بأمين ولا مأمون فقال له ابن عمر وغيره : ليس لهم إلّا عليّ بن أبي طالب فلمّا أتاه قال : يا أبا الحسن ! ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه . قال : نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على إنّك تفي لهم بكلّ ما أضمنه عنك ، قال : نعم . فأخذ عليّ عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ وخرج إلى القوم فقالوا : وراءك . قال : لا ، بل أمامي ، تعطون كتاب الله وتعتبون من كلّ ما سخطتم ، فعرض عليهم مابذل عثمان ، فقالوا : أتضمن ذلك عنه ؟ قال : نعم . قالوا : رضينا . وأقبل وجوههم وأشرافهم مع عليّ حتّى دخلوا على عثمان و عاتبوه فأعتبهم من كلّ شيء فقالوا : اكتب بهذا كتاباً فكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين انّ لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله و سنّة نبيّه ، يُعطى المحروم ، ويؤمن الخائف ، ويردّ المنفيّ ؛ ولا تجمر [1] البعوث ، ويوفر الفيء ، وعليّ بن أبي طالب ضمين المؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء في هذا الكتاب .

شهد الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيدالله ؛ وسعد بن مالك بن أبي وقّاص ، و عبد الله بن عمرو ، وزيد بن ثابت ، وسهل بن حُنيف ، وأبو أيوب خالد بن زيد .

و كتب في ذي العقدة سنة خمس وثلاثين . فأخذ كلّ قوم كتاباً فانصرفوا .

و قال عليّ بن أبي طالب لعثمان : أخرج فتكلّم كلاماً يسمعه الناس و يحملونه عنك وأشهد الله ما في قلبك ، فانّ البلاد قد تمخّضت عليك ، ولا تأمن أن يأتي ركبٌ آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول : يا عليّ اركب إليهم . فإن لم أفعل قلت : قطع رحمي ، واستخفّ بحقّي ، فخرج عثمان فخطب الناس فأقرّ بما فعل واستغفر الله منه ، وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من زلّ فليُنب . فأنا أوّل من اتّعظ ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليردّوني برأيهم ، فوالله لو ردّني إلى الحقّ عبدٌ لاتّبعته وما عن الله مذهب إلّا اليه ، فسرّ الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه

(١) تجمر الجيش : تحبس فى ارض العدو ولم يقفل .

فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال : شاهت وجوهكم ما اجتماعكم ؟ أمير المؤمنين مشغولٌ عنكم ، فان احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه فانصرفوا ، وبلغ عليّاً الخبر فأتى عثمان و هو مُغضب فقال : أمّا رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بافساد دينك ، وخديعتك عن عقلك ؟ وإنّي لأراه سيوردك ثمّ لا يُصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك

وقالت له امرأته نائلة بنت الفرافصة : قد سمعت قول عليّ بن أبي طالب في مروان وقد أخبرك انّه غير عائد إليك ، وقد أطعت مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة ، فبعث إلى عليّ فلم يأته .

وأخرج ابن سعد من طريق أبي عون قال : سمعت عبد الرّحمن بن الأسود بن عبد يغوث ذكر مروان فقال : قبّحه الله خرج عثمان على الناس فأعطاهم الرضى وبكى على المنبر حتّى استهلّت دموعه ، فلم يزل مروان يفتله في الذروة والغارب [1] حتّى لفته عن رأيه ، قال : وجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر ومعه عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر وهما يقولان : صنع مروان بالناس ؟ قلت : نعم [2] .

صورة أخرى من توبة الخليفة

أخرج الطبري من طريق عليّ بن عمر عن أبيه قال : إنّ عليّاً جاء عثمان بعد انصراف المصريّين فقال له : تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك ، ويشهدون عليه ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فانّ البلاد قد تمخّضت عليك فلا آمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة فتقول : يا عليّ إركب إليهم . ولا أقدر أن أركب إليهم ولا أسمع عذراً . ويقدم ركبٌ آخرون من البصرة فتقول : يا عليّ إركب إليهم . فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقّك . قال : فخرج عثمان وخطب الخطبة التي نزع فيها و أعطى النّاس من نفسه التوبة فقام فحمد الله وأثنى عليه بماهو أهله ثمّ قال :

أمّا بعد : أيّها النّاس فوالله ما عاب مَن عاب منكم شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً إلّا وأنا اعرفه ، ولكنّي منّتني نفسي وكذبتني ، وضلّ عنّي رشدي ، ولقد سمعت رسول

---

(١) لم يزل يفتل فى الذروة والغارب . مثل فى المخادعة ، اى يدور من وراء خديعته .

(٢) واخرج الطبرى حديث ابن عون هذا وتبعه ابن الاثير وسيوافيك لفظه ؛ و او عز اليه الدميرى فى حياة الحيوان ١ :٥٣ .

الله ﷺ يقول : من زلّ فليتب [١] ومن أخطأ فليتب ولا يتمادى في الهلكة ؛ إنّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق ، فأنا أوّل من اتّعظ ، أستغفر الله عمّا فعلت ، و أتوب إليه ، فمثلي نزع و تاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم ، فوالله لئن ردّني إلى الحقّ عبدٌ لأستنّن بسنّة العبد ، ولأذلنّ ذلّ العبد ، ولأكوننّ كالمرقوق إن مُلك صبر ، وإن عُتق شكر ، وما عن الله مذهبٌ إلّا إليه ، فلايعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إليّ ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي .

قال : فرقّ الناس له يومئذ وبكى من بكى منهم وقام إليه سعيد بن يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ليس بواصل لك من ليس معك ، اللهَ اللهَ في نفسك ، فاتمم على ما قلت فلمّا نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً [٢] و نفراً من بني أُميّة و لم يكونوا شهدوا الخطبة فلمّا جلس قال مروان : يا أمير المؤمنين ؛ أتكلّم أم أصمت ؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان الكلبيّة : لا بل اصمت فانّهم والله قاتلوه ومؤثّموه ، انّه قد قال : قالة لا ينبغي له أن ينزع عنها . فأقبل عليها مروان فقال : ما أنتِ وذاك ؟ فوالله لقد مات أبوكِ وما يحسن يتوضّأ . فقالت له : مهلاً يامروان ؛ عن ذكر الآباء تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه ، و أنّ أباك لايستطيع أن يدفع عنه ، أما والله لولا أنّه عمّه و انّه يناله غمّه أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه . قال : فأعرض عنها مروان ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ؛ أتكلّم أم أصمت ؟ قال : بل تكلّم . فقال مروان : بأبي أنت وأُمّي والله لوددت أنّ مقالتك هذه كانت و أنت مُمنّعٌ منيع فكنت أوّل من رضي بها وأعان عليها لكنّك قلت ماقلت حين بلغ الحزام الطُبيين ، وخلف السيل الزبى ، وحين أعطى الخطّة الذليلة الذليل ، والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوّف عليها ، وإنّك إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرّر بالخطيئة ، وقد اجتمع اليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّي أستحي أن أُكلّمهم . قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً فقال : ماشأنكم قد اجتمعتم ؟ كأنّكم قد جئتم لنهب ، شاهت الوجوه ، كلّ إنسان آخذٌ باذن صاحبه إلّا من أُريد [٣] جئتم

(١) كذا في تاريخ الطبري والصحيح ما مر في رواية البلاذري : من زل فلينب .
(٢) هو سعيد بن العاص .
(٣) كذا في تاريخ الطبري وفي الكامل : شاهت الوجوه الى من اريد .

تريدون أن تنزعوا ملكنا من إيدينا أخرجوا عنّا ، أما والله لئن رمتمونا ليمرنّ عليكم منّا أمرٌ لا يسرّكم و لا تحمدوا غبّ رأيكم ، ارجعوا إلى منازلكم ، فإنّا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا ، قال : فرجع النّاس وخرج بعضهم حتّى أتاعليّاً فأخبره الخبر فجاء عليٌّ عليه السلام مغضباً حتّى دخل على عثمان فقال : أما رضيت من مروان و لا رضي منك إلّا بتحرّفك[1] عن دينك وعن عقلك مثل جَمَل الظعينة يُقاد حيث يسار به ؟ والله مامروان بذي رأي في دينه ولا نفسه ، وأيم الله انّي لأراه سيوردك ثمّ لايصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبت شرفك ، وغُلبت على أمرك .

فلمّاخرج عليٌّ دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته فقالت : أتكلّم أوأسكت ؟ فقال : تكلّمي . فقالت : قد سمعت قول عليّ لك وانّه ليس يعاودك ؟ وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقي الله وحده لاشريك له وتتّبع سنّة صاحبيك من قبلك ، فإنّك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبّة ، و إنّما تركك النّاس لمكان مروان ، فأرسل إلى عليّ فاستصلحه فإنّ له قرابةً منك وهو لا يُعصى. قال : فأرسل عثمان إلى عليّ فأبى أن يأتيه ، وقال : قدأعلمته : أنّي لست بعائد . فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال : أتكلّم أوأسكت ؟ فقال: تكلّم . فقال: إنّ بنت الفرافصة . فقال عثمان : لاتذكرنّها بحرف فأسوء لك وجهك فهي والله أنصح لي منك . فكفّ مروان[2] .

صورة اخرى من التوبة

من طريق أبي عون قال : سمعت عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم قال : قبّح الله مروان ، خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت الى لحية عثمان مخضلّة من الدموع وهو يقول : أللهمّ إنّي أتوب اليك ، أللهمّ إنّي أتوب اليك ، أللهمّ إنّي أتوب اليك ،والله لئن ردّني الحقّ إلى

(١) فى لفظ البلاذرى: الا بافساد دينك ، وخديعتك عن عقلك . وفى لفظ ابن كثير: الابتحويلك عن دينك وعقلك ، وان مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به .

(٢) الانساب للبلاذرى ٥ : ٦٤ ، ٦٥ ، تاريخ الطبرى ٥ : ١١١ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٦٨ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٦٣، ١٦٤ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٩٦، ٣٩٧ .

أن أكون عبداً قِناً لأرضينّ به ، إذا دخلت منزلي فادخلوا عليّ ، فوالله لا أحتجب منكم ولأعطينّكم ولأزيدنّكم على الرضا ، ولأنحينّ مروان وذويه .

قال : فلمّا دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه وأزاله عمّا كان يريد ، فلقد مكث عثمان ثلاثة أيّام ماخرج استحياءً من الناس، وخرج مروان إلى الناس فقال : شاهت الوجوه إلّا مَن أُريد ارجعوا إلى منازلكم ، فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه و إلّا قرّ في بيته . قال عبدالرّحمن : فجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر وأجد عنده عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر و هما يقولان : صنع مروان بالناس وصنع ، قال : فأقبل عليّ عليّ فقال: أحضرتَ خطبة عثمان ؟ قلت : نعم . قال: أفحضرتَ مقالة مروان للناس ؟ قلت نعم . قال عليّ : عياذالله يا للمسلمين ، إنّي إن قعدت في بيتي قال لي : تركتني وقرابتي وحقّي، وإنّي إن تكلّمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقة له يسوقه حيث شاء بعد كِبَر السنّ وصحبة رسول الله ﷺ .

قال عبدالرّحمن بن الأسود : فلم يزل حتّى جاء رسول عثمان إئتني فقال عليّ بصوت مرتفع عالٍ مغضبٍ : قل له : ماأنا بداخل عليك ولا عائد . قال : فانصرف الرسول فلقيت عثمان بعد ذلك بليلتين جائياً فسألت ناتلاً غلامه من أين جاء أمير المؤمنين ؟ فقال : كان عند عليّ ، فقال عبدالرّحمن بن الأسود : فغدوت فجلست مع عليّ عليه السلام فقال لي : جاءني عثمان بارحة فجعل يقول : إنّي غير عائد وإنّي فاعل ، قال : فقلت له . بعد ماتكلّمت به على منبر رسول الله ﷺ و أعطيت من نفسك ، ثمّ دخلت بيتك ، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك و يؤذيهم ؟ قال : فرجع و هو يقول : قطعت رحمي و خذلني و جرّأت الناس عليّ فقلت : والله إنّي لأذبّ الناس عنك ، و لكنّي كلّما جئتك بهنَةٍ أظنّها لك رضى جاء بأخرى فسمعت قول مروان عليّ واستدخلت مروان. قال : ثمّ انصرف إلى بيته فلم أزل أرى عليّاً منكباً عنه لايفعل ما كان يفعل (١) .

عهد آخر بعد حنث الاول

أخرج الطبري من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : كتب أهل المدينة إلى

(١) تاريخ الطبري ٥ : ١١٢ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٩٦ .

عثمان يدعونه إلى التوبة ، ويحتجّون و يقسمون له بالله لايمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله ، فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه و أهل بيته فقال لهم : قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج ؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردّهم عنه ويعطيهم مايرضيهم ليطاولهم حتّى يأتيه أمداده فقال : إنّ القوم لن يقبلوا التعليل وهي محمّلي عهداً وقد كان منّي في قدمتهم الأولى ما كان ، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به . فقال مروان بن الحكم : يا أمير المؤمنين ! مقاربتهم حتّى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب ، فاعطهم ما سألوك ، وطاولهم ماطاولوك ، فانّما هم بغوا عليك فلا عهد لهم ، فأرسل إلى عليّ فدعاه فلمّا جاءه قال : يا أباحسن ! إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت و كان منّي ما قد علمت ، ولست آمنهم على قتلي ، فأرددهم عنّي ، فإنّ لهم الله عزّ وجلّ أن اُعتبهم من كلّ ما يكرهون ، وأن أعطيهم الحقّ من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي ، فقال له عليّ : الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ، وإنّي لأرى قوماً لايرضون إلّا بالرضا وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعنّ عن جميع ما نقموا فرددتهم عنك ، ثمّ لم تف لهم بشيء من ذلك فلا تغرّني هذه المرّة من شيء ، فانّي معطيهم عليك الحقّ . قال : نعم فاعطهم فوالله لأفينّ لهم . فخرج عليّ إلى الناس فقال : أيّها الناس إنّكم إنّما طلبتم الحقّ فقد اعطيتموه إنّ عثمان قد زعم انّه منصفكم من نفسه ومن غيره ، وراجعٌ عن جميع ما تكرهون ، فاقبلوا منه ووكّدوا عليه . قال الناس : قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإنّا والله لانرضى بقول دون فعل . فقال لهم عليّ : ذلك لكم . ثمّ دخل عليه فأخبره الخبر ، فقال عثمان : اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي في مهلة ، فانّي لاأقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد ، قال له عليّ : ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه ، و ما غاب فأجله وصول أمرك ، قال : نعم ، ولكن أجّلني فيما بالمدينة ثلاثة أيّام . قال عليّ : نعم . فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجّله فيه ثلاثاً على أن يردّ كلّ مظلمة ، ويعزل كل عامل كرهوه ، ثمّ أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار ، فكفّ المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه ، فجعل يتأهّب للقتال ويستعدّ بالسلاح ، وقد كان اتّخذ

جنداً عظيماً من رقيق الخمس ، فلمّا مضت الأيّام الثلاثة وهو على حاله لم يغيّر شيئاً ممّا كرهوه ، ولم يعزل عاملاً ، ثاربه الناس ، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتّى أتى المصريّين و هم بذي خُشب فأخبرهم الخبر وسار معهم حتّى قدموا المدينة فأرسلوا إلى عثمان : ألم نفارقك على انّك زعمت انّك تائبٌ من أحداثك ؛ وراجعٌ عمّا كرهنا منك وأعطيتنا على ذلك عهدالله وميثاقه ؟ قال : بلى أنا على ذلك . قال : فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك ؟ الحديث . (١)

سياسة ضئيلة

لمّا تكلّم عليٌّ مع المصريّين ورجّعهم إلى بلادهم ورجع هو إلى المدينة دخل على عثمان وأخبره انّهم قد رجعوا فمكث عثمان ذلك اليوم حتّى إذا كان الغد جاءه مروان فقال له : تكلّم و أعلم النّاس أنّ أهل مصر قد رجعوا ، و انّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً فإنّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه . فأبى عثمان أن يخرج . فلم يزل به مروان حتّى خرج فجلس على المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد : إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقّنوا انّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم .

فناداه الناس من كلّ ناحية : اتّق الله ياعثمان ! وتب إلى الله . وكان أوّلهم عمرو ابن العاصي . قال : إتّق الله ياعثمان ! فانّك قد ركبت نهابير وركبناها معك فتب إلى الله نتب . إلى آخر ما مرّ في هذا الجزء صفحة ١٣٧ .

قصّة الحصار الثاني (٢)

أخرج البلاذري من طريق أبي مخنف قال : لمّا شخص المصريّون بعد الكتاب

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ١١٦ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٧١ ، ٧٢ ، شرح ابن أبى الحديد ١ : ١٦٦ .

(٢) مصادرها : الانساب ٥ : ٢٦-٦٩ ، ٩٥ ، الامامة والسياسة ١ : ٣٣-٣٧ ، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، العقد الفريد ٢ : ٢٦٣ ، تاريخ الطبرى ٥ : ١١٩ ، ١٢٠ ، الرياض النضرة ٢ : ١٢٣ ، ١٢٥ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٧٠ ، ٧١ ، شرح ابن أبى الحديد ١ : ١٦٥ ، ١٦٦ تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٩٧ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، حياة الحيوان للدميرى ١ : ٥٣ ، الصواعق ص ٦٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، السيرة الحلبية ٢ : ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، تاريخ الخميس ٢ : ٢٥٩ ، واللفظ للبلاذرى والطبرى .

الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلة [1] أو بمنزل قبلها رأوا راكباً خلفهم يريد مصر فقالوا له: من أنت ؟ فقال : رسول أمير المؤمنين إلى عبدالله بن سعد ، وأنا غلام أمير المؤمنين . وكان أسود فقال بعضهم لبعض : لو أنزلناه و فتّشناه ألّا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء ، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً ، فقال بعضهم لبعض : خلّوا سبيله فقال كنانة بن بشر : أما والله دون أن أنظر في إداوته فلا . فقالوا : سبحان الله أيكون كتابٌ في ماء ؟ فقال : إنّ للنّاس حِيَلاً . ثمّ حلّ الإداوة فإذا فيها قارورةٌ مختومةٌ ، أوقال : مضمومة . في جوف القارورة كتابٌ في أنبوب من رصاص فأخرجه فقُرِئ فإذا فيه :

أمّا بعد : فإذا قدم عليك عمرو بن بُديل فاضرب عنقه ، واقطع يدي ابن عُديس وكنانة ، وعروة ، ثمّ دعهم يتشحّطون في دمائهم حتّى يموتوا ، ثمّ أوثقهم على جذوع النخل

فيقال : إنّ مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان ، فلمّا عرفوا ما في الكتاب ، قالوا: عثمانُ مُحَلٌ ، ثمّ رجعوا عودهم على بدئهم حتّى دخلوا المدينة فلقوا عليّاً بالكتاب وكان خاتمه من رصاص ، فدخل به عليٌّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه وقال : أمّا الخطّ فخطّ كاتبي ، وأمّا الخاتم فعلى خاتمي ، قال عليٌّ فمن تتّهم ؟ قال : أتّهمك وأتّهم كاتبي . فخرج عليٌّ مغضباً وهو يقول : بل هو أمرك . قال أبو مخنف : وكان خاتم عثمان بَدءً عند حُمران بن أبان ثمّ أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه :

و في لفظ جُهيم الفهري قال : أنا حاضرٌ أمر عثمان فذكر كلاماً في أمر عمّار . فانصرف القوم راضين ثمّ وجدوا كتاباً إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق رؤساء المصريّين ، فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى عليّ فأتاه به فحلف له أنّه لم يكتبه ولم يعلم به . فقال له عليٌّ : فمن تتّهم فيه ؟ فقال : أتّهم كاتبي وأتّهمك يا عليُّ ؛ لأنّك مُطاع عند القوم ولم تردّهم عنّي .

وجاء المصريّون إلى دار عثمان فأحدقوا بها وقالوا لعثمان و قد أشرف عليهم : يا عثمان ! أهذا كتابك ؟ فجحد وحلف فقالوا : هذا شرٌّ ، يكتب عنك بما لا تعلمه ، ما مثلك

(١) أيله بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام . وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام .

يلي أمور المسلمين، فاختلع من الخلافة . فقال : ما كنت لأنزع قميصاً قمصنيه الله، أوقال: سربلنيه الله . وقالت بنو أمية : ياعلي أفسدت علينا أمرنا ودسست وألبت ، فقال : ياسفهاء ! إنكم لتعلمون انه لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، وإني رددت أهل مصر عن عثمان ثم أصلحت أمره مرة بعد أخرى . فماحيلتي ؟ وانصرف وهو يقول : أللهم إني بريء مما يقولون ومن دمه إن حدث به حدث .

قال : و كتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على الناس يقول فيه : والله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا علمت بقصته وأنتم معتبون من كل ماساءكم ، فأمروا على مصركم من أحببتم ، وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم . فقالوا : قد اتهمناك بالكتاب فاعتزلنا .

وأخرج ابن سعد من طريق جابر بن عبد الله الأنصاري قال : إن عثمان وجه إلى المصريين لما أقبلوا يريدونه محمد بن مسلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم فأعطاهم الرضى وانصرفوا فلما كانوا ببعض الطريق رأوا جملاً عليه ميسم الصدقة فأخذوه فإذا غلام لعثمان ففتشوه فإذا معه قصبة من رصاص في جوف إداوة فيها كتاب إلى عامل مصر : أن افعل بفلان كذا ، وبفلان كذا ، فرجع القوم إلى المدينة فأرسل إليهم عثمان محمد بن مسلمة فلم يرجعوا وحصروه .

صورة أخرى

عن سعيد بن المسيب قال : إن عثمان لما ولي كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لأن عثمان كان يحب قومه ، فولي الناس اثنتي عشرة سنة ، وكان كثيراً ما يولي بني أمية ممن لم يكن له من رسول الله ﷺ صحبة ، وكان يجيء من امرائه ما يكره أصحاب محمد ، فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم ، فلما كان في الحجج الآخرة استأثر ببني عمه فولاهم وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر ، فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ، وقد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبد الله ابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر ، فكان في قلوب هذيل وبني زهرة وبني غفار و أحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها ، وحنقت بنومخزوم لحال عمار بن ياسر ، فلما جاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح ، كتب إليه كتاباً يتهدده فيه ، فأبى أن ينزع عما نهاه

عثمان عنه وضرب بعض من شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتّى قتله، فخرج من أهل مصر سبع مائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصّلاة إلى أصحاب محمّد، فقام طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة رضي الله تعالى عنها تسأله أن ينصفهم من عامله، ودخل عليه عليّ بن أبي طالب وكان متكلّم القوم فقال له: إنّما يسألك القوم رجلاً مكان رجل، وقد ادّعوا قِبَله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم، فإن وجب عليه حقّ فانصفهم منه. فقال لهم: اختاروا رجلاً أُولّيه عليكم مكانه. فأشار النّاس عليهم بمحمّد بن أبي بكر الصدّيق فقالوا: استعمل علينا محمّد بن أبي بكر. فكتب عهده وولّاه ووجّه معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح، فشخص محمّد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً فلمّا كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطاً كأنّه رجلٌ يَطلب أو يُطلب، فقال له أصحاب محمّد بن أبي بكر: ما قصّتك؟ وما شأنك؟ كأنّك هاربٌ أو طالبٌ. فقال لهم مرّة: أنا غلام أمير المؤمنين، وقال أُخرى: أنا غلام مروان، وجّهني إلى عامل مصر برسالة، قالوا: فمعك كتابٌ؟ قال: لا. ففتّشوه، فلم يجدوا معه شيئاً وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيءٌ يتقلقل فحرّكوه ليخرج فلم يخرج فشقّوا الإداوة فإذا فيها كتابٌ من عثمان إلى ابن أبي سرح.

فجمع محمّد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثمّ فكّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمّد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمّد وقرّ على عملك حتّى يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إليّ متظلّماً منك إن شاء الله، فلمّا قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمّد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممّن كان معه، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة، فجمعوا عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبيّ ﷺ ثمّ فكّوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصّة الغلام وأقرأوهم الكتاب، فلم يبق أحدٌ من أهل المدينة إلّا حنق على عثمان، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمّار بن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً، وقام أصحاب النبيّ ﷺ بمنازلهم مامنهم أحدٌ إلّا وهو مغتمّ لما في الكتاب.

وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمّد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم، وأعانه على

ذلك طلحة بن عبيدالله ، وكانت عائشة تقرصه كثيراً ، ودخل عليٌّ وطلحة والزبير وسعد وعمار في نفر من أصحاب محمد ﷺ كلّهم بدريّ على عثمان ومع عليّ الكتاب والغلام والبعير فقال له عليٌّ : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم . قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم . قال : وأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله : ماكتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علمت شأنه فقال له عليٌّ : أفالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم . قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به ؟ فحلف بالله : ماكتبت الكتاب ولاأمرت به ولا وجّهت هذا الغلام إلى مصر قط . وعرفوا أن الخطّ خطّ مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار ، فخرج أصحاب محمد ﷺ من عنده غضاباً وعلموا أنّه لايحلف بباطل إلّا أنّ قوماً قالوا : لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلّا أن يدفع الينا مروان حتّى نبحثه عن الأمر ونعرف حال الكتاب ، وكيف يؤمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حقٍّ ؟ فإن يكن عثمان كتبه عزلناه ، وإن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا مايكون منّا في أمر مروان ، فلزموا بيوتهم فأبى عثمان أن يخرج مروان .

فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال : أفيكم عليٌّ ؟ فقالوا : لا . قال : أفيكم سعد ؟ فقالوا : لا . فسكت ، ثمّ قال ألا أحدٌ يبلّغ عليّاً فيسقينا ماءً ؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قِرَب مملوءةً ماءً فما كادت تصل إليه وجُرح بسببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أُميّة حتّى وصلت .

لفظ الواقدي

من طريق محمد بن مسلمة وقد أسلفنا صدره في ص ١٣٢ ، ١٣٣ وإليك بقيّته :
فوجدنا فيه هذا الكتاب فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد : فإذا قدم عليك عبدالرحمن بن عديس فاجلده مائة ، واحلق رأسه ولحيته ، واطل حبسه حتّى يأتيك أمري ، وعمرو بن الحمق ، فافعل به مثل ذلك ، وسودان بن حمران مثل ذلك ، وعروة بن البيّاع الليثي مثل ذلك . قال : فقلت : ومايدريكم انّ عثمان كتب بهذا ؟ قالوا : فيفتات مروان على عثمان بهذا فهذا شرٌّ ، فيخرج نفسه من هذا الأمر . ثمّ قالوا : انطلق معنا إليه فقد كلّمنا عليّاً و وعدنا أن يكلّمه إذا صلّى الظهر وجئنا سعد بن أبي وقاص فقال : لاأدخل في أمركم ، وجئنا سعيد

بن زيد بن عمرو فقال مثل هذا ، فقال محمد : فأين وعدكم علي ؟ قالوا : وعدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه . قال محمد : فصليت مع علي ، قال : ثم دخلت أنا وعلي عليه فقلنا: إن هؤلاء المصريين بالباب فأذن لهم ، قال : ومروان جالس فقال مروان : دعني جعلت فداك أكلمهم . فقال عثمان : فض الله فاك اخرج عني ، و ما كلامك في هذا الأمر ؟ فخرج مروان وأقبل علي عليه قال وقد أنهى المصريون إليه مثل الذي انهوا إلي ، فجعل علي يخبره ما وجدوا في كتابهم ، فجعل يقسم بالله ما كتب و لا علم ولا شور فيه ، فقال محمد بن مسلمة : والله انه لصادق ، ولكن هذا عمل مروان ، فقال علي : فادخلهم عليك فليسمعوا عذرك . قال : ثم أقبل عثمان على علي فقال : إن لي قرابة ورحماً والله لو كنت في هذه الحلقة لحللتها عنك ، فأخرج إليهم فكلمهم فانهم يسمعون منك . قال علي : والله ما أنا بفاعل ولكن أدخلهم حتى تعتذر اليهم . قال : فادخلوا .

قال محمد بن مسلمة : فدخلوا يومئذ فما سلموا عليه بالخلافة فعرفت انه الشر بعينه قالوا : سلام عليكم ، فقلنا : وعليكم السلام . قال : فتكلم القوم وقد قدموا في كلامهم ابن عديس ، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمة وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين ، فإذا قيل له في ذلك قال : هذا كتاب أمير المؤمنين إلي ، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة و ما خالف به صاحبيه قال: فرحلنا من مصر و نحن لا نريد إلا دمك أو تنزع ، فردنا علي و محمد بن مسلمة و ضمن لنا محمد النزوع عن كل ما تكلمنا فيه ، ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة فقالوا : هل قلت ذاك لنا ؟ قال محمد : فقلت : نعم ، ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عز وجل عليك ويكون حجة لنا بعد حجة ، حتى إذا كنا بالبويب[1] أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن سعد تأمره فيه بجلد ظهورنا ، والمثل بنا في أشعارنا ، وطول الحبس لنا ، وهذا كتابك ، قال : فحمد الله عثمان و أثنى عليه ثم قال : والله ما كتبت ولا أمرت ولا شورت ولا علمت قال : فقلت وعلي جميعاً : قد صدق . قال : فاستراح إليها عثمان فقال المصريون : فمن كتبه ؟ قال : لا أدري . قال: أفيجترأ عليك فيبعث غلامك وجمل من صدقات المسلمين ، وينقش على خاتمك ، ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور

(١) البويب : مدخل اهل الحجاز بمصر .

العظام وأنت لاتعلم ؟ قال : نعم . قالوا : فليس مثلك يلي ، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه . قال : لاأنزع قميصاً ألبسنيه الله عزّ وجلّ . قال : وكثرت الأصوات واللغط فماكنت أظنّ أنّهم يخرجون حتّى يواثبوه قال : وقام عليٌّ فخرج فلمّا قام عليٌّ قمت وقال المصريّين : اخرجوا فخرجوا ، ورجعت إلى منزلي ورجع عليٌّ إلى منزله فما برحوا محاصرته حتّى قتلوه .

وأخرج الطبري من طريق عبد الرحمن بن يسار : أنّ الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي [1] وهو الذي كان يدعو عليه أميرالمؤمنين عليه السلام في قنوته مع اناس كما مرّ حديثه في ج٢ : ١٣٢ط٢ ، و ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ١٦٥ .

وأخرج من طريق عثمان بن محمّد الأخنسي قال : كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر فقدم أهل مصر يوم الجمعة وقتلوه في الجمعة الأخرى . تاريخ الطبري ٥ : ١٣٢

الخليفة توّاب عوّاد

أخرج الطبري من طريق سفيان بن أبي العوجاء قال : قدم المصريّون القدمة الأولى فكلّم عثمان محمّد بن مسلمة فخرج في خمسين راكباً من الأنصار فأتوهم بذي خشب فردّهم ورجع القوم حتّى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتابٌ إلى عبدالله بن سعد فكرّوا و انتهوا إلى المدينة وقد تخلّف بها من الناس الأشتر و حكيم بن جبلة فأتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كتبه وقال : هذا مُفتعلٌ . قالوا : فالكتاب كتاب كاتبك ؟ قال : أجل ، ولكنّه كتبه بغير أمري قالوا : فإنّ الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك ؟ قال : أجل ، ولكنّه خرج بغير إذني . قالوا : فالجمل جملك قال : أجل ، ولكنّه اُخذ بغير علمي . قالوا : ما أنت إلّا صادقٌ أو كاذبٌ ، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرتَ به من سفك دمائنا بغير حقّها ، وإن كنت صادقاً فقد استحققتَ أن تُخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك ، لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك علي رقابنا من يُقتطع مثل الأمر دونه لضعفه وغفلته ، وقالوا له : إنّك ضربت رجالاً من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحقّ عندما يستنكرون

---
(١) تاريخ الطبرى ٥ : ١١٥ :

من أعمالك ، فأقد من نفسك من ضربته وأنت له ظالم ، فقال : الإمام يخطئ ويصيب فلا أقيد من نفسي لأنّي لو أقدت كلّ من أصبته بخطأ أتى على نفسي قالوا : إنّك قد أحدثت أحداثاً عظاماً فاستحققت بها الخلع ، فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبة ثمّ عدت إليها و إلى مثلها ثمّ قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة و الرجوع إلى الحقّ ولامنا فيك محمّد بن مسلمة ، وضمن لنا ما حدث من أمر ، فأخفرته فتبرّ أمنك وقال : لا أدخل في أمره ، فرجعنا أوّل مرّة لنقطع حجّتك ونبلغ أقصى الأعذار إليك نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب وزعمت انّه كتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك وبخطّ كاتبك وعليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة ، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم ، و الأثرة في القسم ، والعقوبة للأمر بالتبسّط من الناس ، والإظهار للتوبة ثمّ الرجوع إلى الخطيئة ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتّى نجعلك و نستبدل بك من أصحاب رسول الله ﷺ مَن لم يحدث مثل ما جرّبنا منك ، ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا ، فإنّ ذلك أسلم لنا منك ، و أسلم لك منّا ، فقال عثمان : فرغتم من جميع ما تريدون ؟ قالوا : نعم . قال :

ألحمد لله وأستعينه و أومن به و أتوكّل عليه ، و أشهد أن لا إلٓه إلا الله وحده لاشريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ، أمّا بعد : فإنّكم لم تعدلوا في المنطق ولم تنصفوا في القضاء أمّا قولكم : تخلع نفسك . فلا أنزع قميصاً قمّصنيه الله عزّ وجلّ وأكرمني به وخصّني به على غيري ولكنّي أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإنّي والله الفقير إلى الله الخائف منه .

قالوا : إنّ هذا لو كان أوّل حدث أحدثته ثمّ تبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك ولكنه : قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت ولقد انصرفنا عنك في المرّة الأولى وما نخشى أن تكتب فينا ولا من اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك ، وكيف نقبل توبتك ؟ وقد بلونا منك انّك لا تعطى من نفسك التوبة من ذنب إلّا عدت اليه ، فلسنا منصرفين حتّى نعزلك و نستبدل بك ، فإن حال مَن معك

من قومك وذوي رحمك وأهل الإنقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم حتى نخلص إليك فنقتلك، أو تلحق أرواحنا بالله.

فقال عثمان : أما أن أتبرأ من الإمارة فان تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته. وأما قولكم : تقاتلون من قاتل دوني . فإني لا آمر أحداً بقتالكم [1] فمن قاتل دوني فانما قاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أريد قتالكم لقد كنت كتبت إلى الأجناد [2] فقادوا الجنود وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق، فالله الله في أنفسكم فابقوا عليها إن لم تبقوا علي : فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً . قال : ثم انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلمه أن يردهم فقال : والله لا أكذب الله في سنة مرتين . تاريخ الطبري ٥ : ١٢٠، ١٢١ .

نظرة في أحاديث الحصارين

أول مايقع عليه النظر من هذه الأحاديث أن المجهزين على عثمان هم المهاجرون والأنصار من الصحابة ولم يشذ عنهم إلا أربعة أسلفنا ذكرهم في صفحة ١٩٥ وهم الذين أصفقوا مع أهل مصر والكوفة والبصرة على مقت الخليفة وقتله بعد أن أعيتهم الحيل، وأعوزهم السعي في استتابته، وإكفائه عن الأحداث، ونزوعه عما هو عليه من الجرائم وإن في المقبلين من تلكم البلاد من عظماء الصحابة، ومن رجال الفضيلة والفقه والتقى من التابعين جماعات لا يستهان بعدتهم، ولا يغمز في دينهم، وهم رؤساء هاتيك الجماهير والمؤلبين لهم على عثمان، فمن الكوفيين :

٢ - زيد الخير، له إدراك أثنى عليه النبي الأعظم، وانه من الخيار الأبرار.

٢ - مالك بن الحارث الأشتر، له إدراك، أوقفناك على عظمته وفضله وموقفه من الايمان، ومبلغه من الثقة والصلاح.

٣ - كعب بن عبدة النهدي، وقد سمعت عن البلاذري انه كان ناسكاً .

---

(١) لم يكن معه هناك غير بني أبيه حتى يامر أحداً بالقتال وهم ليسوا هناك وقد تحصنوا يوم قتله بكندوج ام حبيبة كما يأتيك حديثه .

(٢) كان يتأهب للقتال، ويستعد بالسلاح، ويكتب الى الاجناد، ويجلب الى المدينة الجنود المجندة من الشام، وغيرها، غير انه كان يغفل الناس بكلماته هذه وسنوافيك كتبه .

٤ ـ زياد بن النضر الحارثي ، له إدراكٌ .

٥ ـ عمرو بن الأهتم ، صحابيٌ خطيبٌ بليغٌ شريفٌ في قومه ، ترجمه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ، وابن الأثير في «اسد الغابة» وابن حجر في «الاصابة» .

☆(وفي المصريّين)☆ :

٦ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي ، صحب النبيّ وحفظ عنه أحاديث ، وحظي بدعائه ﷺ له كما مرّ تفصيله ص ٤٥ .

٧ ـ عمرو بن بديل الخزاعي ، صحابيٌ عادلٌ مترجمٌ في معاجم الصحابة .

٨ ـ عبد الله بن بديل الخزاعي : قال أبو عمر : كان سيّد خزاعة و خزاعة عيبة رسول الله ﷺ ، و شهد حنيناً والطائف وتبوك ، وكان له قدرٌ وجلالةٌ ، وكان من وجوه الصحابة . راجع الإستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة .

٩ ـ عبدالرّحمن بن عديس أبو محمّد البلوي ، صحب النبيّ وسمع منه ، وكان ممّن بايع تحت الشجرة من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

١٠ ـ محمّد بن أبي بكر ، وحسبك فيه ما في الإستيعاب والإصابة من أنّ عليّاً « أمير المؤمنين » كان يُثني عليه و يفضّله وكانت له عبادة واجتهاد ، وكان من أفضل أهل زمانه .

(ورئيس البصريّين) :

١١ ـ حكيم بن جبلة العبدي ، قال أبو عمر في « الإستيعاب » : أدرك النبيّ ﷺ وكان رجلاً صالحاً له دين مطاعاً في قومه . وقال المسعودي في المروج ٢ : ٧ : كان من سادات عبد القيس و زهّادها ونسّاكها . وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين بقوله كما في الكامل ٣ : ٩٦ :

دعا حكيم دعوة سميعه　☆　نال بها المنزلة الرفيعه

يالهف ما نفسي على ربيعه　☆　ربيعة السامعة المطيعه

قد سبقتني فيهم الوقيعة

وإنّ ما جرى في غضون تلكم المعامع ، وتضاعيف ذلك الحوار من أخذٍ وردّ وهتافٍ وقول ، كلّها تنمّ عن صلاح القوم وتقواهم ، وإنّهم لم يغضبوا إلّا لله ، ولا دعوا

إلّا إلى أمره ، ولا نهضوا إلّا لإقامة الأمت والعوج ، وتقويم دين الله وتنزيهه عن المعرّات والأحداث ، ولم يجلبهم إلى ذلك الموقف مطمعٌ في إمارة ، أو نزعٌ إلى حكم أو هوىً في مال ، ولذلك كان يرضيهم كلّما يبديه الخليفة من النزول على رغباتهم ، والنزوع عن أحداثه ، والإنابة إلى الله ممّا نقموا به عليه ، غير انّه كان يثيرهم في الآونة بعد الأخرى ما كانوا يشاهدونه من المقام على الهنات ، ونقض العهد مرّة بعد مرّة حتى إذا اطمأنّوا إلى أنّ الرّجل غير منكفىء عمّا كان يقترفه ، ولا مطمئنّ عمّا كان يفعله ، فاطمأنّوا إلى بقاء التكليف عليهم بالوثوب ، فوقفوا لإزالة ما رأوه منكراً ذلك الموقف الشديد حتّى قضى من الأمر ما كان مقدوراً .

ولو كان للقوم غاية غير ما وصفناه لما أثنى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على المصريّين منهم بقوله من كتاب كتبه الى أهل مصر : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه ، وذهب بحقّه ، إلى آخر ما مرّ في صفحة ٧٤ ، ولما كانوا مذكورين في المعاجم والكتب بالثناء الجميل عليهم بعد تلكم المواقف المشهودة ، ولو صدر عن أيّ أحد أقلّ ممّا صدر من اولئك الثائرين على عثمان في حقّ فرد من أفراد المسلمين فضلاً عن الخليفة لعدّ جنايةً لا تغفر ، وذنباً لا يبرّر ، وسقط صاحبه إلى هوّة الضعة ، ولا تبقى له بعدُ حرمة ولا كرامة ، غير أنّ . . . .

الثاني من مواقع النظر في الأحاديث المذكورة : انّ الخليفة كانت عنده جرائم يستنكرها المسلمون وينكرونها عليه وهو يعترف بها فيتوب عنها ، ثمّ يروغ عن التوبة فيعود إليها ، ولا أدري انّه في أيّ الحالين أصدق ؟ أحين اعترف بالأحداث فتاب ؟ أم حين عبث به مروان فرقي المنبر وقال : إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقّنوا انّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم ؟

الثالث : أنّه أعطى العهود والمواثيق المؤكّدة على النزوع عمّا كان يرتكبه ممّا ينقمونه عليه وسجّل ذلك في صكوك يبثّها في البلاد بأيدي الناهضين عليه ، إذ كان على علم بأنّ البلاد قد تمخّضت عليه كما مرّ في كلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، ثمّ لم يلبث حتّى نكثها بعد ما ضمن له بالعمل على ذلك الضمان مثل مولانا أمير المؤمنين ومحمّد ابن مسلمة ذلك الصحابيّ العظيم ، وقد شهدت ذلك الضمان اُمّةٌ كبيرةٌ من الصحابة ،

فكأنّه ما كان يرى للعهد لزوماً ، ولا للضمان حرمة ، ولا للضامنين مكانة ، ولا لنكث العهد معرّة ، ولعلّه كان يجد مبرّراً لتلكم الفجايع أو الفضايح ، وعلى أيّ فالمسلمون « ويقدمهم الصحابة العدول » لم يرقهم ذلك المبرّر ولا اعترفوا به ، فمضوا إلى ما فعلوه قدماً غير متحوّبين ولا متأثّمين .

الرابع : إنّ التزامه في كتاب عهده في الحصار الأوّل بالعمل بالكتاب والسنّة وهو في حيّز النزوع عمّا كان يرتكبه قبل ذلك ، وقد أعتب بذلك المتجمهرين عليه المنكرين على أحداثه المنحازة عنهما ، يرشدنا إلى انّه كان في أعماله قبل ذلك الالتزام عيدٌ عن الكتاب والسنّة ، وحسب أيّ إنسان من الضعة أن تكون أعماله منتئية عنهما

الخامس : إنّ الطريد بن الطريد ، أوقل عن لسان النبيّ الأمين[1] : الوزغ ابن الوزغ ، اللعين ابن اللعين ، مروان بن الحكم كان يؤثّر في نفسيّات الخليفة حتى يحوّله « كما قال مولانا أمير المؤمنين[2] » عن دينه وعقله ، ويجعله مثل الظعينة يقادحيث يساربه . فلم يزل به حتى أربكه عند منتقض العهود ومنتكث المواثيق ، فأورده مورد الهكة ، وعجيبٌ من الخليفة أن يتأثّر بتسويلات الرجل وهو يعلم محلّه من الذين و موقفه من الايمان ، ومبوّأه من الصدق والأمانة ، وهو يعلم أنّه هو وزبانيته هم الذين جرّوا عليه الويلات و أركبوه النهابير ، و أنّهم سيوردونه ثمّ لا يصدرونه ، يعلم ذلك كلّه و هو بين الناب والمخلب وفي منصرم الحياة ، ومع ذلك كلّه لايزال مقيماً على هاتيك الوساوس المروانيّة ، فيا للعجب .

وأعجب من ذلك انّه مع هذا التأثّر يتّخذ نصح الناصحين له كمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وكثير من الصحابة العدول باعتاب الناس ورفض تمويهات مروان الموبقة لهظهريّاً فلا يعيرلهم بعد تمام الحجّة وقطع سبل المعاذير أذناً واعية ، وهو يعلم أنّهم لايعدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويدعونه إلى مافيه نجاته ونجاح الاُمّة .

☆(لفت نظر)☆ وقع في عدّ أيّام حصار عثمان خلافٌ بين المورّخين فقال الواقدي: حاصروه تسعة وأربعين يوماً . وقال الزبير : حاصروه شهرين وعشرين يوماً . وفي رواية:

---

(١) راجع مامر في الجزء الثامن ص ٢٦٠ ط ٢ .
(٢) راجع مامضى في هذا الجزء صفحة ١٧٤ .

انهم حصروه أربعين ليلة . وقال ابن كثير : استمر الحصر أكثر من شهر وقيل : بضعاً و أربعين . و قال الشعبي : كانت مدته اثنتين و عشرين ليلة . و في رواية للطبري : كان الحصر . أربعين ليلة و النزول سبعين . و في بعض الروايات : حصروه عشرين يوماً بعد قضية جهجاه المذكورة ص ١٢٤ إلى أقوال اُخرى ، و لعل كل منها ناظر إلى ناحية من مدة أيام الحصارين أومدة أحدهما ، ومن مدة نزول المتجمرين حول داره ، و من أيام ضاق عليه الخناق ، و منع من ادخال الماء عليه ، و حيل بينه و بين اختلاف الناس إليه ، ومن حصار الثائرين عليه من الأمصار ، ومن إصفاق أهل المدينة معهم على الحصار . إلى تأويلات اُخرى يتأتى بها الجمع بين تلكم الأقوال .

كتب عثمان ايام الحصار (١)

أخرج الطبري في تاريخه من طريق ابن الكلبي قال: إنما رد اهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم وأن يصلب بعضهم فلما أتوا عثمان قالوا : هذا غلامك ؟ قال : غلامي إنطلق بغير علمي ، قالوا : جملك ؟ قال : أخذه من الدار بغير أمري . قالوا : خاتمك ؟ قال : نقش عليه فقال عبدالرحمن بن عديس التجيبي حين أقبل أهل مصر .

أقبلن من بلبيس والصعيد (٢) ☆ خوصاً كأمثال القسي عود
مستحقبات حلق الحديد ☆ يطلبن حق الله في الوليد
و عند عثمان و في سعيد ☆ يا رب فارجعنا بما نريد

فلما رأى عثمان ماقد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام :

---

(١) الامامة والسياسة ٢ : ٣٢ - ٣٣ ، الانساب ٥ : ٧١، ٧٢ ، تاريخ الطبرى ٥ : ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٩ ، تاريخ اليعقوبى ٢ : ١٥٢ ، الكامل لابن الاثير ٥ . ٦٧ ، ٧١ ، شرح ابن ابى الحديد ١ : ١٦٥ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٩٤ ، الفتنة الكبرى ص ٢٢٦ .

(٢) بلبيس : بكسر الباء ين وسكون اللام مدينة بينها و بين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام . الصعيد : بلاد واسعة كثيرة بمصر يقال : انها تسعمائة وسبع وخمسون قرية .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد : فإنّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة و نكثوا البيعة ، فابعث إليّ مَن قِبلك من مقاتلة اهل الشام على كلّ صعب وذلول .

فلمّا جاء معاوية الكتاب تربّص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم ، فلمّا أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن اسد بن كرز وإلى أهل الشام يستنفرهم ويُعظّم حقّه عليهم ، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزّ وجلّ به من طاعتهم ومناصحتهم ووعدهم أن يجندهم جنداً وبطانة دون الناس ، وذكرهم بلاءه عندهم وصنيعه إليهم ، فإن كان عندكم غياث فالعجل العجل فإنّ القوم معاجليّ .

فلمّا قُرئ كتابه عليهم قام يزيد بن اسد بن كرز البجلي ثمّ القسري فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ ذكر عثمان فعظّم حقّه ، وحضّهم على نصره ، وأمرهم بالمسير إليه ، فتابعه ناسٌ كثيرٌ وساروا معه حتّى إذا كانوا بوادي القرى[1] بلغهم قتل عثمان رضي الله عنه فرجعوا .

وأخرج البلاذري من طريق الشعبي قال : كتب عثمان إلى معاوية : أن أمدّني ، فأمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن اسد بن كريز البجلي ، فتلقّاه النّاس بمقتل عثمان فرجع من الطريق وقال : لو دخلت المدينة وعثمان حيٌّ ما تركت بها محتلماً إلّا قتلته ، لأنّ الخاذل والقاتل سواء .

كتابه الى أهل الشام

قال ابن قتيبة : وكتب إلى أهل الشام عامّة وإلى معاوية وأهل دمشق خاصّة :

أمّا بعد : فإنّي في قوم طال فيهم مقامي ، واستعجلوا القدر فيّ ، و قد خيّروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل الدحيل ، وبين أن أنزع لهم رداء الله الذي كسانيّ، وبين أن اقيدهم ممّن قتلت ، ومن كان على سلطان يخطئ ويصيب ، فيا غوثاه يا غوثاه ، ولا أمير عليكم دوني ، فالعجل العجل يا معاوية ! وأدرك ثمّ أدرك وما أراك تدرك .

(١) وادى القرى : واد بين المدينة والشام من اعمال المدينة .

كتابه الى اهل البصرة

وكتب إلى عبد الله بن عامر : أن أندب إلي أهل البصرة ـ نسخة كتابه إلى أهل الشام ـ فجمع عبد الله بن عامر الناس فقرأ كتابه عليهم ، فقامت خطباء من أهل البصرة يحضونه على نصر عثمان والمسير إليه فيهم : مجاشع بن مسعود السلمي ، وكان أول من تكلم وهو يومئذ سيد قيس بالبصرة ، وقام أيضاً قيس بن الهيثم السلمي ، فخطب وحض الناس على نصر عثمان ، فسارع الناس إلى ذلك ، فاستعمل عليهم عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم حتى إذا نزل الناس الربذة ونزلت مقدمته عند صرار ناحية من المدينة أتاهم قتل عثمان .

وقال البلاذري : وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر بن كريز و معاوية بن أبي سفيان يعلمهما أن أهل البغي والعدوان من أهل العراق ومصر والمدينة قد أحاطوا بداره فليس يرضيهم بزعمهم شيء دون قتله أو يخلع السربال الذي سربله الله إياه ، ويأمرهما باغاثته برجال ذوي نجدة وبأس ورأي ، لعل الله أن يدفع بهم عنه بأس من يكيده و يريده ، وكان رسوله إلى ابن عامر جبير بن مطعم ، وإلى معاوية المسور بن مخرمة الزهري ، فأما ابن عامر فوجه إليه مجاشع بن مسعود السلمي في خمس مائة أعطاهم خمس مائة خمس مائة درهم ، وكان فيمن ندب مع مجاشع زفر بن الحارث على مائة رجل ، وأما معاوية فبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري في ألف فارس ، فقدم حبيب أمامه يزيد بن أسد البجلي جد خالد بن عبد الله بن يزيد القسري من بجيلة ، وبلغ أهل مصر ومن معهم ممن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدة عليه وجداً في حصاره وحرصاً على معاجلته بالقتل .

كتابه الى اهل الامصار

أخرج الطبري وغيره وقالوا : كتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغ عن الله ما أمره به ثم مضى وقد قضى الذي عليه وخلف فينا كتابه فيه حلاله وحرامه ، وبيان الأمور

التي قدّر فأمضاها على ما أحبّ العباد وكرهوا ، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ثمّ أُدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الامّة ، ثمّ أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم ومن النّاس على غير طلب منّي ولا محبّة ، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون ، تابعاً غير مستتبع ، متبعاً غير مبتدع ، مقتدياً غير متكلّف ، فلمّا انتهت الأُمور ، وانتكث الشرّ بأهله ، بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا ترة فيما مضى إلّا إمضاء الكتاب ، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجّة ولا عذر ، فعابوا عليّ أشياء ممّا كانوا يرضون وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها ، فصبّرت لهم نفسي و كففتها عنهم منذ سنين ، وأنا أرى وأسمع ، فازدادوا على الله عزّ وجلّ جرأة حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه وأرض الهجرة ، وثابت إليهم الأعراب ، فهم كالأحزاب أيّام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلّا ما يظهرون ، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق .

فأتى الكتاب أهل الأمصار فخرجوا على الصعبة والذلول ، فبعث معاوية حبيب ابن مسلمة الفهري ، وبعث عبدالله بن سعد معاوية بن خديج السكوني ، وخرج من أهل الكوفه القعقاع بن عمرو . الحديث .

كتابه الى اهل مكة
و من حضر الموسم سنة ٣٥

ذكر ابن قتيبة قال : كتب عثمان كتاباً بعثه مع نافع بن طريف إلى أهل مكّة و من حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكّة وابن عبّاس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحجّ من المسلمين . أمّا بعد : فانّي كتبت اليكم كتابي هذا وأنا محصور أشرب من بئر القصر ، ولا آكل من الطعام ما يكفيني ، خيفة أن تنفد ذخيرتي فأموت جوعاً أنا و من معي ، لا أُدعى إلى توبة أقبلها ، و لا تُسمع منّي حجّة أقولها ، فأنشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلّا قدم عليّ فأخذ الحق فيّ ومنعني من الظلم والباطل .

قال : ثمَّ قام ابن عبّاس فأتمّ خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه .

قال الأميني : هذا مايمكننا أن نؤمن به من كتاب عثمان إلى الحضور في الموسم وهناك كتابٌ مفصّل إلى الحاج ينسب إليه يتضمّن آياً من الحكم والموعظة الحسنة يطفح عن جوانبه الورع الشديد في دين الله ، والأخذ بالكتاب والسنّة ، والإحتذاء بسيرة الشيخين ، يبعد جدّاً عن نفسيّات عثمان و عمّا عرفته الاُمّة من تاريخ حياته ، والكتاب أخرجه الطبري في تاريخه ٥ : ١٤٠ ـ ١٤٣ وراق الدكتور طه حسين ماوجد فيه من المعاني الراقية والجمل الرائقة ، والفصول القيّمة فذكره في ملحق كتابه «الفتنة الكبرى» ص ٢٢٧ ـ ٢٣١ ذاهلاً عن أنّ الكتاب لم يُروَ إلاّ من طريق ابن أبي سبرة القرشي العامري المدني الوضّاع الكذّاب السابق ذكره في سلسلة الوضّاعين في الجزء الخامس ، قال الواقدي : كان كثير الحديث و ليس بحجّة ، و قال صالح بن أحمد عن أبيه : كان يضع الحديث . وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه : ليس بشيء كان يضع الحديث ويكذب ، وعن ابن معين ليس حديثه بشيء ، ضعيف الحديث ، وقال ابن المديني : كان ضعيفاً في الحديث ، وقال مرّة : كان منكر الحديث . وقال الجوزجاني : يضعف حديثه . وقال البخاري : ضعيفٌ . وقال مرّة : منكر الحديث . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال ابن عدي : عامّة مايرويه غير محفوظ و هو في جملة من يضع الحديث . وقال ابن حبّان : كان ممّن يروي الموضوعات عن الثقات لايجوز الإحتجاج به . وقال الحاكم أبو عبدالله : يروي الموضوعات عن الأثبات[1] .

نظرة في الكتب المذكورة

لقد تضمّنت هذه الكتب أشياء هي كافية في إثارة عواطف المؤمنين على مَن كتبها ولو لم يكن له سابقة سوء غيرها . منها :

قوله عن المهاجرين والأنصار وليس في المدينة غيرهم : انّ أهل المدينة قد كفروا ، واخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة . وقوله : فهم كالأحزاب أيّام الأحزاب أو من غزانا بأحد وهو يريد أصحاب محمّد ﷺ المشهود لهم جمعاء بالعدالة عند قاطبة أهل السنّة ، ولقد صعّدوا وصوّبوا في إثبات ذلك بما لامزيد عليه عندهم ، ولايزالون يحتجّون بأقوالهم

(١) راجع تاريخ الخطيب ١٤ : ٣٦٧ ـ ٣٧٢ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٢٧ .

وما يُؤثر عنهم من قول أوعمل في أحكام الدين، كما يحتجّون بما يُؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السنّة، ثقة بايمانهم، وطمأنينة بعدالتهم، ويرون انّهم لاينبسون ببنت شفة ولايخطون في أمر الدين خطوة إلّا بأثر ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسموع أو منقول؛ أو مشاهدة عمل منه صلى الله عليه وآله وسلم يطابق ما يرتأونه أو يعملون به، فهل على مؤمن هذا شأنه قذفٌ أثقل عليه من هذا؟ أو تشويهٌ أمسُّ بكرامته من ذلك؟ ولعمر الحقّ انّ مَن يغضّ عن مثله فلا يستثيره خِلوٌ عن العاطفة الدينيّة، خِلوٌ عن الحماس الإسلامي، خِلوٌ عن الشهامة المبدئيّة، خِلوٌ عن الغيرة على الحقّ، خِلوٌ وخِلوٌ. ولذلك اشتدّت الصحابة عليه بعد وقوفهم على هذا وأمثاله.

ثمّ إنّه ليس لأحد طاعةٌ مفترضةٌ على أعناق المسلمين بعد الله ورسوله إلّا إمام حقّ يعمل بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، و المتجمهرون على عثمان و هم الصحابة أجمع كانوا يرون انّه تخطّاهما، وانّ ماكان ينوء به من فعل أو قول قد عديا الحقّ منهما، فأيّ طاعة واجبة والحال هذه ـ وحسبان القوم كما ذكرناه ـ حتّى يؤاخذوا على الخلف؟.

والبيعة إنّما لزمت إن كان صاحبها باقياً على ما بويع عليه، والقوم إنّما بايعوه على متابعة الكتاب و السنّة والمضيّ على سيرة الشيخين، و بطبع الحال انّها تنتكث عند نكوص صاحبها عن الشروط، وهو الذي نقمه المسلمون على خليفتهم، فلاموجب لمؤاخذتهم أو منابذتهم، وهاهنا رأى المسلمون أنّ الرجل زاد ضغثاً على أُبّالة، فهو على أحداثه الممقوتة طفق يستثير الجنود عليهم، ويعرّضهم على القتل والنهب، فتداركوا الأمر فأوردوه حياض المنيّة قبل أن يجلب إليهم البليّة، وتلافوا الأمر قبل أن يمسّهم الشرّ، وما بالهم لاتستثيرهم تلكم القذائف؟ وهم يرون أنّهم هم الذين آووا ونصروا ولم يألوا جهداً في جهاد الكفّار حتّى ضرب الدين بجرانه، فمن العجيب والحالة هذه أن يشبّهوا بالأحزاب والكفرة يوم أُحد.

☆(ومنها)☆ تلوّنه في باب التوبة التي تظاهر بها على صهوة المنبر بملأٍ من الصحابة، وسجّل ذلك بكتاب شهد عليه عدّةٌ من أعيان الأُمّة وفي مقدّمهم سيّدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام، و كتب ذلك إلى الأمصار النائية كما تقدّم في صفحة ١٧١ و

هو في كل ذلك يعترف بالخطيئة ويلتزم بالإقلاع عنها ، لكنه سرعان ما نكث التوبة وأبطل المواثيق المؤكدة بكتبه هذه ، إذحسب أن من يكتب إليهم سينفرون اليه مقانب وكتائب وهم أولياءه ومواليه ، فنفى عنه المآثم التي شهد عليها أهل المدينة بل و أهل الأمصار من خيرة الأمة ، وهو يريد أن يقلّب عليهم ظهر المجن ، فيؤاخذ وينتقم وكأنه نسي ذلك كلّه حتى قال : في كتابه إلى أهل مكّة : لاأدعى إلى توبة أقبلها ، ولا تسمع منّي حجّة أقولها .

يقول له المحامي عن المدنيّين : أو لم تدع أيّها الخليفة إلى التوبة فتبت على الأعواد وعلى رؤس الأشهاد مرّة بعد أخرى ؟ لكنّهم وجدوك لاتقرّ على قرار ، ولا تستمرّ على مبدء ، و شاهدوك تتلوّن تلوّن الحرباء[1] فجزموا بأنّ التوبة لاتردعك عن الأحداث، وانّ النزوع لايزعك عن الخطايا ، وجئت تماطل القوم بذلك كلّه حتّى يوافيك جيوشك فتهلك الحرث والنسل ، وتمكن من أهل دار الهجرة مثل يزيد بن كرز الذي يقول : لو دخلت المدينة وعثمان حيّ ماتركت بها محتلماً إلّا قتلته . الخ ،

عرف القوم أيّها الخليفة نواياك السيّئة فيهم ، وعرفوا إنحرافك عن الطريقة المثلى بابعاد مروان إيّاك عنها كما قال مولانا أمير المؤمنين ﷺ و هو يخاطبك : أمّا رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك ؟ وإنّ مثلك مثل الظعينة يقاد حيث يسار به[2] فنهضوا للدفع عنهم وعن بيضة الإسلام من قبل أن يقعوا بين الناب والمخلب ، فوقع ماوقع وكان أمر الله قدراً مقدورا .

ولناها هنا مناقشة أخرى في حساب الخليفة فنقول له : مابالك تكرّر أيّها الخليفة قولك عن الخلافة : انّها رداء الله الذي كساني . أو انّها قميص سربلنيه الله . أو مايماثل ذلك ؟ تطفح به كتبك أو يطفو على خطبتك ، ويلوكها فمك بين كلمك ، كأنّك قد حفظتها كلمة ناجعة لدينك و دنياك ، واتّخذتها ورداً لك كأنّك تحاذر في تركها النسيان غير أنّه عزب عنك محاسبة من تخاطبهم بها إيّاك ، فما جواب قومك إن قالوا لك ؟ متى سربلك الله بهذا القميص ؟ و قد مات من سربلك ، و انقلب عليك بعد قبل موته

(١) الحرباء : ضرب من الزحافات تتلون في الشمس ألوانا مختلفة ، يضرب بها المثل في التقلب
(٢) راجع ما مر في صفحة ١٧٤ ، ١٧٥ من هذا الجزء .

و عددته لذلك منافقاً ، وأوصى أن لاتصلّي عليه أنت ، و كان يقول لعليٍّ أمير المؤمنين خُذ سيفك و آخذ سيفي انّه قد خالف ما أعطاني ، و كان يحثّ الناس عليك و يقول : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه ، وحلف أن لا يكلّمك أبداً ، وقد دخلت عليه عائداً في مرضه فتحوّل إلى الحائط ولم يكلّمك [١] وهاجرك إلى آخر نفس لفظه . وتبعه على خلافك الباقون من أهل الشورى .

و كلّنا نحسب أنّ نصب الخليفة لا يجب على الله سبحانه إن كنّا مقتفين أثر الشيخين وإنّما هو مفوّضٌ إلى الأمّة تختار عليها من شاءت ، و إن حدنا في ذلك من قول الله تعالى : وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة [٢] وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم [٣] وعن نصوص النبيّ الأعظم وقد مرّ شطرٌ منها في غضون أجزاء كتابنا هذا .

فهل ترى أيّها الخليفة انّه كان يجب على الله سبحانه أن يمضي خيرة الأمّة ؟ أكان في رأي الجليل إعوازٌ في تقييض الإمام بنفسه حتّى ينتظر في ذلك مشتبك آراء الأمّة أو مرتبك أهوائهم فيمضي ما ارتأوه ؟ وبهذه المناسبة تنسب ذلك السربال إليه ، لا أظنّك أيّها الخليفة يسعك أن تقرّر ما استفهمناه ، غير أنّ آخر دعواك بعد العجز عن الجواب : لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله .

وعلى كلٍّ لقد أوقفنا موقف الحيرة في أمر هذا السربال و مَن حاكه والنول الذي حيك عليه ، فقد وجدنا أوّل الخلفاء تسربله بانتخاب غير دستوري ، بانتخاب جرّ الويلات على الأمّة حتّى اليوم ، بانتخاب سوّد صحيفة التاريخ وشوّه سمعة السلف ، وقد تقمّصه إبن أبي قحافة وهو يعلم أنّ في الأمّة مَن محلّه من الخلافة محلّ القطب من الرّحى ، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير ، كما قاله مولانا أمير المؤمنين ثمّ مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده ، فيا عجباً يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته [٤] فتقمّصه الثاني بالنصّ ممّن قبله وهو يعلم أنّ في الأمّة من هو

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء من حديث عبد الرحمن بن عوف ص ٨٦ – ٩١ .
(٢) سورة القصص : ٦٧ .
(٣) سورة الاحزاب : ٣٦ .
(٤) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص ٨١ ط٢ .

أولى منه كما قال مولانا أمير المؤمنين[١] وسربلك إيّاه أيّها الخليفة عبد الرحمن بن عوف وفي لسانه قوله لعليّ : بايع وإلّا ضربت عنقك ، ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره ، فخرج عليٌّ مغضباً فلحقه أصحاب الشورى قائلين : بايع وإلّا جاهدناك[٢] . فأيٌّ من هذه السرابيل منسوجٌ بيد الحقّ حتّى يصحّ عزوه إليه سبحانه ؟ ولهذا البحث ذيولٌ ضافية حولها أبحاثٌ مترامية الأطراف ، حول خلافة الخلفاء من بني اُميّة وغيرهم يشبه بعضها بعضاً ، ولعلّك في غنىً عن التبسّط في ذلك والإسترسال حول توثّبهم على عرش الإمامة .

نعم : الخلافة التي يصحّ فيها أن يقال : انّها سربالٌ من الله سبحانه ، هي التي قيّض صاحبها المولى جلّت قدرته ، وبلّغ عنه نبيّه الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، هي التي أخبر به النبيّ الأعظم من أوّل يومه فقال : إنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء[٣] فهي إمرةٌ إلٰهيّة لاتتمّ إلّا بالنصّ و ليس لصاحبها أن ينزعها ، هي التي قرنت بولاية الله ورسوله في قوله تعالى : إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا[٤] وهي التي أكمل الله بها الدّين وأتمّ بها النعمة[٥] وشتّان بينها وبين رجال الإنتخاب وإن كان دستوريّاً ؟.

وأمّا ما ارتآه المتجمهرون وعبثت به الميول والشهوات ، فهي سلطةٌ عاديةٌ يفوز بها المتغلّبون ، وبيد الاُمّة حلّها وعقدها ، والغاية منها عند من يحذو حذو الخليفة في جملة من الصولات كلائة الثغور ، واقتصاص القاتل ، وقطع المتلصّص ، إلى آخر ما مرّ تفصيله في الجزء السابع صفحة ١٣١-١٥١ ط٢ وليس في عهدة المتسلّق على عرشه تبليغ الأحكام ، وترويض النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وتعليم الملكات الفاضلة ، وتربية الملأ في عالم النشو و الإرتقاء ، فإنّ تلكم الغايات في تلكم السلطات تحصل بمن هو خِلوٌ عن ذلك كلّه كما شوهد فيمن فازبها عن غير نصٍّ إلٰهيّ .

---

(١) يأتى حديثه بلفظه .

(٢) الانساب للبلاذرى ٥ : ٢٢ .

(٣) مرّ حديثه فى الجزء السابع ص ١٣٤ ط٢ .

(٤) راجع مامضى فى الجزء الثانى ص ٤٧ ، والجزء الثالث ص ١٥٥-١٦٧ ط ٢ .

(٥) راجع الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٢٣٠-٢٣٩ ط٢ .

يوم الدار والقتال فيها

أخرج ابن سعد في طبقاته ٥ : ٢٥ ط ليدن من طريق أبي حفصة مولى مروان قال : خرج مروان بن الحكم يومئذ يرتجز ويقول : من يبارز ؟ فبرز إليه عروة بن شييم بن البياع الليثي فضربه على قفاه بالسيف فخرّ لوجهه فقام إليه عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقي بسكّين معه ليقطع راسه فقامت إليه امّه التي أرضعته و هي فاطمة الثقفيّة وهي جدّة إبراهيم بن العربي صاحب اليمامة فقالت : إن كنت تريد قتله ؟ فقد قتلته ، فما تصنع بلحمه أن تبضّعه ؟ فاستحى عبيد بن رفاعة منها فتركه .

وروى عن عيّاش بن عبّاس قال : حدّثني من حضر ابن البيّاع يومئذ يبارز مروان بن الحكم : فكأنّي أنظر إلى قبائه قد أدخل طرفيه في منطقته وتحت القباء الدرع ، فضرب مروان على قفاه ضربة فقطع علابي رقبته ووقع لوجهه فأرادوا أن يذففوا عليه فقيل : تبضعون اللحم ؟ فترك .

وأخرج البلاذري من طريق خالد بن حرب قال : لجأ بنو اُميّة يوم قتل عثمان إلى اُمّ حبيبة[1] فجعلت آل العاص وآل أبي العاص وآل اُسيد في كندوج[2] وجعلت سائرهم في مكان آخر ، ونظر معاوية يوماً إلى عمرو بن سعيد يختال في مشيته فقال : بأبي واُمّي اُمّ حبيبة ، ما كان أعلمها بهذا الحيّ حين جعلتك في كندوج ؟ .

قال : ومشى الناس إلى عثمان وتسلّقوا عليه من دار بني حزم الأنصاري ، فقاتل دونه ثلاثة من قريش : عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود[3] . و عبدالله بن عوف ابن السبّاق[4] . وعبدالله[5] بن عبدالرحمن بن العوام ، وكان عبدالله بن عبدالرحمن

(١) زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله .

(٢) كندوج : شبه المخزن في البيت .

(٣) قال ابن الاثير في اسد الغابة ٣ : ٢٧٣ ، قتل يوم الجمل أو يوم الدار و قال ابن حجر في الاصابة ٢ : ٣٨١ : قتل يوم الدار .

(٤) هو عبدالله بن أبي مرة «أبي ميسرة» العبدري قتل مع عثمان كما في الاستيعاب ٢ : ٣ ، و الاصابة ٢ ٣٦٧ .

(٥) ذكر أبو عمر في الاستيعاب وابن الاثير في اسد الغابة في ترجمة عبدالرحمن ، وابن حجر في الاصابة ٢ : ٤١٥ : انه ممن قتل يوم الدار .

ابن العوام يقول : يا عبادالله ! بيننا وبينكم كتاب الله . فشدّ عليه عبدالرّحمن بن عبدالله الجمحي وهو يقول :

لأضربنّ اليوم بالقرضاب ✿ بقيّة الكفّار والأحزاب
ضرب امرئ ليس بذي ارتياب ✿ أأنت تدعونا إلى الكتاب ؟
نبذته في سائر الأحقاب

فقتله ، وشدّ جماعةٌ من الناس على عبدالله بن وهب بن زمعة ، وعبدالله بن عوف ابن السبّاق ، فقتلوهما في جانب الدار .

جاء مالك الأشتر حتّى انتهى إلى عثمان فلم يرَ عنده أحداً فرجع فقال له مسلم بن كريب القابضي من همدان : ياأشتر ! دعوتنا إلى قتل رجل فأجبناك حتّى إذا نظرت اليه نكصتَ عنه على عقبيك . فقال له الأشتر : لله أبوك أما تراه ليس له مانعٌ ولا عنه وازعٌ ؛ فلمّا ذهب لينصرف قال ناتل مولى عثمان : واثكلاه هذا والله الأشتر الذي سعّر البلاد كلّها على أمير المؤمنين ، قتلني الله إن لم أقتله . فشدّ في أثره فصاح به عمرو بن عبيد الحارثي من همدان : وراءك الرجل ياأشتر ! فالتفت الأشتر إلى ناتل فضربه بالسيف فأطار يده اليسرى ونادى الأشتر : يا عمرو بن عبيد إليك الرجل فاتبع عمرو ناتلاً فقتله.

وقال مروان في يوم الدار :

وماقلت يوم الدار للقوم : حاجزوا ✿ رُويداً ولا اختاروا الحياة على القتل
ولكنّني قد قلت للقوم : قاتلوا ✿ بأسيافكم لا يوصلنّ إلى الكهل

وفي رواية أبي مخنف : تهيّأ مروان وعدّة معه للقتال فنهاهم عثمان فلم يقبلوا منه وحملوا على من دخل الدار فأخرجوهم . ورُمي عثمان بالحجارة من دار بني حزم بن زيد الأنصاري ونادوا : لسنا نرميك ، ألله يرميك ، فقال : لو رماني الله لم يخطأني ، و شدّ المغيرة بن الأخنس بالسيف وهو يقول :

قد علمت جاريةٌ عطبولُ ✿ لها وشاحٌ ولها جديلُ
أنّي لمن حاربت ذو تنكيل

فشدّ عليه رفاعة بن رافع وهو يقول :

قد علمت خودٌ صحوبٌ للذيلْ ✿ ترخي قروناً مثل أذناب الخيلْ

أنّ لقرني في الوغى منّي الويلْ

فضربه على رأسه بالسيف فقتله. ويقال: بل قتله رجلٌ من عرض الناس، وخرج مروان بن الحكم وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل ✫ والكفّ والأنامل الطفول

أنّي أروع أوّل الرعيل

ثمّ ضرب عن يمينه وشماله فحمل عليه الحجّاج بن غزية وهو يقول:

قد علمت بيضاء حسناء الطللْ ✫ واضحة الليتين قعساء الكفلْ

أنّي غداة الروع مقدامٌ بطلْ

فضربه على عنقه بالسيف فلم يقطع سيفه وخرّ مروان لوجهه وجاءت فاطمة بنت شريك الأنصاريّة من بلي ـ وهي امّ ابراهيم بن عربي الكناني الذي كان عبد الملك ابن مروان ولّاه اليمامة وهي التي كانت ربّت مروان ـ فقامت على رأسه ثمّ أمرت به فحمل، وادخل بيتاً فيه كُنه[1] وشدّ عامر بن بكير الكناني وهو بدريٌّ على سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن اميّة فضربه بالسيف على رأسه، وقامت نائلة بنت الفرافصة على رأسه ثمّ احتملته فأدخلته بيتاً وأغلقت بابه[2].

وفي رواية الطبري من طريق أبي حفصة مولى مروان: لمّا حصر عثمان رضي الله عنه شمّرت معه بنو اُميّة، و دخل معه مروان الدار فكنت معه في الدار، فأنا والله أنشبتُ القتال بين الناس رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته وهو نيار الأسلمي فنشب القتال، ثمّ نزلت فاقتتل الناس على الباب، فأرسلوا إلى عثمان أن أمكنّا من قاتله قال: والله ماأعرف له قاتلاً فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلمّا أصبحوا غدوا فأوّل من طلع علينا كنانة بن عتاب في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا قدفتح له من دار آل حزم، ثمّ دخلت الشعل على اثره تُنضح بالنفط فقاتلناهم ساعة على الخشب و قد اضطرم الخشب، فأسمع عثمان يقول لأصحابه: مابعد الحريق شيءٌ قد احترق الخشب واحترقت الأبواب و من كانت لي عليه طاعة فليمسك داره، ثمّ قال لمروان:

(١) كنة بالضم: جناح يخرج من الحائط. والسقيفة تشرع فوق باب الدار: وقيل: هومخدع أورف يشرع في البيت.

(٢) الانساب ٥: ٧٨-٨١.

اجلس فلاتخرج . فعصاه مروان فقال : والله لاتُقتل ولا يُخلص إليك وأنا أسمع الصوت ثمّ خرج إلى الناس فقلت : ما لمولاي متركٌ . فخرجت معه أذبّ عنه ونحن قليل فأسمع مروان يقول :

قد علمت ذات القرون الميلِ ☆ والكفّ والأنامل الطفولِ
أنّي أروع أوّل الرعيلِ ☆ بفارهٍ مثل قطا الشليلِ

وقال أبوبكر بن الحارث : كأنّي أنظر إلى عبد الرّحمن بن عديس البلوي وهو مسندٌ ظهره إلى مسجد نبيّ الله ﷺ وعثمان محصورٌ فخرج مروان فقال : من يبارز؟ فقال عبدالرّحمن بن عديس لفلان بن عروة [1] : قم إلى هذا الرجل . فقام إليه غلامٌ شابٌ طوال فأخذ رفيف الدرع فغرزه في منطقته فأعور له عن ساقه فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عنقه ، فكأنّي أنظر إليه حين استدار وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليدفف عليه (إلى آخر مامرّ عن ابن سعد) .

ومن طريق حسين بن عيسى عن أبيه قال : لمّا مضت أيّام التشريق أطافوا بدار عثمان رضي الله عنه ، وأبى إلاّ الإقامة على أمره، وأرسل إلى حشمه وخاصّته فجمعهم فقام رجلٌ من أصحاب النبيّ ﷺ يقال له : نيار بن عياض وكان شيخاً كبيراً فنادى : يا عثمان ! فأشرف عليه من أعلى داره فناشده الله وذكره الله لما اعتزلهم ، فبينا هو يراجعه الكلام إذ رماه رجلٌ من أصحاب عثمان فقتله بسهم ، وزعموا أنّ الذي رماه كثير بن الصلت الكندي ، فقالوا لعثمان عندذلك : إدفع الينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به . فقال : لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي، فلمّا رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فاحرقوه، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة ، وخرج سعيد بن العاص في عصابة ، وخرج المغيرة بن الأخنس الثقفي في عصابة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الذي حداهم على القتال انّه بلغهم انّ مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صراراً وهي من المدينة على ليلة ، وأنّ أهل الشام قد توجّهوا مقبلين فقاتلوهم قتالاً شديداً على باب الدار فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفي على القوم وهو يقول مرتجزاً :

---

(١) لعل الصحيح : عروة بن شييم البياع الليثى كما جاء فى رواية الطبرى فى تاريخه ٥ ، ١٣٣ ومرّ فى ص ١٩٨ من رواية ابن سعد فى طبقاته .

قد علمت جارية عطبول ✿ لها وشاح ولها حجول

أني بنصل السيف خنشليل

فحمل عليه عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو يقول :

إن تك بالسيف كما تقول ✿ فاثبت لقرن ماجد يصول

بمشرفي حده مصقول

فضربه عبدالله فقتله ، و حمل رفاعة بن رافع الأنصاري ثم الزرقي على مروان ابن الحكم فضربه فصرعه فنزع عنه وهو يرى انه قدقتله، وجرح عبدالله بن الزبير جراحات و انهزم القوم حتى لجأوا إلى القصر فاعتصموا ببابه فاقتلوا عليه قتالاً شديداً فقتل في المعركة على البـاب زياد بن نعيم الفهري (١) في ناس من أصحاب عثمان فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره و هـو إلى جنب دار عثمان بن عفان ثم نادى الناس ، فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهـزموا و خلي لهم عن باب الدار فخرجوا هراباً في طرق المدينة ، وبقي عثمان في أناس من اهل بيته وأصحابه فقتلوا معه وقتل عثمان رضي الله عنه (٢) .

وفر خالد بن عقبة بن أبي معيط أخو الوليد يوم الدار ، وإليه أشار عبد الرحمن ابن سيحان (٣) بقوله :

يلومونني إن جلت في الدار حاسراً ✿ وقد فر منها خالد و هو دارع (٤)

فإن كان نـادى دعوة فسمعتها ✿ فشلت يدي واستك مني المسامع

فقال خالد :

لعمري لقد أبصرتهم فتركتهم ✿ بعينك إذ ممشاك في الدار واسع (٥)

وقال أبوعمر : قتل المغيرة بن الأخنس يوم الدار مع عثمان رحمه الله وله يوم

(١) عده من قتلى يوم الدار ابوعمر في الاستيعاب وابن حجر في الاصابة .

(٢) تاريخ الطبرى ٥ : ١٢٢-١٢٥ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) كذا فى الانساب وفى الاستيعاب والاصابة : أزهر بن سحبان .

(٤) فى الانساب للبلاذرى :

يلومونني فى الدار إن غبت عنهم • وقد فر عنهم خالد وهو دارع

(٥) الانساب ٥ : ١١٧ ، الاستيعاب ١ : ١٥٥ ، الاصابة ١ : ١٠٣ ، ٤١٠ .

الدار خبار كثيرة ، ومنها : انه قال لعثمان حين أحرقوا بابه : والله لا قال الناس عنا إنا خذلناك وخرج بسيفه وهو يقول :

لما تهدمت الأبواب واحترقت ✿ يممت منهن باباً غير محترق
حقاً أقول لعبد الله آمره ✿ إن لم تقاتل لدى عثمان فانطلق
والله لا أتركه ما دام بي رمق ✿ حتى يزايل بين الراس والعنق
هو الإمام فلست اليوم خاذله ✿ إن الفرار علي اليوم كالسرق

وحمل على الناس فضربه رجل على ساقه فقطعها ثم قتله . فقال رجل من بني زهرة لطلحة بن عبيدالله : قتل المغيرة بن الأخنس فقال : قتل سيد حلفاء قريش . راجع «الإستيعاب» ترجمة المغيرة .

وقال ابن كثير في تاريخه ٧ : ١٨٨ : ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان زياد ابن نعيم الفهري ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق ، ونيار بن عبد الله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة .

قال الأميني : لقد حدتني إلى سرد هذه الأحاديث الدلالة بها منضمة إلى ما سبقها من الأخبار على أنه لم يكن مع عثمان من يدافع عنه غير الأمويين ومواليهم وحثالة ممن كان ينسج على نولهم تجاه هياج المهاجرين والأنصار فقتل من اولئك من قتل ، وضم إليه كندوج ام حبيبة آخرين ، وتفرق شذاذ منهم هاربين في أزقة المدينة ، فلم يبق إلا الرجل نفسه وأهله حتى انتهت إليه نوبة القتل من دون أي مدافع عنه ، فتحفظ على هذا فإنه سوف ينفعك فيما يأتي من البحث عن سلسلة الموضوعات .

(لفت نظر) عد نيار بن عبد الله من أصحاب عثمان كما فعله ابن كثير غلط فاحش دعاه إليه حبه إكثار عدد المدافعين عن الخليفة المقتولين دونه ، وقد عرفت انه كان شيخاً كبيراً حضر ذلك الموقف للنصيحة والموعظة الحسنة لعثمان فقتله مولى مروان بسهم ، فشب به القتال ، وطولب عثمان بقاتله ليقتص منه وامتنع عن دفعه فهاج بذلك غضب الأنصار عليه .

حديث مقتل عثمان

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

أخرج الطبري في تاريخه وغيره من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام قال : أشرف عثمان على النّاس وهو محصورٌ وقد أحاطوا بالدار من كلّ ناحية فقال : اُنشدكم بالله جلّ وعزّ هل تعلمون أنّكم دعوتم الله عند مُصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يخيّر لكم وأن يجمعكم على خيركم ؟ فما ظنّكم بالله ؟ أتقولونه لم يستجب لهم وهنتم على الله سبحانه ؟ وأنتم يومئذ أهل حقّه من خلقه ، وجميع امور كم لم تتفرّق . أم تقولون : هان على الله دينه فلم يُبال مَن ولّاه ؟ والدين يومئذ يُعبد به الله ولم يتفرّق أهله فتوكلوا ، أو تخذلوا وتعاقبوا ، أم تقولون : لم يكن أخذٌ عن مشورة ؟ وإنّما كابرتم مكابرة ، فوكّل الله الاُمّة إذا عصته ، لم تشاوروا في الإمام ، ولم يجتهدوا في موضع كراهته ، أم تقولون : لم يدر الله ما عاقبة أمري ؟ فكنت في بعض أمري مُحسناً ولأهل الدين رضىً فما أحدثت بعدُ في امري ما يسخط الله وتسخطون ممّا لم يعلم الله سبحانه يوم اختارني وسربلني سربال كرامته ، واُنشدكم بالله هل تعلمون لي من سابقة خير و سلف خير قدّمه الله لي ، وأشهدنيه من حقّه وجهاد عدوّه ؟ حقٌّ على كلّ من جاء من بعدي أن يعرفوا لي فضلها ، فمهلاً لا تقتلوني فإنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصانه أو كفر بعد إسلامه ، أو قتل نفساً بغير نفس فيُقتل بها ، فإنّكم إن قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثمّ لم يرفعه الله عنكم إلى يوم القيامة ، و لا تقتلوني فإنّكم إن قتلتموني لم تصلّوا من بعدي جميعاً أبدا ، و لم تقتسموا بعدي فيءً جميعاً أبداً ، و لن يرفع الله عنكم الإختلاف أبدا .

قالوا له : أمّا ما ذكرتَ من استخارة الله عزّ وجلّ الناس بعد عمر رضي الله عنه فيمن يولّون عليهم ثمّ ولّوك بعد استخارة الله ، فإنّ كلّ ما صنع الله الخيرة ، ولكن الله سبحانه جعل أمركَ بليّة إبتلى بها عباده .

وأمّا ما ذكرتَ من قِدمك وسبقك مع رسول الله ﷺ فانّك قد كنت ذا قِدَم

وسلف وكنت أهلاً للولاية ولكن بدّلتَ بعد ذلك وأحدثت ماقد علمت .

وأمّا ما ذكرتَ ممّا يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء فإنّه لاينبغي ترك إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً .

وأمّا قولك : إنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة ، فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت : قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه ، و قتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيتَ ، ومنعت الحقّ وحُلتَ دونه وكابرت عليه ، تأبى أن تقيد من نفسك مَن ظلمت عمداً ، وتمسّكت بالإمارة علينا ، وقد جُرت في حكمك وقسمك ، فإن زعمت أنّك لم تُكابرنا عليه وانّ الّذين قاموا دونك ومنعوك منّا إنّما يقاتلون بغير أمرك فإنّما يقاتلون لتمسّكك بالإمارة فلو أنّك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك .

قال البلاذري وغيره : لمّا بلغ أهل مصر ومن معهم ممّن حاصر عثمان ماكتب به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدّة عليه وجدًّا في حصاره وحرصاً على معاجلته بالقتل .

وكان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار ، وأمرهم بمنع من يدخل عليه والخروج من عنده ، وأن يُدخل اليه الماء ، وأتت امّ حبيبة بنت أبي سفيان بادواة وقد اشتدّ عليه الحصار فمنعوها من الدخول فقالت : إنّه كان المتولّي لوصايانا و أمر أيتامنا وأنا أُريد مناظرته في ذلك ، فأذنوا لها فأعطته الأدواة .

وقال جبير بن مطعم : حصر عثمان حتّى كان لايشرب إلّا من فقير في داره فدخلت على عليّ فقلت : أرضيت بهذا أن يُحصر ابن عمّتك حتّى والله ما يشرب إلّا من فقير في داره ؟ فقال : سبحان الله أوَقد بلغوا به هذه الحال ؟ قلت : نعم ، فعمد إلى روايا ماء فأدخلها إليه فسقاه .

و لمّا وقعت الواقعة ، وقام القتال ، وقُتل في المعركة زياد بن نعيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان ، فلم يزل الناس يقتتلون حتّى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفّان ثمّ نادى الناس فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتّى انهزموا وخلّي لهم عن باب الدار فخرجوا هرّاباً في طرق المدينة و بقي عثمان في اُناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه و قتل عثمان رضي الله عنه .

أخرج ابن سعد والطبري من طريق عبد الرّحمن بن محمّد قال: إنّ محمّد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم و معه كنانة بن بشر بن عتاب، و سودان ابن حمران، وعمرو بن الحمق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة فتقدّمهم محمّد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان فقال: قد أخزاك الله يا نعثل! فقال عثمان: لست بنعثل، ولكن عبد الله وأمير المؤمنين. فقال محمّد: ما أغنى عنك معاوية وفلان و فلان. فقال عثمان: يا ابن أخي! دع عنك لحيتي، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمّد: ما اُريد بك أشدّ من قبضي على لحيتك. فقال عثمان: أستنصر الله عليك و أستعين به ثمّ طعن جبينه بمشقص [1] في يده.

وفي لفظ البلاذري: تناول عثمان المصحف ووضعه في حجره وقال: عباد الله! لكم ما فيه، والعتبى ممّا تكرهون، أللهمّ اشهد، فقال محمّد بن أبي بكر: الآن وقد عصيت قبلُ وكنتَ من المفسدين، ثمّ رفع جماعة قِداح كانت في يده فوجأ بها في خُشُشائه [2] حتّى وقعت في أوداجه فحزّت ولم تقطع، فقال: عباد الله! لا تقتلوني فتندموا و تختلفوا.

وفي لفظ ابن كثير: جاء محمّد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً فأخذ بلحيته فعالَ بها حتّى سمعت وقع أضراسه فقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن عامر، و ما أغنت عنك كتبك.

وفي لفظ ابن عساكر: قال محمّد بن أبي بكر: على أيّ دين أنت يا نعثل؟ قال: على دين الإسلام، ولست بنعثل ولكنّي أمير المؤمنين. قال: غيّرتَ كتاب الله. فقال: كتاب الله بيني و بينكم. فتقدّم إليه و أخذ بلحيته وقال: إنّا لا يُقبل منّا يوم القيامة أن نقول: ربّنا إنّا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلّونا السبيل، وشحطه بيده من البيت إلى باب الدار وهو يقول: يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي.

قال ابن سعد والطبري: ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل اُذن عثمان فمضت حتّى دخلت في حلقه ثمّ علاه السيف حتى قتله.

(١) المشقص: نصل السهم اذا كان طويلا غير عريض.
(٢) الخششاء: العظم الدقيق العاري من الشعر الناتي، خلف الاذن.

وفي رواية ابن أبي عون: ضرب كنانة بن بشر التجيبي جبينه ومقدّم رأسه بعمود حديد فخرّ لجنبه، قال الوليد بن عقبة او غيره:

علاه بالعمود أخو تجيب ☆ فأوهى الرأس منه والجبينا (١)

وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ماخرّ لجنبه فقتله، وأمّا عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات، وقال: أمّا ثلاث منهنّ فإنّي طعنتهنّ لله، وأما ستّ فإنّي طعنت إيّاهنّ لما كان في صدري عليه.

وأقبل عمير بن ضابىء عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه، وفي الإصابة: لمّا قتل عثمان وثب عمير بن ضابىء عليه فكسر ضلعين من أضلاعه. وقال المسعودي: وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابىء البرجمي وخضخض بسيفه بطنه. و سيوافيك حديثٌ آخر عنه لدة هذا.

وفي لفظ الطبري وابن عبد ربّه وابن كثير: ضربوه على رأسه ثلاث ضربات، و طعنوه في صدره ثلاث طعنات، وضربوه على مقدّم العين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون قطع رأسه فألقت نائلة وابنة شيبة بن ربيعة زوجتاه بنفسهما عليه، فقال ابن عديس: اتركوه. فتركوه و وطئتا وطئاً شديداً. و في لفظ ابن كثير: في رواية: إنّ الغافقي بن حرب تقدّم اليه بعد محمّد بن ابي بكر فضربه بحديدة في فيه.

وذكر البلاذري من طريق الحسن عن وثاب و كان مع عثمان يوم الدار وأصابته طعنتان كأنّهما كيّتان قال: بعثني عثمان فدعوت الأشتر له فقال: ياأشتر! مايريد الناس منّي؟ قال: يخيّرونك أن تخلع لهم أمرهم، أو تقصّ من نفسك وإلّا فهم قاتلوك. قال: أمّا الخلع فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، و أمّا القصاص فوالله لقد علمت انّ صاحبيّ كانا يعاقبان، ومايقوم بدني للقصاص، وأمّا قتلي فوالله لئن قتلتموني لاتتحابون بعدي أبداً ولا تقاتلون عدوّاً جميعاً أبداً.

وقال وثاب: أصابتني جراحة فأنا أنزف مرّة و أقوم مرّة، فقال لي عثمان: هل

---

(١) من المستغرب جداً انّ أباعمر ابن عبدالبر ذكر هذا البيت في «الاستيعاب» في ترجمة مولانا أميرالمؤمنين بعد ذكر قتله وقال: قال شاعرهم:

علاه بالعمود اخو تجوب ☆ فأوهى الراس منه والجبينا

عندك وضوء ؟ قلت : نعم فتوضأ ثم أخذ المصحف فتحرم به من الفسقة فبينا هو كذلك إذجاء رويجل كأنه ذئب فاطلع ثم رجع ، فقلنا لقد ردهم أمر ونهاهم ، فدخل محمد بن أبي بكر حتى جثى على ركبتيه ، و كان عثمان حسن اللحية ، فجعل يهزها حتى سمع نقيض أضراسه ثم قال : ماأغنى عنك معاوية ، ماأغنى عنك ابن عامر ، فقال : ياابن أخي ؛ مهلاً فو الله ما كان أبوك ليجلس مني هذا المجلس ، قال : فأشعره وتعاونوا عليه فقتلوه .

وأخرج من طريق ابن سيرين قال : جاء ابن بديل إلى عثمان - و كان بينهما شحناء - ومعه السيف وهو يقول : لأقتلنه ، فقالت له جارية عثمان : لأنت أهون على الله من ذلك ، فدخل على عثمان فضربه ضربة لاأدري ماأخذت منه .

راجع طبقات ابن سعد ط ليدن ٣ : ٥١ ، انساب البلاذرى ٥ : ٧٢ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، الامامة والسياسة ١ : ٣٩ ، تاريخ الطبرى ٥ : ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، العقد الفريد ٢ : ٢٧٠ ، مروج الذهب ١ : ٤٤٢ ، الاستيعاب ٢ : ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٧٢ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٧٢ ، ٧٥ ، شرح ابن ابى الحديد ١ : ١٦٦ ، ١٦٨ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٤٠١ ، تاريخ ابى الفدا ج ١ : ١٧٠ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، حياة الحيوان للدميرى ١ : ٥٤ ، مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٢ ، تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٣ ، السيرة الحلبية ٢ : ٨٥ ، الاصابة ٢ : ٢١٥ ، ازالة الخفاء ٢ : ٢٣٩ - ٢٤٢ .

تجهيز الخليفة ودفنه

أخرج الطبري من طريق أبي بشير العابدي قال : نبذ عثمان رضي الله عنه ثلاثة أيام لا يدفن ، ثم أن حكيم بن حزام القرشي ثم أحد بني أسد بن عبد العزى ، وجبير ابن مطعم كلما علياً في دفنه وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك ، ففعل وأذن لهم علي ، فلما سمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة ، وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له : حش كوكب[1] كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما خرج به على الناس رجموا سريره وهموا بطرحه ، فبلغ ذلك علياً ، فأرسل إليهم يعزم

(١) قال ابو عمر فى « الاستيعاب » وياقوت فى « المعجم » والمحب الطبرى فى « الرياض » : كوكب رجل من الانصار ، والحش : البستان .

عليهم ليكفن عنه ، ففعلوا فانطُلق به حتى دفن رضي الله عنه في حش كوكب ، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع ، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين .

ومن طريق أبي كرب ـ وكان عاملاً على بيت مال عثمان ـ قال : دُفن عثمان رضي الله عنه بين المغرب و العتمة ولم يشهد جنازته إلّا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه ، وأخذ الناس الحجارة وقالوا : نعثل نعثل ، وكادت تُرجم ، فقالوا : الحائط الحائط ، فدفن في حائط خارجاً .

ومن طريق عبد الله بن ساعدة قال : لبث عثمان بعد ما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه ثم حمله أربعة : حكيم بن حزام ، وجبير بن مطعم ، ونيار بن مكرم ، وأبو جهم ابن حذيفة . فلما وُضع ليصلّى عليه جاء نفر من الصحابة يمنعونهم الصلاة عليه فيهم: أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي ، وأبو حيّة المازني في عدة ومنعوهم أن يُدفن بالبقيع فقال أبو جهم : ادفنوه فقد صلّى الله عليه وملائكته ، فقالوا : لا والله لا يُدفن في مقابر المسلمين أبداً ، فدفنوه في حش كوكب ، فلما ملكت بنوأُمية أدخلوا ذلك الحش في البقيع ، فهو اليوم مقبرة بني أُمية .

ومن طريق عبد الله بن موسى المخزومي قال : لما قُتل عثمان رضي الله عنه أرادوا حز رأسه فوقعت عليه نائلة وأم البنين فمنعهم وصحن وضربن الوجوه وخرقن ثيابهن ، فقال ابن عديس : اتركوه ، فأُخرج عثمان ولم يُغسّل إلى البقيع ، وأرادوا أن يصلّوا عليه في موضع الجنائز فأبت الأنصار ، وأقبل عمير بن ضابىء وعثمان موضوع على باب فنزا عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : سجنتَ ضابئاً حتى مات في السجن .

وأخرج ابن سعد والطبري من طريق مالك بن أبي عامر قال : كنت أحدَ حملة عثمان رضي الله عنه حين قُتل ، حملناه على باب وان رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به ، وإن بنا من الخوف لأمراً عظيماً حتى واريناه في قبره في حش كوكب .

وأخرج البلاذري من رواية أبي مخنف : ان عثمان رضي الله عنه قُتل يوم الجمعة فتُرك في داره قتيلاً ، فجاء جبير بن مُطعم ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ومسور بن مخرمة الزهري ، وأبو الجهم بن حذيفة العدوي ليصلّوا عليه ويجنوه ، فجاء رجال من الأنصار

فقالوا : لا ندعكم تصلّون عليه ، فقال أبوالجهم : ألا تدعونا نصلّي عليه ؟ فقد صلّت عليه الملائكة ، فقال الحجّاج بن غزيّة : إن كنت كاذباً فأدخلك الله مدخله ، قال : نعم حشرني الله معه ، قال ابن غزيّة : إنّ الله حاشرك معه ومع الشيطان ، والله إنّ تركك إلحاقك به لخطأ وعجزٌ . فسكت أبوالجهم ، ثمّ إنّ القوم اغفلوا أمر عثمان وشغلوا عنه ، فعاد هؤلاء النفر فصلّوا عليه ودفنوه ، وأمّهم جبير بن مطعم وحملت أم البنين بنت عيينة بن حصن امرأة عثمان لهم السراج ، وحُمل على باب صغير من جريد قد خرجت عنه رجلاه وأخرج حديث منع الصّلاة عليه أبو عمر في « الإستيعاب » من طريق هشام بن عروة عن أبيه .

وقال : إنّه لقيهم قومٌ من الأنصار فقاتلوهم حتّى طرحوه ، ثمّ توطّأ عمير بن ضابىء بن الحارث بن ارطاة التميمي ثمّ البرجمي بطنه ، و جعل يقول : ما رأيت كافراً ألين بطناً منه ، وكان أشدّ الناس على عثمان ، فكان يقول يومئذ : أرني ضابئاً ، أحي لي ضابئاً ليرى ما عليه عثمان من الحال . وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ١٢٨ : جاء عمير بن ضابىء حتّى رفسه برجله .

قال البلاذري : ودفن عثمان في حشّ كوكب وهو نخلٌ لرجل قديم يقال له : كوكب ، ثمّ أقبل الناس حين دفن إلى عليّ فبايعوه وأرادوا دفن عثمان بالبقيع فمنعهم من ذلك قومٌ فيهم أسلم بن بجرة الساعدي ، ويقال : جبلة بن عمرو الساعدي ، وقال ابن دأب : صلّى عليه مسور بن مخرمة .

وقال المدائني عن الوقاصي عن الزهري : امتنعوا من دفن عثمان فوقفت أمّ حبيبة بباب المسجد ثمّ قالت : لتخلنّ بيننا و بين دفن هذا الرجل أولأكشفنّ ستر رسول الله . فخلّوا بينهم وبين دفنه .

و أخرج من طريق أبي الزناد قال : خرجت نائلة امرأة عثمان ليلة دفن و معها سراجٌ وقد شقّت جيبها وهي تصيح : وا عثماناه ، وا أمير المؤمنيناه ، فقال لها جبير بن مطعم : اطفئي السراج فقد ترين من بالباب ، فأطفأت السراج وانتهوا إلى البقيع ، فصلّى عليه جبير وخلفه حكيم بن حزام ، وأبوجهم ، ونيار بن مكرم ، ونائلة وأم البنين امرأتاه ونزل في حفرته نيار و أبو جهم وجبير ، وكان حكيم والامرأتان يدلّونه على الرجال

حتّى قُبر وبني عليه وغَمّوا قبره وتفرّقوا . وفي لفظ أبي عمر : فلمّا دفنوه غيّبوا قبره ، وذكره السمهودي في وفاء الوفاء ٢ : ٩٩ من طريق ابن شبة عن الزهري .

وأخرج ابن الجوزي والمحب الطبري والهيثمي من طريق عبدالله بن فروخ قال : شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه ولم يغسّل . وقال المحب : خرّجه البخاري والبغوي في معجمه . وذكر ابن الأثير في «الكامل» و ابن أبي الحديد في الشرح انّه لم يغسّل و كفن في ثيابه .

وأخرج أبو عمر في «الاستيعاب» من طريق مالك قال : لمّا قُتل عثمان رضي الله عنه اُلقي على المزبلة ثلاثة أيّام فلمّا كان من الليل أتاه اثناعشر رجلاً [1] فيهم حويطب ابن عبدالعزى ، وحكيم بن حزام ، وعبدالله بن الزبير فاحتملوه فلمّا صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه ناداهم قومٌ من بني مازن : والله لئن دفنتموه ههنا لنخبرنّ الناس غداً . فاحتملوه وكان على باب وانّ رأسه على الباب ليقول : طق طق ، حتّى صاروا به إلى حشّ كوكب فاحتفروا له وكانت عائشة بنت عثمان رضي الله عنهما معها مصباحٌ في جرّة ، فلمّا أخرجوه ليدفنوه صاحت فقال لها ابن الزبير : والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الذي في عيناك .فسكتت فدفن .

وذكره المحب الطبري في «الرياض» نقلاً عن القلعي ، وذكر عن الخجندي انّه أقام في حشّ كوكب ثلاثاً مطروحاً لا يصلّي عليه .

وذكر الصفدي في تمام المتون ص٧٩ عن مالك انّ عثمان اُلقي على المزبلة ثلاثة أيّام .

وقال اليعقوبي : أقام ثلاثاً لم يُدفن وحضر دفنه حكيم ، وجبير ، و حويطب ، و عمرو بن عثمان ابنه ، ودُفن ليلاً في موضع يُعرف بحشّ كوكب ، و صلّى عليه هؤلاء الأربعة وقيل : لم يصلّ عليه ، وقيل : أحد الأربعة صلّى عليه ، فدفن بغير صلاة .

وقال ابن قتيبة : ذكروا أنّ عبد الرّحمن بن الأزهر قال : لم أكن دخلت في شيء من أمر عثمان لا عليه ولا له ، فانّي لجالسٌ بفناء داري ليلاً بعد ما قتل عثمان بليلة إذ

(١) احاديث الباب مطلقة على ان الذين تولوا اجنانه كانوا اربعة . و قال المحب الطبرى وقد قيل : ان الذين تولوا تجهيزه كانوا خمسة او ستة . اربعة رجال وامراتان نائلة وام البنين .

جاءني المنذر بن الزبير فقال : إنّ أخي يدعوك فقمت إليه فقال لي : إنّما أردنا أن ندفن عثمان فهل لك ؟ قلت : والله ما دخلت في شيء من شأنه وما أُريد ذلك ، فانصرفت عنه ثمّ إتّبعته ، فإذا هو في نفر فيهم جبير بن مطعم ، وأبو الجهم ، والمسور ، و عبد الرّحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن الزبير فاحتملوه على باب وانّ رأسه ليقول : طق طق، فوضعوه في موضع الجنائز فقام إليهم رجالٌ من الأنصار فقالوا لهم : لاوالله لاتُصلّون عليه ، فقال أبو الجهم : ألا تدعون نصلّي عليه ؟ فقد صلّى الله تعالى عليه وملائكته . فقال له رجلٌ منهم : إن كنت كاذبا فأدخلك الله مدخله ، فقال له : حشرني الله معه فقال له : إنّ الله حاشرك مع الشياطين ، والله إن تركناكم به لعجز منّا . فقال القوم لأبي الجهم : اسكت عنهم وكفّ فسكت ، فاحتملوه ثمّ انطلقوا مسرعين كأنّي اسمع وقع رأسه على اللوح حتّى وضعوه في أدنى البقيع فأتاهم جبلة بن عمرو الساعدي من الأنصار فقال : لا والله لاتدفنوه في بقيع رسول الله ولا نترككم تُصلّون عليه ، فقال أبو الجهم : انطلقوا بنا إن لم نصلّ عليه فقد صلّى الله عليه ، فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح في حقّ حتّى إذا أتوا به جسر [1] كوكب حفروا له حفرة ثمّ قاموا يُصلّون عليه وأمّهم جبير بن مطعم ، ثمّ دلّوه في حفرته فلمّا رأته ابنته صاحت فقال ابن الزبير : والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الذي في عينيك فدفنوه ، ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثواً .

وقال ياقوت الحموي : لمّا قتل عثمان أُلقي في حشّ كوكب ثمّ دفن في جنبه .

و ذكر ابن كثير بعض ما أسلفناه نقلاً عن البلاذري فقال : ثمّ أُخرجوا بعبدي عثمان اللذين قتلا في الدار وهما : صُبيح و نُجيح رضي الله عنهما فدفنا إلى جانبه بحشّ كوكب ، وقيل : إنّ الخوارج لم يمكّنوا من دفنهما، بل جرّوهما بأرجلهما حتّى ألقوهما بالبلاط [2] فأكلتهما الكلاب ، وقد اعتنى معاوية في أيّام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله .

وذكر الحلبي في السيرة عن ابن ماجشون عن مالك : انّ عثمان بعد قتله أُلقي

---

(١) كذا في النسخة ، والصحيح : حش .

(٢) البلاط من الأرض : وجهها ، او منتهى الصلب منها . وفي لفظ الحلبي كما يأتي : التلال ولعله الصحيح .

على المزبلة ثلاثة أيام ، وقيل ، أغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة أيام ، لا يستطيع أحد أن يدفنه (إلى آخر ما مر من حديث مالك) ولما دفنوه عفوا قبره خوفاً عليه أن ينبش ، وأما غلاماه اللذان قتلا معه فجر وهما برجليهما وألقوهما على التلال فأكلتهما الكلاب .

وذكر ابن أبي الحديد وابن الأثير والدميري انه أقام ثلاثة أيام لم يدفن ولم يصل عليه ، وقيل لم يغسل ولم يكفن ، وقيل : صلى عليه جبير بن مطعم و دفن ليلاً .

وذكر السمهودي في وفاء الوفا عن عثمان بن محمد الأخنسي عن أم حكيمة قالت : كنت مع الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان : جبير ، حكيم ، أبو جهم ، نيار الأسلمي وحملوه على باب اسمع قرع رأسه على الباب كأنه دباة ويقول : دب دب . حتى جاؤا به حش كوكب فدفن به ثم هدم عليه الجدار وصلي عليه هناك .

طبقات ابن سعد ط ليدن ٣ : ٥٥ : انساب البلاذرى ٨٣ - ٨٦ ، ٩٩ ، الامامة والسياسة ١ : ٤٠ ، تاريخ الطبرى ٥ : ١٤٣ ، ١٤٤ ، تاريخ اليعقوبى ٢ : ١٥٣ ، الاستيعاب ٢ : ٤٧٨ ، ٤٧٩ صفة الصفوة ١ : ١١٧ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٧٦ ، الرياض النضرة ٢ : ١٣١ ، ١٣٢ ، معجم البلدان ٣ : ٢٨١ ، شرح ابن ابى الحديد ١ : ١٦٨ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٩٠ ، ١٩١ ، حياة الحيوان للدميرى ١ : ٥٤ ، وفاء الوفا للسمهودى ٢ : ٩٩ ، السيرة الحلبية ٢ : ٨٥ ، تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٥ .

وقال الشاعر المفلق أحمد شوقي بك في دول العرب ص ٤٩ .

من لقتيل بالسفا[1] مكفن ☆ مرت به ثلاثة لم يدفن
تعرضه نوادباً أرامله ☆ ويشفق النعش ويأبى حامله
قد حيل بين الأرض وابن آدما ☆ ونوزعت دار البقاء قادما

قال الأميني : إن هاهنا صحيفة غامضة أقف تجاهها موقف السادر لا تطاوعني النفس على الركون إلي أي من شقي الإحتمال الذين يخالجان في الصدر ، وذلك ان ما ارتكب من الخليفة في التضييق عليه وقتله بتلكم الصور المشددة ، ثم ما نيل منه بعد القتل من المنع عن تجهيزه وتغسيله ودفنه والصلاة عليه والوقيعة فيه بالسباب المقذع وتحقيره برمي جنازته بالحجارة وكسر بعض اضلاعه ، يستدعي إما فسق الصحابة أجمع

(١) السفا : الغبار .

فانهم كانوا بين مباشر لهاتيك الأحوال ، وبين خاذل للمودى به ، و بين مؤلب عليه ، إلى متثبط عنه ، إلى راض بما فعلوا ، إلى محبذ لتلكم الأهوال ، وكان يرن في مسامعهم قوله تعالى : لاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . وقوله تعالى : من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً . وقوله تعالى : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً .

وما جاء في ذلك من السنة أكثر ، و ما يؤثر عن نبي العظمة ﷺ من وجوب دفن موتى المؤمنين و تغسيلهم و تكفينهم و الصلاة عليهم ، و ان حرمة المؤمن ميتاً كحرمته حياً ، فالقوم إن كانوا متعمدين في مخالفة هذه النصوص ؟ فهم فساق إن لم نقل إنهم مراق عن الدين بخروجهم على الإمام المفترض طاعته .

أو أن هذه الأحوال تستدعي انحراف الخليفة عن الطريقة المثلى ؟ و ان القوم اعتقدوا بخروجه عن مصاديق تلكم الأوامر والمناهي المؤكدة التي تطابق عليها الكتاب والسنة . وليس من السهل الهين البخوع إلى أي من طرفي الترديد ؟ أما الصحابة فكلهم عدول عند القوم يركن إليهم و يحتج بأقوالهم وأفعالهم و يوثق بايمانهم ، وقد كهربتهم صحبة الرسول ﷺ فأخرج درن نفوسهم ، وكان في المعمعة منهم بقايا العشرة المبشرة كطلحة والزبير ، ولطلحة خاصة فظاظات حول ذلك الجلاد ، إلى اناس آخرين من ذوي المآثر نظراء عمار بن ياسر ، ومالك الأشتر ، وعبدالله بن بديل ، وكان بين ظهرانيهم إمام المسلمين أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو المرموق يومئذ للخلافة ، و قد انثنت إليه الخناصر ، والامة أطوع له من الظل لذيه . أفتراه والحالة هذه سكت عن تلكم الفظايع وهو مطل عليها من كثب و هو أعلم الناس بنواميس الشريعة ، و أهداهم إلى طريقها المهيع ، وهو يعلم أن من المحظور إرتكابها ؟ لاها الله .

أو أنه عليه السلام أخذ الحياد في ذلك المأزق الحرج و هو مستبيح للحياد أو لما يعملون به ؟ أنا لا أدري .

وليس من المستطاع القول بأن معظم الصحابة ما كانوا عالمين بتلكم الوقايع ، أو انهم ما كانوا يحسبون ان الأمر يبلغ ذلك المبلغ ، أو أنهم كانوا غير راضين بهاتيك الأحدوثة ، فإن الواقعة ما كانت مباغتة ولا غيلة حتى يعزب عن أحد علمها ، فإن

الحواراستدام أكثرمن شهرين ، وطيلة هذه المدّة لم يكن للمتجمهرين طلبة من الخليفة إلاّ الإقلاع عن أحداثه ، أو التنازل عن عرش الخلافة ، و كانوا يهدّدونه بالقتل إن لم يخضع لإحدى الطلبتين ، وكانت نعرات القوم في ذلك تتموّج بها الفضاء ، وعقيرة عثمان في التوبة تارة و عدم التنازل اُخرى و تخويفهم بمغبّات القتل ثالثة تتسرّب في فجوات الجوّ ، فلو كان معظم الصحابة منحازين عن ذلك الرأي لكان في وسعهم تفريق الجمع بالقهر أوالموعظة ، لكن بالرغم عمّا يزعم عليهم لم يؤثر عن أحد منهم ما يثبت ذلك أو يقرّبه ، وما أسلفناه من الأحاديث الجمّة النامّة عن معتقدات الصحابة في الخليفة وفي التوثّب عليه تفنّد هذه المزعمة الفارغة ، إن لم نقل انّها تثبت مايعلمه الكلّ من الإجماع على مقت الخليفة والتصافق على مانقموا عليه والرضا بمانيل منه ، حتّى أنّ أحداً لم يروعه انّه ساءه نداء قاتله حين طاف بالمدينة ثلاثاً قائلاً : أنا قاتل نعثل[1] .

و أمّا ثاني الإحتمالين فمن المستصعب أن يبلغ سوء الظن بالخليفة هذا المدى ، و إن كانت الصحابة جزموا بذلك ، والشاهد يرى مالا يراه الغايب ، و قد أوقفناك على قول السيّدة عائشة : اقتلوا نعثلاً قتله الله وقد كفر.

وقولها لمروان : وددت والله انّه في غِرارة من غرائري هذه و انّي طوّقت حمله حتى اُلقيه في البحر .

وقولها لابن عبّاس : إيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية .

وقول عبدالرّحمن بن عوف للامام أميرالمؤمنين ﷺ : إذا شئت فخذ سيفك و آخذ سيفي ، انّه قد خالف ما أعطاني .

وقوله : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه .

وقوله له : لله عليّ أن لا اُكلّمك أبداً .

وقول طلحة لمجمع بن جارية لمّا قال له : أظنّكم والله قاتليه : (فإن قُتل فلا ملكٌ مقرّب و لا نبيٌّ مرسل).

وقد مرّ انّ طلحة كان أشدّ الناس على عثمان في قتله يوم الدار ، وقتل دون دمه

وقول الزبير : اقتلوه فقد بدّل دينكم .

---

(١) الاستيعاب ٢ : ٤٧٨ .

وقوله : إنّ عثمان لجيفةٌ على الصراط غداً .

و قول عمّار يوم صفّين : امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله .

وقوله : ما تركت في نفسي حزّة أهمّ إليّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره ثمّ أحرقناه بالنّار .

وقوله : أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه .

وقوله : والله إن كان إلّا ظالماً لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله .

وقوله : إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان .

وقول حجر بن عدي وأصحابه : هو أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ .

وقول عبد الرّحمن العنزي : هو أوّل من فتح أبواب الظلم ، وارتج أبواب الحقّ .

وقول هاشم المرقال : إنّما قتله أصحاب محمّد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً و خالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمّد هم أصحاب الدّين ، وأولى بالنظر في امور المسلمين.

وقول عمرو بن العاص : أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأُحرّض عليه حتّى إنّي لأُحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل .

وقوله له : ركبتَ بهذه الأُمّة نهابير من الأُمور فركبوها منك ، وملت بهم فمالوا بك ، اعدل أو اعتزل .

وقوله : أنا عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع .

وقول سعد بن أبي وقاص : إنّه قُتل بسيف سلّته عائشة ، وصقّله طلحة ، وسمّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه . إلخ .

و قول جهجاه الغفاري : قم يا نعثل ! فانزل عن هذا المنبر ، ندرّعك عباءةً ، ولنطرحك في الجامعة ، ولنحملك على شارف من الإبل ثمّ نطرحك في جبل الدخان .

وقول مالك الأشتر : إلى الخليفة المبتلى الخاطىء الحائد عن سنّة نبيّه ، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

وقول عمرو بن زرارة : إنّ عثمان قد ترك الحقّ وهو يعرفه . الخ .

وقول الحجاج بن غزيّة الأنصاري : والله لو لم يبق من عمره إلّا بين الظهر والعصر

لتقرّبنا إلى الله بدمه .

وقول قيس بن سعد الأنصاري : أوّل الناس كان فيه « قتل عثمان » قياماً عشيرتي ولهم اُسوة .

وقول جبلة بن عمرو الأنصاري : يانعثل ! والله لأقتلنّك ولأحملنّك على قلوص جرباء ولأخرجنّك إلى حرّة النار .

وقوله وقد سُئل الكفّ عن عثمان : والله لألقى الله غداً فأقول : إنّاأطعناسادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل .

وقول محمّد بن أبي بكر له : على أيّ دين أنت يانعثل ؟ غيّرت كتاب الله . وقوله له : الآن وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين .

وقول الصحابة مجيبين لقوله : لاتقتلوني فانّه لايحلّ إلّا قتل ثلاثة : إنّانجدفي كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت ، قتل من سعى في الأرض فساداً ، و قتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه و كابر عليه ، وقد بغيتَ ، ومنعت الحقّ ، وحلت دونه وكابرت عليه . الخ .

وقول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث من أبيات مرّت ج ٨ : ٢٨٨ .

وشبّهته كسرى وقد كان مثله ☆ شبيهاً بكسرى هديه وضرائبه

إلى كلمات آخرين محكمات واُخر متشابهات ، يشبه بعضها بعضاً .

إنّ في هذا المأزق الحرج لابدّ لنا من ركوب إحدى الصعبتين ، والحَكم هي الفطرة السليمة مهما دارالأمر بين تخطئة إنسان واحد محتفّ بالأحداث ، وبين تضليل آلاف مؤلّفة فيهم الأئمّة والعلماء والحكماء والصالحون و قد ورد في فضلهم ما ورد كما نرتأيه نحن ، أو أنّ كلهم عدولٌ يُحتجّ بأقوالهم وأفعالهم كما يحسبه أهل السنّة ، و إن كان في البين إجتهادٌ كما يحسبونه في أمثال المقام فهو في الطرفين ، و التحكّم بإصابة إنسان واحد وخطأ تلك الاُمّة الكبيرة في اجتهادها ، تهوّرٌ بحتٌ ، وتمحّلٌ لايُصار إليه ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، إنّ الله يحبّ المقسطين .

سلسلة الموضوعات
في قصة الدار وتبرير الخليفة والنظر فيها

١- قال الطبري في تاريخه ٥ : ٩٨ : فيما كتب به إليّ السري عن شعيب عن سيف عن عطيّة عن يزيد الفقعسي قال : كان عبد الله بن سبا يهودياً من أهل صنعاء أمّه سوداء فأسلم زمان عثمان ، ثمّ تنقّل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثمّ البصرة ثمّ الكوفة ثمّ الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول : لعجبٌ ممّن يزعم انّ عيسى يرجع ويكذّب بأنّ محمّداً يرجع وقد قال الله عزّ وجلّ : إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد . فمحمّد أحقّ بالرجوع من عيسى : قال : فقُبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها ، ثمّ قال لهم بعد ذلك : إنّه كان ألف نبيّ ولكلّ نبيّ وصيّ وكان عليّ وصيّ محمّد . ثمّ قال : محمّد خاتم الأنبياء وعليّ خاتم الأوصياء . ثمّ قال بعد ذلك : من أظلم ممّن لم يُجز وصيّة رسول الله ﷺ ووثب على وصيّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمّة ثمّ قال لهم بعد ذلك : إنّ عثمان أخذها بغير حقّ وهذا وصيّ رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه وابدأوا بالطعن على اُمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس ، و ادعوهم إلى هذا الأمر ، فبثّ دعاته و كاتب من كان استفسد في الأمصار و كاتبوه ودعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و جعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كلّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يضعون فيقرأ اُولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ، ويُسرّون غير ما يُبدون ، فيقول أهل كلّ مصر : إنّا لفي عافية ممّا ابتلي به هؤلاء إلّا أهل المدينة فانّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا : إنّا لفي عافية ممّا فيه الناس ، و جامعه محمّد و طلحة من هذا المكان قالوا : فأتوا عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين ! أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا والله ماجاءني إلّا السلامة . قالوا : فإنّا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم ، قال : فأنتم

شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا عليَّ، قالوا : نُشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتّى يرجعوا إليك بأخبارهم ، فدعا محمّد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله ابن عمر إلى الشام ، وفرّق رجالاً سواهم فرجعوا جميعاً قبل عمّار فقالوا : أيّها النّاس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامّهم ، وقالوا جميعاً : الأمر أمر المسلمين إلّا أنّ أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم ، واستبطأ النّاس عمّاراً حتّى ظنّوا أنّه قد اغتيل فلم يفجأهم إلّا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم انّ عمّاراً قد استماله قومٌ بمصر وقد انقطعوا إليه منهم : عبد الله بن السوداء ، وخالد بن ملجم ، وسودان بن حمران ، وكنانة بن بشر .

قال الأميني : لو كان إبن سبا بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن ، وشقّ عصا المسلمين وقد علم به وبعيثه أمراء الأمّة وساستها في البلاد ، وانتهى أمره إلى خليفة الوقت ، فلماذا لم يقع عليه الطلب ؟ ولم يبلغه القبض عليه ، والأخذ بتلكم الجنايات الخطرة ، والتأديب بالضرب والإهانة ، والزجّ إلى أعماق السجون ؟ ولا آل أمره إلى الإعدام المريح للأمّة من شرّه وفساده ، كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، و هتاف القرآن الكريم يرنّ في مسامع الملأ الديني : إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . « المائدة : ٣٣ » .

فهلّا إجتاح الخليفة جرثومة تلكم القلاقل بقتله ؟ وهل كان تجهّمه وغلظته قصراً على الأبرار من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ففعل بهم ما فعل ممّا أسلفنا بعضه في هذا الجزء والجزء الثامن .

هب انّ ابن سبا هو الذي أمال الأمصار على مناوءة الخليفة فهل كان هو مختلقاً تلكم الأنباء من دون انطباقها على شيء من أعمال عثمان و ولاته ؟ فنهضت الأمّة وفيهم وجوه المهاجرين والأنصار على لا شيء ؟ أو أنّ ما كان يقوله قد انطبق على ما كانوا يأتون به من الجرائم والمآثم ، فكانت نهضة الأمّة لاكتساحها نهضةً دينيّةً يخضع لها كلّ مسلم ،

وإن كان ابن اليهودية خلط نفسه بالناهضين لأيّ غاية راقته، وما أكثر الأخلاط في الحركات الصحيحة من غير أن يمسّ كونهم مع الهايجين بشيء من كرامتهم.

ولو كان ما أنهاه إليهم ابن سبأ عزواً مختلقاً فهلاّ - لمّا قدمت وفود الأمصار المدينة - قال لهم المدنيّون: إنّ الرجل بريء من هذه القذائف والهنات وهو بين ظهرانيهم يرون ما يفعل، ويسمعون ما يقول؟ لكنّهم بدلاً عن ذلك أصفقوا مع القادمين، بل صاروا هم القدوة والأسوة في تلك النهضة، وكانوا قبل مقدمهم ناقمين عليه.

ونحن والدكتور طه حسين نصافق عند رأيه هاهنا حيث قال في كتابه «الفتنة الكبرى» ص١٣٤: وأكبر الظنّ أنّ عبدالله بن سبأ هذا - إن كان كلّ ما يُروى عنه صحيحاً - إنّما قال ما قال ودعا إلى ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف فهو قد استغلّ الفتنة ولم يثرها، وأكبر الظنّ كذلك أنّ خصوم الشيعة أيّام الأمويّين والعبّاسيين قد بالغوا في أمر عبد الله بن سبأ هذا، ليشكّكوا في بعض ما نُسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية، وليشنّعوا على عليّ وشيعته من ناحية اُخرى، فيردّوا بعض امور الشيعة إلى يهوديّ أسلم كيداً للمسلمين، وما أكثر ما شنّع خصوم الشيعة على الشيعة؟ وما أكثر ما شنّع الشيعة على خصومهم في أمر عثمان وفي غير أمر عثمان؟

فلنقف من هذا كلّه موقف التحفّظ والتحرّج والإحتياط، ولنكبر المسلمين في صدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجلٌ أقبل من صنعاء وكان أبوه يهوديّاً وكانت اُمّه سوداء، وكان هو يهوديّاً ثمّ أسلم لا رغباً ولا رهباً ولكن مكراً وكيداً وخداعاً، ثمّ اُتيح له من النجح ما كان يبتغي، فحرّض المسلمين على خليفتهم حتّى قتلوه، وفرّقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً وأحزاباً.

هذه كلّها اُمورٌ لا تستقيم للعقل، ولا تثبت للنقد، ولا ينبغي أن تقام عليها امور التاريخ، وإنّما الشيء الواضح الذي ليس فيه شكٌّ هو أنّ ظروف الحياة الإسلاميّة في ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى إختلاف الرأي وافتراق الأهواء ونشأة المذاهب السياسيّة المتباينة، فالمستمسكون بنصوص القرآن وسنّة النبيّ وسيرة صاحبيه كانوا يرون اموراً تطرأ ينكرونها ولا يعرفونها، ويريدون أن تُواجه كما كان عمر يواجهها في حزم وشدّة وضبط للنفس وضبط للرعيّة، والشباب الناشئون في قريش وغير قريش

من أحياء العرب كانوا يستقبلون هذه الأمور الجديدة بنفوس جديدة ، فيها الطمع ، وفيها الطموح ، وفيها الأثرة ، وفيها الأمل البعيد ، وفيها الهمّ الذي لايعرف حدّاً يقف عنده ، وفيها من أجل هذا كلّه التنافس والتزاحم لا على المناصب وحدها بل عليها و على كلّ شيء من حولها . وهذه الأمور الجديدة نفسها كانت خليقة أن تدفع الشيوخ والشباب إلى ما دفعوا إليه ، فهذه أقطارٌ واسعةٌ من الأرض تفتح عليهم ، وهذه أموالٌ لا تحصى تُجبى لهم من هذه الأقطار ، فأيّ غرابة في أن يتنافسوا في إدارة هذه الأقطار المفتوحة و الإنتفاع بهذه الأموال المجموعة ؛ وهذه بلادٌ أُخرى لم تفتح و كلّ شيء يدعوهم إلى أن يفتحوها كما فتحوا غيرها ، فمالهم لا يستبقون إلى الفتح ؟ وما لهم لا يتنافسون فيما يكسبه الفاتحون من المجد و الغنيمة إن كانوا من طلاّب الدنيا ، ومن الأجر والمثوبة إن كانوا من طلاّب الآخرة ثمّ مالهم جميعاً لا يختلفون في سياسة هذا الملك الضخم وهذا الثراء العريض ؛ وأيّ غرابة في أن يندفع الطامعون الطامحون من شباب قريش هذه الأبواب التي فتحت لهم ليلجوا منها إلى المجد والسلطان والثراء ؛ وأيّ غرابة في أن يهم بمنافستهم في ذلك شباب الأنصار وشباب الأحياء الأُخرى من العرب ؛ وفي أن يمتلىء قلوبهم موجدةً وحفيظة وغيظاً إذا رأوا الخليفة يحول بينهم وبين هذه المنافسة ، ويؤثر قريشاً بعظائم الأمور ، ويؤثر بني اميّة بأعظم هذه العظائم من الأُمور خطراً وأجلّها شأناً .

والشيءُ الذي ليس فيه شكٌّ هو أنّ عثمان قد ولـّى الوليد وسعيداً على الكوفة بعد أن عزل سعداً ، وولـّى عبد الله بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى . وجمع الشام كلّها لمعاوية وبسط سلطانه عليها إلى أبعد حدّ ممكن بعد أن كانت الشام ولايات تشارك في إدارتها قريشٌ وغيرها من أحياء العرب ، و ولّى عبـد الله بن أبي سرح مصر بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص ، وكلّ هؤلاء الولاة من ذوي قرابة عثمان ، منهم أخوه لأُمّه ، ومنهم أخوه في الرضاعة ، ومنهم خاله ، ومنهم من يجتمع معه في نسبه الأدنى إلى أُميّة بن عبد شمس .

كلّ هذه حقائق لا سبيل إلى انكارها ، وما نعلم أنّ ابن سبأ قد أغرى عثمان بتولية من ولـّي وعزل من عزل ، وقد أنكر النّاس في جميع العصور على الملوك و القياصرة

والولاة والأمراء ايثار ذوي قرابتهم بشؤون الحكم ، وليس المسلمون الذين كانوا رعيّة لعثمان بدعاً من النّاس ، فهم قد أنكروا وعرفوا ما ينكر النّاس ويعرفون في جميع العصور . إنتهى حرفياً .

على أنّ ما تضمّنته هذه الرواية من بعث عمّار إلى مصر وغيره إلى بقيّة البلاد ممّا لا يكاد أن يذعن به ، أو أن يكون له مقيلٌ من الصحّة ، ولم يذكر في غير هذه الرواية الموضوعة المكذوبة على ألسنة رواتها المتراوحين بين زندقة و كذب وجهالة ، فإنّ ما يعطيه النظر في مجموع ما روي حول مشكلة عثمان انّ عمّاراً ومحمّد بن مسلمة لم يفارقا المدينة طيلة أيّامها ومنذ مبادئها إلى غايتها المفضية إلى مقتل عثمان ، وعمّار هو الذي كان في مقدّم الثائرين عليه من أوّل يومه الناقمين على أعماله ، وقد أراد نفيه إلى الربذة منفى أبي ذر بعد وفاته فيه رضوان الله عليهما فمنعته المهاجرون و الأنصار كما مرّ حديثه ، وكم وقع عليه في تضاعيف تلكم الأحوال تعذيبٌ وضربٌ وتعنيف ، وكان عثمان يعلم بكراهة عمّار إيّاه منذ يومه الأوّل ، فمتى كان يستنصح عمّاراً حتّى يبعثه إلى البلاد فيحكي له أخبارها ، أو يستميله ابن سبأ وأصحابه ؛ وهذا ممّا لا يعزب علمه عن أيّ باحث كما تنبّه له الدكتور طه حسين في « الفتنة الكبرى » ص ١٢٨ حيث قال : أكاد أقطع بأنّ عمّاراً لم يرسل إلى مصر ولم يشارك هذين الفتيّين[1] فيما كانا بسبيله من التحريض وإنّما هي قصّة إخترعها العاذرون لعثمان فيما كان بينه وبين عمّار قبل ذلك أو بعده ممّا سنراه بعد حين . اه .

٢- قال الطبري ص ٩٩ : كتب إليّ السري عن شعيب عن سيف عن محمّد وطلحة وعطية قالوا : كتب عثمان إلى أهل الأمصار :

أمّا بعد : فإنّي آخذ العمّال بموافاتي في كلّ موسم ، وقد سلّطت الأمّة منذ وليت على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فلا يرفع عليّ شيء ولا على أحد من عمّالي إلّا أعطيته ، وليس لي ولعيالي حقٌ قبل الرعيّة إلّا متروكٌ لهم ، وقد رفع إلى أهل المدينة أنّ أقواماً يشتمون ، و آخرون يضربون ، فيا من ضرب سرّاً وشتم سرّاً ، من ادّعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقّه حيث كان منّي أو من عمّالي أو تصدّقوا

(١) يعني بهما : محمد بن ابي بكر ومحمد بن أبي حذيفه .

فإن الله يجزي المتصدقين .

فلما قرئ في الأمصار أبكي الناس ودعوا لعثمان وقالوا : إن الأمة لتمخض بشر ، و بعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه عبد الله بن عامر ، و معاوية ، وعبد الله ابن سعد ، وادخل معهم في المشورة سعيداً و عمراً فقال : ويحكم ما هذه الشكاية و ما هذه الإذاعة ؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم وما يعصب هذا إلا بي ، فقالوا له : ألم تبعث ؟ ألم نرجع إليك الخبر عن القوم ؟ ألم يرجعوا و لم يشافههم أحد بشيء ؟ لا و الله ماصدقوا ولا بروا ولانعلم لهذا الأمر أصلا ، ولا كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء ، وماهي إلا إذاعة لايحل الأخذ بها ولا الإنتهاء إليها . قال : فأشيروا علي . فقال سعيد بن العاص : هذا أمر مصنوع يصنع في السر فيلقى به غير ذي المعرفة فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم ، قال : فما دواء ذلك ؟ قال : طلب هؤلاء القوم ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم . وقال عبد الله بن سعد : خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم فانه خير من أن تدعهم . قال معاوية : قد وليتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير والرجلان أعلم بناحيتيهما . قال : فما الرأي ؟ قال : حسن الأدب . قال : فما ترى يا عمرو ؟ قال : أرى أنك قد لنت لهم ، و تراخيت عنهم ، و زدتهم على ما كان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشتد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين ، إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شراً ، و اللين لمن يخلف الناس بالنصح ، وقد فرشتهما جميعاً اللين ، وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال :كل ما أشرتم به علي قد سمعت ، ولكل أمر باب يؤتى منه ، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن ، وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاناة والمتابعة إلا في حدود الله تعالى ذكره التي لايستطيع أحد أن يبادي بعيب أحدها ، فإن سده شيء فرفق فذاك والله ليفتحن وليست لأحد علي حجة حق ، وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً ولانفسي ، ووالله إن رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم واغتفروا لهم ، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها . فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة ، و رجع ابن عامر وسعيد معه ، ولما استقل عثمان رجز الحادي :

قد علمت ضوامرُ المطيّ ✿ وضُمّرات عُوّجِ القسيّ
إنّ الأمير بعــده عليٌّ ✿ و في الزبير خلفٌ رضيٌّ
و طلحــة الحــامي لهــا وليٌّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان : الأمير بعده صاحب البغلة ، وأشار إلى معاوية

٣ـ ✿(وأخرج ص ١٠١ بالإسناد الشعيبي المذكور)✿

كان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه و خرج : يا أمير المؤمنين ! إنطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قِبل لك به ، فإنّ أهل الشام على الأمر لم يزالوا فقال : أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي . قال : فأبعث إليك جنداً منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينة أو إيّاك . قال : أنا أقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند مساكنهم و أُضيّق على أهل دار الهجرة والنصرة ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ! لتغتالنّ ولتغزينّ . قال : حسبي الله ونعم الوكيل . وقال معاوية : يا ايسار ! الجزور ، وأين ايسار الجزور . الحديث بطوله .

٤ـ ✿(وأخرج ص ١٠٣ بالإسناد الشعيبي)✿

لمّا كان في شوّال السنة ٣٥ خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أُمراء المقلّ يقول : ستمائة . و المكثر يقول : ألف . على الرفاق عبد الرّحمن بن عديس البلوي . و كنانة بن بشر الليثي . و سودان بن حمران السكوني . و قتيرة بن فلان السكوني . وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكّي . و لم يجترؤا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب ، وإنّما خرجوا كالحجّاج ومعهم ابن السوداء . و خرج أهل الكوفة في أربع رفاق ، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي ، والأشتر النخعي ، وزياد بن النضرة الحارثي ، وعبدالله بن الأصم ، أحد بني عامر بن صعصعة ، و عددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم ، وخرج أهل البصرة في أربع رفاق وعلى الرفاق حكيم ابن جبلة العبدي ، وذريح بن عباد العبدي ، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي ، وابن المحرش ابن عبد عمرو الحنفي ، وعددهم كعدد أهل مصر ، وأميرهم جميعاً حرقوص ابن زهير السعدي ، سوى مَن تلاحق بهم من النّاس ، فأمّا أهل مصر فانّهم كانوا يشتهون عليّاً ، وأمّا أهل البصرة فإنّهم كانوا يشتهون طلحة ، وأمّا أهل الكوفة كانوا

يشتهون الزبير ، فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي الناس شتّى لايشكّ كلّ فرقة إلّا انّ الفلج معها ، وأمرها سيتمّ دون الاُخريين ، فخرجوا حتّى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدّم ناسٌ من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشب ، وناسٌ من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص[1] وجاءهم ناسٌ من أهل مصر وتركوا عامّتهم بذي المروّة ، ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبدالله بن الأصم وقالا : لا تعجلوا و لا تُعجّلونا حتّى ندخل لكم المدينة ونرتاد ، فإنّه بلغنا انّهم قدعسكروا لنا فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلّوا قتالنا و لم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشدّ و انّ أمرنا هذا لباطل ، وإن لم يستحلّوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلاً لنرجعنّ إليكم بالخبر ، قالوا : إذهبا . فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبيّ ﷺ وعليّاً وطلحة والزبير[2] وقالا : إنّما نأتمّ هذا البيت ونستعفي هذا الوالي من بعض عمّالنا ، ما جئنا إلّا لذلك واستأذنا للناس بالدخول ، فكلّهم أبى ونهى وقال : بيضٌ ما يفرخنّ . فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفرٌ فأتوا عليّاً ، ومن أهل البصرة نفرٌ فأتوا طلحة ، ومن أهل الكوفة نفرٌ فأتوا الزبير وقال كلّ فريق منهم : إن بايعوا صاحبنا وإلّا كدناهم وفرّقنا جماعتهم ثمّ كررنا حتّى نبغتهم . فأتى المصريّون عليّاً وهو في عسكر عند أحجار الزيت[3] عليه حُلّة أفواف مُعتمّ بشقيقة حمراء يمانيّة متقلّد السيف ليس عليه قميص ، وقد سرّح الحسن إلى عثمان فيمن إجتمع إليه ، فالحسن جالسٌ عند عثمان وعليٌّ عند أحجار الزيت فسلّم عليه المصريّون وعرّضوا له فصاح بهم وأطردهم وقال : لقد علم الصّالحون أنّ جيش ذي المروة وذي خُشب ملعونون على لسان محمّد ﷺ فارجعوا لا صحبكم الله[4] قالوا : نعم . فانصرفوا من عنده على ذلك . وأتى البصريّون طلحة وهو في جماعة اُخرى إلى جنب عليّ وقد أرسل إبنيه إلى عثمان فسلّم البصريّون عليه وعرّضوا له فصاح بهم و أطردهم وقال : لقد علم المؤمنون انّ جيش ذي المروة في ذي خُشب والأعوص ملعونون

---

(١) الاعوص موضع على اميال من المدينه يسيرة .

(٢) لا تنس هاهنا ما اسلفنا لك فى هذا الجزء من حديث ام المؤمنين وعليّ أمير المؤمنين و طلحة والزبير .

(٣) احجار الزيت : موضع بالمدينة داخلها قريب من الزوراء .

(٤) راجع ما مضى من حديث عليّ اميرالمؤمنين تعرف جلية الحال .

على لسان محمّد ﷺ(١) و أتى الكوفيّون الزبير وهو في جماعة اُخرى وقد سرّح إبنه عبد الله إلى عثمان فسلّموا عليه وعرضوا له فصاح بهم وأطردهم و قال: لقد علم المسلمون انّ جيش ذي المروة وذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمّد ﷺ(٢).

فخرج القوم وأروهم انّهم يرجعون فانفشّوا عن ذي خُشب والأعوص حتّى انتهوا إلى عساكرهم وهي ثلاث مراحل كي يفترق أهل المدينة ثمّ يكرّوا راجعين فافترق أهل المدينة لخروجهم، فلمّا بلغ القوم عساكرهم كرّوا بهم فبغتوهم، فلم يفجأ أهل المدينة إلّا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا: من كفّ يده فهو آمن. وصلّى عثمان بالناس أيّاماً ولزم بيوتهم ولم يمنعوا أحداً من كلام، فأتاهم النّاس فكلّموهم وفيهم عليٌّ فقال: ما ردّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا، وأتاهم طلحة فقال البصريّون مثل ذلك وأتاهم الزبير فقال الكوفيّون والبصريّون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً. كأنّهم كانوا على ميعاد فقال لهم عليٌّ: كيف علمتم ياأهل الكوفة! ويا أهل البصرة! بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل ثمّ طويتم نحونا، هذا والله أمرٌ اُبرم بالمدينة قالوا: فضعوه على ما شئتم لاحاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا وهو في ذلك يُصلّي بهم وهم يصلّون خلفه و يَغشى من شاء عثمان وهم في عينه أدقّ من التراب، وكانوا لايمنعون أحداً من الكلام وكانوا زُمراً بالمدينة يمنعون الناس من الإجتماع. إلخ.

قال الأميني: تُعطي هذه الرواية انّ الذي ردّ الكتائب المقبلة من مصر والبصرة والكوفة هو زعماء جيش أحجار الزيت: أمير المؤمنين عليّ وطلحة والزبير يوم صاحوا بهم وطردوهم ورووا رواية اللعن عن النبيّ ﷺ وفيهم البدريّون وغيرهم من أصحاب محمّد العدول، فما تمكّنت الكتائب من دخول المدينة وقد أسلفنا إصفاق المؤرّخين على أنّهم دخلوها وحاصروا الدار مع المدنيّين أربعين يوماً أو أكثر أو أقلّ حتّى توسّل عثمان بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فكان هو الوسيط بينه وبين القوم، وجرى هنالك ما مرّ تفصيله من توبة عثمان على صهوة المنبر، ومن كتاب عهده إلى البلاد على ذلك، فانكفأت

(١) راجع ما مرّ من حديث طلحة وصولته وجولته في تلك الثورة تعلم صدق الخبر.

(٢) راجع ما اسلفنا من حديث الزبير حتّى يتبين لك الرشد من الغي.

عنه الجماهير الثائرة بعد ضمان عليّ عليه السلام ومحمّد بن مسلمة بما عهد عثمان على نفسه ، لكنّهم ارتجعوا إليه بعد ما وقفوا على نكوصه وكتابه المتضمّن بقتل من شخص إليه من مصر فوقع الحصار الثاني المفضي إلى الإجهاز عليه ، وأنت إذا عطفت النظرة إلى ما سبق من أخبار الحصارين وأعمال طلحة والزبير فيهما و قبلهما و بعدهما نظرة ممعنة لا تكاد أن تستصحّ دفاعهما عنه في هذا الموقف ، وكان طلحة أشدّ النّاس عليه ، حتّى منع من ايصال الماء إليه ، و من دفنه في مقابر المسلمين ، لكن رواة السوء المتسلسة في هذه الأحاديث راقهم إخفاء مناوئة القوم لعثمان فاختلقوا له هذه وأمثالها .

٥- ☆(وأخرج ص ١٢٦ بالإسناد الشعيبي)☆

آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة : إنّ الله عزّ وجلّ إنّما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، أنّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنّكم الفانية ، ولا تشغلنّكم عن الباقية ، فآثروا مابقي على مايفنى ، فإنّ الدنيا منقطعة ، وإنّ المصير إلى الله ، اتّقوا الله جلّ وعزّ فإنّ تقواه جُنّة من بأسه و وسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، و ألزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً ، و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

قالوا : لمّا قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته ، وعزم له المسلمون على الصبر والإمتناع عليهم بسلطان الله قال : أخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب وليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عنّي ، وأرسل إلى طلحة والزبير وعليّ وعدّة أن ادنوا فاجتمعوا فأشرف عليهم ، فقال : يا أيّها النّاس ! اجلسوا فجلسوا جميعاً المحارب الطارئ ، والمسالم المقيم فقال : ياأهل المدينة ! إنّي استودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي ، إنّي والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتّى يقضي الله فيّ قضاه ، ولأدعنّ هؤلاء وراء بابي غير معطيهم شيئاً يتّخذونه عليكم دخلاً في دين الله أو دنيا حتّى يكون الله عزّ وجلّ الصانع في ذلك ما أحبّ ، وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلّا الحسن ومحمّد وابن الزبير وأشباهاً لهم فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم ، وثاب إليهم ناسٌ كثيرٌ ولزم عثمان الدار .

٦- ☆(وروى ص١٢٦ بالإسناد الشعيبي)☆

قالوا : كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين فلمّا مضت من الأربعين ثماني عشرة قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيّأ إليهم من الآفاق حبيب من الشام، ومعاوية من مصر ، والقعقاع من الكوفة ، ومجاشع من البصرة ، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كلّ شيء حتّى الماء ، وقد كان يدخل عليّ بالشيء ممّا يريد ، وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علّة ، فعثروا في داره بالحجارة ليرموا فيقولوا : قوتلنا وذلك ليلاً فناداهم : ألا تتّقون الله ؟ ألا تعلمون أنّ في الدار غيري ؟ قالوا : لا والله ما رميناك قال : فمن رمانا ؟ قالوا : الله . قال : كذبتم إنّ الله عزّ وجلّ لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطؤننا ، وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه فسرح إبناً لعمرو إلى عليّ بأنّهم قد منعونا الماء فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا وإلى طلحة والزبير و إلى عائشة رضي الله عنها وأزواج النبيّ ﷺ فكان أوّلهم إنجاداً له عليّ وأُمّ حبيبة ، جاء عليّ في الغلس فقال : يا أيّها النّاس انّ الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين ، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّة فإنّ الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي ، وما تعرّض لكم هذا الرجل ، فبمَ تستحلّون حصره وقتله ؟ قالوا : لا والله ولا نعمة عين ، لا نتركه يأكل ولا يشرب ، فرمى بعمامته في الدار بأنّي قد نهضت فيما أنهضتني . فرجع ، وجاءت أُمّ حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة فقيل : أُمّ المؤمنين أُمّ حبيبة ، فضربوا وجه بغلتها فقالت : إنّ وصايا بني أُميّة إلى هذا الرجل فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل . قالوا : كاذبة وأهووا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف فندت بأُمّ حبيبة فتلقّاها النّاس وقد مالت رحالتها فتعلّقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل فذهبوا بها إلى بيتها ، وتجهّزت عائشة خارجةً إلى الحجّ هاربة ، واستتبعت أخاها فأبى فقالت : أمَ والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلنّ . وجاء حنظلة الكاتب حتّى قام على محمّد بن أبي بكر فقال : يا محمّد ! تستتبعك أُمّ المؤمنين فلا تتبعها وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحلّ فتتبعهم ؟ فقال : ما أنت وذاك يا ابن التميميّة ؟ فقال : يا ابن الخثعميّة ! إنّ هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف . وانصرف وهو يقول :

عجبٌ لما يخوضُ النّاس فيه ☆ يرومون الخلافة أنْ تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم ☆ ولاقوا بعدها ذلّاً ذليلا
وكانوا كاليهود أو النصارى ☆ سواءٌ كلّهم ضلّوا السبيلا

ولحق بالكوفة وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيظاً على أهل مصر ، وجاءها مروان بن الحكم فقال : يا أُمّ المؤمنين ! لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل . فقالت : أتريد أن يُصنع بي كما صُنع بأُمّ حبيبة ، ثمّ لا أجد من يمنعني ، لا والله ولا اعيرولا أدري إلى مايسلم أمر هؤلاء ، وبلغ طلحة والزبير مالقي عليٌّ وأُمّ حبيبة فلزموا بيوتهم ، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الفضلات عليهم الرقباء ، فأشرف عثمان على الناس فقال : يا عبد الله بن عبّاس ! فدعى له فقال : إذهب فأنت على الموسم . وكان ممّن لزم الباب فقال : والله ياأمير المؤمنين ! لجهاد هؤلاء أحبُّ إليّ من الحجّ ، فأقسم عليه لينطلقنّ فانطلق ابن عبّاس على الموسم تلك السنة ، ورمى عثمان إلى الزبير بوصيّته فانصرف بها ، وفي الزبير اختلافٌ أأدرك مقتله أو خرج قبله ؟ وقال عثمان : يا قوم ! لايجرمنّكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح . الآية . أللهمّ حل بين الأحزاب وبين ما يأملون كما فُعل بأشياعهم من قبلُ .

قال الأميني : هذه الرواية مفتعلةٌ من شيعة عثمان المصطفّين في إسنادها تجاه ما ثبت عن عائشة وطلحة والزبير وغيرهم من جهودهم المتواصلة في التضييق على الرجل ، وإسعار نار الحرب والإجهاز عليه بما أسلفناه في هذا الجزء لكن أكدى الظنّ ، وأخفق الأمل انّ هاتيك الروايات أخرجها الأثبات من حملة التاريخ ، وأصفق عليها المؤرّخون وهذه تفرّد بها هؤلاء الوضّاعون ، ومَن ذا الذي يعير سمعاً لها بعد الإخبات إلى التاريخ الصحيح ؟ وملأ اذنه هتاف عائشة : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر . إلى كلمات أُخرى لها مرّ مجملها في هذا الجزء ص ٢١٥ وفصّلناها في ص ٧٧-٨٦ .

وإنّ تهالك طلحة دون التشديد عليه وقتله بكلّ ما تسنّى له ممّا لا يجهله مُلمٌّ بالحديث والتاريخ ، وكان يوم الدار مقنّعاً بثوب يرميها بالسهام ، وهو الذي منع منه الماء ، وهو الذي حمل الناس إلى سطح دار ابن حزام فتسوّروا منها دار عثمان ، وهو الذي منعه من أن يدفن في مقابر المسلمين ، وهو الذي أقعد لمجهّزيه في الطريق ناساً

يرمونهم بالحجارة ، وهو الذي قتله مروان ثمّ قال لأبان بن عثمان : قد كفيتك بعض قتلة أبيك ، وهو الذي قال فيه وفي صاحبه مولانا أمير المؤمنين ﷺ : كان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف .

ولو كان طلحة كما زعمه الوضّاعون فما معنى هتاف عثمان : أللهمّ اكفني طلحة ابن عبيد الله فانّه حمل عليّ هؤلاء وألّبهم . وقوله : ويلي على ابن الحضرميّة ـ يعني طلحة ـ اعطيته كذا و كذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرّض على نفسي ، أللهمّ لا تمتّعه به ولقّه عواقب بغيه .

وإلى الآن يرنّ في الأسماع قول الزبير يومئذٍ : اقتلوه فقد بدّل دينكم . وقوله : ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بُدئ بابني ، إنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً . وقوله لعثمان : إنّ في مسجد رسول الله ﷺ جماعة يمنعون من ظلمك ، ويأخذونك بالحقّ .إلخ.

وإلى الآن في صفحات التاريخ قول سعد بن أبي وقاص : قتله سيف سلّته عائشة وشحّذه طلحة ، وسمّه عليّ ، قيل : فما حال الزبير ؟ قال : أشار بيده وصمت بلسانه . إلى كلمات آخرين مرّت في هذا الجزء .

ولو كان ابن عبّاس كما اختلق عليه هؤلاء فلماذا لم يكترث بكتاب عثمان و استغاثته به لمّا اُلقي على الحجيج وهو أميرهم وهو على منصّة الخطابة ، فمضى في خطبته من حيث انقطعت ، ولم يتعرّض لذلك بشيء ، ولا اعتدّ بخطابه حتّى جرى المقدور المحتّم ؟ و لماذا كان يحاذر بطش معاوية به على مقتل عثمان لمّا أراد أمير المؤمنين ﷺ أن يرسله إلى الشام ؟.

راجع مصادر هذه كلّها فيما مرّ من صفحات هذا الجزء .

٧ ـ ☆(وأخرج ص١٢٨ بالإسناد الشعيبي)☆

قالوا : فلمّا بويع النّاس السابقة فقدم بالسّلامة فأخبرهم من الموسم انّهم يريدون جميعاً المصريّين وأشياعهم ، وانّهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجّهم ، فلمّا أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار أعلقهم الشيطان وقالوا : لا يخرجنا ممّا وقعنا فيه إلّا قتل هـذا الرجل ، فيشتغل بذلك النّاس عنّا ، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلّا قتله ، فراموا الباب فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمّد بن طلحة ومروان

ابن الحَكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم واجتلدوا فناداهم عثمان : الله الله أنتم في حلّ من نصرتي . فأبوا ففتح الباب وخرج ومعه الترس والسيف لينهنهم فلمّا رأوه أدبر البصريّون وركبهم هؤلاء ونهنهم فتراجعوا وعظم على الفريقين وأقسم على الصحابة ليدخلن ، فأبوا أن ينصرفوا فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين ، وقد كان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حجّ ثمّ تعجّل في نفر حجّوا معه ، فأدرك عثمان قبل أن يُقتل وشهد المناوشة و دخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل ، و قال : ما عذرنا عند الله إن تركناك و نحن نستطيع ألّا ندعهم حتّى نموت ؟، فاتّخذ عثمان تلك الأيّام القرآن نحباً يصلّي وعنده المصحف فإذا أعيا جلس فقرأ فيه ، وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة ، وكان القوم الذين كفكفهم بينه و بين الباب ، فلمّا بقي المصريّون لا يمنعهم أحدٌ من الباب ولا يقدرون على الدخول جاؤا بنار فأحرقوا الباب والسقيفة ، فتأجّج الباب والسقيفة حتّى إذا احترق الخشب خرّت السقيفة على الباب ، فثار على أهل الدار وعثمان يصلّي حتّى منعوهم الدخول ، وكان أوّل من برز لهم المغيرة بن الأخنس وهو يرتجز :

قد علمت جاريةٌ عُطبولُ ✿ ذاتُ وشاحٍ ولها جديلُ

أنّي بنصل السيف خنشليلُ ✿ لأمنعنّ منكمُ خليلي

بصارمٍ ليس بذي فلولِ

وخرج الحسن بن عليّ وهو يقول :

لا دينهم ديني ولا أنا منهمُ ✿ حتّى أسير إلى طمارِ شَمام

وخرج محمّد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابن مَن حامى عليه بأحد ✿ وردّ أحزاباً على رغم مَعَدْ

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول :

صبرنا غداة الدار والموت واقبٌ ✿ بأسيافنا دون ابن أروى نُضارب

وكنّا غداة الروع في الدار نصرةً ✿ نُشافههم بالضرب والموت ثاقبُ

فكان آخر مَن خرج عبد الله بن الزبير أمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصيّة بما أراد وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم فخرج عبد الله بن

الزبير آخرهم فما زال يدّعي بها ويحدّث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه .

٨ ☆(وأخرج ص ١٢٩ بالإسناد الشعيبي)☆

قالوا : وأحرقوا الباب وعثمان في الصّلاة وقد افتتح « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » وكان سريع القراءة فما كرثه ما سمع وما يُخطيء وما يتمتع حتّى أتى عليها قبل أن يصلوا إليـه ، ثمّ عاد فجلس إلى عند المصحف وقرأ : الذين قال لهم النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار في أصحابه :

قد علمت ذات القرون الميلِ ☆ والحلي والأنامل الطفـولِ

لتصـدقنّ بيعتي خليلـي ☆ بصارمٍ ذي رونقٍ مصقولِ

لا أستقيـل إن أقلت قيلي

وأقبل أبو هريرة والناس مُحجمون عن الدار إلّا اولئك العصبة فدسروا فاستقبلوا فقام معهم وقال : أنا أُسوتكم . و قال : هذا يوم طاب امضرب ـ يعني انّـه من القتال و طاب وهذه لغة حمير ـ ونادى : يا قوم ! مالي أدعوكم إلى النجـاة وتدعونني إلى النار ، وبادر مروان يومئذ ونادى : رجلٌ رجلٌ . فبرز له رجلٌ من بني ليث يـُدعى النباع[1] فاختلفا ضربتين فضربه مروان أسفل رجليه وضربه الآخر على أصل العنق فقلبه فانكبّ مروان واستلقى فاجترّ هذا أصحابه ، واجترّ الآخر أصحابه ، فقال المصريّون : أما والله لا أن تكونوا حجّـة علينا في الأُمّـة لقد قتلناكم بعد تحذير فقال المغيرة : مَن بارزٌ ؟ فبرز له رجلٌ فاجتلدوا وهو يقول :

أضربهم باليابس ☆ ضرب غلام بائس ☆ من الحياة آيس

فأجابه صاحبه ... وقال الناس : قُتل المغيرة بن الأخنس فقال الذي قتله : إنّا لله فقال له عبدالرّحمن بن عديس : مالك ؟ قال : إنّي أُتيت فيما يرى النائم فقيل لي : بشّـر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار. فابتليتُ به ، وقتل قباث الكناني نيار بن عبدالله الأسلمي ، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتّى ملؤها ، ولا يشعر الذين بالباب ، واقبلت القبائل على أبنائهم فذهبوا بهم إذ غُلبوا على أميرهم وندبوا رجلاً لقتله ، فانتدب لـه

(١) كذا والصحيح : البياع . وهو عروة بن شييم الليثي كما مرّ .

رجلٌ فدخل عليه البيت فقال: اخلعها وندعك. فقال: ويحك و الله ما كشفتُ امرأةً في جاهليّة ولا إسلام ولا تغنّيت ولا تمنّيت ولا وضعت يميني على عورتي مذ بايعت رسول الله ﷺ، ولست خالعاً قميصاً كسانيه الله عزّ وجلّ وأنا على مكاني حتّى يُكرم الله أهل السعادة ويُهين أهل الشقاء. فخرج وقالوا: ما صنعت؟ فقال: علقنا والله، والله ما ينجينا من الناس إلّا قتله وما يحلّ لنا قتله، فادخلوا عليه رجلاً من بني ليث فقال: ممّن الرجل؟ فقال: ليثيٌّ. فقال: لست بصاحبي قال: وكيف؟ فقال: ألست الذي دعا لك النبيّ ﷺ في نفر أن تحفظوا يوم كذا و كذا؟ قال: بلى. قال: فلن تضيع. فرجع وفارق القوم، فأدخلوا عليه رجلاً من قريش فقال: يا عثمان! إنّي قاتلك. قال: كلّا يا فلان! لا تقتلني. قال: وكيف؟ قال: إنّ رسول الله استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دماً حراماً، فاستغفر ورجع وفارق أصحابه، فأقبل عبد الله بن سلام حتّى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله، وقال: يا قوم! لا تسلّوا سيف الله عليكم فوالله إن سللتموه لا تغمدوه، ويلكم إنّ سلطانكم اليوم يقوم بالدرّة فإن قتلتموه لا يقيم إلّا بالسيف، ويلكم إنّ مدينتكم محفوفة بملائكة الله والله لئن قتلتموه لتتركنّها. فقالوا: ياابن اليهوديّة! وما أنت وهذا؟ فرجع عنهم. قالوا: وكان آخر من دخل عليه ممّن رجع إلى القوم محمّد بن أبي بكر فقال له عثمان: ويلك أعلى الله تغضب؟ هل لي إليك جُرم إلّا حقّه أخذته منك فنكل ورجع. قالوا: فلمّا خرج محمّد بن أبي بكر وعرفوا إنكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران السكونيّان والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف فاستقرّ بين يديه وسالت عليه الدماء، وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبّت عليه نائلة إبنة الفرافصة واتّقت السيف بيدها فتعمّدها و نفح أصابعها فأطنّ أصابع يدها وولّت فغمز أوراكها، و قال: إنّها لكبيرة العجيزة. وضرب عثمان فقتله، ودخل غلمةٌ لعثمان مع القوم لينصروه، وقد كان عثمان أعتق من كفّ منهم فلمّا رأوا سودان قد ضربه أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله، ووثب قتيرة على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت وأخرجوا مَن فيه ثمّ أغلقوه على ثلاثة قتلى فلمّا خرجوا إلى الدار وثب غلام لعثمان آخر على قتيرة فقتله، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا حتّى تناولوا ما على النساء، وأخذ رجلٌ مُلاءة نائلة والرجل يُدعى كلثوم

ابن تجيب فتنحت نائلة فقال: ويح اُمك من عجيزة ما أنمك، وبصر به غلامٌ لعثمان فقتله و قُتل و تنادى القوم أبصر رجل من صاحبه، و تنادوا في الدار : أدركوا بيت المال لا تسبقوا إليه، وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم وليس فيه إلّا غرارتان[1] فقالوا : النجاء فإنّ القوم إنّما يحاولون الدنيا، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه، وماج النّاس فيه، فالتانئ يسترجع ويبكي، و الطارئ يفرح، وندم القوم وكان الزبير قد خرج من المدينة فأقام على طريق مكّة لئلّا يشهد مقتله، فلمّا أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، رحم الله عثمان وانتصر له. وقيل: إنّ القوم نادمون. فقال: دبّروا دبّروا، وحيل بينهم وبين ما يشتهون. الآية. وأتى الخبر طلحة فقال: رحم الله عثمان وانتصر له وللإسلام وقيل له: إنّ القوم نادمون. فقال: تبّاً لهم وقرأ: فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون. وأتى عليٌّ فقيل: قُتل عثمان: فقال رحم الله عثمان وخلف علينا بخير. وقيل: ندم القوم. فقرأ: كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر. الآية. وطُلب سعد فإذا هو في حائطه وقد قال: لا أشهد قتله. فلمّا جاءه قتله قال: فررنا إلى المدينة فدنينا وقرأ: الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، اللّهمّ أندمهم ثمّ خذهم.

٩ ـ ☆(وأخرج ص ١٣١ بالإسناد الشعيبي)☆

قال المغيرة بن شعبة لعليّ: إنّ هذا الرجل مقتولٌ وإنّه إن قُتل وأنت بالمدينة إتّخذوا فيك فاخرج فكن بمكان كذا وكذا، فإنّك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس. فأبى وحُصر عثمان إثنتي وعشرين يوماً ثمّ أحرقوا الباب وفي الدار اُناسٌ كثيرٌ فيهم عبد الله بن الزبير ومروان فقالوا: إئذن لنا. فقال: إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فأنا صابرٌ عليه، و إنّ القوم لم يحرقوا باب الدار إلّا و هم يطلبون ما هو أعظم منه، فاُحرّج على رجل يستقتل و يقاتل، وخرج الناس كلّهم ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده فقال: إنّ أباك الآن لفي أمر عظيم، فأقسمت عليك لمّا خرجت. وأمر عثمان أبا كرب رجلاً من همدان وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال

(١) ذكره ابن كثير في تاريخه ٧ : ١٨٩ وحرّفه وبدّله بقوله : فأخذوا بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً .

وليس فيه إلّا غرارتان من ورق ، فلمّا اطفئت النار بعد ما ناوشهم ابن الزبير و مروان وتوعّد محمّد بن أبي بكر ابن الزبير ومروان ، فلمّا دخل على عثمان هربا ، ودخل محمّد ابن أبي بكر على عثمان فأخذ بلحيته فقال : أرسل لحيتي فلم يكن أبوك ليتناولها ، فأرسلها ودخلوا عليه فمنهم من يجئه بنعل سيفه و آخر يلكزه وجاءه رجل بمشاقص معه فوجأه في ترقوته ، فسال الدم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله ، وكان كبيراً وغُشي عليه ودخل آخرون ، فلمّا رأوه مغشياً عليه جرّوا برجله ، فصاحت نائلة وبناته ، و جاء التجيبي مخترطاً سيفه ليضعه في بطنه فوقته نائلة فقطع يدها ، واتكأ بالسيف عليه في صدره ، وقتل عثمان رضي الله عنه قبل غروب الشمس ونادى منادٍ : ما يحلّ دمه ويحرّج ماله ؟ فانتهبوا كلّ شيء ، ثمّ تبادروا بيت المال فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا وقالوا : الهرب الهرب ، هذا ما طلب القوم .

١٠ـ ☆(وأخرج ص١٣٥ بالإسناد الشعيبي)☆

لمّا حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجالٌ إلى الأمصار مجاهدين وليدنوا من العرب فمنهم من أتى البصرة ، ومنهم من أتى الكوفة ، ومنهم من أتى الشام . فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة ، إلّا ما كان من أبناء الشام فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلّا من كان بالشام فأخبروا عثمان بخبرهم فقام عثمان في الناس خطيباً فقال :

يا أهل المدينة ! أنتم أصل الإسلام و إنّما يفسد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم ، والله والله لا يبلغني عن أحد منكم حدثٌ أحدثه إلّا سيّرته ، ألا فلا أعرفنّ أحداً عرض دون اولئك بكلام ولا طلب ، فإنّ مَن كان قبلكم كانت تُقطع أعضاؤهم دون أن يتكلّم احدٌ منهم بما عليه ولاله . وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شرّ أوشهر سلاح عصاً فما فوقها إلّا سيّره . فضجّ آبائهم من ذلك حتّى بلغه انّهم يقولون : ما أحدث التسيير ألا إنّ رسول الله ﷺ سيّر الحكم بن أبي العاص فقال : إنّ الحكم كان مكّياً فسيّره رسول الله ﷺ منها الي الطائف ، ثم ردّه إلى بلده فرسول الله ﷺ سيّره بذنبه و رسول الله ﷺ ردّه بعفوه ، و قد سيّره الخليفة من بعده و عمر رضي الله عنه من بعد الخليفة ، و أيم الله لآخذنّ العفو من أخلاقكم ، ولأبذلنّه

لكم من خلقي ، و قد دنت أمور ولا احب أن تحل بنا وبكم و أنا على و جل وحذر فاحذروا واعتبروا .

قال الأميني : هذه سلسلة بلاء وحلقة أكاذيب جاء بها أبوجعفر الطبري في تاريخه باسناد واحد أبطلناه وزيفناه وأوقفناك عليه و على ترجمة رجاله في الجزء الثامن ص٨٤، ١٤٠، ١٤١، ٣٣٣، أضف إليها ما ذكره المحب الطبري ممّا أسلفنا صدره في هذا الجزء صفحة ١٧٩ من طريق سعيد بن المسيب ممّا اتفق الرواة والحفاظ و المؤرخون على نقله وجاء بعض بزيادة مفتعلة وتبعه المحب الطبري وإليك نصها :

ثم بلغ علياً انهم يريدون قتل عثمان فقال : إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا ، وقال للحسن والحسين : اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه ، و بعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة إبنه ، وبعث عدة من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله أبناء هم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان ، فلما رأى الناس ذلك رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن علي بدمائه وأصاب مروان سهم و هو في الدار و كذلك محمد بن طلحة ، و شج قنبر مولى علي ، ثم إن بعض من حصر عثمان خشي أن يغضب بنوهاشم لأجل الحسن والحسين فتنتشر الفتنة ، فأخذ بيد رجلين فقال لهما : إن جاء بنوهاشم فرأوا الدم على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان و بطل ما تريدون ، ولكن اذهبوا بنا نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد ، فتسوروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ، وما يعلم أحد ممن كان معه، لأن كل من كان معه كان فوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته فقتلوه و خرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها من الجلبة ، فصعدت إلى الناس فقالت: إن أمير المؤمنين قتل . فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحاً فانكبوا عليه يبكون ، ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولاً فبلغ علياً و طلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا و قد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا وقال علي لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين ، و شتم محمد بن طلحة ، و لعن عبدالله بن الزبير ، وخرج علي وهو غضبان فلقيه طلحة فقال : مالك يا أبا الحسن ؟! ضربت الحسن

و الحسين ؟ و كان يرى انّه أعان علي قتل عثمان . فقال : عليك كذا و كذا رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدري لم تقم عليه بيّنة ولا حجّة . فقال طلحة : لو دفع مروان لم يقتل . فقال عليّ : لو أخرج إليكم مروان لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة . وخرج عليّ فأتى منزله و جاء النـاس كلّهم إلى عليّ ليبايعوه ، فقال لهم : ليس هذا اليكم إنّما هو إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا قال : ما نرى أحقّ لها منك ، فلمّا رأى عليّ ذلك جاء المسجد فصعد المنبر وكان أوّل من صعد اليه وبايعه طلحة والزبير وسعد وأصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، و طلب مروان فهرب وطلب نفراً من ولد مروان وبني أبي معيط فهربوا [(١)].

وفي لفظ المسعودي في مروج الذهب ١ : ٤٤١ : لمّا بلغ عليّاً أنّهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته ، وأمرهم أن يمنعوه منهم ، وبعث الزبير ابنه عبدالله ، و بعث طلحة ابنه محمّداً و أكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا فصدّوهم عن الدار ، فرمي من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجرح الحسن وشجّ قنبر وجرح محمّد بن طلحة ، فخشي القوم أن يتعصّب بنو هاشم و بنو اُميّة فتركوا القوم في القتال على الباب و مضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوّروا عليها وكان ممّن وصل اليه محمّد بن أبي بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته ، وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال ، فأخذ محمّد بن أبي بكر بلحيته فقال : يا محمّد ! والله لو رآك أبوك لساءه مكانك . فتراخت يده وخرج عنه إلى الدار ، ودخل رجلان فوجداه فقتلاه ، و كان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت و قالت : قد قتل أمير المؤمنين .

فدخل الحسن والحسين و من كان معهما من بني اُميّة فوجدوه و قد فاضت نفسه رضي الله عنه فبكوا فبلغ ذلك عليّاً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم من المهاجرين والأنصار فاسترجع القوم و دخل عليّ الدار و هو كالواله الحزين فقال لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمّد بن طلحة

(١) الرياض النضرة ٢ : ١٢٥ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٨ ، نقلا عن ابن عساكر ، تاريخ الخميس ٢ : ٢٦١ ، ٢٦٢ ، نقلا عن الرياض .

ولعن عبدالله بن الزبير فقال له طلحة : لا تضرب يا أباالحسن ! ولا تشتم ولا تلعن، ولو دفع مروان ما قتل ، وهرب مروان وغيره من بني اُميّة وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا ، وقال عليّ لزوجته نائلة بنت الفرافصة : مَن قتله ؟ وأنت كنت معه . فقالت : دخل إليه رجلان وقصّت خبر محمّد بن ابي بكر، فلم ينكر ماقالت ، وقال : والله لقد دخلت وأنا اريد قتله فلمّا خاطبني بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عنّي ، ولله ما كان لي في قتله سبب ، ولقد قُتل وأنا لا أعلم بقتله .

وروى ابن الجوزي في التبصرة [1] من طريق ابن عمر قال : جاء عليّ إلى عثمان رضي الله عنهما يوم الدار و قد اغلق الباب و معه الحسن بن علي و عليه سلاحه فقال للحسن : ادخل إلى أمير المؤمنين فاقرأه السّلام وقل له : إنّما جئت لنصرتك فمرني بأمرك . فدخل الحسن ثمّ خرج فقال لأبيه : إنّ أمير المؤمنين يقرئك السّلام و يقول لك : لا حاجة لي بقتال و إهراق الدماء قال : فنزع عليّ عمامةً سوداء و رمي بها بين يدي الباب و جعل ينادي : ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب و ان الله لا يهدي كيد الخائنين .

وعن شداد بن أوس ـ نزيل الشام والمتوفّى بها في عهد معاوية ـ انّه قال : لمّا اشتدّ الحصار بعثمان رضي الله عنه يوم الدار رأيت عليّاً خارجاً من منزله معتمّاً بعمامة رسول الله متقلّداً سيفه وأمامه إبنه الحسن والحسين و عبدالله بن عمر رضي الله عنهم في نفر من المهاجرين والأنصار فحملوا على الناس وفرّقوهم ثمّ دخلوا على عثمان فقال عليّ : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ! إنّ رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر ، وإنّي والله لا أرى القوم إلّا قاتلوك فمرنا فلنقاتل . فقال عثمان : انشد الله رجلاً رأى لله عزّ وجلّ عليه حقّاً وأقرّ أنّ لي عليه حقّاً أن يهريق في سببي ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فيّ . فأعاد عليّ رضي الله عنه القول فأجاب عثمان بمثل ما أجاب ، فرأيت عليّاً خارجاً من الباب وهو يقول : أللهمّ إنّك تعلم أنّا قد بذلنا المجهود ثمّ دخل المسجد وحضرت الصّلاة فقالوا له : يا أباالحسن ! تقدّم فصلّ بالناس ، فقال : لا اُصلّي بكم والإمام محصورٌ ولكن اُصلّي وحدي ، فصلّي وحده وانصرف إلى منزله

(١) راجع تلخيصه قرة العيون المبصرة ١ : ١٨٠

فلحقه إبنه وقال : والله ياأبت ! قداقتحموا عليه الدار قال : إنّا لله و إنّا إليه راجعون ، هم والله قاتلوه ، قالوا : أين هويا أباالحسن ؟! قال : في الجنّة والله زلفى ، قالوا : و أين هم ياأباالحسن ؟! قال : في النّار والله . ثلاثاً .

الرياض النضرة ٢ : ١٢٧ ، تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٢ .

ومن طريق محمّد بن طلحة عن كناسة [١] مولى صفيّة : شهدت مقتل عثمان فاخرج من الدار أمامي أربعة من شباب قريش مضرّجين بالدم محمولين كانوا يدرؤن عن عثمان وهم : الحسن بن علي وعبدالله بن الزبير ومحمّد بن حاطب ومروان فقلت له : هل تدري محمّد بن أبي بكر بشيء من دونه ؟ قال : معاذالله دخل عليه فقال له عثمان : يا ابن أخي ! لست بصاحبي و كلّمه بكلام فخرج [٢]

في الاسناد كنانة ذكره الأزدي في الضعفاء ، و قال : لا يقوم إسناد حديثه . و قال الترمذي : ليس إسناده بذاك . و قال ايضاً : ليس إسناده بمعروف [٣]

وروى البخاري في تاريخه ٤ قسم ١ ص ٢٣٧ من طريق كنانة مولى صفيّة قال : كنت أقود بصفيّة لتردّ عن عثمان فلقيها الأشتر فضرب وجه بغلتها حتّى قالت : ردّوني ولا يفضحني هذا الكلب . وكنت فيمن حمل الحسن جريحاً ، ورأيت قاتل عثمان من أهل مصر يقال له : جبلة .

وقال سعيد المقبري عن ابي هريرة : كنت محصوراً مع عثمان في الدار فرمي رجل منّا ، فقلت : يا أميرالمؤمنين ! الآن طاب الضراب قتلوا رجلاً منّا . قال : عزمت عليك يا أباهريرة ! إلّا رميت بسيفك ، فانّما تراد نفسي ، وسأقي المؤمنين بنفسي اليوم ، قال أبو هريرة : فرميت بسيفي فلا أدري أين هو حتّى الساعة [٤]

لم أقف على رجال إسناد هذه الأسطورة غير سعيد المقبري ، وهوسعيد بن أبي سعيد أبوسعد المدني ، والمقبري نسبة إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها . قال يعقوب ابن شيبة والواقدي وابن حبان : إنّه تغيّر و كبر واختلط قبل موته بأربع سنين. راجع

(١) كذا في بعض النسخ والصحيح : كنانة .
(٢) الاستيعاب ٢ ، ٤٧٨ ، تهذيب التهذيب ٧ : ١٤١ ، تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٤ .
(٣) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٥٠
(٤) الاستيعاب ٢ : ٤٧٨ ، تهذيب التهذيب ٧ : ١٤٢ : تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٣ .

تهذيب التهذيب ٤ : ٣٨ ، ومتن الرواية أقوى شاهد على اختلاط الرجل ، فإنّ أوّل مَن رمى يوم الدار هو رجلٌ من أصحاب عثمان رمى نيار بن عياض الأسلمي و كان شيخاً كبيراً فقتله الرجل كما مرّ في ص ٢٠١ ومضى في ص ٢٠٠ : إنّ أبا حفصة مولى مروان هو الذى أنشب القتال ورمى نيار الأسلمي ، ولعلّك تعرف أبا هريرة ومبلغه من الصدق والأمانة على ودايع العلم والدين ، وإن كنت في جهل من هذا فراجع كتاب أبي هريرة لسيّدنا الحجّة شرف الدين العاملي حيّاه الله و بيّاه ، و لعلّ تقاعد أبي هريرة عن نصرة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في حروبه الدامية كان لأنّه لم يك يدري اين سيفه .

وعن أشعب بن حنين مولى عثمان : انّه كان مع عثمان في الدار فلمّا حُصر جرّ مماليكه السيوف فقال لهم عثمان : مَن أغمد سيفه فهو حرٌّ . فلمّا وقعت في اُذني كنت والله أوّل مَن أغمد سيفه ، فاعتقت .

قال الذهبي : هذا الخبر باطلٌ لأنّه يقتضي أنّ لأشعب صحبة وليس كذلك لسان الميزان ٤ : ١٢٦ .

صورة مفصلة

عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال : كنّا مع عثمان رضي الله عنه وهو محصورٌ في الدار فقال : وبمَ يقتلونني ؟ وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحلُّ دم امرئٍ مسلم إلّا باحدى ثلاث : رجلٌ كفر بعد إسلام ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفساً بغير حقّ فيقتل بها ، فوالله ماأحببتُ لديني بدلاً منذ هداني الله تعالى ، ولا زنيتُ في جاهليّة ولا إسلام ، ولا قتلتُ نفساً بغير حقّ ، فبِمَ يقتلونني ؟ فلمّا إشتدّ عطشه أشرف على الناس فقال : أفيكم عليٌّ ؟ فقالوا : لا. فقال : أفيكم سعد ؟ فقالوا : لا . فسكت ثمّ قال : ألا أحدٌ يبلّغ عليّاً فيسقينا ماءً ؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماءً فما وصل إليه حتّى جرح بسببها عدّة من بني هاشم وبني اُميّة ، فلمّا بلغ عليّاً أنّ عثمان محاصرٌ يراد قتله قام خارجاً من منزله معتمّاً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلّداً سيفه وأمامه إبنه الحسن وعبد الله بن عمر في نفر من الصحابة والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، ودخلوا على عثمان وهو محصورٌ فقال له عليٌّ كرّم الله وجهه : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ! إنّك إمام العامّة وقد نزل بك ما ترى ، و انّي أعرض عليك خصالاً ثلاثاً إختر إحداهنّ :

إمّا أن تخرج فتقاتلهم ونحن معك وأنت على الحقّ وهم على الباطل ، وإما أن تخرق باباً سوى الباب الذي هم عليه فتركب رواحلك وتلحق بمكّة فانّهم لن يستحلّوك وأنت بها ، وإمّا أن تلحق بالشام فانّهم اهل الشام وفيهم معاوية . فقال عثمان : أمّا أن أخرج إلى مكّة فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُلحد رجلٌ من قريش بمكّة يكون عليه نصف عذاب العالم . فلن أكون أنا . وأمّا أن ألحق بالشام فلن اُفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ . قال : فأذن لنا أن نقاتلهم ونكشفهم عنك ، قال : فلا أكون أوّل مَن يأذن في محاربة اُمّة محمّد ﷺ ، فخرج عليٌّ وهو يسترجع وقال للحسن والحسين : إذهبا بسيفكما حتّى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير إبنه ، وبعث طلحة إبنه ، وبعث عدّة من أصحاب محمّد أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان و يسألونه إخراج مروان ، فلمّا رأى ذلك محمّد بن أبي بكر و قد رمى الناس عثمان بالسهام حتّى خضب الحسن بالدماء على بابه وغيره ، فخشي محمّد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن ويكشفوا الناس عن عثمان فأخذ بيد رجلين من أهل مصر فدخلوا من بيت كان بجواره ، لأنّ كلّ من كان مع عثمان كانوا فوق البيوت ولم يكن في الدار عند عثمان إلّا امرأته ، فنقّبوا الحائط فدخل عليه محمّد بن أبي بكر فوجده يتلو القرآن فأخذ بلحيته فقال له عثمان : والله لو رآك أبوك لساءه فعلك . فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فقتلاه و خرجوا هاربين من حيث دخلوا ، قيل : جلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتّى مات ، ووطأ عمير بن ضابيء على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه ، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان حول الدار من الناس وصعدت امرأته فقالت : إنّ أمير المؤمنين قد قُتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحاً وانتشر الدم على المصحف على قوله تعالى : « فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم » ، وبلغ الخبر عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتّى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا ، وقال عليٌّ لابنيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن ، وضرب على صدر الحسين ، وشتم محمّد بن طلحة وعبد الله بن الزبير ، وخرج وهو غضبانٌ حتّى أتى منزله ، وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له : نبايعك فمدّ يدك فلا بدّ لنا من أمير . فقال عليٌّ : والله انّي

لأستحي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان ، وإنّي لأستحي من الله تعالى أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد ، فافترقوا ثمّ رجعوا فسألوه البيعة فقال : ألّلهمّ انّي مشفق ممّا اقدم عليه فقال لهم : ليس ذلك إليكم إنّما ذلك لأهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدرحتّى أتى عليّاً فقالوا : مانرى أحداً أحقّ بها منك ، مدّ يدك نبايعك . فبايعوه ، فهرب مروان وولده ، وجاء عليّ وسأل امرأة عثمان فقال لها : مَن قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري دخل عليه محمّد بن أبي بكر ومعه رجلان لاأعرفهما ، فدعا محمّداً فسأله عمّا ذكرت امرأة عثمان فقال محمّد : لم تكذب والله دخلت عليه وأنا اريد قتله فذكرلي أبي فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى ، والله ما قتلته ولا أمسكته . فقالت امرأته : صدق ولكنّه أدخلهما عليه .

راجع أخبار الدول للقرماني هامش الكامل لابن الأثير ١ : ٢١٠ - ٢١٣ .

نظرة في الموضوعات

هذه الموضوعات اختلقت تجاه التاريخ الصحيح المتسالم عليه المأخوذ من مئآت الآثار الثابتة المعتضد بعضها ببعض ، فيضادّها ما أسلفناه في البحث عن آراء أعاظم الصحابة في عثمان و ما جرى بينهم وبينه من سيّء القول والفعل ، وفيهم بقيّة أصحاب الشورى وغير واحد من العشرة المبشّرة و عدّة من البدريّين ، و قد جاء فيه ما يربو على مائة وخمسين حديثاً راجع ص ٦٩ - ١٥٧ من هذا الجزء .

وتكذّبها أحاديث جمّة ممّا قدّمنا ذكرها ص ١٥٧-١٦٣ من حديث المهاجرين والأنصار وانّهم هم قتلة عثمان .

ومن حديث كتاب أهل المدينة إلى الصحابة في الثغور من أنّ الرجل أفسد دين محمّد فهلمّوا وأقيموا دين محمّد صلّى الله عليه وآله .

ومن حديث كتاب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويقسمون له بالله انّهم لا يمسكون عنه أبداً حتّى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من الله .

ومن حديث كتاب المهاجرين إلى مصر أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها ، فإنّ كتاب الله قد بدّل ، وسنّة رسوله قد غيّرت . إلى آخر ما مرّ في ص ١٦١ ، ١٦٢ .

ومن حديث الحصار الأوّل المذكور في صفحة ١٦٨-١٧٧ .

ومن حديث كتاب المصريّين إلى عثمان إنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبةٌ مصرّحة ، أو ضلالةٌ مجلحة مبلجة . إلى آخر مرّ ص١٧٠ .

ومن حديث عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنّة سنة ٣٥ كما مرّ ص ١٧٠ - ١٧٢.

ومن حديث توبته مرّة بعد اُخرى كما فصّلناه ص ١٧٢-١٧٨

ومن حديث الحصار الثاني الذي أسلفناه ص ١٧٧- ١٨٩ .

ومن حديث كتاب عثمان إلى معاوية في أنّ أهل المدينة قد كفروا و أخلفوا الطاعة . إلى آخر ما سبق في صفحة ١٩٠ .

ومن حديث كتابه إلى الشام عامّة : انّي في قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا القدر فيّ . وخيّروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل الدحيل ، وبين أن أنزع لهم رداء الله . إلى آخر ما مرّ ص١٩٠ .

ومن حديث كتابه إهل البصرة المذكور صفحة ١٩١ .

ومن حديث كتابه إلى أهل الأمصار مستنجداً يدعوهم إلى الجهاد مع أهل المدينة واللحوق به لنصره كما مرّ ص ١٩١ .

ومن حديث كتابه إلى أهل مكّة ومن حضر الموسم ينشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابه إلّا قدم عليه . إلخ .

ومن حديث يوم الدار والقتال فيه ، وحديث مَن قُتل في ذلك المعترك ممّا مضى في ص ١٩٨-٢٠٤ .

ومن حديث مقتل عثمان وتجهيزه ودفنه بحش كوكب بدير سلع مقابر اليهود المذكور ص ٢٠٤-٢١٧ .

وممّا ثبت من أحوال هؤلاء الذين زعموا انّهم بعثوا أبنائهم للدفاع عن عثمان ، وانّهم لم يفتأوا مناوئين له إلى أن قُتل وبعد مقتله إلى أن قُبر في أشنع الحالات ، أمّا عليٌّ أميرالمؤمنين فمن المتسالم عليه انّه لم يحضر مقتل الرجل في المدينة فضلاً عن دخوله عليه قُبيل ذلك واستيذانه منه للذبّ عنه و بعد مقتله وبكاءه عليه وصفعه ودفعه وسبه

ولعنه وحواره حول الواقعة ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٠ ردًّا على حديث : الظاهر ان هذا ضعيف لأنّ عليّاً لم يكن بالمدينة حين حُصر عثمان ولا شهد قتله .

وقد سأله عثمان أن يخرج إلى ماله بينبع ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة ، و كان ذلك مرّة بعد أُخرى وفي إحداهما قال لابن عبّاس : قل له فليخرج إلى ماله بينبع فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي . فأتى ابن عبّاس عليّاً فأخبره فقال عليه السلام : يا ابن عبّاس ! مايريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب أقبل وأدبر ، بعث إليّ أن أخرج ، ثمّ بعث إليّ أن اقدم ، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن أخرج .

وعليّ عليه السلام هو الذي مرّ حديث رأيه في عثمان فراجع حتّى يأتيك اليقين بأنّه صلوات الله عليه لم يكن كالواله الحزين ، ولم يكن ذاهباً عقله يوم الدار ، ولا يقذفه بهذه الفرية الشائنة إلّا من ذهبت به الخيلاء ، وتخبطه الشيطان من المسّ ، وخبل حبّ آل أُميّة قلبه واختبله ، فلا يبالي بما يقول ، ولا يكترث لما يتقوّل .

وأمّا طلحة فحدّث عنه ولا حرج ، كان أشدّ الناس على عثمان نقمة ، وله أيّام الحصارين و في يومي الدار والتجهيز خطوات واسعة و مواقف هائلة خطرة نائرة على الرجل كما مرّ تفصيل ذلك كلّه ، وإن كنت في ريب من ذلك فاسأل عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لتسمع منه قوله : والله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته ، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه ، فأراد أن يغالط ممّا أجلب فيه ليلبس الأمر و يقع الشكّ . وقوله : لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل . إلى أقواله الأُخرى التي أوقفناك عليها .

وسَل عنه عثمان نفسه وقد مرّت فيه كلماته المعربة عن جليّة الحال ، وسَل عنه مروان لماذا قتله ؟ وما معنى قوله حين قتله لأبان عثمان : قد كفيتك بعض قتلة أبيك؟ وسَل عنه سعداً ومحمّد بن طلحة وغيرهما ممّن مرّ حديثهم .

وأمّا الزبير فإن سألت عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فعلى الخبير سقطت قال عليه السلام له : أتطلب منّي دم عثمان وأنت قتلته ؟ سلّط الله على أشدّنا عليه اليوم ما يكره ، وقال فيه وفي طلحة : انّهم يطلبون حقّاً هُم تركوه ، ودماً هُم سفكوه ، فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه ، وإن كان ولّوه دوني فما الطلبة إلّا قِبَلهم . إلى آخر ما

أسافناه من كلماته عليه السلام .

وقد مرّ قول ابن عبّاس : أمّا طلحة والزبير فانّهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه . و قول عمّار بن ياسر في خطبة له : انّ طلحة والزبير كانا أوّل مَن طعن و آخر من أمر . وقول سعيد بن العاص لمروان : هؤلاء قتلة عثمان معك إنّ هذين الرجلين قتلا عثمان : طلحة والزبير ، وهما يريدان الأمر لأنفسهما ، فلمّا غُلبا عليه قالا : نغسل الدم بالدم والحوبة بالحوبة .

و أمّا سعد بن أبي وقاص فهو القائل كما مرّ حديثه : وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعنا عنه ولكن عثمان غيّر وتغيّر ، وأحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله .

وأعطف على هؤلاء بقيّة الصحابة الذين حسب واضعوا هذه الروايات انّهم بعثوا أبناءهم للدفاع عن عثمان ، وقد أسلفنا اجماعهم عدا ثلاثة رجال منهم على مقته المفضي إلى قتله ، وهل ترى من المعقول أن يمقته الآباء إلى هذا الحدّ الموصوف ثمّ يبعثوا أبنائهم للمجالدة عنه ؟ إنْ هذا إلّا اختلاق .

وهل من المعقول انّ القوم كانوا يمحضون له الولاء ، وحضروا للمناضلة عنه ، فباغتهم الرجلان اللذين أجهزا عليه و فرّا ولم يعلم بهما أحدٌ إلى أن أخبرتهم بهما الفرافصة ولم تعرفهما هي أيضاً ، وكانت إلى جنب القتيل تراهما وتبصرهما ارتكباه منه ؟ .

وهل عرف مختلق الرواية التهافت الشائن بين طرفي ما وضعه من تحرّيه تقليل عدد المناوئين لعثمان المجهزين عليه حتّى كاد أن يخرج الصحابة الآباء منهم والأبناء عن ذلك الجمهور ، وممّا عزاه إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله لمّا انثال إليه القوم ليبايعوه : والله إنّي لأستحي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان . الخ ؟ وهو نصٌّ على أنّ مبايعيه اولئك هم كانوا قتلوا عثمان وهُم هُم المهاجرون والأنصار الصحابة الأوّلون الذين جاء عنهم يوم صفّين لمّا طلب معاوية من الإمام عليه السلام قتلة عثمان وأمر عليه السلام بتبرّزهم فنهض أكثر من عشرة آلاف قائلين : نحن قتلته ، يقدمهم عمّار بن ياسر ، ومالك الأشتر ، و محمّد بن أبي بكر ، وفيهم البدريّون ، فهل الكلمة المعزوّة إلى الإمام عليه السلام لمبايعيه عبارةٌ أُخرى عن الرجلين المجهولين اللذين فرّا ولم يعرف أحدٌ خبرهما ؟ أو هما وأخلاطٌ من

الناس الذين كانت الصحابة تضادّهم في المرمى ؟ وهل في المعقول أن يلهج بهذا إلّا معتوه ؟

وهل نحت هذا الإنسان الوضّاع إن صدق في أحلامه عذراً مقبولاً لأُولئك الصحابة العدول الذابّين عن عثمان بأنفسهم وأبنائهم الناقمين على مَن ناوءه في تأخيرهم دفنه ثلاثاً وقداُلقي في المزبلة حتّى زُجَّ بجثمانه إلى حشّ كوكب ، دير سلع ، مقبرة اليهود ، ورُمي بالحجارة ، وشُيّع بالمهانة ، وكُسر ضلعٌ من أضلاعه ، واودع الجدث بأثيابه من غير غسل ولا كفن ، ولم يشيّعه إلّا أربعة ، ولم يمكنهم الصّلاة عليه ؟ فهل كلُّ هذا مشروعٌ في الإسلام ، والصحابة العدول يرونه ويعتقدون بأنّه خليفة المسلمين ، وانَّ من قتله ظالمٌ ، ولا ينبسون فيه ببنت شفة ، ولا يجرون فيه أحكام الإسلام ؟ أو انّهم ارتكبوا ذلك الحوب الكبير وهم لا يتحوَّبون متعمدين ؟ معاذ الله من أن يقال ذلك . أو أنَّ هذا الإنسان زحزحته بوادره عن مجاري تلكم الأحكام ، وحالت شوارده بينه وبين حرمات الله ، وشَرشَرت منه جلباب الحرمة والكرامة ومزَّقته تمزيقاً ، حتّى وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ؟ .

ومن الكذب الصريح في هذه الروايات عدُّ سعد بن أبي وقاص في الرعيل الأوَّل ممّن بايع عليّاً عليه السلام وهو من المتقاعدين عن بيعته إلى آخر نفس لفظه وهذا هو المعروف منه والمتسالم عليه عند رواة الحديث ورجال التاريخ ، وقد نحتت يد الإفتعال في ذلك له عذراً أشنع من العمل ، راجع مستدرك الحاكم ٣ : ١١٦ .

ومن المضحك جدّاً ما حكاه البلاذري في الأنساب ٥ : ٩٣ عن ابن سيرين من قوله : لقد قُتل عثمان وإنَّ في الدار لسبعمائة منهم الحسن وابن الزبير فلو أذن لهم لأخرجوهم من أقطار المدينة .

وعن الحسن البصري[1] قال : أتت الأنصار عثمان فقالوا : ياأمير المؤمنين ! ننصر الله مرّتين نصرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وننصرك . قال : لا حاجة لي في ذلك ارجعوا . قال الحسن : والله لو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه .

أيّ عذر معقول أو مشروع هذا ؟ يُقتل خليفة المسلمين في عُقر داره بين ظهراني سبعمائة صحابيّ عادل وهم ينظرون إليه ، ومحمّد بن أبي بكر قابضٌ على لحيته عالَ بها

(١) راجع ازالة الخفاء ٢ : ٢٤٢ .

حتّى سُمع وقع أضراسه، وشحطه من البيت إلى باب داره، وعمرو بن الحمق يثب ويجلس على صدره، وعمير بن ضابيء يكسر اضلاعه، وجبينه موجوءٌ بمشقص كنانة بن بشر، ورأسه مضروسٌ بعمود التجيبي، والغافقي يضرب فمه بحديد، ترد عليه طعنةٌ بعد أخرى حتّى أثخنته الجراح وبه حياةٌ فأرادوا قطع رأسه فألقت زوجتاه بنفسهما عليه، كلّ هذه بين يدي اولئك المئآت العدول أنصار الخليفة غير انّهم ينتظرون حتّى اليوم إلى إذن القتيل وإلّا كانوا أخرجوهم من أقطار المدينة، ولو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه. أين هذه الأضحوكة من الإسلام والكتاب والسنّة والعقل والعاطفة والمنطق والإجماع والتاريخ الصحيح؟!.

نظرة في المؤلّفات

إنّ ما سطرناه في عثمان إلى هذا الحدّ أساس ما علّوا عليه بنيان فضله، وتبرير ساحته عن لوث أفعاله و تروكه، وتعذيره في النهابير التي ركبها والدفاع عنه، وقد أوقفناك على الصحيح الثابت ممّا جاء فيه، وعلى المزيّف الباطل ممّا وضع له، ومن جنايات المؤرّخين ضربهم الصفح عن الأوّل، وركونهم إلى الفريق الثاني من الروايات فبنوا ما شادوه على شفا جُرف هارٍ، فلم يأت بغيرها أيّ عثماني في العقيدة، أمويّ في النزعة، ضع يدك على أيّ كتاب لأحدهم في التاريخ والحديث مثل تاريخ الأمم والملوك للطبري، والتمهيد للباقلاني، والكامل لابن الأثير، والرياض النضرة للمحب الطبري، وتاريخ أبي الفدا، وتاريخ ابن خلدون، والبداية والنهاية لابن كثير، والصواعق لابن حجر، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، وروضة المناظر لابن الشحنة الحنفي، وتاريخ أخبا الدول للقرماني، وتاريخ الخميس للديار بكري، ونزهة المجالس للصفوري، ونور الأبصار للشبلنجي، تجده مشحوناً بتلكم الموضوعات المسلسلة، أتوا بها مرسلين إيّاها إرسال المسلّم، وشوّهوا بها صحيفة التاريخ بعد ما سوّدوا صحائفهم، و موّهوا بها على الحقائق الراهنة.

وجاء بعد هؤلاء المحدثون المتسرّعون وهم يحسبون انّهم يمحصون التاريخ والحديث تمحيصاً، ويحلّلون القضايا والحوادث تحليلاً صحيحاً متجرّدين عن الأهواء والنزعات غير متحيّزين إلى فئة، ولا جانحين إلى مذهب، لكنّهم بالرغم من هاتيك الدعوى

وقعوا في ذلك وهم لا يشعرون ، فحملوا إلينا كلّ تلكم الدسائس في صور مُبهرجة رجاء أن تنطلي عند الرجرجة الدهماء ، لكن قلم التنقيب أماط الستار عن تمويههم ، و عرّف الملأ الباحث انّهم إنّما ردّوا ما هنا لك من بوائق و مخازي .

كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

وأثبتوا فضائل بنيت على أساس منهدم ، و ربطوها بعرى متفكّكة ، فهلمّ معي نقرأ صحيفة من « الفتوحات الإسلاميّة » تأليف مفتي مكّة ألسيّد أحمد زيني دحلان ممّا ذكره في الجزء الثاني من سيرة الخلفاء الأربعة ص ٣٥٤ - ٥١٧ قال في ص ٤٩٢ تحت عنوان : ذكر ما كان لسيّدنا عثمان من الإقتصاد في الدنيا وحسن السيرة : كان عثمان رضي الله عنه زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة ، عادلاً في بيت المال [١] لا يأخذ لنفسه منه شيئاً [٢] لأنّه كان غنيّاً ، وغناه كان مشهوراً من حياة النبي ﷺ و بعد وفاته ، و كان كثير الإنفاق في نهاية الجود والسماحة و البذل في القريب والبعيد [٣] وأنزل الله فيه :الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثمّ لا يُتبعون ما أنفقوا منّاً و لا أذى لهم أجرهم عند ربّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون [٤] و قوله تعالى :أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربّه [٥] . و قوله تعالى : رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه [٦] .

و كان يخطب الناس و عليه إزارٌ غليظٌ عدنيٌ ثمنه أربعة دراهم [٧] و كان يطعم الناس طعام الأمارة و يدخل بيته يأكل الخلّ والزيت ، قال الحسن البصري : دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان متّكئاً على ردائه فأتاه سقّاآن يختصمان إليه فقضى بينهما ،

---

(١) فلما ذا نقم عليه الصحابة اجمع ؟ ولما ذا قتلوا ذلك الزاهد الراغب العادل ؟
(٢) راجع الجزء الثامن ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ط٢ .
(٣) الا من كان يمتّ بالبيت الهاشمى ويحمل ولاء العترة كأبى ذروعمار وابن مسعود ونظرائهم
(٤) مر فى الجزء الثامن ص ٥٧ط٢ بطلان هذا التقول على الله .
(٥) اسلفنا فى هذا الجزء فى ترجمة عمّار القول الصحيح فى نزول الاية .
(٦) مرّ فى الجزء الثانى ص٥١ط٢ نزولها فى على وحمزة وعبيدة بن الحرث . واخرج البخارى فى صحيحه فى التفسير ج ٧ : ٩١ نزولها فى انس بن النضر و ذكر ابن حجر نزولها فى جماعة و لم يذكر فيهم عثمان ، راجع فتح البارى ٨ : ٤٢٠ .
(٧) راجع ماورويناه فى الجزء الثامن ص ٢٩١ ط٢ .

وعن عبدالله بن شدّاد قال : رأيت عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة وهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه ثوبٌ قيمته أربعة دراهم . وسئل الحسن البصري ما كان رداء عثمان ؟ قال : كان قطري . قالوا : كم ثمنه ؟ قال : ثمانية دراهم . وكان رضي الله عنه شديد التواضع ، قال الحسن البصري : رأيت عثمان و هو أمير المؤمنين نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه فيجيء الرجل فيجلس إليه ، ثمّ يجيء الرجل فيجلس اليه ، فيجلس هو كأنّه أحدهم وروى خيثمة قال : رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين ، وفي رواية أُخرى لخيثمة ايضاً : رأيت عثمان يقيل في المسجد و يقوم و أثر الحصاة في جنبه فيقول الناس : يا أمير المؤمنين ! وكان يلي وضوءه في الليل بنفسه فقيل له : لو أمرت بعض الخدم لكفوك ، قال : لا ، أللّيل لهم يستريحون فيه ، و كان رضي الله عنه يعتق في كلّ جمعة رقبة منذ أسلم إلّا أن لا يجد ذلك تلك الجمعة فيجمعها في الجمعة الأُخرى . قال العلّامة ابن حجر في الصواعق : إنّ جملة ما أعتقه عثمان رضي الله عنه ألفان واربعمائة . ومن تواضعه : انّه كان يردف غلامه خلفه أيّام خلافته و لا يعيب ذلك . وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلّا هجعة من أوّله . وكان يختم القرآن كلّ ليلة في صلاته . وكان كثيراً ما يختمه في ركعة ، وكان إذا مرّ على المقبرة يبكي حتى تبتلّ لحيته ، وكان من العشرة المبشّرين بالجنّة . ومن اصحاب النبيّ ﷺ توفّي وهو عنهم راضٍ ، وكان من السابقين للإسلام ، فانّه أسلم بعد أبي بكر وعليّ وزيد بن حارثة ، و شهد له النبيّ ﷺ بالجنّة والزهد في الدنيا ، فقد صحّ عنه ﷺ انّه قال : رحمك الله يا عثمان ! ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك [1] و كثرت الفتوحات في زمن خلافته فقد فتح في زمنه أفريقيّة وسواحل الأُردن وسواحل الروم واصطخر وفارس وطبرستان وسجستان وغير ذلك ، و كثرت أموال الصحابة في خلافته حتّى بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمائة ألف ، ونخلة بألف ، وعن الحسن البصري قال : كانت الأرزاق في زمن عثمان وافرة وكان الخير كثيراً ، وأصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى طعاماً يصلح العسكر وأخرج أبو يعلى عن جابر عن النبيّ ﷺ قال : عثمان في الجنّة وقال : لكلّ نبيّ خليلٌ

(١) هل تؤيد هذه الصحيحة المزعومة وما قبلها سيرة الرجل ؟ ما لهم بذلك من علم ان هم إلا يخرصون .

في الجنة وان خليلي عثمان بن عفان . وفي رواية : لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان . وقال ﷺ : ليد خلن بشفاعة عثمان سبعون ألف كلهم استحقوا النار الجنة بغير حساب . و أخرج أبويعلى عن أنس رضي الله عنه : أول من هاجر إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان فقال رسول الله ﷺ : صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر إلي الله تعالى بأهله بعد لوفي ، ولما زوج النبي ﷺ بنته أم كلثوم لعثمان قال لها : إن بعلك لأشبه الناس بجدك ابراهيم و أبيك محمد ﷺ . و قال ﷺ : أشد أمتي حياء عثمان بن عفان . وقال ﷺ : إن الله أوحى إلي أن ازوج كريمتي يعني رقية و أم كلثوم من عثمان . و قال ﷺ : إن عثمان حيي تستحي منه الملائكة ، و قال ﷺ : إنما يشبه عثمان بأبينا إبراهيم . وقال ﷺ : ما زوجت عثمان بأم كلثوم إلا بوحي من السماء . وقال ﷺ لعثمان : ياعثمان ! هذا جبريل يخبرني إن الله زوجك ام كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها ، وأخرج الترمذي عن عبدالرحمن بن خباب قال : شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان : يارسول الله ! علي مائة بعير بأحلاسها و أقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان : يا رسول الله ! علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فنزل رسول الله ﷺ وهو يقول : ما على عثمان ما فعل بعد اليوم . وعن عبدالرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثره في حجره فجعل رسول الله ﷺ يقلبها ويقول : ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم . وفي رواية عن حذيفة : انها عشرة آلاف دينار فجعل رسول الله ﷺ يقلبها ويقول : غفر الله لك يا عثمان ! ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما عمل بعد ها ، و أخرج الواحدي : إن الله أنزل بسبب ذلك في حق عثمان : الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون . وعن أبي سعيد الخدري قال : إرتقبت النبي ﷺ ليلة من أول الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان بن عفان يقول : أللهم عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه ، فما زال رافعاً يديه حتى طلع الفجر . وعن جابر بن عطية قال قال رسول الله ﷺ : غفر الله لك ياعثمان ! ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت وماهو كائن إلى يوم القيامة . الخ .

هذه بلايا تمنّتها يدالغلو في الفضائل، مُنيت بها الأُمّة، و طمست تحت أطباقها حقايق العلم والدين، وانطمست بهاانوار الهداية، وستعرف انّهاروايات مختلفةزيّفتها نظّارة التنقيب ولا يصحّ منها شيءٌ، غير أنّ المفتي دحلان على مطمار قومه أرسلها إرسال المسلّم، وموّهها على أغرار الملأ الدينيّ، و لا يجد عن سردها منتدحاً، ذلك مبلغهم من العلم إن هم إلّا يظنّون، و لا تقف ما ليس لك به علمٌ إنّ السمع و البصر و الفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسؤولا.

✿(الفتنة الكبرى)✿

واقرأ صحيفة من « الفتنةالكبرى » للدكتور طه حسين قال في بدء كتابه. هذا حديثٌ أُريدأنأُ خلّصه للحقّ ما وسعني إخلاصه للحقّ وحده، وأن أتحرّى فيه الصواب ما استطعت إلى تحرّي الصواب سبيلا، وأن أحمل نفسي فيه على الإنصاف لاأحيد عنه ولا امالىء فيه حزباً من أحزاب المسلمين على حزب، ولا أُشايع فيه فريقاً من الذين اختصموا في قضيّة عثمان دون فريق، فلست عثمانيّ الهوى، و لست شيعة لعليّ، و است أفكّر في هذه القضيّة كما كان يفكّر فيها الذين حاصر وا عثمان و احتملوا معه ثقلها وجنوا معه أوبعده نتائجها.

وأنا أعلم أنّ الناس مازالوا ينقسمون في أمر هذه القضيّة إلى الآن كما كانوا ينقسمون فيها أيّام عثمان رحمه‌الله، فمنهم العثمانيّ الذي لايعدل بعثمان أحداًمن أصحاب النبيّ ﷺ بعدالشيخين، ومنهم الشيعيّ الذي لا يعدل بعليّ رحمه‌الله بعدالنبيّ أحداً لا يستثني الشيخين و لا يكا ديرجو لمكانهما وقارا، و منهم من يتردّد بين هذا و ذاك يقتصد في عثمانيّته شيئاً، أويقتصد في تشيّعه لعليّ شيئاً، فيعرف لأصحاب النبيّ مكانتهم ويعرف لأصحاب السابقة منهم سابقتهم، ثمّ لا يفضّل بعد ذلك أحداً منهم على الآخر يرى انّهم جميعاً قد اجتهدوا ونصحوا لله ولرسوله وللمسلمين، فأخطأ منهم من أخطأ وأصاب منهم من أصاب، ولأولئك وهؤلاء أجرهم لأنّهم لم يتعمدوا خطيئة ولم يقصدوا إلى إساءة، و كلّ هؤلاء إنّما يرون آراء هم هذه يستمسكون بها و يذودون عنها و يتفانون في سبيلها، لأنّهم يفكّرون في هذه القضيّة تفكيراً دينيّاً، يصدرون فيه عن الايمان، ويبتغون به ما يبتغي المؤمن من المحافظة على دينه والإستمساك بيقينه وابتغاء

رضوان الله بكلّ ما يعمل في ذلك أو يقول.

وأنا أُريد أن أنظر إلى هذه القضيّة نظرةً خالصةً مجرّدة لا تصدر عن عاطفة ولا هوى، ولا تتأثّر بالإيمان ولا بالدين، وإنّما هي نظرة المؤرّخ الذي يجرّد نفسه تجريداً كاملاً من النزعات والعواطف والأهواء مهما تختلف مظاهرها ومصادرها وغاياتها الخ.

هكذا يحسب الدكتور ويبدي انّه لا يروقه النزول على حكم العاطفة ولا التحيّز إلى فئة أو جنوح إلى مذهب، و قد تجرّد فيما كتب عن كلّ ذلك حتّى عن الإيمان والدين، وزعم انّه قصّر نظرته في قضايا عثمان على البساطة ليتسنّى له الحكم الطبيعي، والقول في تلكم الحوادث على الحقائق المحضة، هكذا يحسب الدكتور، لكنّه سرعان ما انقلب على عقبيه كرًّا على ما فرّ منه، فلم يسعه إلّا الرّكون إلى العواطف ومتابعة النزعات، فلم يرتد إلّا تلكم السفاسف التي اختلقتها سماسرة العثمانيّين، و لم يسرح في مسيره إلّا مقيّداً بسلاسل أساطير الأوّلين التي سردها الطبري ومن شايعه أو سبقه بتلك الأسانيد الواهية والمتون المزيّفة التي أوقفناك عليها في هذا الجزء و فيما سبقه من الأجزاء، فلم نجد مائزاً بين هذا الكتاب و بين غيره من الكتب التي حسب الدكتور انّ مؤلّفيها حدت بهم الميول والنزعات، فما هو إلّا فتنةٌ كبرى كما سمّاه هو بذلك.

ترى الدكتور يحايد حذراً من أن يحيد عن مهيع الحقّ ويجور في الحكم، و زعم الحياد أسلم في اليوم الحاضر كما كان في الأمس الدابر، فذهب مذهب سعد بن أبي وقاص الحايد في القضيّة واتّبع أثره، قال في ديباجة كتابه : عاش قومٌ من أصحاب النبيّ حين حدثت هذه القضيّة و حين اختصم المسلمون حولها أعنف خصومة عرفها تاريخهم فلم يشاركوا فيها و لم يحتملوا من أعبائها قليلاً و لا كثيراً، و إنّما اعتزلوا المختصمين وفرّوا بدينهم إلى الله، وقال قائلهم سعد بن أبي وقاص رحمه الله : لا أُقاتل حتى تأتوني بسيف يعقل ويبصر وينطق فيقول : أصاب هذا وأخطأ ذاك.

فأنا أُريد أن أذهب مذهب سعد وأصحابه رحمهم الله، لا أُجادل عن أُولئك ولا عن هؤلاء، وإنّما أُحاول أن أتبيّن لنفسي واُبيّن للناس الظروف التي دفعت أُولئك وهؤلاء إلى الفتنة، وما استتبعت من الخصومة العنيفة التي فرّقتهم و ما زالت تفرّقهم إلى الآن، وستظلّ تفرّقهم في أكبر الظنّ إلى آخر الدهر، وسيرى الذين يقرأون

هذا الحديث ان الأمر كان أجل من عثمان وعلي وممن شايعهما و قام من دونهما ، وأن غير عثمان لو ولي خلافة المسلمين في تلك الظروف التي وليها لتعرض لمثل ما تعرض له من ضروب المحن والفتن ، ومن اختصام الناس حوله واقتتالهم بعد ذلك فيه . اه .

ها هنا نجد الدكتور جارياً على ما عهد إلى نفسه تجرد عن العواطف ، و جانب المبادئ الدينية ، وحايد الدين الحنيف حقاً ، ونظر إلى القضية بالحرية المحضة ، وحسبها فتنة يحق للعاقل أن يكون فيها كابن لبون لاظهر له فيركب ولاضرع فيحلب ، و نعم الرأي هذا لولا الإسلام المقدس ، لولا ماجاء به نبي العظمة ، لولا ما نطق به كتاب الله العزيز ، لولا ماتقتضيه فروض الإنسانية والعواطف البشرية القاضية بخلاف ماذهب إليه الدكتور ، و إنني لست أقضي العجب منه ، و لست أدري كيف يقدس مذهب ابن أبي وقاص ، أيسوغ للباحث المسلم أن يصفح في تلكم القضايا عن حكم الدين المقدس ، ويشذ عما قرره نبي الإسلام ، ويسحق العواطف كلها حتى مايستدعيه الطبع الإنساني والغريزة العادلة في كسح الفساد والتفاني دون صالح المجتمع العام؟ ألم يكن هنالك كتاب ناطق أو سنة محكمة أو شريعة حاكمة أو عقل سليم يبعث الملأ الديني إلى الدفاع عن كل مسلم مدت إليه يد الظلم والجور فضلاً عن خليفة الوقت الواجب طاعته ؟

ما الذي أحوج المتمسك بعرى الدين الحنيف إلى سيف يعقل ويبصر و ينطق والله يقول : فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ؟ أو لم يكفهم إنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ و ما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه .

ما الذي أذهل الدكتور عن قول الصحابي العظيم حذيفة اليماني : لاتضرك الفتنة ماعرفت دينك إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل ؟ و كيف يشتبه الحكم في القضية على المسلم النابه وهي لاتخلو عن وجهين ، فإن عثمان إن كان إماماً عادلاً قائماً بالقسط عاملاً بالكتاب والسنة مرضياً عند الله ؟ فالخروج عليه معلوم الحكم عند جميع فرق المسلمين لايختلف فيه اثنان ، ولا تشذ فئة عن فئة ، وإن لم يكن كذلك وكان كما حسبه أولئك العدول من أصحاب محمد ﷺ ، ومرت آراؤهم ومعتقداتهم فيه ؟

فالحكم أيضاً بيِّنٌ مبرهنٌ بالكتاب العزيز كما استدلّ بذلك الثائرون عليه لمّا قال لهم : لاتقتلوني فانّه لايحلّ إلّا قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصانه . أو كفر بعد إسلامه، أوقتل نفساً بغير نفس فيقتل بها . فقالوا : إنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت : قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ، ثمّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيت ، ومنعت الحقّ ، وحُلت دونه وكابرت عليه . الحديث « راجع ص٢٠٥ »

فنحن لا نعرف وجهاً للحياد كما ذهب اليه ابن أبي وقاص في القضيّة وفي المواقف الهائلة بعدها ، فالحياد ـ وإن راق الدكتور ـ تقاعدٌ عن حكم الله ، وتقاعسٌ عن الواجب الدينيّ ، وخروج عمّا قرّرته الحنيفيّة البيضاء ، نعم : الحياد حيلة اُولئك المتشاغبين المتقاعدين عن بيعة إمام المتقين أمير المؤمنين ، المتقاعسين عن نصرته ، المتحايدين عن حكم الكتاب والسنّة في حروبه ومغازيه ، عذرٌ تترّس به سعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمر وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري ومحمّد بن مسلمة السابقون الأوّلون من رجال الحياد الزائف ، والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .

كتاب عثمان بن عفان

وأعطف على كتاب عثمان بن عفان للمدرّس في كلّية اللغة العربيّة بمصر الاستاذ صادق إبراهيم عرجون نظرةً ممعنةً حيث يقول في فاتحته : فهذا طرازٌ من البحث في سيرة ثالث الراشدين « عثمان » رضي الله عنه ، صوّرت به حياته صورة لا أعيذها من اجمال غير مجحف بحقّ ، ولا أعضها عن تفصيل يظهر حجّة أو يدفع شبهة .

وقد احتفلت فيه بتحقيق ما احتفّ بهذه السيرة الأسيفة من عوامل اجتماعيّة و سياسيّة ، دفعت المجتمع الإسلامي دفعاً عاصفاً إلى أخطر انقلاب عرفه التاريخ في الاسلام

وسيرة عثمان رضي الله عنه حريّةٌ بالبحث الممحص الهادئ ، ليكشف منها ما سترته الأقاصيص العابثة من فضائل ، وما شوّهته الروايات الغالطة من محاسن ، ويصحح ما غالطت بينها من حقائق ، ويزيّف ما بهرجه المتقوّلون من أكاذيب مزوّرة وحكايات باطلة .

وقد حاولتُ جهدي أن أتتبّع الخطوط الأصيلة في حياة عثمان رضي الله عنه ، فلائمت بينها حتّى ارتسمت منها هذه الصورة التي أرجو أن تكون لبنة بين لبنات متساندة في دراسة حياة رجالات الإسلام ، وسير أبطاله الغرّ الميامين ، تبصرة وذكرى للمؤمنين . والله وليّ التوفيق . اه .

ثمّ ألق نظرة أخرى على مواضيع كتابه تجدها غير منطبقة على ما يقول في شيء منها ، وإنّما هي نعرات طائفيّة ممقوتة ، وفضائل مفتعلة دسّتها يد الغلو فيها ، وسفاسف موضوعة حبّذت الشهوات إختلاقها ، كلّل أساطير السلف بزخرف القول ، وزخرف أباطيل الأوّلين بالبيان المزوّر ، لم نجد له فحصاً عن حال الأسانيد ، وتهافت المتون ، وفقه الحديث ، وطرق مواضيع مهمّة من فقه عثمان وأغاليطه وأحداثه وهو يروقه التفصّي عنها فلم يتفصّ إلّا بالتافهات لا سيّما في المسائل الفقهيّة التي هو بمجنب عنها ، فنحت لها اعذاراً باردة ، أو انّها أعظم من تلكم المآثم ، فلنمرّ عليها كراماً .

وما ظنّك بكتاب يكون من مصادره كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين ذلك المتحذلق المختلق ، وكتاب الخضري ذلك الأمويّ المباهت ، ومحاضرات كرد علي العثماني الشاميّ المناوئ لأهل بيت الوحي ، وأمثال هذه من كتب السلف والخلف ممّا لا يعرّج عليه ؟ وفيه الخلط والخبط ، وضوضاء الدجّالين ، ولغط المستأجرين .

ومن أعجب ما رأيت قوله ص ٤١ من الكتاب تحت عنوان « الكذب على رسول الله » : وفي هذه المرحلة من تاريخ الإسلام بدئت أكاذيب الفرق والأحزاب فيما يكيد به بعضها لبعض ، حتّى أخذت تلك الأكاذيب صورة الحجاج بأحاديث يتقوّلها زعماء الفرق ورؤساء الأحزاب على سيّدنا رسول الله ﷺ ، وقد كثر من هذه الأكاذيب ما زعموه كان في حقّ الأئمّة و الخلفاء ، وقالت كلّ شيعة فيمن شايعته وفي منافسيه عندها ما شاء لها الهوى ، وتجاذب هذا النوع طرفي الإفراط والتفريط مدحاً وذمّاً ، و اختلاقاً وتقوّلا ، حتّى غشّى سير هؤلاء الأجلاء بغشاء من الغموض حجب الحقايق عن كثير من الناظرين .

وليس بأقلّ خطراً من ذلك ما افترقوه في جنب القرآن الكريم من تأويلات محرّفة لآيات الله تعالى عن مواضعها ، و من هنا وهناك تألّفت سلسلة الموضوعات

والخرافات و الأساطير التي ابتلي بها المسلمون ، وانتشرت بينهم التلبيسات الملتوية والشبه الغامضة ، فشوهت جمال الشريعة المطهرة ، وحشي بها كثير من كتب المؤلفين المتقدمين والمتأخرين ، حتى أصبحت وبالاً على الدين ، وشراً على المسلمين ، وحائلاً دون نهضتهم وتقدمهم ، وسلاحاً في أيدي خصوم الإسلام ، وعائقاً عن الوصول إلى كثير من الحقايق التاريخية والعلمية والدينية ، ولولا توفيق الله تعالى رحمة بهذه الامة ، ورعاية لهذا الدين الكريم ، لطائفة من أئمة المسلمين المصطفين الأخيار ، إنتهضوا لنقد الأسانيد وتنقيح الروايات ، وبهرجة الزائف منها ، وحظر الرواية عن كل صاحب بدعة في الإسلام ، لما بقيت للإسلام صورته النيرة التي جاء بها القرآن الحكيم ، وأداها رسول الله ﷺ إلى أصحابه نقية صافية . اه .

هذه نفثات الاستاذ الصادق ، وهذه حسراته وزفراته المتصاعدة وراء ضياع التاريخ الإسلامي ، ووراء طمس الحقايق تحت أطباق الظلمات ، ووراء تشويه الأساطير والمخاريق والأباطيل جمال الشريعة المطهرة ، ولعمر الحق لقد أحسن وأجاد ، والرايد لايكذب ، غير أن المسكين هو من اسراء تلكم السلاسل المتسلسة من الموضوعات والخرافات التي ابتلي بها المسلمون ، وعاقته الأغشية المدلهمة عن الوصول إلى الحقايق التاريخية والعلمية والدينية ، وثبطته التلبيسات الملتوية عن نيل الصحيح الناصع من التاريخ و الحديث ، فما أصاب من الحق نيلاً ، وما أسعفته فكرته هذه على الطامات ولا قدر شعرة ، وما أوضحت له سبل النجاح ، وما هدته إلى المهيع اللايح ، فليته ثم ليته كان يأخذ بأقوال اولئك الأئمة المصطفين الأخيار في نقد الأسانيد في الجرح والتعديل ، وكان يعمل بها ويتخذها دستوراً لنفسه ، مقياساً فيما سطره من الأكاذيب والأفائك ، وليته كان يرحم هذه الأمة ، و يرعى هذا الدين الكريم مثلما هم رحموا ورعوا ، وما زرف في تأليفه ، وما أعاد لأساطير الأولين الخلقة جدتها بعد ألف وثلثمائة عاماً من عمرها .

وهل هو بعدما وقف على هذا الجزء ووجد كتابه مؤلفاً من سلسلة بلايا وحلقة أباطيل زيفها اولئك الأئمة الذين هو اصطفاهم واختارهم وأثنى عليهم يقرع سن الندم ويتبع سنن الحق اللاحب ؟ أو انه يلج فيما سود به صحائف كتابه أو صحيفة تاريخه ويتمادى في غيه وليه ؟ وما التوفيق إلا بالله .

كتاب انصاف عثمان

تأليف الاستاذ محمد احمد جاد المولى بك .

هذا الكتاب أخدع من السراب ، صفرٌ من شواهد الإنصاف ، شرجه الاستاذ من سلسلة أخبار مدسوسة وروايات مختلقة ، وإن درس هو بزعمه تاريخ عثمان دراسة الحذر منها فقال في ديباجته ص٤ : درسنا تاريخ عثمان وعصره والثورة عليه دراسة الحذر من الأخبار المدسوسة ، اليقظ لمواطن العبرة ، المرجع كلّ حدث إلى بواعثه الأصليّة وإن رانت عليها الشبهات .

ولم نكتفِ بما قال المؤرّخون ، بل مددنا بصرنا إلى أبعدِ من ذلك ، فحللنا شخصيّته ، وبيّنا مالها من صلة بالثورة عليه ، ودرسنا حال المسلمين وقد نعموا بالراحه والثراء وانساحوا في الأصقاع يخالطون الأعاجم ويصهرون إليهم ويتخلّقون بعاداتهم ، وحال قريش وما أنتابها من تفرّق وتنازع على الرياسة ، وبيّنا صلة ذلك بالتجنّي على الخليفة ، وجلونا الفتنة التي أرثها في الأمصار أعداء عثمان وأعداء الإسلام ، ونخلنا ذلك كلّه وصفّيناه ، واستخلصنا منه الأسباب الصريحة للفتنة .

ولم نغفل أن نعرض لما أُخذ على عثمان ، ولا أن ننتصف له حيث يستحقّ الإنصاف .

ومن حقّ عثمان أن تُخصّص لدراسته ودراسة عصره عشرات الكتب ، فإنّه الخليفة المهضوم الحقّ ، المظلوم في الحكم عليه ، على ماله من سابقة وفضل وإصلاحات ، وعصره عصر انتقال واضطراب وثورات سياسيّة وإجتماعيّة .

ونحن وإن بالغنا في الإحاطة وتوفّي الزلل عرضة للتقصير ، ولكنّا اجتهدنا رأينا ، فنرجوا أن نكون قد وُفّقنا لإبراز صورةٍ واضحةٍ لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين ففيها عِظاتٌ وعِبر . والله المستعان . اه .

هذه لُفاظته ، وهذا حسن طويّته وحرصه على النجاح ، غير انّك تجده في جمعه و تأليفه كحاطب ليل رَزَم في حزمته كلَّ رطب ويابس ، وجاء يخبط خبط عشواء من دون أيّ فحص وتنقيب ، لا يفقه ولا ينقّه ، لا يستصحب دراية في الحديث توقفه على الصحيح الثابت ، وتعرّفه الزائف البهرج ، ولا بصيرةً تميّز له الحوّ من اللوّ ، ولا علماً

ناجعاً يجعجعه ويهديه إلى الفوز والنجاح ، ولا فقهاً ينجيه من غمرات تلكم المعارك الويلة ، ولا تثبّتاً يُرشده إلى ما يُنقذه من تلكم التلبيسات الملتوية ، جوّل في مضمار تلكم الطامات التي جاء بها الطبري وغيره وحسبها اصولاً مُسلّمة ، وأسند في آرائه إلى فضائل مفتعلة نتاج أيدي الأمويين نسباً ونزعة ، ومن المأسوف عليه جدًّا انّه أكدى وإن اجتهد رأيه ، ولم يظفر بأمله وإن بالغ في الإحاطة بزعمه ، وأبرز لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين صورة معقّدة معضلة تخلو عن كلّ عظة وعبرة .

بسط القول في عبد الله بن سبأ وعَزا إليه كلّ تلكم المعامع الثورات ، وحسبه مادّة الفكرة الناقمة على الخليفة وأساسها الوحيد في البلاد ، ورأى معظم الصحابة أتباع نعرات ذلك المبتدع الغاشم ، وطوع تلبيس ذلك اليهوديّ المهتوك ، قال في ص ٤٢ : عند ذلك يجد ابن سبأ منفذاً إلى هذا الشيخ الزاهد (يعني أباذر) في عرض الدنيا فينشر آراءه في مجلسه ويغريه بالحكومة ويحرّضه على الأغنياء ، وصار يقول له : يا أباذر ؛ ألا تعجب لمعاوية يقول : المال مال الله ، ألا كلّ شيء لله ؟ كأنّه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو إسم المسلمين . ظلّ أبوذر يدعو إلى الإشتراكيّة المتطرّفة بإرغام الأغنياء أن يساعدوا الفقراء ويتركوا أموالهم لهم ، واتّخذ برّ الإسلام بالفقراء سبيلاً إلى ذهاب المال من أربابه ، وما قصد الإسلام هذا بل كما قال الله تعالى : والّذين في أموالهم حقٌ معلوم للسائل والمحروم زيادة على الزكاة الشرعيّة . الخ .

وقال في ص ٦١ : أمّا عمّار فقد توجّه إلى مصر وكان حاكمها مبغضاً من المصريّين لا يجدون حرجاً في رميه بكلّ نقيصة ، واستطاع أتباع ابن سبأ بحذقهم ومهارتهم في ذلك المكفهر أن يخدعوه بزخرف القول وزوره ، وكان مع هذا في نفس عمّار شيء من عثمان لأنّه نفذ فيه حكم الله لمّا تقاذف هو والعبّاس بن عتبة بن أبي لهب ، ولهذا لم يعد إلى الخليفة ، ولم يطلعه على شيء ممّا رأى ، ومال إلى اتباع ابن سبأ . اه .

هذه صفحةٌ من تلك الصورة الواضحة التي وُفّق الاستاذ لابرازها ، هذه هي الغاية المتوخّاة التي بزعمه فيها عظات وعبر ، هل يدري القارئ عن أيّ أبي ذر وعمّار يحدّث هذا الثرثار المجازف ؟ حتى لا يبالي بما يقول ولا يكترث لما أسرف فيهما من القول ، ولست أدري لماذا اقتحم الرجل في هذه الأبحاث الغامضة الخطرة التي يتيه

فيها الناقد البصير ؟ لماذا اقتحم فيها مع ضؤولة رأيه وجهله بأحوال الرجال ومقادير أفذاذ الأُمّة ، وعدم عرفانه نفسيّات خيرة البشر وصلحاء الصحابة ومبلغهم من الدين ؟ لماذا اقتحم فيها مع بُعده عن دراية الحديث ، وعلم الدين ، وفقه التاريخ ؟

تراه تشزّر وتعبّأ للدفاع عمّن أشغفه حبّه بكلٍّ ما تيسّر له ولو بالوقيعة في عدول الصحابة أو في الصحابة العدول ، و قد بيّنا في الجزء الثامن ص ٣٤٩ ط٢ حديث الرجل في أبي ذر وانّه موضوعٌ عنعنه أُناس لا يعوّل عليهم عند مهرة الفنّ ، و فصّلنا القول في هذا الجزء في حديث عمّار وانّه قطّ لم يتوجّه إلى مصر ، وانّ ماركن إليه الأُستاذ لايصحّ اسناده ، ونحاشي عمّاراً عن أن يحمل ضغينة على أحد لا لإنفاذه حكم الله فيه ، و هل الاستاذ طبّق المفصل في رأيه هذا و بين يديه الذكر الحكيم و الآية النازلة في عمّار ؟ وفي صفحات الكتب قول رسول الله ﷺ : ملىء عمّار ايماناً إلى أخمص قدميه . وقوله : إنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه ، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار . و قوله : ماخُيِّر عمّار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما . إلى أحاديث أُخرى مرّت في هذا الجزء ص ٢٠ ـ ٢٨ تضادّ تلكم الخزعبلات .

وللاستاذ في تبرير الخليفة كلماتٌ ضخمة موجزةٌ في طيّها دسائس مطمورة ، وتمويهٌ على الحقائق التاريخيّة ، يتلقّاها الدهماء بالقبول ولا يرى عن الصفح عنها مندوحة قال في ص ٣٥ : من المسلّم به أنّ الوليد هذا عيّن سنة ٢٥ هجريّة و هي السنة الأُولى من حكم عثمان ، وقد أجمع الناقدون و المؤرّخون على أنّه لم يقع منه خلال ستّ السنوات الأُولى مايسوّغ توجيه النقد إليه ، إذ كانوا يرون رائده تحرّي المصلحة العامة ، وإسناد المناصب إلى الجديرين بها لافرق بين قريب وبعيد . اه .

دعوى الإجماع والاتّفاق والإصفاق المكذوبة سيرةٌ مطّردة عند القوم جيلاً بعد جيل سلفاً وخلفاً ، وكتب الفقه والكلام والحديث والتاريخ مشحونةٌ بهذه السيرة الممقوتة ومن أمعن النظر في كتاب المحلّى لابن حزم ، وكتابه الفصل في الملل والنحل ، ومنهاج السنّة لابن تيميّة ، والبداية والنهاية لابن كثير ، يجد مئاةً من الإجماعات المدّعاة المشمرجة ، والاستاذ اقتفى إثر اولئك الأُمناء على ودائع العلم والدين وحذا حذوهم ، كأنّه لم يكُ يحسب أن يأتي عليه يوم يناقشه قلم التنقيب الحساب ، أو انّه غير مكترث

لأيّ تبعة ومغبّة .

أنّى من المتسالم عليه تولية الوليد سنة ٢٥ وإن هو إلّا قول سيف بن عمر كما نصّ عليه الطبري في تاريخه ٧ : ٤٧ وزيّفه ، وعزاه ابن الأثير في الكامل إلى البعض ، وقدعرّفناك سيفاً في الجزء الثامن ص٨٤ط٢ و انّه : ضعيفٌ متروكٌ ساقطٌ ، وضّاعٌ ، اتّهم بالزندقة . فالمعتمد عند المؤرّخين انّ تولية الوليد كانت سنة ٢٦ .

ثمّ أنّى يصحّ كون السنة الـ ٢٥ هي السنة الأولى من حكم عثمان ، وإنّما توفّي عمر في أواخر ذي الحجّة سنة ٢٣ وبويع عثمان بعد ثلاثة أيّام من موت عمر ، فالسنة الأولى من حكم عثمان هي ٢٤.

وأين وأنّى يسع لناقد أو مؤرّخ فضلاً عن إجماع الناقدين و المؤرّخين أن يحسب صفو الجوّ من بوائق عثمان وبوادره ونوادره خلال ستّ السنوات الأولى ، وهذه صفحات تاريخه في تلكم السنين مسودّةٌ بهنات وهنات ، بل التاريخ سجّل له من أوّل يوم تسنّم عرش الخلافة ، وقام نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، صرعةً وعثرةً لا تُستقال ، منها :

١- أبطل القصاص لمّا استخلف ولم يقد عبيد الله بن عمرو قد أتى عظيماً وقتل الهرمزان والجفينة وابنة أبي لؤلؤة ، وأجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشجعون عثمان على قتل ابن عمر أخذاً بالكتاب والسنّة ، غير أنّ عمرو بن العاص فلته عن رأيه ، فذهب دم اولئك الأبرياء هدراً . وكانت أوّل قارورة كُسرت في الإسلام بيد عثمان يوم ولي الأمر .

٢- لمّا استخلف صعد المنبر وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله ﷺ ولم يجلس أبو بكر وعمر فيه ، جلس أبو بكر دونه بمرقاة ، وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة ، فتكلّم الناس في ذلك فقال بعضهم : اليوم ولد الشرّ[1] .

٣- ردّ الحكم بن أبي العاص طريد النبيّ الأقدس ولعينه إلى المدينة لمّا ولي الخلافة ، وبقي فيها حتّى لعق لسانه ، و هذا الايواء ممّا نُقم به على عثمان كما مرّ حديثه في ج ٨ : ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ط٢ .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤٠ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٤٨ .

٤- ولّى الوليد بن عقبة سنة ٢٦ ، ٢٥ وعزل سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشّرة ، وكان هذا في طليعة ما نقموا على عثمان[١] ثمّ وقع ما وقع من الوليد من شرب الخمر وتقاعد الخليفة عن حدّه . راجع الجزء الثامن ص ١٢٠-١٢٥ ط٢ .

٥- هبته الوليد ما استقرض عبد الله بن مسعود من مال المسلمين لمّا قدم الوليد الكوفة وكان ابن مسعود على بيت المال ، حتّى نقم الخليفة على ابن مسعود وعزله و حبس عطاءه أربع سنين إلى أن مات سنة ٣٢ وجرى بينه وبين الخليفة ما مرّ حديثه في هذا الجزء ، وهذا ممّا أخذت الأُمّة خليفتهم به .

٦- زاد الأذان الثالث في اوليات خلافته كما في تاريخ ابن كثير ، وقد فصّلنا القول في اُحدوثته هذه في الجزء الثامن ص ١٢٥-١٢٩ ط٢ .

٧- وسّع المسجد الحرام سنة ٢٦ وابتاع من قوم منازلهم ، وأبوا آخرون فهدم عليهم ودفع الأثمان في بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم للحبس وقال : ما جرّأكم عليّ إلّا حلمي . راجع الجزء الثامن ص١٢٩ ط٢ .

٨ - أعطى خُمس الغنائم في غزوة أفريقيّة الثانية مروان بن الحكم وهو من عمدة مآثم الخليفة ، وكان ذلك سنة ٢٧ من الهجرة الشريفة . راجع ج ٨ ص ٢٧٥ - ٢٦٠ط٢ .

٩- حجّ سنة ٢٩ وأتمّ الصّلاة في مكان القصر في عامه هذا كما في تاريخ ابن كثير ٧ : ١٥٤ ، وهذه الأُحدوثة مرّت على تفصيلها في ج ٨ ص ٩٨-١١٩ .

١٠- أعطى خُمس أفريقيّة عبد الله بن سعد أبي سرح في غزوتها الاولى . راجع الجزء الثامن ص ٢٧٩ط٢ .

إلى بوادر وعثرات اُخرى صدرت من الخليفة خلال ستّ السنوات الأُولى كلّ منها يسوّغ توجيه النقد إليه ، وكان من أوّل يومه مهما قرع سمعه نقدُ ناقد أو نصحُ ناصح لا يصيخ إليه ، بل كان يؤاخذ من أغمز فيه ، ويسومه سوء العذاب ، وكان يُلقي العرى إلى بني اُميّة في البلاد ، ويفوّض إليهم مقاليد الأُمور ، ويحسبه العلاج الوحيد في حلّ تلكم المشاكل ، وتقصير خُطي اولئك الناقدين الآمرين بالمعروف والناهين

(١) دول الاسلام ١ : ٩ ، البداية والنهاية ٧ : ١٥١ .

عن المنكر ، حتى تمخضت عليه البلاد ووعرت القلوب ، واتسع الخرق على الراقع .

وفي ظني الغالب أن تقدم ثقافة مصر اليوم هو الذي بعث اساتذتها إلى الإكثار في التأليف حول عثمان وتدعيم فضائله وفواضله ، وشططوا في إطرائه وبالغوا في الذب عنه بتلفيق الكلام وتزويره ، وتسطير الحد د من القول ، وسرد المبوّق البهرج ، وذلك روماً لتقديس ساحتهم عما اقترفته أيدي سلفهم الثائر المتجمهر على الخليفة ، إذ حسبوه وصمة شوّهت سمة الخلف منهم والسلف ، وسوّدت صحيفة تاريخ مصر والمصريين ، فهل يتأتى أمل الخلف بهذه الكتيبات المزخرفة ؟ لعله يتأتى مثلما رام السلف تحقق توبتهم بالحوبة ، لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون .

نظرة في كتب اخرى

وقس على هذه الكتب كتاب تاريخ الخلفاء تأليف الاستاذ عبد الوهاب النجار المشحونة صفحاته بمرمّعات الرواية وسقطات التاريخ . وكتاب عثمان للاستاذ عمر أبي نصر ، ليس فيه إلا أنه أعاد لما سبق إليه الشيخ محمد الخضري من نفسياته الأموية جدتها ، فما ينقمه الباحث من مواضيع جار فيما بهرجه اللاحق في كتابه .

وكتاب تاريخ الخلفاء الراشدين للاستاذ السيد علي فكري وهو الجزء الثالث من كتابه « أحسن القصص » وهذا أهدأ ما ألف في الموضوع ، ينم عن سلامة نفس المؤلف ونزاهة قلمه ، وهو وإن ألفه من تلكم السلاسل الوبيلة من الموضوعات ، غير أنه لا يتطرق إلى الأبحاث الخطرة ، ولا يقتحم المعارك المدلهمة ، مما نقم به على الخليفة من الطامات والأحداث ، وما قيل في براءته عن لوثها ، وكأنه ترجم لخليفة خضعت الرقاب لعظمته ، وتسالمت الأمة عليه من جميع نواحيه ، ولم يطرق سمعه ما هنالك من حوار وأخذ ورد ، ونقد ودفاع ، وكأن ما سطره في فضل الخليفة ، وكرم طباعه ، وسلامة نفسه ، اصول موضوعة لا يتوجه إليها غمز ولا انتقاد ، وستعرف حالها وعللها من الاعتبار ، فلا تعجل بالقران من قبل أن يقضى إليك وحيه .

ذكر السيد الاستاذ ما جاء في مناقب عثمان من الحديث المختلق من دون أي بحث وتنقيب ، من دون أي نقض وإبرام ، إلى أن تخلص من البحث عنه بقوله في ص١٦٣ :

بعدأن فتح المسلمون تلك الأقاليم واطمأنّوا وكثرت عندهم الخيرات والأموال ، أخذوا ينقمون على الخليفة حيث رأى من الصالح للأمّة عزل بعض الولاة فعزلهم ، وولّى مَن فيه الكفاية من أقاربه و ذوي رحمه ، فظنّ النّاس به ظنوناً هو بريءٌ منها ، وفشت الفتنة واستفحل أمرها ، حتى حضرت وفودٌ من الكوفة والبصرة ومصر في وقت واحد طالبين تولية غير عثمان ، أو عزل من ولّاهم على الأمصار .

وأخيراً استقرّ الحال على إجابتهم لما طلبوا من عزل بعض العمّال ، و على ذلك اختار أهل مصر أن يولّى عليهم محمّد بن أبي بكر الصدّيق ، فكتب عثمان لهم بذلك عهداً ورحلوا من المدينة مع واليهم الجديد ، وبينما هم ذاهبون رأوا عبداً من عبيد الخليفة على راحلة من إبله يستحثّها فأوقفوه وفتّشوه ، فوجدوا معه كتاباً مختوماً بختم الخليفة لعبد الله بن أبي سرح مضمونه :

إذا قدم عليك ابن أبي بكر ومن معه فاحتلْ في قتلهم .

فأخذوا الكتاب ورجعوا إلى المدينة ، وأطلعوا الخليفة عليه فأقسم لهم انّه ما فعل ولا أمر ولا علم فقالوا : هذا أشدّ، يؤخذ خاتمك ، وبعيرٌ من إبلك ، وعبدٌ من عبيدك وأنت لا تعلم ، ما أنت إلّا مغلوبٌ على أمرك فطلبوا منه الاعتزال ، أو تسليم الكاتب فأبى ، فأجمعوا على محاصرته ، فحاصروه في داره ومنعوا عنه الزاد والماء أيّاماً عديدة ، وهاجت الثوّار ، وكثر القيل والقال ، فطلب منه بعض الصحابة الإذن بالمدافعة عنه فلم يقبل ، ولم يأذن لأحد حتّى انّه قال لعبيده الذين هبوا للدفاع عنه : مَن أغمد منكم سيفه فهو حرٌّ . إستسلاماً للقضاء ، فتسلّق بعض الأشرار الدار ، ودخلوا عليه وقتلوه ، والمصحف بين يديه يتلوه فيه سورة البقرة فنزلت قطرة من دمه على : فسيكفيكهم الله وكان يومئذٍ صائماً . اه .

ولعلّ الاستاذ بعد الوقوف على هذا الجزء من كتابنا ينتبه لمواقع النظر في تأليفه فيميّز الحيّ من اللّيّ ، ويعرف الصحيح من المعلول ، ويتّبع الحقّ والحقُّ أحقّ أن يتّبع .

وفي مقدّم هؤلاء الأساتذة استاذ تاريخ الأمم الإسلاميّة بالجامعة المصريّة ووكيل مدرسة القضاء الشرعيّ الشيخ محمّد الخضري صاحب المحاضرات ، وقد قدّمنا في

الجزء الثالث ص ٢٤٩ ـ ٢٦٥ ط٢ شيئاً ممّا يرجع إليه وإلى كتابه ، وعرّفناك موقفه من الدجل والجناية على التاريخ الصحيح ، وبُعده عن أدب الدين ، عن أدب العلم ، عن أدب الإنسانيّة ، وانّ كتابه علبة السفاسف ، وعيبة السقطات ، وصحائفه مشحونةٌ بالأكاذيب والأفائك والنسب المفتعلة ، و الآراء الساقطة ، فإن كان الإسلام هذا تاريخه فعلى الإسلام السّلام .

عهد النبيّ الاقدس

صلى الله عليه وآله وسلم إلى عثمان

١ـ أخرج إمام الحنابلة أحمد في المسند ٦ : ٨٦ ، ١٤٩ قال : حدّثنا أبو المغيرة « الحمصي » حدّثنا الوليد بن سليمان « الدمشقي » حدّثني ربيعة بن يزيد « الدمشقي » عن عبد الله بن عامر « الدمشقي » عن النعمان بن بشير « قاضي دمشق » عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا رأينا إقبال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عثمان ؛ أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلمته أن ضرب منكبه وقال : ياعثمان ! إنّ الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتّى تلقاني . ثلاثاً . فقلت لها : يا اُمّ المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنكِ ؟ قالت : نسيته والله ، ما ذكرته . قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضَ بالذي أخبرته حتّى كتب إلى اُمّ المؤمنين : أن اكتبي إليّ به ، فكتبت إليه به كتاباً ،

رجال الإسناد كلّهم شاميّون عثمانيّون وفي مقدّمهم النعمان بن بشير الخارج على إمام زمانه ومحاربه تحت راية الفئة الباغية ، وجاء فيه عن قيس بن سعد الأنصاري الصحابيّ العظيم : انّه ضالٌ مضلٌ . ومتن الرواية كما يأتي بيانه يكذّب نفسها .

٢ـ أخرج أحمد في المسند ٦ : ١١٤ من طريق محمّد بن كناسة الأسدي أبي يحيى عن إسحاق بن سعيد الأموي حفيد العاص عن أبيه سعيد ابن عمّ عثمان الذي كان بدمشق قال : بلغني انّ عائشة قالت : ما أسمعتُ رسول الله إلّا مرّة فإنّ عثمان جاءه في نحر الظهيرة فظننت انّه جاءه في أمر النساء ، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعته يقول : إنّ الله ملبسك قميصاً تريدك اُمّتي على خلعه فلا تخلعه . فلمّا رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلّا خلعه علمت أنّه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي عهد إليه .

عمد رجال الإسناد أمويون أبناء بيت عثمان بني أبيه ينتهي إلى عائشة وقد أوقفناك على حديثها في هذا الجزء، وهو مع ذلك مرسل لا يُعلم مَن بلّغه سعيد بن العاص ولعلّه أحد الكذّابين الوضّاعين.

٣ـ أخرج الطبراني عن مطلب بن شعيب الأزدي عن عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف قال: كنّا عند شفي الأصبحي فقال: حدّثنا عبد الله بن عمر قال: التفت رسول الله فقال: ياعثمان! إنّ الله كساك قميصاً فأرادك النّاس على خلعه فلا تخلعه، فوالله لئن خلعته لا ترى الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط.

ذكره ابن كثير في تاريخه ٧ : ٢٠٨ فقال: وقد رواه أبو يعلى من طريق عبدالله ابن عمر عن أُخته حفصة أمّ المؤمنين. وفي سياق متنه غرابة والله أعلم.

رجال الإسناد:

١ـ عبد الله بن صالح أبو صالح المصري كاتب الليث، قال أحمد: كان أوّل أمره متماسكاً ثمّ فسد بآخره وليس هو بشيء. وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي ذكره يوماً فذمّه وكرهه. وقال صالح بن محمّد: كان ابن معين يوثقه وعندي انّه كان يكذب في الحديث. وقال ابن المديني: ضربت على حديثه وما أروي عنه شيئاً. وقال أحمد بن صالح: متّهم ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بثقة، وقال أبو زرعة: كذّاب. وقال أبوحاتم: الأحاديث التي أخرجها أبوصالح في آخر عمره فأنكروها عليه أرى انّ هذا ممّا افتعل خالد بن نجيح وكان أبوصالح يصحبه. إلخ. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن حبّان: منكر الحديث جدّاً يروي عن الاثبات ما ليس من حديث الثقات، وكان صدوقاً في نفسه وإنّما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له كان يضع الحديث على شيخ عبد الله بن صالح ويكتب بخطّ يشبه خطّ عبدالله ويرميه في داره بين كتبه فيتوهّم عبدالله انّه خطّه فيحدّث به. تهذيب التهذيب ٥ : ٢٥٦ـ٢٦٠

٢ـ سعيد بن أبي هلال المصري قال أحمد: ما أدري أيّ شيء يخلط في الأحاديث وقال ابن حزم: ليس بالقوي. وقال ابن حجر: لعلّه اعتمد على قول الإمام أحمد فيه.

تهذيب التهذيب ٤ : ٩٥.

٣- ربيعة بن سيف الإسكندراني. قال ابن حبّان: يخطىء كثيراً. وقال ابن يونس: في حديثه مناكير. وقال البخاري: روى أحاديث لا يُتابع عليها. وقال النسائي: ضعيف. تهذيب التهذيب ٣: ٢٥٦.

٤- أخرج أحمد من طريق سنان بن هارون عن كليب بن وائل عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال: يُقتل فيها هذا المقنّع يومئذ مظلوماً فنظرت فإذا هو عثمان بن عفّان. تاريخ ابن كثير ٧: ٢٠٨.

سنان بن هارون كوفيٌّ، قال النسائي: ضعيفٌ. وقال الساجي: ضعيفٌ منكر الأحاديث. وقال ابن حبّان: منكر الحديث جدًّا يروي المناكير عن المشاهير[1] و كليب بن وائل ضعّفه أبو زرعة كما في تهذيب التهذيب ٨: ٤٤٧.

٥- أخرج أحمد في المسند ٢: ٣٤٥ من طريق موسى بن عقبة قال: حدّثني جدّي أبو امّي أبو حبيبة انّه دخل الدار و عثمان محصورٌ فيها، وانّه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّكم تلقون بعدي فتنةً وإختلافاً - أو قال: إختلافاً وفتنة - فقال له قائلٌ من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين و أصحابه. وهو يشير إلى عثمان بذلك. وذكره ابن كثير في تاريخه ٧: ٢٠٩ فقال: تفرّد به أحمد واسناده جيدٌ حسنٌ ولم يخرجوه من هذا الوجه.

نحن لا نعرف جودة هذا الإسناد وحسنه وفيه جدّ أمّ موسى وهو نكرةٌ لا يُعرف ولا يوجد له قطّ ذكرٌ في المعاجم. وهل من المعقول عزو هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جدّ عليم بأنّ أصحاب عثمان هم: مروان ومَن يشاكله في العيث والفساد حشوة بني أميّة، حثالة أمّته صلى الله عليه وآله وسلم؟ أفمن الجائز أن يوصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمّته باتّباع أولئك الخابلين خلاف وجوه صحابته و عدولهم المتجمهرين على عثمان؟ حاشا نبي العظمة عن هذه الأفائك.

٦- أخرج الترمذي عن طريق سعيد الجريري[2] عن عبدالله بن شقيق عن عبدالله

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٢٤٣.
(٢) زاد ابن كثير هاهنا في الاسناد: عبد الله بن سفيان.

بن حوالة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض ؟ قلت : ماخار الله لي ورسوله . قال : إتّبع هذا الرجل فانّه يومئذ ومن اتّبعه على الحقّ قال : فاتّبعته فأخذت بمنكبه ففتلته فقلت : هذا يارسول الله ؟ فقال : نعم . فإذا هو عثمان بن عفّان .

وأخرجه أحمد في المسند ٤ : ١٠٩ من طريق سعيد الجريري بالإسناد المذكور ولفظه : كيف تفعل في فتنة تخرج في أطراف الأرض كأنّها صياصي بقر ؟ قلت : لا أدري ماخار الله لي ورسوله ، قال : وكيف تفعل في اُخرى تخرج بعدها كان الأولى فيها انتفاحة أرنب ؟ قلت : لا أدري ما خار الله لي ورسوله ، قال : إتّبعوا هذا . قال : ورجل مقفّى حينئذ قال : فانطلقت فسعيت وأخذت بمنكبيه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : هذا ؟ قال : نعم . قال : وإذا هو عثمان بن عفّان رضي الله عنه .

قال الأميني ، ستوافيك ترجمة سعيد الجريري في حديث ٢٥ من مناقب عثمان وانّ روايته لا تصحّ لاختلاله ثلاث سنين . وأمّا عبد الله بن شقيق المنتهى إليه أسانيد الرواية فهو من تابعي أهل البصرة قال ابن سعد في الطبقات : كان عثمانيّاً وكان ثقة وقال يحيى بن سعيد : كان سليمان التميمي سيّء الرأي في عبد الله . وقال أحمد بن حنبل ثقة وكان يحمل على عليّ . وقال ابن معين : ثقة من خيار المسلمين ، وقال ابن خراش : كان ثقة وكان عثمانيّاً يبغض عليّاً[1] .

ألا تعجب من توثيق الحفّاظ هذا الرجل المتحامل على عليّ أمير المؤمنين ومبغضه وعدّه من خيار المسلمين وبين أيدينا قول رسول الله صلى الله عليه وآله الصحيح الثابت : لا يحبّ عليّاً منافقٌ ولا يبغضه مؤمنٌ ، ولا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق ، وقول عليّ أمير المؤمنين الوارد في الصحيح : والذي فلق الحبّة وبرء النسمة انّه لعهد النبيّ الأُميّ إليّ انّه لا يحبّني إلّا مؤمنٌ ولا يبغضني إلّا منافقٌ . وقوله : لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني . الحديث . وثبت عن غير واحد من الصحابة قولهم : ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب[2] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٥ : ٢٥٤

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ١٨٢-١٨٧ ط٢ .

وجاء في الصحيح مرفوعاً : لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمّ لقي الله وهو مبغضٌ لأهل بيت محمّد دخل النار (١).

وفي حديث : لو أنّ عبداً عَبدَ الله سبعة آلاف سنة ثمّ أتى الله عزّ وجلّ ببغض عليّ جاحداً لحقّه ناكثاً لولايته لأتعس الله خيره وجدع أنفه .

وفي حديث : لو أنّ عبداً عَبدَ الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومدّ في عمره حتّى حجّ ألف عام على قدميه ثمّ قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثمّ لم يُوالك ياعليّ ؛ لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها .

وفي حديث : لو أنّ عبداً من عباد الله عزّ وجلّ عَبدَ الله ألف عام بين الركن والمقام ثمّ لقي الله عزّ وجلّ مبغضاً لعليّ وعترتي أكبّه الله على منخره يوم القيامة في نار جهنّم .

وفي حديث : يا عليّ ؛ لو انّ أُمّتي صاموا حتّى يكونوا كالحنايا وصلّوا حتّى يكونوا كالأوتار ثمّ أبغضوك لأكبّهم الله في النار (٢).

و في الصحيح على شرط الشيخين مرفوعاً : مَن أحبّ علياً فقد أحبّني ومَن أبغض علياً فقد أبغضني (٣).

وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣ : ١٣٥ مرفوعاً : يا عليّ طوبى لمَن أحبّك وصدق فيك ، وويل لمَن أبغضك وكذب فيك .

وفي حديث مرفوعاً أرسل رسول الله الأنصار فأتوه فقال لهم : يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعده أبداً ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : هذا عليّ فأحبّوه بحبّي ، وأكرموه بكرامتي ، فانّ جبريل أمرني بالذي قلت لكم من الله عزّ وجلّ (٤).

وفي حديث مرفوعاً : إنّ علياً راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور مَن أطاعني ،

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثاني ٣٠١ ط٢.

(٢) مرّت هذه الاحاديث بمصادرها في الجزء الثاني ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ط ٢ .

(٣) المستدرك للحاكم ٣ : ١٣٠ .

(٤) حلية الاولياء لأبي نعيم ١ : ٦٣ .

وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين، من أحبّه أحبّني ، ومن أبغضه أبغضني [١] .

وفي مرفوع : ألا مَن أبغض هذا (يعني عليّاً) فقد أبغض الله ورسوله ، ومَن أحبّ هذا فقد أحبّ الله ورسوله .

وفي حديث مرفوعاً : هذا جبريل يخبرني : انّ السعيد حقّ السعيد مَن أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته ، وانّ الشقي كلّ الشقي مَن أبغض عليّاً في حياته وبعد موته .

إلى أحاديث مرّت في الجزء الثالث ص ٢٦ ط٢ .

و قبل هذه كلّها قوله تعالى : قُل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى و قوله : إنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّا . وقوله : إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البريّة . راجع الجزء الثاني فيما ورد في هذه الآيات الكريمة .

ولا تنسَ دعاء النبيّ الأعظم يوم الغدير في ذلك المحتشد الرحيب بقوله : أللهمّ والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، أللهمّ من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ، ومن أبغضه فكن له مبغضاً .

وفي لفظ : أللهمّ والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وانصر من نصره ، وأعن مَن أعانه ، وأحبّ مَن أحبّه .

وفي لفظ : أللهمّ والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وأحبّ مَن أحبّه ، وأبغض مَن أبغضه ، وانصر مَن نصره ، واخذل من خذله .

وفي لفظ : أللهمّ وال من والاه ، وعاد مَن عاداه ، وأحبّ مَن أحبّه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر مَن نصره ، وأعزّ مَن أعزّه ، وأعن مَن أعانه .

وهناك ألفاظ أُخرى مرّت في الجزء الأوّل من كتابنا هذا .

فعبد الله بن شقيق أخذاً بمجامع تلكم النصوص شهادة الله ورسوله ، منافقٌ شقيٌّ عدوٌّ لله ولرسوله يبغضه المولى سبحانه ، لا خير فيه ولا في حديثه ، لا يُقبل ولا يُصدّق في روايته ، أتعس الله خيره وجدع أنفه ، وأكبّه على منخره يوم القيامة في نار جهنّم .

دع الحفّاظ يقولون : ثقةٌ من خيار المسلمين .

---

(١) حلية الاولياء ١ : ٦٧ .

٧ـ أخرج أحمد في المسند ٥ : ٣٣ ، ٣٥ من طريق عبد الله بن شقيق البصري قال : حدّثني هرم بن الحارث واسامة بن خزيم عن مرّة البهزي قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنّها صياصي بقر ؟ قالوا : نصنع ماذا يارسول الله ؟ قال : عليكم هذا وأصحابه ـ أو : اتبعوا هذا وأصحابه ـ قال : فأسرعت حتّى عييت فأدركت الرجل فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا . فإذا هو عثمان بن عفّان . فقال : هذا وأصحابه .

عرفت عبد الله بن شقيق وانّه منافق لا يؤخذ بحديثه ولا يُعوّل عليه إن صدّقنا النبيّ الأقدس فيما جاء به .

٨ـ أخرج أحمد في المسند ٦ : ٧٥ من طريق فرج بن فضالة بإسناده عن عائشة قالت : كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ياعائشة ! لو كان عندنا من يُحدّثنا . قالت قلت : يا رسول الله ؟ ألا أبعث إلى أبي بكر ؟ فسكت . ثمّ قال : لو كان عندنا من يُحدّثنا . فقلت : ألا أبعث إلى عمر . فسكت . قالت : ثمّ دعا وصيفاً بين يديه فسارّه فذهب قالت : فإذا عثمان يستأذن فأذن له فدخل فناجاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً ثمّ قال : ياعثمان ! إنّ الله عزّ وجلّ مقمّصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة يقولها له مرّتين أو ثلاثاً . وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣ ص ١٠٠ من طريق فرج بن فضالة وقال : هذا حديث صحيح عالي الاسناد ولم يخرجاه . وعقّبه الذهبي في تلخيصه فقال : أنّى له الصحّة ومداره على فرج بن فضالة ؟ .

أقول : فرج بن فضالة متّفق على ضعفه وعدم الإحتجاج به وستوافيك ترجمته في الحديث الـ ١٧ من مناقب عثمان في هذا الجزء انشاء الله .

وأخرج أحمد في مسنده ٦ : ٥٢ من طريق قيس بن أبي حازم عن أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ادعوا لي بعض أصحابي . قلت : أبو بكر ؟ قال : لا . قلت : عمر . قال : لا . قلت : ابن عمّك علي ؟ قال : لا . قلت : عثمان ؟ قال : نعم فلمّا جاء قال : تنحّي . جعل يسارّه ولون عثمان يتغيّر فلمّا كان يوم الدار وحُصر فيها قلنا : ياأمير المؤمنين ! ألا تقاتل ؟ قال : لا انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليّ عهداً وإنّي صابر نفسي عليه .

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١ : ٥٨ ، والحاكم في المستدرك ٣ : ٩٩ ، وأبوعمر في الإستيعاب ٢ ، ٤٧٧ ، وذكره ابن كثير في تاريخه٦ : ٢٠٥ نقلاً عن أحمدوالأسانيد كلّها تنتهي إلى قيس بن أبي حازم قالوا : كان يحمل علي علي عليه السلام ، و قال ابن حجر : و المشهور عنه انّه كان يقدّم عثمان ولذلك تجنّب كثير من قدماء الكوفيّين الرواية عنه ، وكبر قيس حتّى جاوز المائة بسنين كثيرة حتّى خرف وذهب عقله .

تهذيب التهذيب ٨ : ٣٨٨

لنا أن نصافق الكوفيّين على تجنّب الرواية عن قيس المتحامل على مولانا أمير المؤمنين إن اتّبعنا الرسول الأمين في النصوص المذكورة قُبيل هذا ص ٢٦٧-٢٦٩ ولا يسوغ لأيّ باحث أن يعوّل على رواية منافق شقيّ خرف وذهب عقله ، وقد مرّ عن ابن أبي الحديد في صفحة ٧٣ من هذا الجزء قوله : وقد طعن مشايخنا المتكلّمون في قيس وقالوا : إنّه فاسقٌ ولا تُقبل روايته . الخ .

٩- أخرج ابن عدي عن أبي يعلى عن المقدمي محمّد بن أبي بكر عن أبي معشر يوسف بن يزيد البراء البصري عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان عن أبيه عثمان : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أسرّ إليه انّه يُقتل ظلماً[1] .

زيّفه ابن عدي كما في الميزان وعدّه من أحاديث عمر بن أبان التي كلّها غير محفوظة ، و أبان بن عثمان لم يسمع من أبيه كما قاله أحمد بن حنبل فكيف بعمر بن أبان ، وسنوقفك علي ترجمة أبي معشر وإبراهيم بن عمر في المنقبة الثالثة من مناقب عثمان وانّهما لا يعوّل عليهما ولا يصحّ حديثهما .

١٠ - ذكر الذهبي في الميزان ١ : ٣٠٠ من طريق أنس مرفوعاً : ياعثمان ! إنّك ستلي الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها ، وصُم ذلك اليوم تفطر عندي .

قال الذهبي : في سنده خالد بن أبي الرحال الأنصاري عنده عجائب ، قال ابن حبّان : لا يجوز الإحتجاج به . و في لسان الميزان ٦ : ٧٩٤ قال : أبو حاتم : ليس بالقويّ .

---

(١) لسان الميزان ٤ : ٢٨٢ .

نظرة في أحاديث العهد

هذه سلسلة روايات أصفق على وضعها دجّالون تتراوح أسانيدها بين أمويّ و شاميّ وبصريّ، وبين عثمانيّ متحامل على سيّد العترة، وبين أُناس آخرين من ضعيف إلى كذّاب إلى متروك إلى ساقط. على أنّ متونها أكثر عللاً من أسانيدها فإنّ الخضوع لصحّتها يستدعي الوقيعة في الصحابة كلّهم لأنّ المنصوص عليه في غير واحد منها: انّ الذين اجلبوا على عثمان وأرادوا خلعه اُناسٌ منافقون، وفي بعضها: فانّ عثمان يومئذ وأصحابه على الحقّ، وعليكم بالأمين وأصحابه. وقد علمت أنّ المتجمهرين عليه هُم الصحابة كلّهم المهاجرون منهم والأنصار ماخلا ثلاثة: زيدبن ثابت، حسّان بن ثابت، اسيد الساعدي. أو: هم وكعب بن مالك. واُناسٌ من زعانفة الأمويّين، و أين هذا من الإعتقاد بعدالتهم جمعاء كما عند القوم؟ ومن الخضوع لجلالة كثيرين منهم الذين علمت منهم نواياهم الصالحة، وأعمالهم البارّة، والنصوص النبويّة الصادرة فيهم، وثناء الله تعالى عليهم في كتابه الكريم كما عند الأمّة أجمع؟.

ثمّ انّ عثمان وإن كان يتظاهر بامتثال الأمر الموجود في هذه الروايات وغيرها بالصبر وعدم القتال غير أنّ عمله كان مبايناً لذلك لمكاتبته إلى الأوساط الاسلاميّة يستجلب منها الجيوش لمقاتلة أهل المدينة، ويرى قتالهم قتال الأحزاب يوم بدر، و ينصّ على أنّ القوم قد كفروا، فلو اتّصلت به كتائب الأمداد يومئذ لألقحها حرباً زبوناً وفتنةً عمياء، وإنّما كان ينكص عن النضال لإعواز الناصر لإصفاق الصحابة عليه عدا اُولائك الثلاثة وما كانوا يغنون عنه شيئاً، ولاسيّما حسان بن ثابت الذي لم يكن يجسر أن يأخذ سلب القتيل الذي قتلته امرأةٌ(١).

على أنّه لم يتقاعد عن المقاتلة أيضاً بمن كان معه من حثالة بني اُميّة فقد بذلوا كلّ ماحووه من بسالة وشجاعة، غير أنّ القضاء الحاتم أخزاهم وحال بينهم وبين النجاح إلى أن لجأوا إلى اُمّ حبيبة فجعلتهم في كندوج ثمّ خرجوا من المدينة هاربين.

ثمّ هَب انّ عائشة كانت نسيت ماروته حين ألّبت الجماهير على عثمان وأمرت

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا هذا ص٢٦٤ ط٢.

بقتله وسمته نعثلاً كافراً فهل بقية الرواة وهم : عبد الله بن عمر و أبو هريرة و مرة البهزي وعبدالله بن حوالة وأبوسهلة وأنس أصفقوامعها على النسيان ؟ أو أنهم ماكانوا يروونها يومئذ ثم اقتضت الظروف أن يرووها ؟ أوانها اختلقت بعدهم على ألسنتهم ؟

ولو كان لهذه الكلمات المعزوة إلى رسول الله ﷺ -من قوله : عليكم بالأمين وأصحابه ، وقوله : اتبعوا هذا وأصحابه ، وقوله : إتبع هذا الرجل فانه يومئذ ومن اتبعه على الحق - مقيلاً من الصحة لاستدعى أن يفيضها على الصحابة كلهم لأن قضيتها ان تلك الفتنة الموعود بها من الفتن المضلة ، و إن عثمان عندئذ في جانب الحق ، وما كان رسول ﷺ بالذي يشح على أمته بالإرشاد إلى ما فيه هدايتهم و صلاحهم الديني ، وهو مقيض لذلك ومبعوث لأجله ، فلماذا لم يروها غير هؤلاء ؟ و لاعرفهاغيرهم ولو بوساطتهم ؟ و كان القائها عليهم مسارة لايطلع عليها أحد ؟ ولماذا ترك هؤلاء الإحتجاج بها يوم الدار ؟ و في القوم وهم الأكثرون من إن يسمع بها لايتباطأ عن الخضوع للأمر النبوي المطاع ، أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ؟ إن هذا إلا اختلاق .

نظرة في مناقب عثمان

الواردة في الصحاح والمسانيد

إلى هنا سبرنا صحيفة من حياة عثمان ولا أدري أهي بيضاء أم غيرهـا ؟ ! لكن الباحث الممعن فيها يوقفه التنقيب على نفسياته ومقداره ، والغاية من هذا الإسهاب أن نجعل نتيجة هذا الخوض والبحث مقياساً في أمره نرد إليه كل ما يؤثر في حقه فإن ساوى المقياس أثبتناه ، وإن طاله أو قصر عنه عرفنا انه من الغلو في الفضائل .

وماسردنا إلى هنا من دعارة في الخلق ، وعرامة في الطباع ، وعرارة في الشكيمة وشرة في الغرائز ، وفظاظة في الأعمال ، وتعسف في الحكم ، واتباع للشهوات ، وميل عن الحق ، ودناءة في النفس ، وسقطة في الرأي ، وسرف في القول ، إلى الكثير المتوفر من أمثال هذه مما لاتحمد فعليته ولاعقباه ، لايدع الباحث أن يخضع لشيء مما قيل أو تقول فيه من الفضل قويت أسانيده أووهنت .

كما أنّ آراء الصحابة الأوّلين التي زففناها إلى مناظرك في هذا الجزء من صفحة ٦٩-١٦٨ لاتدع مجالاً للبحث عن صحّة تلكم المفتعلات فضلاً عن إثباتها ، وانّك تجد في مرسليها أو مسنديها لفائف من زبانية الميول والأهواء من بصريّ أو شاميّ أنهوا أسانيدهم في الغالب إلى موالي عثمان أو إلى رجال بيته الساقط ، وذلك ممّا يُعطي انّها من صنايع معاوية للخليفة المقتول الذي اتّخذ أمره سُلّماً إلى ماكان يبتغيه من المرتقى ، وكان معاوية يهب القناطير المقنطرة لوضع الاحاديث في فضائل أبناء بيته الشجرة المنعوتة في القرآن ، من بني اُميّة عامّة ، ومن آل أبي العاص خاصّة ، أضف إلى ذلك مـا يكتنف أغلب تلك المتون من الموهنـات التي لايقاومها أيّ تمحّل في تصحيحها ، وإليك نبذةٌ من تلكم الموضوعات :

١ـ أخرج مسلم وأحمد من طريق عُقيل الأمويّ عن الليث العثماني عن يحيى ابن سعيد الأمويّ عن سعيد بن العاص ابن عمّ عثمان عن عائشة و عثمان قالا : إنّ أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطجعٌ على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف ، ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف ، قال عثمان : ثمّ استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة : اجمعي عليك ثيابكِ . فقضيت إليه حاجتي . ثمّ انصرف ، فقالت عائشة : يارسول الله ؟ مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ عثمان رجلٌ حيي [1] وإنّي خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليّ في حاجته [2].

٢ـ أخرج مسلم وغيره من طريق عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه وساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدّث ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدّث ، ثمّ استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسوّى ثيابه ، فلمّا خرج قالت عائشة رضي الله عنها : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثمّ دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله ، ثمّ دخل عثمان فجلس وسوّيت ثيابك ؟

(١) حيى كغنى : ذوحياء . وفى شرح مسلم : أى كثيرالحياء .

(٢) صحيح مسلم ٧ : ١١٧ ، مسند أحمد ١ : ٧١ وج ٦ : ١٥٥ ، ١٦٧ .

فقال : ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة[1].

وأخرج البخاري في مناقب عثمان حديثاً وقال في ذيله : زاد عاصم إنّ النبي ﷺ كان قاعداً في مكان فيه ماء قد كشف عن ركبتيه أو ركبته فلمّا دخل عثمان غطّاها . قال ابن حجر في فتح الباري ٧ : ٤٣ : قال ابن التين : أنكر الداودي هذه الرواية وقال : هذه الرواية ليست من هذا الحديث بل دخل لرواتها حديث في حديث، وإنّما ذلك الحديث : إنّ أبا بكر أتى النبيّ ﷺ وهو في بيته قد انكشف فخذه فجلس أبو بكر ثمّ دخل عمر ثمّ دخل عثمان فغطّاها . الحديث .

قال الأميني : الحياء هو انقباض النفس عمّا لا يلائم خطّة الشرف من الناحية الدينيّة أو الإنسانيّة ، وأصله فطريّ للإنسان ، وكماله اكتسابيّ يتأتّى بالايمان ، فهو يتدرّج في الرقيّ بتدرّج الايمان والمعرفة ، فتنتهي إلى ملكة راسخة تأبى لصاحبهما التورّط في المخازي كلّها ، فيكون بها الإنسان محدوداً في أفعاله وتروكه وشهواته وميوله وتنبسط تلكم الحدود على الأعضاء والجوارح وعلى النفس والعقل ، فلا يسع أيّاً منها الخروج عن حدّه ، قال رسول الله ﷺ : الإستحياء من الله حقّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى[2] فكلّ عمل خارج عن حدود الدين والإنسانيّة منافٍ للحياء ، وهو الرادع الوحيد عن الفحشاء والمنكر ، وعن كلّ ما يلوّث ذيل الانسانيّة والعفّة والايمان من صغيرة أو كبيرة ، ومن لم يستح فله أن يفعل ما يشاء ، و جاء في النبويّ على المحدّث به و آله السّلام : إذا لم تستح فاصنع ـ فافعل ـ ما شئت[3].

وعلى هذا فكلّ من الفحش والبذاء والكذب و الخيانة والغدر والمكر ونقض العهد والتخلّع والمجون وما يجري مجراها أضدادٌ للحياء ، وقد وقع التقابل بينها وبينه في لسان المشرّع الأعظم منها قوله ﷺ : الحياء من الايمان والايمان في الجنّة ،

---

(١) مسند احمد ٦ : ٦٢ ، صحيح مسلم ٧ : ١١٦ ، مصابيح السنة ٢ : ٢٧٣ ، الرياض النضرة ٢ : ٨٨ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٠٢ .

(٢) اخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣ : ١٦٦ .

(٣) اخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه .

والبذاء من الجفاء والجفاء في النار[١].

وقوله ﷺ : الحياء والعيّ من الايمان وهما يقربان من الجنّة ويباعدان من النّار ، والفحش والبذاء من الشيطان وهما يقربان من النّار ويباعدان من الجنّة . أخرجه الطبراني كما في الترغيب والترهيب ٣ : ١٦٥ .

وقوله ﷺ : يا عائشة ! لو كان الحياء رجلاً كان رجلاً صالحاً ، ولو كان الفحش رجلاً كان رجل سوء . رواه الطبراني وأبوالشيخ كما في الترغيب والترهيب ٣ : ١٦٦.

وقوله ﷺ : ما كان الفحش في شيء إلّا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلّا زانه أخرجه ابن ماجة في سننه ٢ : ٥٤٦ ، والترمذي في الصحيح .

وقوله ﷺ : إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء ، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلّا مقيتاً ممقتاً ، فإذا لم تلقه إلّا مقيتاً ممقتاًنزعت منهالأمانة ، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلّا خائناً مخوناً ، فإذا لم تلقه إلّا خائناً مخوناً نزعت منه الرحمة ، فإذا نزعت منه الرّحمة لم تلقه إلّا رجيماً مُلعّناً ، فإذا لم تلقه إلّارجيماً مُلعّناً نزعت منه ربقة الإسلام .

أخرجه ابن ماجة كما فيالترغيب و الترهيب ٢ : ١٦٧ .

وقال ﷺ : الحياء لايأتي إلّا بخير[٢] وقال المناوي في شرحه في فيضالقدير ٣ : ٤٢٧ : لأنّ مَن استحيا من الناس أن يروه يأتي بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربّه أشدّ فلايضيع فريضة ، ولا يرتكب خطيئة ، قال ابن عربي : الحياء أن لايفعل الإنسان مايخجله إذا عرف منه انّه عرف منه انّه فعله ، والمؤمن يعلم بأنّ الله يرى كلّ مايفعله ، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك ، وبأنّه لابدّ أن يقرّره يوم القيامة علىماعمله فيخجل فيؤدّيه إلىترك مايخجلمنه ، وذلك هوالحياء فمن ثم لايأتيإلّابخير.

وقال : حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ، و يمنع من التقصير في حقّ الغير ، وقال بعض الحكماء : من كسا[٣] الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه .

---

(١) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب ٣ : ١٦٥ : اخرجة احمد ورجاله رجال الصحيح ، والترمذى ، وابن حبان فىصحيحه ، وقالالترمذى : حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم وابن ماجة والمنذرى.

(٣) لعل الصحيح : من كساه الحياء ثوبه.

إذن هلمّ معي لنسبر حياة الخليفة ـ عثمان ـ علّنا نجد فيها مايصحّ للبرهنة على ثبوت هذه الملكة له إن لم يكفنا الأياس منها بخفّي حنين، فارجع البصر كرّتين فيما سردناه من أفعال الخليفة وتروكه ومحاوراته وأقواله، ثمّ انظر هل تجد في شيء منها مايدعم هذه الدعوى له فضلاً عن أن يكون أحيا الناس، أو أشدّ الأمّة حياءً، أو تستحيي منه الملائكة؟

أيصلح شاهداً لذلك قوله لمولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: والله ما أنت عندى أفضل من مروان؟ هلاّ كان يعلم أنّ الله عدّ عليّاً في كتابه نفس النبيّ الأقدس وقد طهّره بنصّ الذكر الحكيم، ومروان طريد ابن طريد، وزغ ابن وزغ، لعين ابن لعين؟ راجع الجزء الثامن ص ٢٦٠ ط٢.

أو اتّهامه ذلك الإمام الطاهر سيّد العترة بكتاب كتبه هو في قتل محمّد بن أبي بكر وأصحابه وتعذيبهم وتنكيلهم، فينكر ماكتب ويقول له عليه السلام: اتّهمك واتّهم كاتبي مروان؟.

أو قوله للإمام عليه السلام: لئن بقيت لا أعدم طاغياً يتّخذك سلّماً وعضداً ويعدّك كهفاً وملجأ؟ أوقوله له عليه السلام لمّا كلّمه في أمر عمّار ونفيه إيّاه: أنت أحقّ بالنفي منه؟

أوقوله لأصحابه مروان ومن كان على شاكلته يستشيرهم في أمر أبي ذر: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب إمّا أن أضربه أوأحبسه أوأقتله؟ وملأ مسامع الصحابة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أظلّت الخضراء، وماأقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر. إلى كلمات أخرى له صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء عليه، راجع الجزء الثامن ص ٣١٢ ط٢.

أو قوله لعمّار لمّا سمع منه ـ رحم الله أباذر من كلّ أنفسنا ـ: ياعاضّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره؟ وأمر فدفع في قفاه، وعمّار كما عرفته في هذا الجزء ص ٢٠ إلى ٢٨ جلدة مابين عيني رسول الله وأنفه، وهو الطيّب المطيّب، مليء ايماناً من قرنه إلى قدمه، اختلط الايمان بلحمه ودمه، يدور مع الحقّ حيث دار، وقد جاء الثناء عليه في الذكر الحكيم.

إذا كان حقّاً مايدّعيه عثمان لنفسه [1] من أنّه لم يمسّ فرجه بيمينه منذ بايع

---

(١) يأتي حديثه بتمامه.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشريفاً ليد النبيّ الكريمة ؟ فليت شعري لماذا طفق يلوك بلسانه اسم أبي ياسر أبي عمّار ؟ وطالما لهج بأحاديث النبوّة به ، ورتّل كتاب الله ترتيلاً ، أما كان عليه أن يكفّ لسانه عن البذاءة كرامةً للكتاب والسنّة ، كما ادّعى كلاءة نفسه عن مسّ فرجه كرامةً ليد النبوّة ؟ إن لم يُداحمنا هنالك من يُنكر دعواه في اليد قياساً على ما شوهد منه في اللسان مرّة بعد اُخرى .

أيصلح شاهداً لذلك قوله على صهوة المنبر بين ملأ المسلمين في ابن مسعود لمّا قدم المدينة : ألا إنّه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ؟ وابن مسعود أحد الذين أطراهم الكتاب العزيز ، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هدياً ودلّاً وسمتاً . راجع مامرّ في هذا الجزء ص ٦-١١ .

أوقوله لعبد الرحمن بن عوف : إنّك منافق[1] ؟ وهو أحد العشرة المبشّرة فيما يحسبون .

أوقوله لصعصعة بن صوحان : البجباج النفّاج ؟ وهو ذلك السيّد الخطيب الفصيح الديّن كما مرّ في ص ٤٢ من هذا الجزء .

أوشتمه المغيرة بن الوليد المخزومي لمّا دافع عن عمّار حينما ضربه عثمان حتّى غشي عليه ؟

أو قوله في كتابه إلى معاوية : إنّ أهل المدينة قد كفروا ؟ أو قوله في كتاب آخر له : فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا باُحد ؟ وهو يريد الأنصار الذين آووا ونصروا ، والمهاجرين الذين صدّقوا واتّبعوا ، وهم الذين يحسب أتباع الخليفة أنّ كلّهم عدول ، ولم يكن بينهم متخلّف عن النقمة عليه إلّا ثلاثة أو أربعة حفظ التاريخ ترجمة حياتهم الموصومة .

أو قوله في كتابه إلى الأشتر وأصحابه : إنّي قد سيّرتكم إلى حمص ، فإنّكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً .

أوقوله المائن على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقّنوا انّه باطلٌ مابلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم ؟ يقول ذلك

(١) السيرة الحلبية ٢ : ٨٧ ، الصواعق ص ٦٨ .

بعد ما عهد على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنّة ، وكتب بهذا كتاباً وشهد عليه اُمّة من الصحابة بعد ما اعترف بهناته بين الملأ وأظهر الندامة منها وتاب عنها ولذلك كلّه رجع المصريّون و غيرهم من الثائرين عليه إلى بلادهم ، و كان يحنث عهده و ينقض توبته بتلبيس أبالسته مروان ونظرائه ، فهل يفعل مثل هذا من تردّى بأبراد الحياء ؟

أومفارقته ليلة وفاة اُمّ كلثوم كريمة النبيّ الأقدس ؟ وكان ذلك ممقوتاً جدّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انّه ألمح إليه بقوله : هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة ؟ فمنعه بذلك عن دفن حبيبته ، وألصق به هوان الأبد .

أو تربّعه على صهوة منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا استخلف ؟ وكان أبوبكر يجلس دون مقامه صلى الله عليه وآله وسلم بمرقاة ثمّ عمر دونه بمرقاة ، وكان من حقّ عثمان الذي كان أشدّ حياءً من صاحبيه أن لايطأ ذلك المرتقى ، وأن يتّبع ولا أقل سيرة الشيخين في الحياء والأدب ، لكنّه . . . . .

أو مخالفته الكتاب والسنّة ؟ كما كتب المهاجرون الأوّلون وبقيّة الشورى إلى من بمصر من الصحابة و التابعين : أن تعالوا إلينا و تداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها فإنّ كتاب الله قد بُدّل ، وسنّة رسوله قد غُيّرت[1] . وكتبوا إلى الصحابة في الثغور : إنّ دين محمّد قد أفسده من خلفكم وترك ، فهلمّوا فأقيموا دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ورفعت عائشة نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هي تقول : تركت سنّة رسول الله صاحب هذا النعل . وتقول : ما أسرع ماتركتم سنّة نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعدُ . وتقول : عثمان قد ابلى سنّة رسول الله . وتقول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً انّه قد كفر . إلى كلمات اُخرى لها ولغيرها في مخالفة الرجل الكتاب والسنّة .

أو إعرابه عن تلكم الآراء الشاذّة عن الكتاب والسنّة في الصّلاة و الصِّلات و الصدقات والأخماس والزكوات والحجّ والنكاح والحدود والديات بلهجة شديدة بمثل قوله : هذارأيٌ رأيته . وقوله : لنأخذنّ حاجتنا من هذاالفيء وإن رغمت اُنوف أقوام هذا مال الله اُعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم . فقال له عليٌّ إذن تُمنع من ذلك ويحال بينك وبينه . وقال عمّار : اُشهدالله إنّ أنفي أوّل راغم من

(١) راجع مامرّ ص ١٦٢ من هذا الجزء.

ذلك . أو قال : أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك . راجع صفحة ١٥ من هذا الجزء .

أوحثّه الناس على الأخذ بتلكم الآراء المنتئية عن ناموس الإسلام المقدّس حتى قال له أمير المؤمنين لمّا قال له عثمان : لاتراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنت ؟ لم أكن لأدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس ؟ أو قال له : لم أكن لأدع قول رسول الله ﷺ لقولك . وكاد أمير المؤمنين يُقتل من جرّاء تلك الأحدوثة ، مرّ حديثه في ج ٦ : ٢١٩ و ج ٨ : ١٣٠ ط٢ .

وقد فتح بذلك باب الجرأة على الله والتقوّل عليه بمصراعيه فجاء بعده معاوية ومروان وأبناء أبيه الآخرون يلعبون بدين الله لعبة الصبيان بالدّوّامة(١) .

أو ايواءه عبيد الله بن عمر لمّا قتل نفوساً أبرياء ولم يقتصّ منه ونقم عليه بذلك جلّ الصحابة ـ لولم نقل كلّهم ـ ممّن يُأبه به وبرأيه ؟ !

أو تعطيله الحدّ على الوليد بن عقبة لرحمه وقرابته منه وقد شرب الخمر وقاء في محراب المسجد الأعظم بالكوفة ، حتّى وقع التحاور والتحارش بين المسلمين ، واحتدم الحوار والمكالمة وتضاربوا بالنعال ؟ مرّ في الجزء الثامن ص ١٢٠ـ١٢٥ .

أو تسليطه بني اُميّة رجال العيث والفساد أبناء الشجرة الملعونة في القرآن على رقاب الناس ونواميس الإسلام المقدّسة وتوطيده لهم الملك العضوض ؟ وتأسيسه بهم حكومة أمويّة غاشمة في الحواضر الإسلاميّة ؟ كما فصّلنا القول فيه في الجزء الثامن ص ٢٨٨ ـ ٢٩٢ ط٢ .

أو ردّه إلى المدينة وايواءه عمّه وأبناؤه وكان قد طردهم رسول الله ﷺ تنزيهاً لتلك الأرض المقدّسة من اولئك الأدناس الأرجاس ؟ .

أوتفويضه الصالح العام إلى مروان المهتوك ؟ وتطوّره في سياسة العباد بتقلّباته ؟ كأنّ بيده مقاليد اُمور الاُمّة حتّى قال له مولانا أمير المؤمنين : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحويلك عن دينك و عقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يُسار به ؟ وقال : ما رضيت من مروان ولارضي منك إلّا بافساد دينك وخديعتك عن عقلك ، وإنّي

---

(١) لعبة من خشب يلف الصبيّ عليها خيطاً ثمّ ينقضه بسرعة فتدوم أي تدور على الارض . و في اللغة الدارجة : مرصع . وشاخة .

لأراه سيوردك ثمَّ لا يُصدرك .

أوكتابه إلى وُلاته في قتل صلحاء الأُمّة وحبسهم وتنكيلهم وتعذيبهم ؟.

أوتسييره عباد الله الصالحين من الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان من معتقل إلى معتقل ، ونفيهم عن عقر دورهم من المدينة والبصرة والكوفة ، وإيذائهم بكلِّ ما يمكنه من ضرب ووقيعة وتنكيل ؟

مشرّدين نفوا عن عقر دارهم ☆ كأنّهم قد جنوا ما ليس يغتفرُ

حتّى هلك في تسييره سيّد غفار أبو ذر الصدِّيق المصدّق بعد ما تسلّخ لحوم أفخاذه من الجهد في تسييره .

هذه نبذٌ يسيرة قرأناها في صحيفة حياء الخليفة ليعطي الباحثُ الممعن فيها للنصفة حقّها ، فيصدق السائل في جوابه ، فهل يجد في شيء منها دلالة على تلفّع الرجل بشيء من أبراد الحياء ؟ أو يجدها أدلّة واضحة على فقده لهاتيك الملكة الفاضلة ؟ و يجده متردِّياً بضدِّ هذه الغريزة في كلِّ تلكم الأحوال ؟ وعلى هذه فقس ما سواها .

على أنَّ أبا بكر كان أولى بالإستحياء منه إن صحَّ مامرَّ في الجزء السابع ص ٢٤٨ من رواية إستحياء الله منه ، وتكذيبه نبيّه إستحياءً من أبي بكر[1] ؛ فكيف لم يهتش صلى الله عليه وآله وسلم له ولم يُبال به ويهتش لعثمان .

لنا كرَّةٌ ثانية لرواية الحياء من ناحية أُخرى فانَّ مختلق هذه الأفيكة أعشاه الحبُّ المعمي والمصمّ حيث أراد إثبات فضيلة رابية للخليفة ذاهلاً أو متذاهلاً عن أنَّ لازم ذلك سلب تلك الفضيلة عن نبيِّ الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم - والعياذ بالله - حيث نسب إليه صلى الله عليه وآله وسلم الكشف عن أفخاذه بمنتدى من صحابته غير مكترث لحضورهم حتّى إذا جاء الذي تستحي منه الملائكة فاستحى منه وسترها ، ونحن نقول أوّلاً : إنَّ هذا الفعل ممّا لا يرتكبه عظماء الناس ورجالات الأُمم وإنّما تجيء بمثله الطبقات الواطئة من أذناب الأعراب ، فنبيُّ العظمة الذي يهزأ بالطود في وقاره ، ويُزري بالبحر في معارفه ، وكان كما وصفه أبو سعيد الخدري ، أشدُّ حياءً من العذراء في خدرها[2] وكان إذا كره شيئاً

(١) من المخازي المفتعلة كما مرّ تفصيله .

(٢) أخرجه الشيخان البخاري في صحيحه باب صفة النبي ج٥ : ٢٠٣ ، ومسلم في صحيحه ٧ : ٧٨ .

عرفناه في وجهه . وقد أدّبه الله تعالى فلم يدع فيه من شائنة ، وهذّبه حتّى استعظم خلقه الكريم بقوله تعالى : « إنّك لعلى خُلق عظيم » ، لا يستسيغ ذو لبٍّ مؤمن به وبفضله أن يعزو إليه مثل هذا التخلّع الشائن .

على أنّ الشريعة التي صدع بها جعلت الأفخاذ عورة و أمرت بسترها ، أخرج أحمد إمام الحنابلة في مسنده ٥ : ٢٩٠ بالإسناد عن محمّد بن جحش ختن النبيّ ﷺ: إنّ النبيّ ﷺ مرّ على معمّرٍ بفناء المسجد محتبياً كاشفاً عن طرف فخذه فقال له النبيّ ﷺ : خمّر فخذك يامعمّر! فإنّ الفخذ عورة .

وفي لفظ باسناد آخر من طريق ابن جحش قال : مرّ النبيّ ﷺ وأنامعه على معمّر وفخذاه مكشوفان ، فقال : يامعمّر! غطّ فخذيك فإنّ الفخذ عورة .

وأخرجه البخاري بهذا الطريق و طريقي ابن عبّاس و جرهد في صحيحه باب مايذكر في الفخذ١ : ١٣٨ ثمّ ذكر من طريقي أنس انّ النبيّ ﷺ حسر عن فخذه ، فقال : حديث أنس أسند ، و حديث جرهد أحوط ، و أخرجه من طريق ابن جحش في تاريخه ١ « قسم » ١ : ١٢ ، و أخرجه البيهقي في سننه ٢ : ٢٢٨ ، و الحاكم في المستدرك ٤ : ١٨٠ .

قال ابن حجر في الإصابة ٣ : ٤٤٨ : أخرجه أحمد والحاكم وصحّحه ، وأخرجه ابن قانع من وجه آخر عن الأعرج عن معمّر أنّ النبيّ ﷺ مرّ به وهو كاشفٌ عن فخذه . الحديث .

وقال العسقلاني في فتح الباري ١ : ٣٨٠ : رجاله رجال الصحيح غير أبي كثير فقد روى عنه جماعةٌ لكن لم أجد فيه تصريحاً بتعديل ، وقد أخرج ابن قانع هذا الحديث من طريقه أيضاً . ووقع لي حديث محمّد بن جحش مسلسلاً بالمحمّدين من إبتدائه إلى إنتهائه وقد أمليته في الأربعين المتباينة .

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد٢ : ٥٢ عن أحمد والطبراني في الكبير فقال : رجال أحمد ثقات .

٢ـ عن عليٍّ رضي الله عنه مرفوعاً : لا تُبرز فخذك ـ فخذيك ـ ولا تنظر إلى فخذ حيٍّ ولا ميت أخرجه البيهقي في سننه ٢ : ٢٢٨ ، والحاكم في المستدرك ٤ . ١٨٠

والبزّار كما في نيل الأوطار ٢ : ٤٨ .

٣ـ عن جرهد الأسلمي قال : مرّ رسول الله ﷺ وعليّ بردة وقد انكشفت فخذي وقال : غطّ فخذك فإنّ الفخذ عورة .

أخرجه البخاري في صحيحه كما سمعت تعليقاً ، ورواه مالك في الموطّأ وأبوداود و أحمد و الترمذي وقال : حسن . و ذكره القسطلاني في إرشاد الساري عن مالك والترمذي فقال : وصحّحه ابن حبّان ، وذكر الشوكاني في نيل الأوطار ٢ : ٥٠ تصحيح ابن حبّان إيّاه ، وأخرجه البيهقي في سننه ٢ : ٢٢٨ من طريقين ، والحاكم في المستدرك ٤ : ١٨٠ .

٤ـ عن ابن عبّاس : مرّ رسول الله ﷺ على رجل وفخذه خارجة . فقال : غطّ فخذيك ، فإنّ فخذ الرجل من عورته .

أخرجه البخاري تعليقاً كما مرّ ، ورواه الترمذي وأحمد في مسنده ١ : ٢٧٥ ، والبيهقي في سننه ٢ : ٢٢٨ فقال : قال الشيخ : وهذه[1] أسانيد صحيحة يُحتجّ بها ، و أخرجه الحاكم في المستدرك ٤ : ١٨١ .

٥ـ أخرج الدارقطني في سننه من طريق عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ مروصبيانكم بالصّلاة في سبع سنين واضربوهم عليها في عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع ، وإذا زوّج أحدكم أمته عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرّة وفوق الركبة ، فإنّ ما تحت السرّة إلى الركبة من العورة .

وأخرجه أحمد في مسنده ٢ : ١٨٧ ولفظه : فلا ينظرنّ إلى شيء من عورته فانّما أسفل من سرّته إلى ركبتيه من عورته . وذكره الزيلعي في نصب الراية ١ : ٢٩٦ نقلاً عن الدارقطني وأبي داود وأحمد والعقيلي فقال : وله طريق آخر عند ابن عدي في الكامل . وأخرجه البيهقي في سننه ٢ : ٢٢٩ من أربعة طرق ، وذكره القسطلاني في إرشاد الساري ١ : ٣٨٩ .

٦ـ أخرج الدارقطني في سننه ص ٨٥ ، والبيهقي في سننه ٢ : ٢٢٩ من طريق أبي ايّوب مرفوعاً : ما فوق الركبتين من العورة وما أسفل من السرّة من العورة .

(١) يعني اسانيد حديث ابن جحش وجرهد وابن عباس .

وذكره الزيلعي في نصب الراية ١ : ٢٩٧ .

هذه الأحاديث أخذها الأعلام أئمة الفقه والفتيا وذهبوا إلى أن الفخذ عورة وهو رأي أكثر العلماء كما قال النووي[1] والجمهور كما قاله القسطلاني والشوكاني[2] قال ابن رشد في بداية المجتهد ١ : ١١١ : ذهب مالك والشافعي إلى أن حد العورة من الرجل ما بين السرة إلى الركبة وكذلك قال أبو حنيفة . وقال قوم : العورة هما السوءتان فقط من الرجل ، وسبب الخلاف في ذلك أثران متعارضان كلاهما ثابت ، أحدهما حديث جرهد : أن النبي ﷺ قال : الفخذ عورة . والثاني : حديث أنس أن النبي ﷺ حسر عن فخذه وهو جالس مع أصحابه . ثم ذكر قول البخاري المذكور .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ١ : ٣٨٩ : قال الجمهور من التابعين وأبو حنيفة ومالك في أصح أقواله ، والشافعي وأحمد في أصح روايتيه ، وأبو يوسف ومحمد : الفخذ عورة . وذهب ابن أبي ذئب وداود وأحمد في إحدى روايتيه والاصطخري من الشافعية وابن حزم إلى أنه ليس بعورة .

وفي الفقه على المذاهب الأربعة ١ : ١٤٢ : أما عورة الرجل خارج الصلاة فهي ما بين سرته وركبته فيحل النظر إلى ما عدا ذلك من بدنه مطلقاً عند أمن الفتنة . وفيه : قال المالكية والشافعية : إن عورة الرجل خارج الصلاة تختلف باختلاف الناظر إليه فبالنسبة للمحارم والرجال هي ما بين سرته وركبته ، وبالنسبة للأجنبية منه هي جميع بدنه ، إلا أن المالكية إستثنوا الوجه والأطراف وهي الرأس واليدان والرجلان فيجوز للأجنبية النظر إليها عند أمن التلذذ ، وإلا منع ، خلافاً للشافعية فإنهم قالوا : يحرم النظر إلى ذلك مطلقاً .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٢ : ٤٩ بعد ذكر حديث علي أمير المؤمنين المذكور مرفوعاً ، والحديث يدل علي أن الفخذ عورة ، وقد ذهب إلى ذلك العترة والشافعي وأبو حنيفة ، قال النووي : ذهب أكثر العلماء إلى أن الفخذ عورة وعن أحمد ومالك في رواية : العورة القبل والدبر فقط « إلى أن قال : » والحق أن الفخذ من

(١) فتح الباری ١ : ٣٨٢ ، نيل الاوطار ٢ : ٤٩ .
(٢) ارشاد الساری ١ : ٣٨٩ ، نيل الاوطار ٢ : ٥٠ .

العورة ، وحديث عليّ هذا وإن كان غير منتهض على الاستقلال ففي الباب من الأحاديث ما يصلح للاحتجاج به على المطلوب . وقال بعد ذكر حديث جرهد : الحديث من أدلة القائلين بأنّ الفخذ عورة وهم الجمهور . اهـ .

هب ان النهي عن كشف الأفخاذ تنزيهي إلّا أنّه لا شكّ في أنّ سترها أدب من آداب الشريعة ، ومن لوازم الوقار ، ومقارنات الأبهة ، ورسول الله ﷺ أولى برعاية هذا الأدب الذي صدع به هو ، قال ابن رشد في تمهيدات المدوّنة الكبرى ١ : ١١٠ : والذي أقول به إنّ ماروي عن النبيّ عليه الصّلاة والسّلام في الفخذ ليس باختلاف تعارض ومعناه انّه ليس بعورة يجب سترها فرضاً كالقبل والدبر وانّه عورة يجب سترها في مكارم الأخلاق ومحاسنها ، فلا ينبغي التهاون بذلك في المحافل والجماعات ولا عند ذوي الأقدار والهيئات ، فعلى هذا تستعمل الآثار كلّها واستعمالها كلّها أولى من اطّراح بعضها . اهـ .

فعلى كلا التقديرين نحاشي نبيّ العظمة والجلال أن يكشف عن فخذيه في الملأ غير مكترث للحضور ـ وهو أشدّ حياءً من العذراء ـ ولا يأبه بهم حتّى أن يأتي رضيع ثدي الحياء ، وربيب بين القداسة ، ووليد آل اُميّة ، أشدّ الاُمّة حياءً ، وقد قتلته أفعاله النامية عن تلك الملكة الفاضلة .

ولا يهولنّك وجود الرواية في الصحيحين فانّهما كما قلنا عنهما علبتا السفاسف وعيبتا السقطات وفيهما من المخازي والمخاريق ما شوّه سمعة التأليف ، وفتّ في عضد علم الحديث ، ولعلّنا سوف نُدعم ما ادّعيناه بالبرهنة الصادقة إنشاء الله تعالى ، وليتهما اقتصرا من الخزاية على رواية كشف الفخذ فحسب ولم يُخرجا تعرّيه ﷺ بين الناس، أخرج البخاري في صحيحه باب بنيان الكعبة ج٦ : ١٣ ، ومسلم في صحيحه ج ١ : ١٨٤ من طريق جابر بن عبد الله قال : لمّا بُنيت الكعبة ذهب النبيّ ﷺ وعبّاس ينقلان حجارة ، فقال العبّاس للنبيّ ﷺ : إجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة . ففعل ، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السّماء ، ثمّ قام فقال : إزاري إزاري فشدّ عليه إزاره .

وفي لفظ لمسلم : إنّ رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه

إزاره ، فقال له العبّاس عمّه : يا ابن أخي ! لوحللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة . قال : فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشيّاً عليه ، قال : فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً .

وفي قصّة لابن هشام في السيرة ١ : ١٩٧ قال : كان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي، يُحدث عمّا كان يحفظه به في صغره وأمر جاهليّته انّه قال : لقد رأيتُني في غلمان قريش تنقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلّنا قد تعرّى وأُخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فانّي لأُقبل معهم كذلك وأُدبر ، إذ لكمني لاكمٌ ما أراه لكمةً وجيعة ثمّ قال : شدّ عليك إزارك ، قال : فأخذته وشددته عليّ ، ثمّ جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ، وإزاري عليّ من بين أصحابي .

هلمّوا معي أيّها المسلمون جميعاً نسائل هذين الرجلين ـ صاحبي الصحيحين ـ أهذا جزاء نبيّ العظمة على جهوده ؟ وحقّ شكره على إصلاحه ؟ أهذا من إكباره و تعظيمه ؟ أصحيحٌ أنّ محمّداً ﷺ كان يمشي بين ملأ العمّال عارياً قدنضا عنه ثيابه ، وألقى عنه ازاره ، غيرساتر عن الحضور عورته ؟ وكان عمره ﷺ يومئذ خمساً و ثلاثين سنة كما قال ابن اسحاق[1] .

هب أنّ رواة السوء أخرجوه لغاية مستهدفة لكن ما المبرّر للرجلين أن يستصحّاه ويُثبتاه في صحيحهما كأثر ثابت ؟ أيحسبان أنّ هذا العمل الفاضح من مصاديق ما أثبتاه له ﷺ ـ وهو الصحيح الثابت ـ من انّه ﷺ كان أشدّ حياءً من العذراء ؟[2] وهل تجد في العذراء مَن يستبيح هذه الخلاعة ؟ لاها الله ، لاها الله .

أوَ يحسبان صاحب هذا المجون غير نبيّ الإسلام الذي نهى جرهداً ومعمّراً عن كشف فخذيهما لأنّهما عورة ؟ أو ينهي ﷺ عن كشف الفخذ يوماً ويكشف هو عمّا فوقها يوماً آخر ؟ أوَ من الهيّن أن نعتقد أنّ الفخذ عورةٌ لكن ما يعلوها من السوءة ليس بعورة ؟

(١) واجع سيرة ابن هشام١ : ٢٠٩ ، الروض الانف ١ : ١٢٧ ، عيون الاثر ١ : ٥١ ، وما فى فتح البارى ٧ : ٥ نقلا عن ابن اسحاق ان عمره كان خمساً وعشرين سنة فغير صحيح والذى صحّ عنه خمس وثلثون .

(٢) واجع ما مرّ فى هذا الجزء صفحة ٢٨١ .

هلمّ معي نعطف النظرة بين ما أثبته الصحيحان على رسول الله ﷺ وبين ما جاء به أحمد في مسنده ١ : ٧٤ عن الحسن البصري انّه ذكر عثمان وشدّة حياءه فقال : إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه[1] انظر إلى حياء نبيّ العصمة والقداسة ، وحياء وليد الشجرة المنعوتة في القرآن ، وشتّان بينهما ؟ .

أوَليس هذا النبيّ الأعظم هو الذي سأله معاوية بن حيدة فقال له : يارسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال ﷺ : إحفظ عورتك إلّا من زوجتك أو ما ملكت يمينك . قال : فإذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال : إن استطعت أن لا يراها أحدٌ فلا يرينها . قال : فإذا كان أحدنا خالياً ؟ قال فالله تبارك وتعالى أحقّ أن يُستحيا منه[2] .

لقد أغرق ﷺ نزعاً في ستر العورة حتّى انّه لم يرض بكشفها و المرأ خال حياءً من الله تعالى ، واستدلّ به مَن قال : إنّ التعرّي في الخلاء غير جائز مطلقاً[3] لكن مَن عذيري من صاحبي الصحيحين حيث يحسبان انّه ﷺ كشفها بملأٍ من الأشهاد ؟ والله من فوقهم رقيب . وعلى فرضه ـ وهو فرض محال ـ فأين الحياء المربي على حياء العذراء ؟ وأين الحياء من الله ؟ غفرانك أللهمّ هذا بهتانٌ عظيم .

هل يحسب الشيخان أنّ ذلك الحياء فاجأه ﷺ بعد هذه الوقايع أوالفظايع ، وما كان غريزة فيه منذ صيغ في بوتقة القداسة ؟ إن كانا يزعمان ذلك ؟ فبئس ما زعما ، و إنّ الحقّ الثابت انّه ﷺ كان نبيّاً وآدم بين الروح والجسد[4] و قد اكتنفته الغرائز الكريمة كلّها منذ ذلك العهد المتقادم ، شرع سواء في ذلك وهو في عالم الأنوار، أو: في عالم الأجنّة ، وفي أدوار كونه رضيعاً وطفلاً ويافعاً وغلاماً وكهلاً وشيخاً ، ﷺ

(١) وذكره ابن الجوزى فى صفة الصفوة ١ : ١١٧ ، والمحب الطبرى فى الرياض ٢ : ٨٨ .

(٢) قال ابن تيمية فى المنتقى : رواه الخمسة الا النسائى . نيل الاوطار ٢ : ٤٧ .

(٣) راجع نيل الاوطار ٢ : ٤٧ .

(٤) لهذا الحديث عدّة الفاظ من طريق ميسرة وأبى هريرة وابن سارية وابن عبّاس وابى الجدعاء ، واخرجه ابن سعد ، واحمد بن حنبل ، والبخارى فى التاريخ ، والبغوى ، وابن السكن، والطبرانى ، وابو نعيم فى الحلية والدلائل ، وصحّحه الحاكم ، والترمذى حسنه وصححه ، وابن حبان فى صحيحه ؛ وابن عساكر ، وابن قانع ، والدارمى فى السنن ، واجع كشف الخفا للعجلونى ٢ : ١٢٩ ، والجامع الكبير كما فى ترتيبه ج ٦ .

يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً .

أوَ ليس مسلم هو الذي يروي من طريق المسور بن مخرمة انّه قال : أقبلت بحجر ثقيل أحمله وعليّ إزارٌ خفيفٌ فانحلّ إزاري ومعي الحجر لم استطع أن أمنعه حتّى بلغت به إلى موضعه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ارجع إلى إزارك فخذه ولا تمشوا عراة[١] .

أفمن المستطاع أن يقال : انّه صلى الله عليه وآله وسلم ينهى مسوراً عن المشي عارياً ويزجره عن حمل الحجر كذلك ويرتكب هوما نهى عنه ؟ إنّ هذا الشيء عجاب .

وأعجب منه انّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى انّ المشرك إذا شاهد الناظر المحترم لم يكشف عن عورته فكيف هو بنفسه ، جاء في السير في قصّة الغار ، أنّ رجلاً كشف عن فرجه وجلس يبول فقال أبوبكر : قد رآنا يا رسول الله ! قال : لو رآنا لم يكشف عن فرجه . فتح الباري ٧ : ٩ .

وأعجب من الكلّ انّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى لعورة الصغير حرمة كما جاء في صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ : ٢٥٧ من طريق محمّد بن عياض قال : رُفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صغري وعليّ خرقة وقد كشفت عورتي فقال : غطّوا حرمة عورته فإنّ حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير ، ولا ينظر الله إلى كاشف عورة .

وأنّى يصحّ حديث الشيخين إن صحّ ما مرّ عن ابن هشام ص ٢٨٦ من قصّة لعبه صلى الله عليه وآله وسلم مع الغلمان في صغره وقد حلّ إزاره وجعله على رقبته ، إذ لكمه لاكمٌ فأورعه ، و هتف بقوله : شدّ عليك إزارك ؟ أبعد تلكم اللكمة وذلك الهتاف عاد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما نُهي عنه لمّا كبر وبلغ مبلغ الرجال ؟

وكيف يتّفق حديث الشيخين مع ما أخرجه البزّار من طريق ابن عبّاس قال : كان صلى الله عليه وآله وسلم يغتسل وراء الحجرات وما رأى أحدٌ عورته قطّ . وقال : إسناده حسنٌ[٢] .

وأبلغ من ذلك ما رواه القاضي عياض في الشفا ١ : ٩١ عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطْ .

---

(١) صحيح مسلم ١ : ١٠٥ : وفى ط مشكول ١ : ١٧٤ .
(٢) راجع فتح البارى ٦ : ٤٥٠ ، شرح المواهب للزرقانى ٤ : ٢٨٤ .

كوني أنتِ يا أمَّ المؤمنين حكماً عدلاً بيننا وبين رواة السفاسف ، واحكمي قسطاً فيمن يعزو إلى بعلك المقدَّس ممّا يُربي بنفسه عنه كلّ سافل ساقط ، ويقولون : إنَّ رجلاً لم ير عورته قطّ أحدٌ حتّى حليلته ، وأنتِ من اطلع النّاس على خلواته وسريّاته كان يحمل الحجر بين العمّال عارياً وقد حلّ إزاره وجعله على منكبيه .

أيّهما صحيحٌ عنكِ يا أمّ المؤمنين ممّا اسندوه إليكِ ؛ أحديثكِ هذا ؛ أم ما حدّثت به - إن كنتِ حدّثتِ به - من حديث عثمان مشفوعاً بما ثبت عن بعلكِ ﷺ من أنّ الفخذ عورةٌ ؟ .

وكأنّي بامّ المؤمنين تقول : حسبك أيّها السائل لقد مُنيت بالكذابة كما مُني بها بعلي ﷺ قبلي ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلّا كذبا .

وسيعلم المبطلون غبّ ما فرطوا في جنب رسول الله ﷺ غلوّا في فضائل اُناس آخرين ، ونعم الحَكم الله غداً والخصيم محمّد ﷺ .

ليت شعري هل كانت عائشة تعتقد باستقرار ملكة الحياء في عثمان في كلّ تلك المدّة التي روت عن اولياتها حديث الفخذين ، وطفقت في اُخرياتها تثير الناس على عثمان وتقول فيه تلكم الكلم القارصة الفظّة التي أسلفناها في هذا الجزء صفحة ٧٧-٨٦ ولم تفتأ حتّى أوردته حياض المنيّة ، وهل كانت ترى استمرار حياء الملائكة منه طيلة مابين الحدّين ؟! أو أنّها ترتأي إنفصام عراه بتقطّع حلقات ما اثبتت له من ملكة الحياء ؛ ولذلك قلبت عليه ظهر المجن ، فإن كان الاوّل فما المبرّر للهجاته الأخيرة ؟ وإن كان غيره ؟ فالحديث باطلٌ أيضاً لأنّ تبجيل عالم الملكوت لا يكون إلّا على حقيقة مستوعبة لمدّة حياة الإنسان كلّها ، والتظاهر بالفضل المنصرم لا حقيقة له تكبرها الملائكة وتستحي من جهتها ، هذا إن لم تُعد أمّ المؤمنين علينا جوابها الأوّل مرّة اُخرى من أنّها مُنيت بالكذابة كما انّه جوابها المطّرد في كلّ ما يُروى عنها من فضل عثمان وإنّ كلّها من ولائد عهد معاوية المحشوّ بالأكاذيب والمفتريات طمعاً في رضائخه .

٣- أخرج الطبراني من حديث أبي معشر البراء البصري عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان عن أبيه عمر بن أبان عن أبيه أبان بن عثمان بن عفان قال : سمعت عبدالله بن عمر يقول : بينما رسول الله ﷺ جالسٌ وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثمّ استأذن

عمر فدخل ، ثمّ استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثمّ استأذن عثمان بن عفّان فدخل و رسول الله ﷺ يتحدّث كاشفاً عن ركبته فردّ ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان و قال لامرأته : استأخري فتحدّثوا ساعة ثمّ خرجوا فقالت عائشة : يا نبيّ الله دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتك ولم تؤخّرني عنك ؟ فقال النبيّ ﷺ : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ والذي نفسي بيده انّ الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ، ولودخل وأنت قريبٌ منّي لم يتحدّث ، ولم يرفع رأسه حتّى يخرج .

ذكره ابن كثير في تاريخه ٧ : ٢٠٣ فقال : هذا حديثٌ غريبٌ وفي سنده ضعفٌ .
وأوعز الذهبي إليه في الميزان ٢ : ٢٥٠ فقال : قال البخاري : في حديث عمر بن أبان نظر.

قال الأميني : هذه الرواية لدة ما أسلفناه من مسلم وأحمد مشفوعاً بتفنيده و إبطاله و نزيدك ها هنا : انّ البراء أبا معشر البصري ضعّفه ابن معين ، وقال أبو داود : ليس بذاك[1] وفيها إبراهيم بن عمر بصريٌّ أمويٌّ حفيد الممدوح قال أبوحاتم : ضعيف الحديث . وقال ابن أبي حاتم : ترك أبو زرعة حديثه فلم يقرأه علينا . وقال ابن حبّان : لايحتجّ بخبره إذا انفرد[2] وقال ابن عدي : حدّثنا أبويعلى عن المقدمي عن أبي معشر عن ابراهيم بن عمر بن أبان بأحاديث كلّها غير محفوظة منها : انّ النبيّ ﷺ أسرّ إلى عثمان انّه يقتل ظلماً[3] .

٤- أخرج الطبراني من طريق أبي مروان محمّد بن عثمان الأموي العثماني عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان عن مالك عن أبي الزناد (مولى بنت عثمان) عن الأعرج عن أبي هريرة انّ رسول الله ﷺ قال : عثمان حييٌّ تستحي منه الملائكة[4]

قال الأميني : في الإسناد أبو مروان محمّد قال صالح الأسدي : يروي عن أبيه المناكير ، وقال ابن حبّان : يخطيء ويخالف[5] .

(١) تهذيب التهذيب ١١ : ٤٣٠ .
(٢) ميزان الاعتدال ١ : ٢٤ ، لسان الميزان ١ : ٨٦ .
(٣) لسان الميزان ٤ : ٢٨٢ .
(٤) تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٠٣ .
(٥) تهذيب التهذيب ٩ : ٣٣٦ .

وفيه عثمان بن خالد قال البخاري : عنده مناكير . وقال النسائي : ليس بثقة . و قال العقيلي : الغالب على حديثه الوهم . وقال أبو أحمد : منكر الحديث : و قال ابن عدي : أحاديثه كلها غير محفوظة . وقال الساجي : عنده مناكير غير معروفة . وقال الحاكم وأبو نعيم : حدث عن مالك و غيره بأحاديث موضوعة[١] و قال ابن حبان : يروي المقلوبات عن الثقات لايجوز الإحتجاج به[٢] ، وقال السندي في شرح سنن ابن ماجة ١ : ٥٣ في حديث يأتي : إسناده ضعيف فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم .

وقد فصلنا القول قبيل هذا في حياء الرجل بما لا مزيد عليه وبذلك تعلم أن الحديث باطل و إن صح إسناده فكيف به وإسناده أوهن من متنه .

٥- أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ١ : ٥٦ من طريق هشيم أبي نصر التمار عن الكوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشد أمتي حياء عثمان بن عفان .

قال الأميني : تغمرني الحيرة في حياء أمة محمد صلى الله عليه وآله ومبلغها منه بعد أن كان عثمان أشدها حياء وبين يديك أفعاله وتروكه ، فعلى الأمة العفا إن صدقت الأحلام . نعم : هذا لايكون ، ونبي العظمة لايسرف في القول ، ولايجازف في الإطراء ، والإسناد باطل لايعول عليه لمكان كوثر بن حكيم قال أبوزرعة : ضعيف . وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال أحمد بن حنبل : أحاديثه بواطيل ليس بشيء . وقال الدارقطني وغيره : مجهول . و قال أبوطالب : سألت أحمد عنه فقال : ليس هو من عيالنا ، و كان أحمد إذ لم يروعن رجل قال : ليس هومن عيالنا متروك الحديث وقال : ضعيف منكر الحديث . وقال الجوزجاني : لايحل كتابة حديثه عندي لأنه متروك . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه غير محفوظة . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : ضعيف الحديث . قلت : هو متروك ؟ قال : لا ، ولاأعلم له حديثاً مستقيماً وهوليس بشيء . وقال ابن أبي شيبة : منكر الحديث. وقال أبوالفتح والساجي: ضعيف . وقال البرقاني والدارقطني : متروك الحديث . وذكره العقيلي والدولابي وابن الجارود وابن شاهين في الضعفاء . ميزان الاعتدال ٢ : ٣٥٩ ،

---

(١) روايته هذه عن مالك من تلكم الموضوعات .

(٢) تهذيب التهذيب ٧ : ١١٤ .

لسان الميزان ٤ : ٤٩١ .

٦- أخرج أبو نعيم في الحلية ١ : ٥٦ من طريق زكريا بن يحيى المقري[1] عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عثمان أحيا اُمتي وأكرمها .

قال الأميني : ما خطر اُمة محمد صلى الله عليه وآله إن كان أحياها وأكرمها قتيل الصحابة العدول إثر هناته وموبقاته ، وليد الشجرة الملعونة في القرآن ، وليد أبي العاص وقد صح عنه صلى الله عليه وآله في ولده قوله : إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولا ، و عباده خولا ، ودينه دخلا . وقد كان بلاغهم ثلاثين يوم عثمان وهو أحدهم ورأسهم ، و أسلفنا في ذلك قول أبي ذر الناظر إليه وإليهم من كثب . فهل يثمر الشوك العنب ؟ لاها الله .

أيحسب الباحث انّ النبي صلى الله عليه وآله أسرَّ بهذه المنقبة الرابية إلى ابن عمر فحسب من بين الصحابة ؟ أم أعلن بها في ملأ من أصحابه و كان في الآذان وقر ؟ أم سمعوها ونسوها من يومهم الأول ؟ أم حفظوها ونبذوها وراء ظهورهم يوم تركوا جثمان أحيا الاُمة وأكرمها منبوذاً ثلاثة أيام في مزبلة من غير دفن ؟ ثمّ دفنها عدة اُناس ليلاً وما أمكنهم تغسيله وتكفينه وتجهيزه والصلاة عليه ، دُفن في مقبرة اليهود بعدما رُجم سريره وكُسر ضلعٌ من أضلاعه ، وعُفي قبره خوفاً عليه من النبش .

على أنّ الإسناد لا يصح لمكان زكريا بن يحيى وهو ضعيف وشيخه يخطئ في الإسناد والمتن وقد أخطأ في أحاديث كثيرة ، وغرائب حديثه وما ينفرد به كثير . راجع تاريخ الخطيب البغدادي وميزان الإعتدال ولسانه .

٧- أخرج ابن عساكر في ترجمة عثمان من طريق أبي هريرة مرفوعاً : الحياء من الايمان وأحيى اُمتي عثمان .

ضعّفه السيوطي في الجامع الصغير وأقرّه المناوي راجع فيض القدير ٣ : ٤٢٩

☆(لفت نظر)☆ يُعطينا سبر التاريخ والحديث خُبراً بأنّ السيرة المطّردة لرجال الوضع والإختلاق في شنشنة التقوّل والإفتعال في الفضائل هي العناية الخاصّة بالملكات التي كان يفقدها الممدوح رأساً . والمبالغة و الإكثار في كلّ غريزة ثبت خلافها ممّا عُلم من تاريخ حياة الرجل ومن سيرته الثابتة المشهورة ، فنجدهم يبالغون

(١) في النسخة : المنقرى .

في شجاعة أبي بكر بما لا مزيد عليه حتّى حسبوه أشجع الصحابة، وقد شهد مشاهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّها و ما سلّ فيها سيفاً، ولا نزل في معترك قتال، ولا تقدّم لبراز أيّ مجالد، وما رُمي قطّ مناضلاً، وماشوهد يوماً في ميادين الحراب منازلاً، فأكثروا القول فيها وجاؤا بأحاديث خرافة في شجاعته رجاء أن يثبت له منها شيءٌ تجاه تلك الدراية الثابتة بالمحسوس المشاهد(١).

ويبالغون في زهده وتقواه وجعلوا كبده مشويّاً من خوف الله والدخان يتصاعد من فمه إلى السّماء مهما تنفّس، ولم يثبت له ميزٌ في العبادة ولم يُروَ عنه الإكثار من الصّوم والصّلاة ومن كلّ ما يقرّبه إلى الله زلفى(٢).

ويبالغون في علم عمر وجعلوه أعلم الصحابة في يومه على الإطلاق وأفقههم في دين الله، وحابوه تسعة أعشار العلم، راجحاً علمه علم أهل الأرض، علم أحياء العرب في كفّة الميزان، وجاؤا فيه بكثير لدة هذه الخرافات(٣) والرجل قد ألهاه الصّفق بالأسواق عن علم الكتاب والسنّة، وكلٌّ النّاس أفقه منه حتّى ربّات الحجال أخذاً بقوله وهو الصّادق المصدّق فيه(٤).

ويبالغون في إنكاره الباطل وبغضه الغناء ونكيره الشديد عليه، وقد ثبت من شكيمته انّه كان يتعاطاه ويجوّزه(٥).

ولمّا وجدوا أنّ التاريخ الصحيح وما ثبت من سيرة عثمان ينفي عنه ملكة الحياء ويُمثّله للمجتمع بما يضادّها، نسجوا له هذا النسج المبرم، وأتوا بالمخازي ووضعت يد الإفتعال فيها ما سمعت من الأفائك، حتّى جعلوه أشدّ أُمّة محمّد حياء وأحياها و أكرمها، حيياً تستحي منه الملائكة. فحياء عثمان كشجاعة أبي بكر وعلم عمر سالبةٌ بانتفاء موضوعاتها، وهي فيهم تُضاهي أمانة معاوية وعلمه الواردين فيما يُعزى إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم من قوله: كاد أن يبعث معاوية نبيّاً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربّي. وقوله:

---

(١) راجع ما أسلفناه فى الجزء السابع ص ٢٠٠-٢١٥ ط٢.
(٢) راجع ما أسلفناه فى الجزء السابع ص ٢١٩-٢٢٢ ط٢.
(٣) راجع ما مرّ فى الجزء السادس ص ٨٢، ٣٣١، والجزء الثامن ص ٦٢، ٦٣ ط٢.
(٤) راجع ما أسلفناه فى الجزء السادس من «نوادر الاثر فى علم عمر».
(٥) راجع ما مرّ فى الجزء الثامن ص ٦٤-٨١، ٨٦، ٩٤-٩٦ ط٢.

الأمناء سبعة: اللوح والقلم وإسرافيل وميكائيل وجبريل ومحمّد ومعاوية[1].

ويُعرب عن أمانة معاوية ومبلغه من هذه الملكة الفاضلة ما رواه أبوبكر الهذلي قال: إنّ أبا الأسود الدؤلي كان يُحدّث معاوية يوماً فتحرّك فضرط فقال لمعاوية: استرها عليّ. فقال: نعم. فلمّا خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، فلمّا غدا عليه أبوالأسود قال عمرو: ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس؟ قال: ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكلّ أجوف ضروط. ثمّ أقبل على معاوية فقال: إنّ امرء ضعفت أمانته و مروأته عن كتمان ضرطة لحقيقٌ بأن لا يؤمَن على امور المسلمين.

الأغاني ١١: ١١٣، حياة الحيوان للدميري ١: ٣٥١. محاضرات الرّاغب ٢: ١٢٥.

٨- أخرج الحاكم في المستدرك ٣: ١٠٢ من طريق الدارمي عن سعيد بن عبد الله الجرجسي عن محمّد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عمرو بن أبان بن عثمان (الممدوح) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اُري الليلة رجلٌ صالحٌ أنّ أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر. فلمّا قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلنا: أمّا الرجل الصالح فرسول الله، وأمّا ماذكر من نوط بعضهم ببعض فهم وُلاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الحاكم: قال الدارمي: سمعت يحيى بن معين يقول: محمّد بن حرب يسند هذا الحديث والناس يحدّثون به عن الزهري مرسلاً إنّما هو عمرو بن أبان ولم يكن لأبان ابن عثمان ابنٌ يقال له عمرو.

قال الأميني: ألا تعجب من رؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحدّث بها في ملأ الصحابة ولم يسمعها منه صلى الله عليه وآله وسلم إلّا جابر بن عبد الله وهو لم يرتّب عليها أيّ أثر عمليّ، ولم يروها عنه إلّا حفيد عثمان عمرو بن أبان الذي لم يكن له وجودٌ، أواختلف في انّه كان أو لم يكن؟ نعم: ينبغي حقّاً أن يكون مستدرك الصحيحين أمثال هذه التافهات.

٩- أخرج ابن ماجة في سننه ١: ٥٣ عن أبي مروان محمّد بن عثمان الأموي العثماني عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن

(١) راجع الجزء الخامس من الغدير ص ٣٠٨ ط ٢.

أبيه (مولى عائشة بنت عثمان) عن الأعرج عن أبي هريرة إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لكلّ نبيّ رفيق في الجنّة ورفيقي فيها عثمان بن عفان .

رجال الإسناد :

١- أبو مروان مرّ الايعاز إليه ص٢٩٠ .

٢ - عثمان بن خالد ، أسلفنا في هذا الجزء ص ٢٩١ كلمات الحفّاظ فيه و انّه ليس بثقة ، وأحاديثه كلّها غير محفوظة ، وحدّث باحاديث موضوعة لايجوز الإحتجاج به . و رواه الترمذي من طريق طلحة بن عبيدالله و قال : غريبٌ ليس إسناده بالقويّ و هو منقطعٌ .

٣ - عبدالرّحمن بن أبي الزناد ، قال يحيى بن معين : ليس ممّن يحتجّ به أصحاب الحديث ليس بشيء . وقال ابن صالح وغيره عن ابن معين : ضعيفٌ . و قال الدوري عن ابن معين : لا يحتجّ بحديثه . وقال صالح بن أحمد عن أبيه : مضطرب الحديث . و عن ابن المديني : كان عند أصحابنا ضعيفاً . وقال النسائي : لا يُحتجّ بحديثه . وقال ابن سعد: كان كثير الحديث و كان يضعف لروايته عن أبيه . (تهذيب التهذيب ٦ : ١٧١)

و بعد ذلك كلّه فانّي أستغرب هذه الرفاقة وإنّ الرجل بما ذا اختصّ بها وحصل عليها من دون الصحابة المقدّمين ذوي الفضائل و المآثر ، و في مقدّمهم صنوه صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه و هو نفسه في الذكر الحكيم ، و أخوه المخصوص به في حديث المواخاة المعربة عن المجانسة بينهما في النفسيّات ، وهو الذابّ الوحيد عنه في حروبه ومغازيه ، ومثله الأعلى في العصمة والقداسة بصريح آية التطهير ، و باب مدينة علمه في الحديث المتواتر .

فبماذا اختصّ عثمان بهذه الرفاقة دون عليّ أمير المؤمنين ؟ ألمشاكلته مع صاحب الرسالة العظمى في النسب أو الحسب في العلم والتقوى و الملكات الفاضلة ؟ أو لاتّباعه ماجاء به صلى الله عليه وآله من كتاب أو سنّة ؟ و أنت متى استشففت ماتلوناه في هذا الكتاب من موارد الخليفة ومصادره ، وأخذه وردّه ، وأفعاله وتروكه ، تعلم مبوّأه من كلّ هاتيك الفضائل وتجد من المستحيل ما أثبتته له هذه الرواية الواهية باسنادها الساقط ، تعالى نبيّ العظمة عن ذلك علوّاً كبيرا .

ولست أدري لماذا ردّ الله دعاء نبيّه الأعظم في أبي بكر الوارد فيما أخرجه ابن عدي من طريق الزبير بن العوام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أللهمّ إنّك جعلت أبا بكر رفيقي في الغار فاجعله رفيقي في الجنّة (١)

نعم: هذا كحديث ابن ماجة هما سواسية في البطلان، في إسناده محمّد بن الوليد القلانسي البغدادي. كذّاب يضع الحديث كما مرّ في سلسلة الكذّابين ج ٥ : ٢٦٥ ط ٢، ومصعب بن سعيد يحدّث عن الثقات بالمناكير ويصحّف، وكان مدلّساً لا يدري ما يقول وستوافيك ترجمته، وعيسى بن يونس مجهول لا يعرف.

١٠ - أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ٩٧ من طريق عبيد الله بن عمر القواريرى البصري عن القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري عن أبي عبادة الزرقي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حُصر في موضع الجنائز فقال: انشدك الله يا طلحة ! أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكان كذا وكذا وليس معه من أصحابه غيري و غيرك فقال لك: يا طلحة ! انّه ليس من نبيّ إلّا وله رفيقٌ من اُمّته معه في الجنّة و إنّ عثمان رفيقي و معي في الجنّة ؟ فقال طلحة: أللهمّ نعم. قال: ثمّ انصرف طلحة.

و في لفظ أحمد في مسنده ١ : ٧٤ بالإسناد نفسه عن أسلم قال: شهدت عثمان رضي الله عنه يوم حُوصر في موضع الجنائز ولو اُلقي حجرٌ لم يقع إلّا على رأس رجل فرأيت عثمان رضي الله عنه أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام فقال: أيّها الناس أفيكم طلحة ؟ فسكتوا. ثمّ قال: أيّها النّاس أفيكم طلحة ؟ فسكتوا. ثمّ قال: يا أيّها النّاس أفيكم طلحة ؟ فقام طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان رضي الله عنه: ألا أراك ههنا ما كنت أرى انّك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرّات ثمّ لا تجيبني انشدك الله يا طلحة ! تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في موضع كذا كذا ليس معه أحدٌ من أصحابه غيري وغيرك ؟ قال: نعم. فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا طلحة ! انّه ليس من نبيّ إلّا ومعه من أصحابه رفيقٌ من اُمّته معه في الجنّة، و إنّ عثمان ابن عفّان رضي الله عنه هذا يعنيني رفيقي معي في الجنّة ؟ قال: طلحة: أللهمّ نعم. ثمّ انصرف.

---

(١) لسان الميزان ٥ : ٤١٨.

صحّحه الحاكم وعقّبه الذهبي فقال : قلت : قاسم هذا قال البخاري : لا يصحّ حديثه . وقال أبوحاتم : مجهولٌ . وذكره ابن‌حجر في تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٢ وحكى عن البخاري وأبي حاتم ما ذكره الذهبي .

وفي الإسناد عبيد الله القواريري روى عنه البخاري خمسة أحاديث فحسب ، و مسلم أربعين حديثاً [١] وقد سمع منه أحمد بن يحيى مائة ألف حديث [٢] فما حكم ذلك الحوش الحائش ممّا جاء به القواريري بعد ما لم يأخذ البخاري ومسلم منه إلّا عدّة أحاديث وضربا عن كلّ ذلك صفحاً ؟ ومن المستبعد جدًّا عدم وقوفهما عليها .

وفيه : أبو عبادة الزرقي عيسى بن عبدالرّحمن الأنصاري قال أبو زرعة : ليس بالقويّ . وقال أبوحاتم : منكر الحديث ضعيف الحديث شبيهٌ بالمتروك لا أعلمه روى عن الزهري حديثاً صحيحاً . وقال البخاري والنسائي : منكر الحديث . وقال ابن حبّان : يروي المناكير عن المشاهير فاستحقّ الترك . وقال العقيلي : مضطرب الحديث . وقال الأزدي : منكر الحديث مجهولٌ . وقال ابن‌عدي : عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه . وقال ابن حبّان أيضاً : لا ينبغي أن يحتجّ بما انفرد به [٣] .

قال الأميني : ولا يكاد يصحّ انصراف طلحة مع إصراره الثابت في التشديد على عثمان إلى آخر نفس لفظه الرجل ، ولم يقنعه الإجهاز عليه حتّى انّه منعه عن الدفن في مقابر المسلمين ، و جعل ناساً هناك أكمنهم كميناً ورموا حملة جنازته بالحجارة و صاحوا : نعثل نعثل . وقال طلحة : يُدفن بدير «سلع» يعني مقابر اليهود ، و لذلك قال مروان لمّا قتل طلحة لأبان بن عثمان : قد كفيتك بعض قتلة أبيك ، ومروان كان شاهداً عليه من كثب [٤] .

ومن العجيب أنّ هذه المناشدة كانت في ذلك المحتشد الرحيب بمسمع من اولئك الجمّ الغفير وكان لو اُلقي الحجر لم يقع إلّا على رأس رجل لكنّها لم تكفيء أحداً منهم ، فهل كانوا معترفين بها معرضين عنها ؟ فأين العدالة المزعومة فيهم ؟ أو أنّهم

(١) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ٤١ .
(٢) تهذيب التهذيب ٧ : ٤١ .
(٣) تهذيب التهذيب ٨ : ٢١٨ ، لسان الميزان ٤ : ٤٠٠ .
(٤) راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ٩١ — ١٠١ .

عرفوا بطلانها وما صدّقوا الرجلين في دعواهما فتركوها في مدحرة الإعراض؟ أو لم تكن هنالك مناشدة قطّ؟ وهو أقرب الوجوه إلى الحقّ.

ولو فرضنا انّها أكفأت طلحة كما يحسبه مختلق هذه الرواية فانّه لم يكن إلّا اكفاءً وقتياً ثمّ راجع طلحة رشده فعرف انّها حجّة داحضة فاستمرّ على ما ثار له، وثبت عنه من الثبات على عمله وتضييقه.

هذه غاية ما يمكن أن يقال متى تجشّمنا لوضع هذه المزعمة في بقعة الإمكان، ومن المستصحب ذلك أو المتعذّر، وقد أسلفنا انّ الرفاقة المزعومة ليس من السّهل تصديقها لعدم المجانسة بين الرفيقين قطّ ولو كان من جهة.

والرفاقة كالأُخوّة والصحبة - المنبعثة ئلائتها عن التجانس في الخُلُل والمزايا - تخصّ بعليّ أميرالمؤمنين عليه السلام كما جاء مرفوعاً: يا عليّ أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنّة(١) وهذا التخصّص تعاضده البرهنة الثابتة، ويؤيّد بالإعتبار.

١١- أخرج أبو يعلي وأبو نعيم وابن عساكر في تاريخه ٧ : ٦٥، والحاكم في المستدرك ٣ : ٩٧ من طريق شيبان بن فروخ عن طلحة بن زيد الدمشقي عن عبيدة(٢) ابن حسان عن عطاء الكيخاراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بينما نحن في بيت ابن حشفة في نفر من المهاجرين فيهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لينهض كلّ رجل منكم إلى كفؤه فنهض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عثمان فاعتنقه وقال: أنت وليّي في الدنيا والآخرة.

صحّحه الحاكم وعقّبه الذهبي في تلخيصه وقال: قلت: بل ضعيفٌ فيه طلحة ابن زيد وهو واهٍ عن عبيدة بن حسان شويخ مقلّ عن عطاء. وقال السيوطي في اللئالي ١ : ٣١٧ : موضوعٌ، طلحة لايحتجّ به، وعبيدة يروي الموضوعات عن الثقات. اهـ.

وذكره المحبّ الطبري في رياضه النضرة ٢ : ١٠١، وابن كثير في تاريخه ٧ : ٢١٢ ساكتين عمّا في إسناده من الغمز شأنهما في فضائل مَن يحبّانه و يواليانه، و لا يخفى

---

(١) تاريخ الخطيب ١٢ : ٢٦٨.

(٢) في النسخة هاهنا وفيما يأتي: عبيد. والصحيح ما ذكرناه.

عليهما قول أحمد : طلحة بن زيد ليس بذاك قد حدَّث بأحاديث مناكير . وقوله : ليس بشيء كان يضع الحديث لايعجبني حديثه . وقول البخاري والنسائي : منكر الحديث . وقول النسائي أيضاً : ليس بثقة متروك . وقول صالح بن محمّد : لايكتب حديثه . وقول ابن حبّان : منكر الحديث لا يحلّ الإحتجاج بخبره . و قول الدارقطني و البرقاني : ضعيف . وقول أبي نعيم : حدّث بالمناكير لاشيء . و قول الآجري عن أبي داود : يضع الحديث . ونسبة ابن المدايني إيّاه إلى وضع الحديث . وقول الساجي : منكر الحديث[1]

كما لايخفى على الرجلين رأي الحفّاظ في عبيدة بن حسان قال أبوحاتم : منكر الحديث . وقال ابن حبّان : يروي الموضوعات عن الثقات . وقال الدارقطني : ضعيف . لسان الميزان ٤ : ١٢٥.

والغرابة في هذه المماثلة والولاية المنبعثة عنها في الدنيا والآخرة ، وهي ليست بأقلّ من الرفاقة التي أسلفنا القول فيها قُبيل هذا ، و إنّ من المؤسف جدًّا المقارنة بين رسول العظمة وبين من لم يقم الصحابة الأوّلون ـ العدول كلّهم فيما يرتأون ـ له وزناً ، ولارأوا لحياته قيمة ، ولا حسبوا لتسنّمه عرش الخلافة مؤهّلاً ، فلم يزل ممقوتاً عندهم حتّى كبت به بطنته ، وأجهز عليه عمله ، كما قاله مولانا أميرالمؤمنين[2] ولم يفتأ الصحابة مصرّين على مقته حتى أوردوه حياض المنيّة ، ولم تبرح أعماله مؤكّدة لعقائد الملأ الديني في همزه ولمزه حتي وقع من الأمر ماوقع .

ولا يسع قطّ لعارف عرفان وجه المكافأة بين نبيّ العظمة وبين عثمان ، فإنّها إن كانت من ناحية النسب ؟ فأنّى هي ؟ هذا من شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وذلك من شجرة ملعونة في القرآن .

وإن كانت من حيث الحسب ؟ ففرّق بينهما فيه بُعد المشرقين ولا حرج ، هذا حسيبٌ . وذلك مُقشّب الحسب ؟ وإن كانت من جهة الملكات الفاضلة و النفسيّات الكريمة فالمشاكلة منتفية وهما طرفا نقيض ، هذا ناصح الجيب ، واري الزند[3] لعلى

(١) تاريخ ابن عساكر ٧: ٦٥ ، تهذيب التهذيب ٤ : ١٦ ، اللئالى المصنوعة ١ : ٨١، ٣١٧ .
(٢) راجع ما اسلفناه فى الجزء السابع ٨٢ ط٢.
(٣) رجل ناصح الجيب اى صادق امين ، نقى القلب لاغش فيه . ويقال : وارى الزند . فى المبالغة فى الكرم والخصال المحمودة .

خلق عظيم ، والآخر يحمل منها بين جنبيه ماعرّفناك حديثه .

ونحن إن أخذنا ماجاء به القوم من قضايا الملكات فالبون بينهما شاسعٌ أيضاً ، فالنبيّ الأقدس مثلاً عندهم كما مرّ كان يكشف في الملأ عن ركبتيه و عن فخذيه و عمّا هو بينهما وبين سرّته ولم يكن يبالي . وعثمان إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلقٌ، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه ، كمامرّ في حديث الحسن ص ٢٨٧.

وإن فرضت المشاكلة من جانب الأخذ بالدين والعمل بمافيه من أفعال أوتروك؟ فالتباين بينهما ظاهرٌ وأيّ تباين ، ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً؟[1] هذا رسول التوحيد أسلم وجهه لله و هو محسن ، يعبد ربّه مخلصاً له الدين تحت راية لا إله إلّا الله ، وقُرط اُذنه قوله تعالى : قل الله ثمّ ذرهم ، وورد لسانه : وماتوفيقي إلّا بالله عليه توكّلت . وأمّا عثمان فهو أسير هوى مروان ومعاوية وسعيد ومن شاكلهم من أبناء بيته ، يسير مع ميولهم وشهواتهم ، حتى قال مولانا أمير المؤمنين : مارضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحويلك عن دينك وعقلك ، وانّ مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يُسار به[2] قدم ربّه وقد خلط عملاً صالحاً وآخر سيّئاً ، كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته .

ايه ايه يا نبيّ العظمة أنزلك الدهر ثمّ أنزلك حتّى جعلك كُفو عثمان بعد ما اختارك ربّك واصطفاك من بريّته وجعلك لسان صدق نبيّا ، هذا جزاءك من اُمّتك جزاء سنمّار ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

☆(لفت نظر)☆

وضعت يدالأمانة الخائنة على ودائع الإسلام المقدّس هذه الرواية تجاه ماصحّ عن النبيّ الأقدس في صنوه الطاهر أميرا لمؤمنين في حديث طويل عن ابن عبّاس من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام : أنت وليّي في الدنيا والآخرة .

أخرجه أحمد في مسنده ١ : ٣٣١ باسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات كمامرّ الايعاز

(١) سورة الزمر : ٢٨ .

(٢) راجع مامرّ في هذا الجزء ص١٧٤ .

إليه في الجزء الأوّل ص٥٠، و في الجزء الثالث ص ١٩٥ ط٢، رجاله:

١ - يحيي بن حمّاد أبو بكر البصري، أحد رجال الصحيحين، وثّقه ابن سعد و أبو حاتم وابن حبّان والعجلي.

٢ - أبو عوانة الوضّاح اليشكري، من رجال الصحيحين. و ثّقه أبو زرعة و أبو حاتم وأحمد وابن حبّان و ابن سعد والعجلي وابن شاهين. و قال ابن عبد البرّ: أجمعوا على انّه ثقةٌ ثبتٌ حجّة.

٣ - أبو بلج يحيى بن سليم الواسطي. وثّقه ابن معين و ابن سعد والنسائي و الدار قطني وابن حبّان وأبو الفتح الازدي.

٤ - عمرو بن ميمون أبو عبدالله الكوفي، أدرك الجاهليّة ولم يلق النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وثّقه العجلي وابن معين والنسائي وغيرهم. عن ابن عبّاس.

وأخرجه جمعٌ من الحفّاظ وذكره غير واحد من المؤلّفين ومنهم.

١ - الحافظ أبو عبدالرحمن النسائي المتوفّى ٣٠٣ في الخصائص ص ٧.

٢ - « « القاسم الطبراني « ٣٦٠ كما في الفرايد والمجمع وغيرهما

٣ - « « يعلى النيسابوري « ٣٧٤ كما في البداية والنهاية.

٤ - « « عبدالله الحاكم « ٤٠٥ في المستدرك ٣: ١٣٢ وصحّحه

٥ - « « بكر البيهقي « ٤٥٨ كما في المناقب للخوارزمي.

٦ - أخطب خوارزم أبو المؤيد « ٥٦٨ في المناقب ص٧٥.

٧ - الحافظ أبو القاسم ابن عساكر « ٥٧١ في الأربعين الطوال والموافقات

٨ - « أبو عبدالله الكنجي « ٦٥٨ في كفاية الطالب ص١١٥.

٩ - « المحب الطبري « ٦٩٤ في الرياض النضرة ٢ : ٢٠٣، ذخائر العقبى ص ٨٧.

١٠ - شيخ الاسلام الحموئي « ٧٢٢ في فرائد السمطين.

١١ - الحافظ ابن كثير الدمشقي « ٧٧٤ في البداية والنهاية ٧ : ٣٣٧.

١٢ - « أبو الحسن الهيثمي « ٨٠٧ في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٨ وصحّحه من طريق أحمد.

١٣ - الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ في الإصابة ٢ : ٥٠٩ .
١٤ أبو حامد محمود الصالحاني كما في (توضيح الدلائل) لشهاب الدين أحمد.
١٥ - السيد شهاب الدين أحمد في (توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل)
١٦ - الشيخ أحمد بن الفضل باكثير المتوفى ١٠٤٢ في وسيلة المآل .
١٧ - ميرزا محمد البدخشاني المتوفى ١١٢٣ في نزل الأبرار ص١٦ ومفتاح النجا
١٨ - شاه ولي الله الهندي المتوفى ١١٢٦ في إزالة الخفا ٢ : ٢٦١ .
١٩ - الأمير محمد بن اسماعيل اليمني الصنعاني في الروضة الندية .
٢٠ - المولوي ولي الله الهندي المتوفى ١٢٧٠ في مرآة المؤمنين . وغيرهم

هذا ما صح عن النبي الأعظم من قوله : أنت وليي في الدنيا والآخرة . فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم .

١٢ - أخرج البزار من طريق خارجة بن مصعب عن عبدالله بن عبيد الحميري البصري عن أبيه قال : كنت عند عثمان حين حصر فقال : هاهنا طلحة ؟ فقال طلحة : نعم . فقال : انشدتك الله أما علمت أنا كنا عند رسول الله ﷺ فقال : ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فأخذت بيد فلان ، وأخذ فلان بيد فلان ، حتى أخذ كل رجل بيد صاحبه وأخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال : هذا جليسي في الدنيا ووليي في الآخرة ؟ قال : أللهم نعم .

وذكره ابن حجر في فتح الباري ٥ . ٣١٥ عن ابن منده من طريق عبيد الحميري المذكور ساكتاً عما في إسناده من العلة ، كأنه ليس هو الذي حكى تلكم الآراء الواردة في جرح خارجة بن مصعب عن الحفاظ وأئمة الجرح والتعديل قال في تهذيب التهذيب ٣ : ٧٨ : قال الأثرم عن أحمد : لا يكتب حديثه . وقال عبد الله بن أحمد : نهاني أبي أن أكتب عنه شيئاً من الحديث . وقال الدوري ومعاوية وعباس عن ابن نمير : ليس بثقة ، ليس بشيء ، كذاب ، ضعيف . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال يحيى بن يحيى : يدلس وقال النسائي : متروك الأحاديث ، ليس بثقة ، ضعيف . وقال ابن سعد : إتقى الناس حديثه فتركوه . وقال ابن خراش وأبو أحمد : متروك الحديث . وقال الدارقطني : ضعيف . وقال يعقوب : ضعيف الحديث عند جميع أصحابنا . وقال ابن المديني : هو عندنا ضعيف .

وقال أبو داود : ضعيف ليس بشيء . وقال ابن حبان : وقع في حديثه الموضوعات عن الأثبات لايجوز الإحتجاج بخبره . وذكره ابن الجارود والعقيلي وابن السكن وأبوزرعة وأبو العرب وغيرهم في الضعفاء .

وقال السيوطي في اللئالي ١ : ٣١٧ : قال ابن حبان : خارجة يدلس عن الكذابين ووقع في حديثه الموضوعات .

ولعلّنا أوقفناك على مقياس صحيح في أمثال هذه الرواية في ذيل الروايتين اللتين تشبهانها قبيل هذا ، فإنك إذن لا تجد مقيلاً لها من الصحة والإعتبار نظراً إلى متنها قبل أن تقف على ضعف إسنادها ، فدعها ومر بها كريماً ، وذر الوضاعين في غلوائهم يرمون القول على عواهنه .

ولو كان طلحة سمع هذه المزعمة منه صلى الله عليه وآله وسلم واعترف بها يوم الحصار في ملأ الصحابة لماكان يأخذ بخناق الرجل ويشدد عليه ، وماكان يثير عليه نقع الفتن حتى يورده مورد المنية ، و لم يك يمنع عنه ايصال الماء إليه ، ولم يرض بانهاء أمره إلى القتل الذريع ، ولم يرضه دفنه في مقابر اليهود .

لو كان طلحة يعرف شيئاً من هذه الرواية لما استسهل ركوب ذلك المركب الصعب الجموح وهو صحابي عادل أحد العشرة المبشرة كما يحسبون .

١٣- أخرج ابن ماجة في سننه ١ : ٥٣ عن أبي مروان محمد بن عثمان الأموي العثماني عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقي عثمان عند باب المسجد فقال : يا عثمان ؛ هذا جبريل أخبرني إن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها . ورواه ابن عساكر كما في تاريخ ابن كثير ٧ : ٢١١ .

قال الأميني : أسلفنا فيما مر صفحة ٢٩٠ ان محمد بن عثمان يخطىء ويخالف و يروي عن أبيه مناكير، وإن أباه ليس بثقة وأحاديثه غيرمحفوظة ، وانه حدث بأحاديث موضوعة لا يجوز الإحتجاج به ، ومر في صفحة ٢٩٥ ان عبدالرحمن بن أبي الزناد : ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث ، وانه ضعيف مضطرب الحديث لا يحتج بحديثه ، وعليك بمراجعة مافصلناه في الجزء الثامن ص ٢٣١-٢٣٤ط٢ .

١٤- أخرج ابن عدي قال: حدّثنا محمّد بن داود بن دينار حدّثنا أحمد بن محمّد ابن حباب البصري حدّثنا عمرو بن فائد البصري عن موسى بن سيار البصري عن الحسن البصري عن أنس مرفوعاً: إنّ لله تعالى سيفاً مغموداً في غمده مادام عثمان بن عفّان حيّاً، فإذا قُتل جُرّد ذلك السّيف فلم يُغمد إلى يوم القيامة. ورواه ابن عساكر بالإسناد.

قال السيوطي في اللئالي ١: ٣١٦: موضوعٌ آفته عمرو بن فائد، وشيخه كذّابٌ أيضاً.

قال الأميني: ألا تعجب من السيوطي؟ يحكم هاهنا على الرواية بالوضع ويكذّب راويه ويذكرها في تاريخ الخلفاء ص ١١٠ في عدّ فضائل عثمان ويقتصر على قوله: تفرّد به عمرو بن فائد وله مناكير. نعم هكذا يموّهون على الحقايق ويغرون الناس بالجهل، كان على الرجل أن يلغيها عن سياق عدّ الفضائل - التي من طبعها أن يُحتجّ بها - بعد ما رآها موضوعة رواها كذّابٌ عن كذّاب، غير أنّه لو اقتصر على ما يحتجّ به في باب الفضائل، و ألغى مالا يصحّ منها سنداً أو متناً، لما يجد هو وغيره فضيلة قطّ لعثمان، وهذا ممّا لا يروقه هو ولا يحبّذه قومه.

وللدار قطني، وابن المديني، والعقيلي، و ابن عدي، و النسائي، والذهبي، كلمات في جرح عمرو بن فائد وبطلان حديثه. راجع لسان الميزان ٤: ٣٧٢.

وليحيى القطّان، وأبي حاتم، وابن عدي، وابن معين، والذهبي، أقوال في تفنيد موسى ابن سيار البصري وتكذيبه وبطلان حديثه. راجع ميزان الإعتدال ٣: ٢١١، ولسان الميزان ٦: ١٢٠.

وفي الإسناد محمّد بن داود الفارسي، قال الذهبي في الميزان ٣: ٥٤: من شيوخ ابن عدي ذكره فقال: كان يكذب. وذكر ابن حجر في اللسان ٥: ١٦١ حديثاً في فضل عليّ أمير المؤمنين فقال: هو من وضع محمّد بن داود بن دينار.

هذا شأن هذه المكذوبة غير أنّ اُناساً من الغالين في الفضائل كالسيوطي و القرماني[1] وأحمد زيني دحلان[2] إتّخذوها حجّة عند ذكرهم فضائل عثمان مرسلين

(١) في اخبار الدول هامش الكامل لابن اثير ١: ٢١٤.
(٢) في الفتوحات الاسلاميّة ٢: ٤٩٨.

إيّاها إرسال المسلّم شأنهم في الموضوعات المفتعلة في الثناء على رجالاتهم .

١٥- وأخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ١٠٣ من طريق أحمد بن كامل القاضي عن أحمد بن محمّد بن عبد الحميد الجعفي عن الفضل بن جبير الورّاق عن خالد بن عبد الله الطحّان المزني عن عطاء بن السائب عن سعد بن جبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : كنت قاعداً عند النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ أقبل عثمان بن عفّان رضي الله عنه فلمّا دنا منه قال : ياعثمان ! تُقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» وتبعث يوم القيامة أميراً على كلّ مخذول يغبطك أهل الشرق والغرب ، وتشفع في عدد ربيعة ومضر .

قال الأميني : سكت الحاكم عن صحّة الحديث وأنصف الذهبي فقال في تلخيصه : كذبٌ بحت ، وفي الإسناد أحمد بن محمّد بن عبد الحميد الجعفي وهو المتّهم به . اه.

وشيخ الجعفي أيضاً لا يتابع على حديثه كما قاله العقيلي وحكاه عنه الذهبي في الميزان وابن حجر في لسانه ٤ : ٤٣٨ .

إنّ ممّا يُقضى منه العجب أنّ أحداً من الصحابة العدول لم يسمع هذا الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، كأنّ المجلس الذي ألقى صلّى الله عليه وآله وسلّم فيه هذه الكلمة كان خلواً عنهم جميعاً ومن العجيب أيضاً انّه لم يروه أحدٌ منهم لصاحبه - إن كان سمعه أحدٌ - حتّى تتداوله الألسن فعسى أن يكون رادعاً عن التجمهر على عثمان والاتّفاق على نبذه والجرأة على قتله ، نعم : لم يسمعه أحدٌ منه صلّى الله عليه وآله وسلّم عدا ابن عبّاس الذي كان صبيّاً في عهد النبوّة لم يبلغ الحلم و قد توفّي صلّى الله عليه وآله وسلّم وابن عبّاس ابن ثلاثة عشر سنة كما قاله الواقدي و الزبير وصحّحه أبو عمر في « الإستيعاب » أو عشر سنين كما روي عن ابن عبّاس نفسه من وجوه[1] أو أكثر منها ، وربما يُشكّ في أنّه هل كان يحسن التحمّل عندئذ أولا ؟ ولعلّه هو أيضاً كان شاكّاً في تحمّله هذا الحديث حيث جاءته استغاثة عثمان[2] وهو يخطب الحاجّ يوم عرفة فتلاها نافع بن طريف فلمّا أتمّها مضى ابن عبّاس في خطبته غير مكترث لاستغاثة الخليفة وهو بين الناب والمخلب ، على حين انّه كان منصوباً من قبله لإمارة

(١) راجع مسند احمد ١ : ٢٥٣ ، الاستيعاب ١ : ٣٧٢ .

(٢) راجع ما مضى في هذا الجزء صفحة ١٣٤ ، ١٩٢ .

الحاجّ ، فلم يعرض لشيء من شأنه ولا للزوم الدفاع عنه ، وما ذلك إلّا لإصفاقه مع المجهزين عليه في الرأي وإلّا لكان من واجبه الحثّ على الذبّ عنه ، وبيان وجوب إغاثته ، وملأ سمعه هذا الحديث الذي عُزي إليه وملأ فيه روايته ـ وحاشاه عن راويته ـ وكأنّ الحضرة النبويّة نصب عينيه يتلقّى فيه الرواية ، وهو الذي يقتضيه عدله وتقواه .

وهناك شاهدٌ آخر لعدم إخباته إلى مضمون هذه الرواية وهو انّه لمّا بعثه عثمان أميراً على الحاجّ لقيته عائشة في بعض المنازل فقالت له : يا ابن عبّاس ! إنّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية[1] تعني عثمان ، فلم يُبد ابن عبّاس اما تجاه تلك الشدّة تجهّماً ولا قولاً ليّناً كمن يوافقها على النزعة ، كما ردّ عليها في حثّها على عدم التخذيل عن طلحة وجنوحها إلى تولّيه الأمر ، فلو كان ابن عبّاس يعرف في شأن عثمان شيئاً من هذه الرواية لرواه لها واتّخذه مستنداً في الدفاع عنه ، فجامع القول إنّ الحبر لم يسمع ممّا تُقوّل عليه شيئاً ، و إنّما هو من مواليد العهد الأمويّ بعد عهد ابن عبّاس .

و ليس من المستسهل الكشف عن إمارة المخذولين يوم القيامة ، كما أنّ من المستصعب جدّاً عرفان أعيانهم وأشخاصهم ، أفيهم اُولئك الصفوة الأبرار من الصحابة والتابعين أمثال أبي ذر وعمّار وابن مسعود ومالك الأشتر وزيد وصعصعة ابني صوحان وكعب بن عبدة وعامر بن قيس وآخرين من صلحاء المدينة والكوفة والبصرة الّذين خذلهم عثمان وأبناء بيته ؟ .

ولعلّ في المخذولين الحكم ومروان وآلهما وعبد الله بن أبي سرح وأبا سفيان وولده وأضرابهم الذين خذلهم الإسلام وآواهم عثمان و عزّزهم وسلّطهم على صلحاء الاُمّة من الصحابة الاوّلين والتابعين لهم بإحسان .

ونحن على يقين من أنّ الشفاعة المزعومة التي لاتصدّقها سيرة عثمان ولا تساعدها البرهنة ويضادّها نداء الكتاب الكريم إن حقّقت تُدنّس ساحة الجنّة المقدّسة بإدخال عثمان أرجاس آل اُميّة فيها كما يعرب عنه قوله الثابت المذكور في الجزء الثامن ص٢٩١ ط٢ : لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني اُميّة حتّى يدخلوا من عند آخرهم .

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء صفحة ٧٨ .

١٦ـ أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ١٠٣ عن عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم العدل[١] عن يحيى بن أبي طالب عن بشار بن موسى الخفاف البصري عن الحاطبي عبد الرّحمن[٢] بن محمّد عن أبيه عن جدّه قال : لمّا كان يوم الجمل خرجتُ أنظر في القتلى قال : فقام عليٌّ والحسن بن علي وعمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر وزيد بن صوحان يدورون في القتلى قال : فأبصر الحسن بن علي قتيلاً مكبوباً على وجهه فقلّبه على قفاه ثمّ صرخ ثمّ قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون فرخُ قريش والله . فقال أبوه : مَن هو يا بنيَّ قال : محمّد بن طلحة بن عبيد الله . فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أما والله لقد كان شابّاً صالحاً ثمّ قعد كئيباً حزيناً فقال له الحسن : يا أبت ! قد كنت أنهاك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان وفلان . قال : قد كان ذاك يا بُنيَّ ! و لوددت انّي متُّ قبل هذا بعشرين سنة . قال محمّد بن حاطب : فقمت فقلت : يا أمير المؤمنين ! إنّا قادمون المدينة والناس سائلونا عن عثمان فماذا نقول فيه ؟ قال : فتكلّم عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر فقاما وقالا فقال لهما عليٌّ : يا عمّار ويا محمّد ! تقولان : إنّ عثمان استأثر وأساء الأثرة وعاقبتم و الله فأسأتم العقوبة ، وستقدمون على حَكم عدل يحكم بينكم ثمّ قال : يا محمّد بن حاطب ! إذا قدمت المدينة وسُئلت عن عثمان فقل : كان و الله من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثمّ اتّقوا و آمنوا ثمّ اتّقوا وأحسنوا والله يحبّ المحسنين وعلى الله فليتوكّل المؤمنون .

قال الأميني : سكت الحاكم عمّا في إسناد هذه الأكذوبة من العلل ولم يصحّحه ولم ينبس فيه بكلمة غمز ولا تصحيح ، واكتفى الذهبي فيه بقوله : بشّار بن موسى واهٍ . ونحن نقول :

عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم . قال الدار قطني فيه لين ، وذكره بذلك الخطيب البغدادي في تاريخه ٩ : ٤١٤ .

ويحيى بن أبي طالب قال فيه موسى بن هارون . أشهد انّه يكذب عنّي . وقال مسلمة بن قاسم : تكلّم فيه الناس . « لسان الميزان ٦ : ٢٦٢ » .

(١) كذا في النسخ والصحيح : المعدل .

(٢) كذا في النسخ والصحيح : عبد الرّحمن بن عثمان بن محمد .

وبشار بن موسى البصري ، قال ابن معين : ليس بثقة . وقال : انه من الدجالين. وقال أبو حفص : ضعيف الحديث . وقال البخاري : منكر الحديث وقد رأيته وكتبت عنه وتركت حديثه . وقال أبوداود : ضعيف . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال أبوزرعة : ضعيف . وقال أبوأحمد الحاكم : ليس بالقوي عندهم . وذكر عند الفضل بن سهل فأساء القول فيه[1].

وعبد الرحمن الحاطبي ضعفه أبو حاتم الرازي كما في ميزان الاعتدال للذهبي . ووالده عثمان لم أقف على ثناء عليه في معاجم التراجم .

فأي عبرة بما يرويه أو يرتأيه أمثال هؤلاء الدجالين ؟ على أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان على بصيرة من مسيره إلى حروبه كلها ومنقلبه عنها وفي جميع ما ارتكبه فيها أو تركه ، وكل ذلك كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعهد منه إليه عليه السلام ، وقد عد ذلك من فضائله ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحث أصحابه على مناصرته يومئذ كما مر تفصيله في الجزء الثالث ص ١٨٨-١٩٥ ط٢ وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول : سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه ، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه ، ليس وراء ذلك بشيء[2]. وكان أبو أيوب الأنصاري وغيره من الصحابة يقول : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نقاتل مع علي الناكثين[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحذر أم المؤمنين عايشة عن ذلك التبرج تبرج الجاهلية الأولى ويقول لها : يا حميراء ! كأني بك تنبحك كلاب الحوأب تقاتلين علياً وأنت له ظالمة[4] وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم كما مر في ج٣ ص١٩١ ط٢ قوله للزبير : إنك تقاتل علياً وأنت ظالم له .

فكان مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه مندفعاً إلى ما ناء به من أعباء تلكم الحروب بالأمر النبوي ، ولم يكن قط قد غلب على رأيه فلان وفلان ، ولم يكن الإمام المجتبى المعصوم عن كل زلة وهفوة بالذي ينهى أباه عما أمر به جده الذي لا ينطق

(١) تاريخ الخطيب ٧ : ١١٩ ، تهذيب التهذيب ١ : ١٤٤ .
(٢) راجع الجزء الثالث ص ١٩٠ ط٢ .
(٣) راجع الجزء الثالث ص ١٩٢ ، ١٩٥ ط٢.
(٤) راجع الجزء الثالث ص ١٨٩ ط٢ .

عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى ، ولا أمير المؤمنين عليه السلام بالذي يندم على ما نهض به من قمّ جذور الفساد وقلع جذومه ، ولو سوّغنا عليه الندم في هذه لسوّغنا عليه فيما قتله في مغازي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أشياع الكفر وزبانية الشرك والإلحاد ، فإذ كان سلام الله عليه في المقامين جميعاً منبعثاً بباعث إلهيّ ومصلحة دينيّة من استئصال شأفة العيث وقطع جراثيم الإلحاد ، فلا يطرق ساحته المقدّسة الندم في أيّ من الحالين .

وأيّ صلاح في محمّد بن طلحة ؟ وقد شهر سيفه يحارب إمام المسلمين وقد أمر بنصرته و الجهاد معه ، فحاله حال أبيه في الزيغ والنكوص عن السنن اللاحب . هذه حقيقة الأمر لكن مهملجة الخلاف الوضّاعين شاءوا أن يختلقوا ما يبرّر أعمال الوائبين مع الهودج فقالوا ، ولكن أين ؟ وأنّى ؟ ...

و كيف يصحّ عن مولانا أمير المؤمنين ما اختلقوا عليه من قوله لمحمّد بن حاطب ؟ وقد صدر عنه من فعل وقول قبل هذا الموقف و بعده ما يُعرب عن رأيه في عثمان ، ولا يصدّق الخُبر الخَبر ، راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ٦٩ـ٧٧ ، وفي الجزء الثامن ص ٢٨٧ ، ٢٩٨، ٣٠٠ ، ٣٠١ ط٢، وفي الجزء السابع ص ٨١ ط٢.

وهل تساعد سيرة الرجل أن يراه أمير المؤمنين من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثمّ اتّقوا و آمنوا ثمّ اتّقوا وأحسنوا . الآية . وهي التي أركبته النهابير ، وسقته كأس المنيّة ، وكانت تخالف الكتاب والسنّة ، والصحابة الأوّلون وفي مقدّمهم سيّدنا الإمام عليه السلام كانوا مطبقين عن النكير والنقمة عليها ، ولأجلها تمخّضت البلاد عليه ، وهي التي أقعدت الصحابة عن نصرته والذبّ عنه ، وهي التي زحزحت الأمّة الصالحة عن تجهيزه وتكفينه والصّلاة عليه ، وهي التي دفنته في مقابر اليهود بعد ما بقي جثمانه في مزبلة أيّاماً وليالي تمرّ به عواصف الذلّ والهوان والملأ الديني ينظر إليه من كثَب ، والناس قد بايع أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام وبيده مقاليد الأمور يُسمع قوله ويُطاع ، وهو الذي يتحمّس لأمر ما ، يراه النّاس هيّناً وهو عنده عظيم ، فيعاتب أصحابه ويقول في خطبته له : لقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقُلبها وقلائدها ورعاثها[1] ماتمتنع منه إلّا بالإسترجاع والإسترحام ثمّ انصرفوا

(١) القلب : السوار . الرعاث جمع رعثة بالفتح : القرط .

وافرين ، ما نال رجلاً منهم كَلمٌ ، ولا اُريق لهم دمٌ ، فلو أنَّ إمرءً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ماكان به ملوماً بل كان به عندي جديراً[1] هذا أميرالمؤمنين وهذا مبلغ غيرته على الإسلام وأهله ولكن :

وابن عفّان حوله لم يجهّز ـ ه ولا كفَّ عنه كفٌّ أذاها
لست أدري أكان ذلك مقتاً ☆ من عليٍّ ؟ أم عفّـة ونزاها ؟

فاحكم بين النّاس بالحقِّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله . و لئن اتّبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من وليٍّ ولا واق .

١٧ـ أخرج ابن أبي الدنيا من طريق فرج بن فضالة الدمشقي عن مروان بن أبي اُميّة عن عبد الله بن سلام قال : أتيت عثمان لاُسلّم عليه وهو محصورٌ فدخلت عليه فقال : مرحباً بأخي ، مرحباً بأخي ، رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة ـ قال : و خوخة في البيت ـ فقال : يا عثمان ! حصروك ؟ قلت : نعم . قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ، فأدلى دلواً فيه ماء فشربت حتّى رويت حتّى انّي لأجد برده بين ثديي و بين كتفي و قال لي : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده ، فقتل ذلك اليوم[2] .

قال الأميني : هذه السفسطة من آفات فرج بن فضالة الدمشقي قال أحمد : يحدّث عن الثقات أحاديث مناكير . و قال ابن معين : ضعيف الحديث . و قال ابن المديني : ضعيفٌ لا اُحدّث عنه . وقال البخاري ومسلم : منكر الحديث . وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال أبوحاتم : لا يحتجُّ به . وقال أبو أحمد : حديثه ليس بالقائم . وقال الدارقطني : ضعيف الحديث . وذكر البرقاني حديثاً للدارقطني من طريق فرج بن فضالة فقال : الدارقطني : هذا باطلٌ . فقال البرقاني : من جهة الفرج ؟ قال : نعم . وقال عبد الرّحمن ابن مهدي : حدّث بأحاديث منكرة مقلوبة . و قال الساجي : ضعيف الحديث . و قال الخطيب : لايغترُّ أحدٌ بالحكاية المرويّة في توثيقه عن ابن مهدي فانّها من رواية سليمان بن أحمد وهو الواسطي وهو كذّابٌ ، وقد قال البخاري : تركه ابن مهدي . و

(١) نهج البلاغة ١ : ٦٩ .
(٢) الانساب للبلاذرى ٥ : ٨٢ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٨٢ ، الرياض النضرة ٢ : ١٢٧ .

قال ابن حبّان : فرج بن فضالة يقلب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة لايحلّ الاحتجاج به . وقال الحاكم : هو ممّن لا يُحتجّ به[1].

هذا فرج بن فضالة وأمّا شيخه مروان فلست أدري أيّ هيّ بن بيّ هو[2] لم أقف في المعاجم على ترجمته ولم أجد له ذكراً لا في مشايخ ابن فضالة ولا فيمن يروي عن ابن سلام ، ولعلّه لم يولد بعدُ وكم في سلسلة أسانيد الفضائل أمثاله من أُناس لاتعرفهم أُمّ الدنيا ، وما صوّرهم قلم التصوير ، وإنّما اختلق أسمائهم الغلوّ في الفضائل .

ولست أدري هل أسرّ عثمان بهذه المكرمة إلى ابن سلام فحسب ؟ أو أخبر بها هو أو ابن سلام جمهور الصحابة فوجدوها رؤياً لا تنهض للحجّة ، أو بلغتهم حينما مسّ الحزام الطبيين ، وبلغ السيل الزبى ، واتّسع الخرق على الراقع ، حينما فاتت الخليفة نهزة الحجاج ، وتمّت عليه الحجّة و أصبح محجوجاً ، و الأُمّة مجتمعةٌ على مقته ، و قطع أُصول حياته وهي لاتجتمع على خطأ .

وفي الرواية موقع نظر أيضاً من ناحية صوم عثمان عند مَن أرّخ قتله بثاني أيام التشريق ـ كما في رواية أبي عثمان النهدي في أنساب البلاذري ٥ : ٨٦ ، و قد رواه الواقدي أيضاً ، واختاره المبرّد في « الكامل » ٢ : ٢٤١ ، وذكره أبو عمر في «الاستيعاب» ٢ : ٤٧٧ ، وابن الجوزي في صفة الصفوة ١ : ١١٧ ، و ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٦٦ ، والعسقلاني في تهذيب التهذيب ٧ : ١٤١ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٠٩ والدياربكري في تاريخ الخميس ٢ : ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ومن مؤلّفي اليوم الاستاذ علي فكري في أحسن القصص ٣ : ١٦٤ ـ وذلك انّ الصوم في أيام التشريق محظورٌ عند القوم ، و هو قول أبي حنيفة والشافعي وعند مالك لغير المتمتّع[3] و قال ابن العماد الحنبلي في الشذرات ١ : ٤١ : قوله : قال لي النبيّ ﷺ : وتفطر عندنا . معناه أوّل شيء تستعمله على الريق يكون عندنا لا انّه فطر صائم إذ لم يكن يومئذ صائماً ، فإنّ يوم قتله كان ثاني أيّام التشريق ولايجوز صومه . اه .

---

(١) تهذيب التهذيب ٨ : ٢٦٠-٢٦٢.

(٢) يقال : هيّ بن بيّ . أو : هيّان بن بيّان . أي مجهول لايعرف هو ولا ابوه .

(٣) المحلى لابن حزم ٧ : ٢٨ ، نيل الاوطار ٤ : ٣٥٣ .

وهذا التأويل يخالف ما أتنى به المؤرّخون على عثمان من انّه كان يوم قتله صائماً ، وهو من المتسالم عليه عند القوم سلفاً وخلفاً حتى اليوم كما ذكره الاستاذعلي فكري في أحسن القصص ٣ : ١٦٤ . ويضادُّ أيضاً صريح ماأخرجه ابن كثير في تاريخه ٧ : ١٨٢ من طريق ابن عمر عن عثمان قال : رأيت النبيّ ﷺ في المنام فقال : ياعثمان ! افطر عندنا . فأصبح صائماً وقتل من يومه .

وكذلك لايلتئم هو وماأخرجه الهيثم بن كليب بالإسناد عن نائلة بنت الفرافصة « إمرأة عثمان » قالت : لمّا حصر عثمان ظلّ اليوم الذي كان فيه قتله صائماً ، فلمّا كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه ، وقالوا : دونك ذلك الركي ـ وركيٌّ في الدار الذي يلقى فيه النتن ـ قالت : فلم يفطر فرأيت جاراً على أحاجير متواصلة ـ وذلك في السحر ـ فسألت الماء العذب . فأعطوني كوزاً من ماء فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فإذاالفجر قد طلع فقال : إنّي أصبحت صائماً ، قالت فقلت : ومن أين ولم أرَ أحداً أتاك بطعام ولا شراب ؟ فقال : إنّي رأيت رسول الله ﷺ اطلع عليّ من هذا السقف ومعه دلوٌ من ماء فقال : اشرب ياعثمان ! فشربت حتى رويت ثمّ قال : ازدد فشربت حتّى نهلت ، ثمّ قال : أما إنّ القوم سينكرون عليك فإن قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا . قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه (١) .

نعم : إنّ الحديثين لايعوّل عليهما أيضاً لما في إسنادهما من داعية إلى الارجاء يبغض أهل بيت نبيّه ، ومن مجهول منكر لايُعرف ، ومن متحامل على أمير المؤمنين من الفئة الباغية ، فالحديثان كرواية ابن أبي الدنيا باطلان ، وما ذهب إليه القوم من أنّ الرّجل كان يوم قتله صائماً منقبةٌ مفتعلةٌ لاتصحُّ لاستنادهم فيها إلى تلكم الأباطيل التي اختلقتها يد الغلوّ في الفضائل .

١٨ ـ أخرج الحاكم وابن عساكر وغيرهما من طريق محمّد بن يونس الكديمي أبي العباس البصري ، عن هارون بن إسماعيل الخزّاز أبي الحسن البصري ، عن قرّة ابن خالد السدوسي البصري ، قال : سمع الحسن البصري عن قيس بن عباد البصري قال : شهدت عليّاً رضي الله عنه يوم الجمل يقول كذا : أللهمّ إنّي أبرأ إليك من دم عثمان ،

(١) تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ٧ : ١٨٣ .

ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي وأرادوني على البيعة فقلت : والله إنّي لأستحيي من الله أن أُبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أستحيي ممّن تستحيي منه الملائكة . وإنّي لأستحيي من الله أن أُبايع وعثمان قتيلٌ على الأرض لم يُدفن بعدُ، فانصرفوا فلمّا دُفن رجع النّاس إليّ فسألوني البيعة فقلت : أللّهمّ إنّي مشفقٌ لما أُقدم عليه ثمّ جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا : يا أمير المؤمنين ! فكأنّما صدع قلبي ، فقلت : أللّهمّ خذ منّي لعثمان حتّى ترضى . وفي لفظ ابن كثير : فلمّا قالوا : أمير المؤمنين . كان صدع قلبي وأمسكت(١) .

قال الأميني : ألا تعجب من الحاكم يذكر مثل هذه الأضحوكة و يعدّها ممّا استدرك به على الصّحيحين و يمرّ بما فيها من اللغو كريماً ، و لعلّ الذّهبي عرف بطلانها غير أنّه لمّا وجدها في منقبة عثمان سكت عنها نهائيّاً ولم يلخّصها ولم ينبس فيها ببنت شفة ، ويدّخرها في علبة علمه أو في كنانة جهله إلى تزييف حديث « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » و أمثاله من الصحيح الوارد في فضائل مولانا أمير المؤمنين فيجابهها بكلّ جلبة ولغط ، ولا تقصر عن أشواطهما خُطى ابن كثير في تاريخه فيستند إليها مستدلاً على مايرومه من دحض الحقّ و ترصيف الباطل ، ونحن أسلفنا في الجزء الخامس ص٢٦٦ط٢ في سلسلة الكذّابين والوضّاعين نزراً من أقوال الحفّاظ في جرح محمّد بن يونس الكديمي وانّه كان يضع الحديث على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد وضع أكثر من ألف حديث وهاهنا نبسط القول فيها :

قال الآجري : سمعت أباداود ابن الأشعث يتكلّم في محمّد بن سنان وفي محمّد بن يونس يطلق فيهما الكذب . وقال ابن التمّار : ما أظهر أبوداود السجستاني تكذيب أحد إلّا في رجلين : الكديمي وغلام خليل . و قال أبوسهل القطّان : كان موسى بن هارون ينهي النّاس عن السماع من الكديمي ويقول : قد تقرّب إليّ بأنّي كتبت عن أبيك في مجلس محمّد بن القاسم الأسدي وما حدّث أبي قطّ عن محمّد بن القاسم الأسدي . و عن موسى بن هارون انّه كان يقول ـ وهو متعلّقٌ بأستار الكعبة ـ : أللّهمّ إنّي أُشهدك انّ الكديمي كذّابٌ يضع الحديث . وقال الشاذكوني : الكديمي وأخو الكديمي وابن

(١) مستدرك الحاكم ٣ : ١٠٣ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ١٩٣ .

الكديمي بيت الكذب. وقال أبو بكر الهاشمي: كنّا يوماً عند القاسم المطرّز وكان يقرأ علينا مسند أبي هريرة فمرّ في كتابه حديث عن الكديمي فامتنع عن قراءته فقام إليه محمّد بن عبد الجبّار - وكان قد أكثر عن الكديمي - فقال: أيّها الشيخ أُحبّ أن تقرأه فأبى وقال: أنا أُحاسبه بين يدي الله يوم القيامة وأقول: إنّ هذا كان يكذب على رسول الله ﷺ وعلى العلماء. وقال الدارقطني: الكديمي يتّهم بوضع الحديث وقال: ما أحسن القول فيه إلّا من لم يخبر حاله. وقال ابن حبّان: كان يضع الحديث لعلّه قد وضع على الثقات أكثر من ألف حديث. وقال ابن عدي: قد أُتّهم بالوضع وادّعى الرواية عمّن لم يرهم، ترك عامّة مشايخنا الرواية عنه، ومن حدّث عنه نسبه إلى جدّه لئلّا يُعرف[1] وقال ابن عدي أيضاً: روى الكديمي عن أبي هريرة عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر حديثاً باطلاً، وكان مع وضعه الحديث وادّعائه مالم يسمع علّق لنفسه شيوخاً. وكان ابن صاعد وعبد الله بن محمّد لا يمتنعان من الرواية عن كلّ ضعيف كتبا عنه إلّا عن الكديمي فانّهما كانا لا يرويان عنه لكثرة مناكيره، ولو ذكرت كلّما أنكر عليه وادّعائه ووضعه لطال ذلك. وقال الحاكم أبو أحمد: الكديمي ذاهب الحديث تركه ابن صاعد وابن عقدة وسمع منه خزيمة ولم يحدّث عنه، وقد حفظ فيه سوء القول عن غير واحد من أئمّة الحديث[2].

وذكر السيوطي في اللئالي المصنوعة عدّة أحاديث في شتّى الأبحاث من طريق الكديمي فحكى فيها عن الحفّاظ الحكم بوضعها وقولهم: إنّ آفتها الكديمي وانّه كذّابٌ وضّاعٌ. وكأنّه نسي كلّ ما ذكره هنالك فأورد هذه الأُكذوبة في تاريخ الخلفاء ص ١١٠ محذوفة الإسناد وقال: أخرجه الحاكم وصحّحه. ألم تكن تلك الأقوال الجارحة في الكديمي نصب عينه عند عدّ فضائل عثمان؟ أم أنّ فضائل الرجل لها حساب آخر يسوّغ الغلوّ فيها كلّ كذب واختلاق؟ على أنّ الحاكم سكت عن هذه الأُكذوبة ولم يصحّحها فنسبة التصحيح إليه لمحض إخراجه إيّاها في مستدرك الصحيحين وإلّا فلا صراحة فيه بالتصحيح.

(١) كما ان الحاكم يعرّفه بالقرشي ولم يذكر نسبته الى الكديم لئلا يعرف.
(٢) راجع تهذيب التهذيب ٩ : ٥٣٩، والمصادر التي مرت في ج ٥ : ٢٦٦ ط ٢.

وبعد هذه كلّها فانّ المعلوم من نظريّة مولانا أمير المؤمنين في عثمان كآراء بقيّة الصحابة فيه يفنّد نسبة هذه الأقاويل المختلقة إليه، أليس من المضحك ماينسب إليه صلوات الله عليه من قول: ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان .. الخ؟ ليته عليه السلام بدل هذه الكلمة كان يخطو خطوة في التحفّظ على حرمة الرّجل وكرامته، ويأمر ولده وذويه بتجهيزه وتكفينه والصّلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، وليته كان يقيم له مأتماً ويأبّنه ويذكره بالخير بعد ماتسنّم منصّة الخلافة، أوكان يحضر عند تربته ويقوم على قبره ويقرأ له الفاتحة ويأتي بسنّة الله التي جاءت في زيارة قبور المسلمين، وأيّ مسلم لم تكن له معاظم واجبة المراعاة؟[1].

وليته كان يسكت عنه يوم قام به وقعد[2] و قال على رؤس الأشهاد: قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الرّبيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته.

وقال في اليوم الثاني من بيعته في خطبة له: ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردودٌ في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوّج به النساء، وفرّق في البلدان، لرددته إلى حاله. الخ.

وليته كان لم يجابهه بقوله: مارضيتَ من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعقلك، وإنّ مثلك مَثَلِ الظعينة سار حيث يُسار به.

وليته كان لم يكتب إلى المصريّين بقوله: إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه وذُهب بحقّه، فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر، والمقيم والظاعن، فلامعروف يُستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه.

وليته كان لم يقل: ما أحببت قتله ولا كرهته، ولا أمرت به ولا نهيت عنه. أو كان لم يقل: ما أمرت ولا نهيت، ولا سرّني ولا ساءني.

وليته كان لم يخطب بقوله: من نصره لايستطيع أن يقول: خذله من أنا خيرٌ منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خيرٌ منّي.

---

(١) يقال له: معاظم واجبة المراعاة. أى حقوقا مستعظمة.

(٢) يقال: قام به وقعد: اى نشر عنه اخبار السوء.

وليته كان لم ينفر أصحابه إلى قتال طالبي دم عثمان بقوله على صهوة المنبر: ياأبناء المهاجرين انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا . الخ .

وليته لمّا قال له حبيب وشرحبيل : أتشهد أنّ عثمان قُتل مظلوماً . كان لم يجب بقوله : لاأقول بذلك[١] وليته وليته . . .

والعجب كلّ العجب من قول عليّ صلوات الله عليه « فلمّا قالوا : أمير المؤمنين صدع قلبي » لماذا صدع قلبه صلوات الله عليه ولم تكن لهذه التسمية جِدةٌ ؟ وإنّما سمّاه رسول الله ﷺ بذلك وحكاه عن الله تعالى وعن جبرئيل عليه السلام وماصدع قلبه يومذاك ، فعليٌّ من أوّل يومه هو أمير المؤمنين بنصٍّ من الصادع الأمين ، وما أنزل الله آية فيها يا أيّها الذين آمنوا إلّا وعليٌّ رأسها وأميرها[٢].

١٩- أخرج ابن سعد في الطبقات ٣ : ٤٧ ط ليدن عن محمّد بن عمر عن عمرو بن عبدالله بن عنبسة بن عمرو بن عثمان عن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن ابن لبيبة قال : إنّ عثمان بن عفّان لمّا حُصر أشرف عليهم من كوّة في الطمار فقال : أفيكم طلحة ؟ قالوا : نعم . قال : أُنشدك الله هل تعلم أنّه لمّا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين نفسه ؟ فقال طلحة : اللّهمّ نعم . فقيل لطلحة في ذلك فقال : نشدني وأمر رأيته ألا أشهد به ؟

رجال الإسناد :

١ محمّد بن عمر . هو الواقدي ، راجع ترجمته في ميزان الإعتدال ٣ : ١١٠.

٢- عمرو بن عبدالله الأموي حفيد عثمان ، لم أجد له ذكراً في المعاجم ، ولعلّ فيه تدليس .

٣ - محمّد بن عبد الله الأموي حفيد عثمان ، قال البخاري : عنده عجائب ، وقال ابن الجارود : لايكاد يُتابع على حديثه . وقال النسائي مرّة : ثقةٌ . وأُخرى : ليس بالقويّ . راجع تهذيب التهذيب ٩ : ٢٦٨ .

٤ - ابن لبيبة ويقال : ابن أبي لبيبة محمّد بن عبدالرّحمن . قال ابن معين : ليس

(١) راجع مامرّ في ج ٧ : ٨١ ، وج٨ : ٢٨٧ ، وج٩ : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٧٢ ، ١٧٤ .
(٢) راجع ماأسلفناه في الجزء الثامن ص ٨٧ ، ٨٩ ط ٢ .

حديثه بشيء . وقال الدارقطني : ضعيف . وقال آخر : ليس بالقوي[١] على أن ابن لبيبة لم يشهد حصر عثمان ولم يرو عن صحابي فحديثه عن عثمان وعلي وسعد مرسل ، يروي عن سعيد بن المسيب وعبد الله بن عمرو بن عثمان وطبقتهما ، فالرواية مرسلة ، وابن سعد جد عليم بأن مثل هذه المفتعلة لا يخفى بطلانه على أي أحد سواء أرسله أو أسنده .

وهلا يعلم مفتعل هذه الأضحوكة ان أئمة الحديث وحفاظه و رجال التاريخ أصفقت على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتخذ لنفسه أخاً يوم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إلا ابن عمه علي بن أبي طالب ؟ وهذا الذي يقتضيه الاعتبار بعد ما نص الكتاب العزيز على أن علياً سلام الله عليه نفس النبي الأقدس . و إنهما من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، و إن ولاية علي مقرونة بولاية الله ورسوله[٢].

وبعد ما ثبت انه سلام الله عليه صنو النبي الأعظم في الفضائل ، و شاكلته في النفسيات ، ورديفه في الملكات الفاضلة ، ونظيره من أمته كما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم[٣] وهو منه صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة رأسه من بدنه نصاً منه صلى الله عليه وآله وسلم[٤] وهو منه صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلته من ربه كما ورد عن أبي بكر مرفوعاً[٥] وهما من شجرة واحدة وساير الناس من شجر شتى كما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم[٦] وهو الذي ثبت فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أنت مني و أنا منك[٧] وهو الذي أنزله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه بمنزلة هارون من موسى ولم يستثن له مما اختصه الله به إلا النبوة[٨].

---

(١) ميزان الاعتدال ٣ : ٨٩ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٣٠١ .

(٢) راجع ما مر في ج ٢ : ٤٧ ، وج ٣ : ١٥٦-١٦٧ط٢ .

(٣) الرياض النضرة ٢ : ١٦٤ .

(٤) تاريخ الخطيب البغدادي ٧ : ١٢ ، الرياض النضرة ٢ : ١٦٢ ، مصباح الظلام للدمياطي ٢ : ٥٦ .

(٥) الرياض النضرة ٢ : ١٦٣ .

(٦) سيوافيك حديثه انشاء الله تعالى بألفاظه ومصادره .

(٧) صحيح البخاري كتاب المناقب ٥ : ٢١٩ ، مسند أحمد ٥ : ٢٠٤ ، ٣٥٦ ، صحيح الترمذي في المناقب ٢ ، ٢١٣ ، خصائص النسائي ص ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٦ ، تاريخ الخطيب ٤ : ١٤٠ ، و راجع ما مضى في الجزء السادس ٣٣٨-٣٥٠ ط ٢ .

(٨) حديث المنزلة أخرجه أئمة الحديث بطرق صحيحة في الصحاح والمسانيد .

لقد أدّينا البحث عن حديث المؤاخاة حقّه في الجزء الثالث ص ١١٢-١٢٥ وذكرنا هنالك خمسين حديثاً ممّا وقفنا عليه من أحاديث الإخاء الثابت بين النبيّ الأعظم و أخيه أمير المؤمنين، وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: أنت أخي في الدنيا والآخرة. من طريق عمر وأنس وابن أبي أوفى وابن عبّاس و محدوج بن زيد الذهلي و جابر بن عبد الله و عامر بن ربيعة وأبي ذر وغيرهم.

إنّما فدحت هذه المأثرة أهل الأهواء كبقيّة مآثر الإمام صلوات الله عليه فوضعوا تجاهها اُكذوبةً في أبي بكر وانّه هو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1] وأخرى في عثمان و إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخى بينه وبين نفسه. وثالثة في عليّ عليه السلام ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم آخى بينه وبين عثمان[2] و رواة السوء يعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين أبي بكر و بين عمر في المؤاخاة الاولى بمكّة[3] وبينه وبين خارجة بن زيد الأنصاري في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بالمدينة[4] وآخر بين عثمان و بين عبد الرّحمن بن عوف في المؤاخاة بمكّة[5] وبينه وبين أوس بن ثابت يوم المؤاخاة بالمدينة[6].

فعثمان قطّ لا يُنشد بالمكذوب، وطلحة لا يدّعي رؤية ما لم يره، ولا يشهد بخلاف ما شاهده وعاينه، إن كانا من عدول الصّحابة صدقاً، ومن المبشّرين بالجنّة حقّاً، وأنت تعرف حكم هذه الدعاوي من الصحيح الثابت عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام انّه كان يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها أحدٌ غيري إلّا كذّاب. قال ابن كثير في تاريخه ٧: ٣٣٥: وقد جاء من غير وجه. وقال ابن حجر: رويناه من وجوه[7] و

---

(١) راجع ج ٣ من كتابنا هذا ص ١١١، والاصابة ١: ٣٥ وضعفه.
(٢) الرياض النضرة ١: ١٧.
(٣) راجع تاريخ ابن عساكر ٦: ٩٠، اسد الغابة ٢: ٢٢١، عيون الاثر ١: ١٩٩، الرياض النضرة ١: ١٥، ١٧، فتح الباري ٧: ٢١٧.
(٤) راجع سيرة ابن هشام ٢: ١٢٤، تاريخ ابن كثير ٣: ٢٢٦، عيون الاثر ١: ٢٠١، الرياض النضرة ١: ١٦: فتح الباري ٧: ٢١٦، ٢١٨.
(٥) راجع تاريخ ابن عساكر ٦: ٩٠، عيون الاثر ١: ١٩٩، الرياض النضرة ١: ١٥، ١٧، فتح الباري ٧: ٢١٨.
(٦) راجع سيرة ابن هشام ٢: ١٢٥، تاريخ ابن كثير ٣: ٢٢٧، عيون الاثر ١: ٢٠١، الرياض النضرة ١: ٦١.
(٧) تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٧، وراجع ج ٣ من كتابنا هذا ص ١٢١.

كان قول أمير المؤمنين هذا أخذاً بما قال له رسول الله ﷺ من قوله : أنت أخي وأنا أخوك فإن ناكرك أحد - وفي لفظ : فإن حاجّك أحدٌ - فقل : أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب[1] .

وأوّل من فتح باب التجرّي بمصراعيه على هذه الفضيلة الرابية هو عمر بن الخطاب يوم قادوا صاحب الفضيلة إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش ، وقال : إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا : إذن والله الذي لا إلٓه إلّا هو نضرب عنقك . قال : إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله . قال عمر : أمّا عبد الله فنعم وأمّا أخو رسوله فلا[2] .

أنا لست أخدش العواطف بالإعراب عن حكم إنكار عمر الأُخوّة الثابتة بتلكم النصوص الصريحة الأكيدة وقد سمعها هو من الصّادع الكريم في ذلك اليوم المشهود غير أنّي جدّ عليم بأنّ حجاج مولانا أمير المؤمنين كان أخذاً بما مرّ قُبَيل هذا عن رسول الله ﷺ من قوله : فإن ناكرك أحد فقل : أنا عبد الله وأخو رسول الله . وهل قرع هذا سمع عمر أيضاً وجابهه مع ذلك بالشدّة في النكير عليه ؟ أنا لا أدري ، فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تُعرض عنهم فلن يضرّوك شيئاً ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنّ الله يحبُّ المقسطين « المائدة ٤٢ » .

٢٠- أخرج ابن عدي من طريق مصعب بن سعيد المصيصي عن عيسى بن يونس عن وائل بن داود عن البهيّ عن الزبير رضي الله عنه مرفوعاً : لا يُقتل قرشيٌّ بعد اليوم صبراً إلّا قاتل عثمان فإن لم يفعلوا فابشروا بذبح مثل ذبح الشاة .

قال الأميني : ذكره الذهبي في الميزان ٣ : ١٧٣ مع حديثين من طريق مصعب ابن سعيد فقال : ما هذه إلّا مناكير وبلايا .

وقال ابن عدي : يحدّث مصعب عن الثقات بالمناكير ويصحّف وهو حرّاني[3] نزل المصيصة[4] وله غير ما ذكر والضعف على رواياته بيّن . و قال ابن حبّان : كان

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ١١٥ ط٢ .

(٢) راجع ما مضى في الجزء السابع ص ٧٨ .

(٣) حران : قرية من قرى حلب .

(٤) مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم .

مدلّساً . وقال صالح بن جزرة : شيخٌ ضريرٌ لا يدري ما يقول[١] .

وفي الإسناد عيسى بن يونس قال الدارقطني : مجهولٌ . والبهيّ هو عبد الله أبو محمّد مولى مصعب بن الزبير ولا يصحّ روايته عن الزبير بل يروي عن عبد الله بن الزبير ، وقال أبو حاتم في العلل : لا يحتجّ بالبهيّ وهو مضطرب الحديث .

٢١- أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ١ : ٥٧ من طريق حامد بن آدم المروزي عن عبد الله بن المبارك عن سفيان عن عثمان بن غياث البصري عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله ﷺ في حائط من تلك الحوائط إذ جاء رجلٌ فاستفتح الباب فقال : افتح له وبشّره بالجنّة على بلوى تصيبه . فإذا هو عثمان فأخبرته فقال : الله المستعان .

قال الأميني : هلاّ يعرف أبو نعيم مفتعل هذه الأكذوبة حامد بن آدم ؟ أو يعرفه بعُجَره وبُجَره غير أنّ الغلوّ في الفضائل يسوّغ له ولقومه رواية كلّ كذب مختلق في فضائل المستخلَفين بالإنتخاب الدستوري الذي لم تره عين الدّنيا صحيحاً قطّ .

أنّى يخفى على مثل أبي نعيم انّ حامد بن آدم كذّ به الجوزجاني وابن عدي ، وعدّه أحمد بن علي السليماني فيمن اشتهر بوضع الحديث . وقال أبو داود السبخي : قلت لابن معين : عندنا شيخ يقال له : حامد بن آدم . الخ . فقال : هذا كذّابٌ لعنه الله[٢] .

على أنّ عثمان لو كان مبشّراً بالجنّة ومصدّقاً بوعد النبيّ الأقدس لما كان في نفسه خيفة من أن يكون هو ذلك الملحد بمكّة الذي أخبر ﷺ بأنّ عليه عذاب نصف أهل الأرض كما مرّ في صحيحة أحمد . وأعجب من هذا مهزأة جاء بها الخطيب ألا وهي :

٢٢- أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ٨ : ١٥٧ من طريق الحسين بن حميد ابن موسى العكّي قال : حدّثنا حمّاد بن المبارك البغدادي قال : حدّثنا إسماعيل بن اُميّة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر قال : ما صعد النبيّ ﷺ المنبر قطّ إلّا قال : عثمان في الجنّة . قال : قال الدارقطني : كذا قال حمّاد بن المبارك عن عبد الله بن ميمون عن إسماعيل بن اُميّة عن ابن جريج ، وهذا الحديث إنّما يُعرف من راوية إسماعيل بن

(١) لسان الميزان ٦ : ٤٣ .

(٢) ميزان الاعتدال ١ : ٢٠٨ ، لسان الميزان ٢ : ١٦٣ .

يحيى بن عبيد الله التيمي عن ابن جريج والله أعلم . وقال الذهبي في الميزان ١ : ٢٨١: خبرٌ غير صحيح . راجع لسان الميزان ٢ : ٣٥٣ .

قال الأميني : لاتعجب من الخطيب يذكر مثل هذه السفسطة بهذا الإسناد الوعر و لم ينبس ببنت شفة ، و لم يُعرب عن حال رجاله عادته في فضائل كلٍّ من أعماه حبّه وأصمّه ، وأنت تجد نقضه وإبرامه ، وجرحه وتعديله ، وتصويبه وتصعيده في مناقب آل الله صلوات الله عليهم .

أيخفى على مثل الخطيب قول مسلمة بن قاسم في الحسين العكّي : إنّه مجهول ؟ أم لايهمّه وجود حمّاد بن المبارك في الإسناد ؟ وهو المجهول الذي لايُعرف[1] أم عزب عنه قول البخاري في عبد الله بن ميمون : إنّه ذاهب الحديث ؟ و قول أبي زرعة : إنّه واهي الحديث ؟ وقول أبي حاتم والترمذي : إنّه منكر الحديث ؟ وقول ابن عدى : إنّ عامّة مايرويه لايُتابع عليه ؟ وقول النسائي : انّه ضعيفٌ ؟ وقول أبي حاتم أيضاً : يروي عن الأثبات الملزقات ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ؟ و قول الحاكم : إنّه يروي أحاديث موضوعة ؟ وقول أبي نعيم : انّه روى المناكير ؟[2]

أم لايروق الخطيب الجرح في اسماعيل بن اميّة العبشمي الأموي وهو ابن عمّ عثمان وقد جاء بالرّواية مختلقة في ابن عمّه الخليفة ؟ أم لاينبّهه ماحكاه عن الدارقطني إلى أنّ اسماعيل لا يروي عن ابن جريج ؟ و إنّما الراوي إسماعيل بن يحيى التيمي . أم أراد حفظ سمعة الصدّيق أبي بكر في حفيده اسماعيل بن يحيى التيمي [3] والستر على قول صالح بن جزرة فيه : إنّه كان يضع الحديث . وقول الأزدي : انّه ركنٌ من أركان الكذب لاتحلّ الرواية عنه . وقول أبي علي النيسابوري والدارقطني والحاكم إنّه كذّابٌ . وقول الحاكم : روى أحاديث موضوعة . وقول الدارقطني : إنّه كان يكذب على مالك والثوري وغيرهما . وقول ابن حبّان : انّه كان يروي الموضوعات عن الثقات لاتحلُّ الرواية عنه بحال ؟[4]

(١) ميزان الاعتدال ١ : ٢٨١ ، لسان الميزان ٢ : ٣٥٣.
(٢) تهذيب التهذيب ٦ : ٤٩ .
(٣) اسماعيل بن يحيى بن عبيد الله بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة .
(٤) ميزان الاعتدال ١ : ١١٧ ، لسان الميزان ١ : ٤٤٢ .

نعم : هذه كلّها بين يدي الخطيب غير أنّ الغلوّ في الفضائل أبكمه فبكم[1] وذكر الذهبي هذه الرواية في « ميزان الاعتدال » في ترجمة حمّاد بن المبارك ، وقال : خبرٌ غير صحيح .

ولو كان لهذا الخيال مقيلٌ من الصحّة لاستدعى أن يكون ما اختلق فيه من كون عثمان في الجنّة أهمّ ماصدع به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المعارف والأحكام والحِكَم فإنّا لم نجد ولاوجد واجدٌ شيئاً منها يهتم صلى الله عليه وآله وسلم له هذا الإهتمام ويصدع به على كلّ منبر صعده ، نعم كان يكرِّر بعض مايصدع به في عدّة مقامات للكشف عن أهميّته غير انّها ممّا تعدّه الأنامل ، حتّى أنّ الصّلاة التي هي عماد الدين لم يكرِّرها هذا التكرار المملّ .

وليت شعري هل كون عثمان في الجنّة من اُصول الدّين و اُسس الإسلام التي لاتتمّ الشريعة إلّا بها فطفق صلى الله عليه وآله وسلم يبالغ في تبليغه هذه المبالغة في كلّ حين ؟ فهل هو حكمٌ شرعيّ ؟ أو حكمةٌ بالغة ؟ أو ملكةٌ فاضلة ؟ أو ناموس إلٰهيّ يستحق هذا التأكيد والإصرار ؟

ثمّ لو كان عثمان من المؤمنين لكفاه تبشير الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الجمّة لهم بالجنّة ، فما الحاجة إلى هذا التهالك في تخصيصه بالذكر تهالكاً لم يشاهد له نظيرٌ في شيء ممّا بلّغه صلى الله عليه وآله وسلم عن ربّه ؟

على أنّه لو كان صلى الله عليه وآله وسلم مرتكباً ذلك لوجب أن يسمعه منه جميع الصحابة حتّى من حظي بالإصاخة إلى قيله ولو مرّة واحدة طيلة حياته ، ووجب أن يتواتر الحديث منه صلى الله عليه وآله وسلم فلا يختصّ بعزوه المختلق جابر ، ولم يك يسنده عنه اُناسٌ دجّالون ، وإنّ من أهمّ تلكم المنابر منبر يوم الغدير وقد حضره مائة ألف أو يزيدون ، فهل سمع أحدٌ من أحدهم من الأعالي والساقة يحدّث انّه صلى الله عليه وآله وسلم هتف عليه بأنّ عثمان في الجنّة ؟ و هذه خُطب النبيّ الأعظم هل تجد في شيء منها عمّا تقوّلوه حسيساً أو تسمع منه ركزاً ؟ وهل هؤلاء الصحابة البالغون مئات الالوف الذين سمعوا هذا المقال ووعوه تركوه

(١) بكم بكامة : سكت تعمدا .

وراء ظهورهم يوم الدار ؟ يوم قالوا له : والله أحلّ الله دمك[١] يوم كتبوا إليه يدعونه إلى التوبة وحاجّوه وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يمسكون عنه أبداً حتّى يقتلوه[٢] يوم سلّم عليهم فما سمع أحداً من النّاس يردّ عليه ، وكان فيهم من عمد الصحابة من فيهم[٣] يوم رفعت اُمّهم عقيرتها و هي تقول : اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر ، إلى أيّام قصصنا عليك حوادثها ، أو انّهم كلّهم نسوه فنالوا من الرجل ما نالوا ؟ وهل حصل لهم مذكّر من عند أنفسهم فلم يوافقوه على السماع ؟ أولم يعيروا له اُذناً مصغية ؟ هذا وهم عدول ، وانّ ممّن سمع بطبع الحال هاتيك الكلمة نفس عثمان فلماذا كان يخاف من القفول إلى مكّة حذار أن يكون هو الذي سمع فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما مرّ من أنّه يلحد بمكّة رجل عليه عذاب نصف أهل الأرض ؟ .

٢٣- ذكر ابن كثير في تاريخه عند عدّ مناقب عثمان عن إسماعيل بن عبدالملك عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله رافعاً يديه حتّى يبدو ضبعيه إلّا لعثمان بن عفّان إذا دعا له .

قال الأميني : حذف ابن كثير وغيره ممّن ذكر هذه المهزأة إسنادها وأرسلوها إرسال المسلّم ذاهلين عن أنّ في ذكر إسماعيل بن عبدالملك كفاية من عرفان بقيّة رجاله قال ابن عمّار وأبوداود : ضعيف . و قال ابن الجارود وابن معين والنسائي و أبوحاتم : ليس بالقوي . وقال عبدالرّحمن بن مهدي : اُضرب على حديثه . وقال الفلاس وأبو موسى : كان عبد الرّحمن ويحيى لا يحدّثان عنه . و قال ابن حبّان : كان يقلّب ما يروي[٤] .

وأنا لا أدري أنّ عائشة متى روت هذه الرواية ، قبل تكفيرها الرجل وتأليب الناس عليه ، ثمّ نسيتها ؟ وسرعان ما تنسى اُمّ المؤمنين ما حفظته كما نسيت أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها في مناوئة أمير المؤمنين علي عليه السلام وعن كلاب الحوأب ونباحها ، أم أنّها روتها حين كانت تثير العواطف على عثمان وترهج عليه نقع الحروب حتّى أوردته موارد

(١) تاريخ الخميس ٢ : ٢٦٠ .
(٢) راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ١٦٢ .
(٣) راجع ما اسلفنا في حديث طلحة بن عبيد الله ص ٩٦ .
(٤) تهذيب التهذيب ١ : ٣١٦ .

الهلكة ؛ فاعجب إذن بالمناقضة بين روايتها وعملها دوالبك وهي صحابيّة عادلةٌ أمُّ الصحابة العدول كما يزعمون .

أم أنّها أسندتها بعد تلكم المعامع ؛ بعد أن سوّل لها الناكثان النهضة للطلب بثاراته . فخرجا يجرّان حرمة رسول الله ﷺ كما تُجرّ الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة ، فحبسا نساءهما في بيوتهما ، و أبرزا حبيس رسول الله ﷺ عن خدرها(١) فثارت لتتدارك ذلك الحوب بما هو أكبر منه ، فخالفت القرآن الكريم فيما خصّ زوجات النبيّ ﷺ بقوله : « وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى » فكان من استقرارها في بيتها أن ركبت الجمل وقادت العساكر ، وباشرت الحرب بنفسها ، وعاشرت الرجال الأجانب ، ونبذت الكتاب وراء ظهرها ، ولم ترع لبعلها حرمة ولا كرامة .

وخالفت رسول الله ﷺ في نواهيه المتعاقبة عن خصوص موقف الجمل كما مرّت في الجزء الثالث ص١٨٨ـ١٩١ط٢ ، وعن مطلق مناوءة أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربته فيما روي عنه ﷺ مستفيضاً كما أسلفنا نزراً منه في ج ١ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ وج ٢ : ٣٠٠ ـ٣٠٣ ، وج ٣ : ٢٦ ، ١٨٢ ـ١٨٨ وج ٤ : ٣٢٢ـ٣٢٥ط٢ .

نعم خالفت رسول الله ﷺ في وصاياه المؤكّدة بوصيّه الطاهر حتّى جاء في حديث معمّر : عائشة كانت لا تطيب نفساً لعليّ بخير . وفي حديث آخر : لكنّها لا تقدر على أن تذكره بخير(٢) .

والحديث صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات أخرجه أحمد في مسنده ٦ : ٢٢٨ من طريق معمّر عن الزهري عن عبيدالله بن عتبة انّ عائشة أخبرته قالت : أوّل ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فاستأذن أزواجه أن يمرّض في بيتها فأُذن له قالت : فخرج ويدٌ له على الفضل بن عبّاس ، ويدٌ على رجل آخر ، وهو يخطّ برجليه في الأرض . قال عبيد الله فحدّثت به ابن عبّاس فقال : أتدرون مَن الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة ؟ هو عليٌّ ، ولكن عائشة لا تطيب له نفساً .

وأخرجه البخاري في صحيحه في باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة ، غير أنّه

(١) راجع ما مضى في هذا الجزء ص ١٠٦ .

(٢) فتح البارى ٢ : ١٢٣ .

حذف منه قول ابن عبّاس: «ولكنّ عائشة لا تطيب له نفساً» وهذا شأن البخاري في كلّ ما لا يروقه.

نعم عائشة لا تقدر أن تسمّي عليّاً وتذكره بخير، غير أنّها كانت تصيخ إلى من نال من عليّ عليه السلام وتأنس بالوقيعة فيه ولا تنهى عنها كما في صحيحة رجالها كلّهم ثقات أخرجها أحمد في مسنده ٦: ١١٣ من طريق عطاء بن يسار قال: جاء رجلٌ فوقع في عليّ وفي عمّار رضي الله تعالى عنهما عند عائشة فقالت: أمّا عليّ فلست قائلةً لك فيه شيئاً، وأمّا عمّار فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يخيّر بين أمرين إلّا اختار أرشدهما.

لِمَ يا أُمّاه لستِ قائلة شيئاً في عليّ؟ أما سمعت اُذناكِ من بعلكِ حديثاً واحداً في فضله مثل ما سمعت في عمّار؟ أما تجدين في كتاب الله ممّا نزل في عليّ ما يعادل حديثك في عمّار؟ وفضل عليّ عليه السلام على عمّار كما قال حذيفة اليماني: فوالله لعليٌّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإنّ عمّاراً من الأخيار (١)

لِم يا اُمّاه لاتكرهين أن يُقذع عندكِ عليٌّ عليه السلام، وأنت التي كنت كارهة أن يُسبَّ عندكِ حسّان بن ثابت؟ وقد أخبر بذلك عروة قال: كانت عائشة تكره أن يُسبَّ عندها حسّان وتقول: إنّه الذي قال:

فإنّ أبي ووالده وعرضي ✿ لعرض محمّد منكم وقاءُ (١)

أما كانت عندكِ لمواقف عليّ المشكورة في مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله ولمبيته على فراشه ليلة هجرته من مكّة وقد باهى الله به ملائكته، قيمة وكرامة مقدار بيت شعر لحسّان؟ وحسّان أنت أدرى به منّي. اي يا اُمّاه؟ شنشنةٌ أعرفها من أخزم.

ومن رشحات ما كانت تحمله اُمُّ المؤمنين بين جنبيها من الضغينة على أوّل المسلمين وأولاهم بهم من أنفسهم قولها يوم سمعت بيعة الناس له: لوددت أنَّ السّماء إنطبقت على الأرض إن تمّ هذا.

وخالفت العقيدة الراسخة من حرمة قتال خليفة الوقت، وليتني علمت ماذا يكون

---

(١) اخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال ٧ : ٧٣.

(٢) راجع مسند أحمد ٦ : ١٩٧

جواب أمّ المؤمنين لو أحفيت السؤال عن خطيئتها أيّهما أعظم ؟ إجهازها على عثمان أم محاربتها الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام ؟ غير أنّها اليوم وقد كشف عنها الغطاء تجيب بأنّ الخطيئة كانت واحدة مرتكزة على سنام الجمل وتحت أستار الهودج ، وهل كانت روايتها هذه لتبرير عملها الأخير ؟ وقد جعلتها معذرة لها في ثورتها أو أنّها اختلقت عليها فأخرجتها رواة السفاسف أو حملة الأضغان على البيت النبويّ الطاهر ، أو سماسرة البيت الأمويّ الذين حاولوا نشر الفضيلة لهم ولو بالأفائك ؟

وكانت أمّ المؤمنين عالمة جدّاً بأنّ قتل عثمان كان هيّناً عند الله ورسوله في جنب خروجها من عقر دارها كما قال لها جارية بن قدامة السعدي الصحابي : يا أمّ المؤمنين ؟ والله لقتل عثمان بن عفّان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح ، إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة ، فهتكت سترك ، وأبحت حرمتك ، إنّه من رأى قتالك فإنّه يرى قتلك ، إن كنت أتيتينا طائعة ؟ فارجعي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتينا مستكرهة ؟ فاستعيني بالناس[1]

ثمّ هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو لعثمان بالثبات على الحقّ من إتّباع الكتاب والسنّة ؟ فلماذا لم يستجب ذلك الدعاء فخالفهما ؟ وظهر ذلك منه حتّى عرفته عامّة الصحابة فأنكروه عليه حتّى قتلوه .

أو أنّه كان يدعو له بالتوفيق للتوبة ؟ فلماذا لم يوفّق ؟ فكلّما تاب رجع ، وكلّما عهد حنث ، حتّى عرف ذلك الثائرون عليه فلم يجدوا بدّاً من إعدامه .

أو أنّه كان يدعو له بالمغفرة وإن لم تكن توبته نصوحاً ؟ فذلك إغراءٌ بالجهل ، وترخيصٌ في المعصية ، وهو محالٌ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

أو أنّه كان يدعو له بدفع عادية الناس عنه على ما هو عليه من طاعة أو معصية ؟ فهبني قلت : إنّه جائزٌ لكنّ الدعاء لم يستجب ، وما غناء بقاء رجل هو هكذا سالماً ؟ وهو لا يقتصّ أثره في صلاح ، ولا يقتفى في طاعة ، ولا يتّبع في خير ، وإنّما تورث سلامته تجرّياً على المعاصي وولعاً بالميول والشهوات .

أو أنّه كان يدعو له باليسار والثروة ليرغد عيشه ويرغد عيش من لفّ لفّه و

---

(١) تاريخ الطبري ٥ : ١٧٦ ، الكامل لابن الاثير ٣ : ٩٠ .

احتفَّ به ولو كان بالأثرة لنفسه وذويه على المسلمين عامة متعدٍّ بأحدود الله المأثورة في الأموال والصدقات ؟ فهل الدعاء لمثل هذا جائزٌ في الشريعة ؟ وهل يستسيغ العقل السليم الدعاء للحصول على المآثم ؟

أو أنّه كان يدعو له بنيل الخلافة ؟ و هذا إنْ صحّ فقد استجيب غير أنّ النبيّ الأعظم ﷺ كان بواسع علم النبوّة بصيراً بما يؤل إليه أمر الرّجل و ينوء به ممّا لا تحمده شريعةٌ أو عقيدة ، و لا يستتبع خلافته إلّا وهناً في الدّين ، و ذهاباً لأُبّهة الإمامة ، و قلقاً في مستوى الإسلام و عاصمة النبوّة ، و تعكيراً لصفو الأُلفة بين أفراد المسلمين ، وفتّاً في عضدهم ، وهواناً على صلحاء الأُمّة في الحواضر الإسلاميّة ، وتعطيلاً للأحكام ، و تعدّياً للحدود ، و من يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون ، و كلٌّ هذه ممّا عرفته منه الصحابة فتألّبوا عليه ، فما كان حاجة النبيّ ﷺ في خليفة هو هكذا ؟ .

هذه محتملات الدعاء المزعوم ، و لنا ها هنا مسائلةٌ أُخرى عن السبب الموجب لهذا الدعاء أوّلاً وعن ظرفه ثانياً ، أهل كان الموجب له أعماله السابقة على الدعاء ؟ أو ما ارتكبه في أُخريات أيّامه ؟ فجرّ على نفسه ومن اكتنفه الويلات من جرّائه ، أمّا الأخيرة فقد عرفت انّها لاتنهض موجباً لذلك ، وأمّا سوابقه فسل عنه يوم بدر وتخلّفه عنه و كان يُعيّر بذلك طيلة حياته ، و وقع فيه عبدالرّحمن بن عوف لذلك في أُخريات خلافته بملأ من الناس فأنهى إليه ذلك الوليد بن عقبة السكير الفاسق بلسان الوحي المبين[1] هنا لك نحت له عذراً من تمريض رقيّة بنت النبيّ ﷺ [2] لكن الصحابة ما كانوا يعرفون ذلك العذر المفتعل حتّى أولى الناس به أخوه بالمؤاخاة بمكة عبدالرّحمن بن عوف ، ولو كان ما يقوله صحيحاً لعرفوه وهو بين ظهرانيهم غير منتأى عنهم .

و سل عنه يوم أُحد وفراره من الزحف وقد نزل فيه وفيمن فرّ قوله تعالى « في سورة آل عمران آية : ١٥٥ » : إنّ الّذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا . الآية [3] .

---

(١) مرّ تفصيل ذلك في ج ٨ : ٢٧٤ – ٢٧٦ ط ٢ .

(٢) راجع مسند احمد ١ : ٦٨ ، ٧٥ ، الرياض النضرة ٢ : ٩٧ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٠٦ .

(٣) راجع مسند احمد ١ ، ٦٨ ، تفسير القرطبى ٤ . ٢٤٥ ، تفسير ابن كثير ١ : ٤١٩ ، الرياض النضرة ٢ : ٩٧ ، تفسير الخازن ١ : ٣٠٧ .

وسل عنه ليلة وفاة أُم كلثوم واقترافه الذنب فيها، وهتك رسول الله ﷺ حرمته في صبيحتها بملأ من الصحابة بحرمانه من دفنها وهي زوجته و هو أحقّ الناس بدفنها، راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن ص٢٣١ ط٢ .

وسل عنه ايواءه عبدالله بن أبي سرح وقد ارتدّ عن الإسلام و لحق بالمشركين فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح وأمر بقتله ولو وُجد تحت أستار الكعبة، لكنّه فرّ إلى أخيه من الرضاعة «عثمان» فآواه وغيّبه، و كان من واجبه قتله أينما وجده، لكنه بدلاً عن ذلك أتى به إلى رسول الله فاستأمنه له فصمت رسول الله ﷺ طويلاً رجاء أن يقتله أحدٌ من الحضور لأنّه ما كان يروقه ﷺ إسعافه و لا يرى لحياة ابن أبي سرح قيمة . راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن ص ٢٨٠ ط٢.

وسل عنه ايواءه ابن عمّه المشرك معاوية بن المغيرة بن أبي العاص يوم حمراء الأسد لمّا ظفر به رسول الله ﷺ في خروجه منها فأمر بضرب عنقه صبراً فلجأ إلى عثمان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه على أنّه إن وُجد بعد ثلاث قتل فأقام بعد ثلاث و توارى فبعث ﷺ عمّار بن ياسر و زيد بن حارثة و قال: إنّكما ستجدانه بموضع كذا و كذا فوجداه فقتلاه [1].

و ما أشبه فعلته هذه بايوائه الحكم و ابنه مروان في خلافته وهما طريدا رسول الله ولعيناه؟ [2] فأمره سواسية في المبدأ والمنتهى .

هذا كلّ ما علمناه من سوابق الرجل ولواحقه، وشيء منها لا يصلح أن يكون باعثاً للحبّ والدعاء، كما أنّ شيئاً منها لا يترك للدعاء المزعوم ظرفاً يستساغ له الدعاء فيه ، فزبدة المخض أنّه من مختلق الدور الأمويّ الذي لم يأل العبشميّون فيه جهداً في وضع الفضائل أو الرذائل .

نعم ذكروا له ﷺ دعوات عديدة لعثمان عند تجهيزه جيش العسرة، و لعلّ المتهالك في حبّ عثمان ينحته موجباً لتلكم الدعوات، و الباحث جِدّ خبير بأنّه لا

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٥٧ ، تاريخ ابن كثير ٤ : ٥١ ، عيون الاثر لابن سيد الناس ٢ : ٣٧ ، ٣٨ ، شرح الاشخر على بهجة المحافل ١ : ٢١٣ .

(٢) راجع ترجمة الحكم وابنه مروان في الجزء الثامن من كتابنا هذا .

يعدو شيئاً منهاوهنّ في الاسناد لضعف في رجاله أو إرسال فيه ، على اضطراب الروايات في كيفيّة التجهيز و كميّة ما أنفقته يده فيه ، اضطراباً لايعدوه الحكم بالبطلان في جميعها :

قال ابن هشام في السيرة ٤ : ١٧٢ : أنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقةً عظيمة لم ينفق أحدٌ مثلها . حدّثني من أثق به أنّ عثمان بن عفّان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار . إلى آخر ما يأتي من حديثه .

وأخذ الطبري الجملة الأولى من قول ابن هشام وترك حديثه .

وعند الكلبي مرسلاً كما في أسباب النزول للواحدي ٦١ جهّز بألف بعير بأقتابها و أحلاسها .

و عند قتادة مرسلاً : حمل على ألف بعير وسبعين فرساً .

و عند البلاذري باسناد ضعيف مرسل : جهّزهم بسبعين ألفاً .

وعند الطبراني باسناد ضعيف : مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية من الذهب .

و عند أبي يعلى بسند ضعيف : جاء بسبعمائة أوقية ذهب .

و عند ابن عدي بسند واهٍ ضعيف جدّاً : جاء بعشرة آلاف دينار .

و عند أبي نعيم باسنادين باطلين : جاء بألف دينار.

و عند أحمد وأبي نعيم باسناد معلول : ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها .

و عند ابن عساكر مرسلاً : جهّز ثلث ذلك الجيش مؤنتهم .

و عند ابن الأثير ما ذكره الطبري وزاد عليه : قيل كانت ثلثمائة بعير وألف دينار

وعند عماد الدين العامري دعوى مجرّدة : أنفق ألف دينار ، وحمل على تسعمائة وخمسين بعيراً ، وخمسين فرساً .

و عند الحلبي صاحب السيرة قولاً بلا دليل : جهّز عشرة آلاف دينار غير الابل و الخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما تعلّق بذلك حتّى ما تربط به الأسقية .

و عند بعض كما في السيرة الحلبيّة : أعطى ثلاث مائة بعير بأحلاسها و أقتابها و خمسين فرساً .

و في رواية عند الحلبي : جاء بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله فصبّت بين يديه . فقال : لعلّ هذه العشرة آلاف غير الذي جهّز بها العشرة آلاف إنسان .

فترى كلّ واحديكل و يزن ما أنفقه الرجل في جيش العسرة بكيلة مروءته و ميزان كرامته ، وما تستدعيه سعة صدره ، ورحب ذات يده .

على أنّ هناك اُناساً آخرين شاركوا مَن جهّز الجيش وأربوا ، فلا أدري ما الموجب لاختصاص عثمان بتلكم الأدعية دونهم ؟ فمن اُولئك المجهّزين العباس بن عبدالمطلب فإنّه حمل مالاً يقال إنّه تسعون ألفاً [1] وقال ﷺ : العبّاس عمّ نبيّكم أجود قريش كفّاً وأحناه عليها . وفي حديث : أوصلها لها « مستدرك الحاكم ٣ : ٣٢٨ » وأوّل من حمل ماله كلّه هو أبوبكر على زعم القوم فإنّه جاء بماله كلّه فقال له رسول الله ﷺ : هل أبقيت شيئاً ؟ قال : الله ورسوله [2].

وهبْ أنّ ما حمله أبو بكر كان نزراً يسيراً لكنّه أنفق بكلّ ماله إن صدق الحديث وكمال الجود بذل الموجود . فما الذي أرجأه من الحظوة بالدعاء له و رسول الله ﷺ : يراه أمنّ الناس عليه بماله ؟ وقد جاء عنه ﷺ فيما رواه أحمد في مسنده ١ : ٢٧٠ قوله : ليس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة .

على أنّ طبع الحال يستدعي أن يكون هناك منفقون آخرون لأنّ عدد الجيش كان ثلاثين ألفاً وعشرة آلاف فرس وإثناعشر ألف بعير عند كثير من المؤرّخين ، وعند أبي زرعة كانوا سبعين ألفاً ، وفي رواية أربعين ألفاً [3] و ما ذكروه من النفقات لعثمان وغيره لاتفي بتجهيز هذا الجيش اللجب ، فلما ذا حرم اولئك كلّهم من الدعاء وحظى به عثمان فحسب ؟ أنا اُنبئك لماذا ، وجد عثمان بعد ما خُذل وقُتل أنصاراً ينحتون له الفضائل ، وتصرّمت أيّام اولئك من غير نصير مُفتعل .

و إليك جملةً ممّا روي في الباب وافية للنهوض بإثبات بطلان ما يُهتف به من المبالغة في أمر التجهيز المذكور ، منها :

٢٤- أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ١ : ٥٩ من طريق حبيب بن أبي حبيب أبي

(١) امتاع المقريزى ص ٤٤٦ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١ : ١١٠ ، شرح المواهب للزرقانى ٣ : ٦٤ ، السيرة الحلبية ٣ : ١٤٥ .

(٣) طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٦٨٣ ، تاريخ ابن عساكر ١ : ١١١ ، امتاع المقريزى ص ٦٥٠ ، فتح البارى ٨ : ٩٣ ، المواهب اللدنية ١ : ١٧٣ ، ارشاد السارى ٦ : ٤٣٨ ، شرح بهجة المحافل ٢ : ٣٠ .

محمّد البصري - كاتب مالك - عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال : انّما جهز النبيّ صلى الله عليه وسلم جيش العسرة جاء عثمان بألف دينار فصبّها في حجر النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أللهمّ لا تنس لعثمان ، ما على عثمان ما عمل بعد هذا .

قال الأميني : أتخفى على مثل الحافظ أبي نعيم أقوال أئمّة الفنّ من قومه في حبيب كاتب مالك ؟ قال عبد الله بن أحمد - إمام الحنابلة - عن أبيه انّه قال : حبيب ليس بثقة قدم علينا رجلٌ أحسبه قال من خراسان كتب عنه كتاباً . إلى أن قال : قال أبي : كان يكذب ، ولم يكن أبي يوثقه ولا يرضاه وأثنى عليه شرّاً وسوءً .

وقال أبوداود : كان من أكذب الناس كان يضع الحديث . وقال أبوحاتم : متروك الحديث روى عن ابن أخي الزهري أحاديث موضوعة . وقال النسائي والأزدي ، متروك الحديث . وقال ابن حبّان : كان يُدخل على الشيوخ الثقات ما ليس من حديثهم . و قال : أحاديثه كلّها موضوعةٌ و ذكر له عدّة أحاديث عن هشام بن سعد وغيره وقال : كلّها موضوعةٌ ، وعامّة حديثه موضوعُ المتن ، مقلوب الإسناد ، ولا يحتشم حبيب في وضع الحديث على الثقات ، وأمره بيّنٌ في الكذب . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال سهل بن عسكر : كتبنا عنه عشرين حديثاً وعرضناها على ابن المديني فقال : هذا كلّه كذبٌ ، وقال النسائي : متروك أحاديثه كلّها موضوعةٌ عن مالك و غيره [1] .

وأخرجه أحمد من طريق ضمرة بن ربيعة الدمشقي الرملي ، قال الساجي : صدوقٌ يهم عنده مناكير ، وجاء ضمرة عن الثوري عن ابن دينار عن ابن عمر بحديث فأنكره أحمد وردّه ردّاً شديداً ، وقال : لو قال رجلٌ إنّ هذا كذب لما كان مخطئاً .

وأخرجه الترمذي وقال : لا يتابع ضمرة عليه وهوخطأ عند أهل الحديث. راجع تهذيب التهذيب ٤ : ٤٦١ . (ومنها) :

٢٥ - أخرج أحمد في مسنده ١ : ٧٤ من طريق محمّد بن أبي بكر المقدمي البصري عن محمّد بن عبد الله الأنصاري البصري عن هلال بن حقّ البصري عن سعيد

(١) راجع ميزان الاعتدال ١ : ٢١٠ ، تذكرة الموضوعات للمقدسي ص ٩٠ ، مجمع الزوائد للهيثمي ٩ : ٧٤ ، تهذيب التهذيب ٢ : ١٨١ ، اللئالي المصنوعة ١ : ٨ ، ٢٣٠ ، خلاصة الكمال ص ٦٠ ، أسنى المطالب ص ٢١٦ .

الجريري[1] البصري عن ثمامة القشيري قال: شهدت الدار يوم أُصيب عثمان رضي الله عنه فطالع عليهم إطلاعة فقال: ادعوا لي صاحبيكم اللّذين[2] ألّباكم عليّ فدُعيا له فقال: نشدتكما الله أتعلمان أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال: من يشتري هذه البقعة من خالص ماله؟ فيكون فيها كالمسلمين وله خيرٌ منها في الجنّة. فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين؟ وأنتم تمنعوني أن اُصلّي فيه ركعتين. ثمّ قال: اُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا قدم المدينة لم يكن فيها بئرٌ يستعذب منه إلّا رومة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلي المسلمين؟ وله خيرٌ منها في الجنّة. فاشتريتها من خالص مالي؟ فأنتم تمنعوني أن أشرب منها. ثمّ قال هل تعلمون أنّي صاحب جيش العسرة؟ قالوا: أللهمّ نعم.

وذكره البلاذري في الأنساب ٥ : ٥، ٦ من طريق يحيى بن أبي الحجاج البصري عن سعيد الجريري وزاد: فانشدكما الله هل تعلمان أنّي جهّزت جيش العسرة من مالي؟ قالا: أللهمّ نعم. قال: انشدكما الله هل تعلمان أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بثبير، أو قال: بحرّاء. فتحرّك الجبل حتّى تساقطت حجارته إلى الحضيض فركضه برجله فقال: اسكن فما عليك إلّا نبيٌّ أو صدّيقٌ أو شهيدٌ؟ قالا: أللهمّ نعم.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦ : ١٦٨ من طريق يحيى بن أبي الحجّاج عن الجريري عن ثمامة.

☆(رجال الإسناد)☆

١ـ محمّد بن عبد الله الأنصاري: قال العقيلي: منكر الحديث. وقال أبو أحمد الحاكم: روى يحيى بن خدام عنه عن مالك بن دينار أحاديث منكرة والله أعلم الحمل فيه عليه أو على يحيى. وقال ابن حبّان: منكر الحديث جدّاً يروي عن الثقات ماليس من حديثهم، لا يجوز الاحتجاج به وقال: ابن طاهر: كذّابٌ. وقال الحاكم النيسابوري: يروي أحاديث موضوعة. وقال أبو الفضل الهروي: ضعيفٌ. وقال الأزدي: منكر الحديث جدّاً روى عن مالك بن دينار أحاديث معاضيل: تهذيب التهذيب ٩ : ٢٥٦.

(١) الجريري بضم الجيم وفتح الراء نسبة الى جرير بن عباد.
(٢) يعنى طلحة والزبير، ووقعت التسمية فى غير واحد من أحاديث المناشدة وكلها أكاذيب.

لا يحسب الباحث أنّ محمد بن عبد الله الأنصاري هذا هو عبد الله البصري محمّد ابن عبدالله بن المثنّى فإنّه يروي عن سعيد الجريري بلا واسطة كما في تهذيب التهذيب ٤ : ٦ وج ٩ : ٢٧٤ والذى يروي عنه بالواسطة هو هذا الأنصاري المترجم له .

٢ـ سعيد أبو مسعود الجريري وهو وإن كان ثقة في نفسه لكنّه لا تصحّ روايته لاختلاطه ثلاث سنين من عمره ، قال أبو حاتم : تغيّر حفظه قبل موته فمن كتب عنه قديماً فهو صالحٌ . وقال يزيد بن هارون ربّما ابتلانا الجريري وكان قد أنكر . وقال ابن معين عن ابن عدي : لانكذب الله سمعنا من الجريري وهو مختلط . وقال ابن حبّان : اختلط قبل أن يموت بثلاث سنين . وقال يحيى بن سعيد لعيسى بن يونس : أسمعت من الجريري؟ قال : نعم . قال : لاترو عنه ، يعني لأنّه سمع منه بعد اختلاطه . وقال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله إلّا انّه اختلط آخر عمره « تهذيب التهذيب ٤ : ٦ » .

٣ـ يحيى بن أبي الحجّاج البصري في طريق البلاذري . قال النسائي وابن معين: ابن أبي الحجّاج ليس بشيء . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي .

ونحن لو غاضينا العثمانيّين على صحّة هذه الرّواية وأمثالها فانّها تعود وبالاً على عثمان أكثر منها منقبة فإنّ في صريحها أنّ الرجلين وهما من العشرة المبشّرة ومن الستّة أصحاب الشوري وفي الجبهة والسنام من الصحابة العدول « عند القوم » إعترفا له بما استنشدهما لكنّهما لم يأبها بما حاوله عثمان من مفاد الرّواية فاستمرّا على التأليب عليه والضغط والتشديد ، فهل هو مجابهة منهما لماثبت عن الرّسول ﷺ ؟ « ويردّه عدلهما وكونهما من العشرة » أو أنّهما علما أنّ الشيء حدث بعده شيءٌ أزاح موضوعه ؟ وإنّما كان قول رسول الله ﷺ في مرحلة الاقتضاء من آثار تلكم الأعمال الطبيعيّة إذا استمرّ صاحبها على ما هو عليه في هاتيك الأحوال ، ولم يحدث موانع فانّهما كانا يرتئيان حدوث موانع هنالك سالبة لأثر الاقتضاء . وبهذا الاعتقاد مضيا مصرّين على ما ارتكباه من أمر الخليفة ، وهما يريانه حائداً عن الصّراط السوي .

ولعلّ عثمان نفسه ما كان جازماً ببقاء تلكم الآثار التي كان نوّه بها النبيّ الأعظم ﷺ نظراً منه لما أحدث بعد ذلك من الحوادث ، ولذلك كان يحاذر أن يكون هو الرجل الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ من أنّه يُلحد بمكّة رجل عليه

نصف عذاب أهل الأرض كما مرّ حديثه الصحيح في ص١٥٢ من هذا الجزء .

ويشبه طلحة والزبير بل وعثمان نفسه بقيّة الصحابة المجهزين عليه فيما بيّناه من الاعتقاد في حقّ الرجل . فراجع ماقدّمناه من أقوالهم و أعمالهم المذكورة في الجزء الثامن وفي هذا الجزء ص ٦٩-١٦٣ ، ولا تنس قولهم له في مناشدته المذكورة في ص ٢٠٤ : وأمّا ماذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله فانّك قدكنت ذا قدم وسلف وكنت أهلاً للولاية ، ولكن : بدّلت بعد ذلك وأحدثت ما قد علمت .

وقولهم له : وأمّا قولك : إنّه لايحلّ إلّا قتل ثلاثة فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت : قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه و كابر عليه ، وقد بغيت ، ومنعت الحقّ ، وحلت دونه ، وكابرت عليه . الخ .

ونظير هذه الأقوال الكثير المعرب عن آراء الصحابة فيه وفي أحداثه ، وكلّها تكذّب القول بأن يكون رسول الله صلّى الله عليه وآله يسمّي الرّجل شهيداً . نعوذ بالله من الإختلاق بلا تدبّر (ومنها) :

٢٦ـ أخرج سيف بن عمر في الفتوح من طريق صعصعة بن معاوية التيمي قال : أرسل عثمان وهو محصور إلى عليّ وطلحة والزبير وغيرهم : فقال : احضروا غداً فأشرف عليهم وقال : أنشدكم الله ولا أنشد إلّا أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : من حفر رومة فله الجنّة . فحفرتها ؟ ألستم تعلمون انّه قال : من جهز جيش العسرة فله الجنّة . فجهزته ؟ قال : فصدّقوه بما قال .

ذكره ابن حجر في فتح الباري ٥ : ٣١٤ وقال : وللنسائي من طريق الأحنف بن قيس إنّ الذين صدّقوه بذلك هم : عليّ بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص .

ترى ابن حجر هاهنا ساكتاً عن الغمز في هذه الرواية و هو الذي جمع أقوال الحفّاظ في سيف بن عمر من انّه ضعيف ، متروك ، ساقط ، وضّاع ، عامّة حديثه منكر ، يروي الموضوعات عن الاثبات ، كان يضع الحديث ، واتّهم بالزندقة « راجع ج ٨ : ص ٨٤ ، ٣٣٣ من كتابنا هذا »

وكأنّه أراد من عدّ من صدّق عثمان في دعواه إثبات فضيلة له ذاهلاً عن أنّ كثرة

المصدّقين في المقامين على تقدير صحّة الخبر ـ وأنّى هي ؟ ـ تزيد عاراً و شناراً على الرّجل ، و تعود و بالاً عليه أكثر منها منقبةً كما مرّ بيانه ، و إنّي لا أشكّ في أنّ الباحث بعد هذا البيان الضافي لايُقيم لهذه المناشدة وزناً و إن خرّجه البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضاً أو بئراً ج ٤ ص ٢٣٦ [1] وما أكثر بين دفّتي هذا الصحيح من سقيم يجب أن يُضرب به عرض الحائط كما هو الظاهر لدى من يراجع كتاب « أبوهريرة » لسيّدنا الآية شرف الدين وغيره من تآليفه ، وسنوقفك على جليّة الحال في الأجزاء الآية إن شاء الله تعالى . (ومنها) :

٢٧ـ أخرج أسد بن موسى في فضائل الصحابة عن قتادة البصري قال : حمل عثمان على ألف بعير و سبعين فرساً في العسرة .

ذكره ابن حجر في فتح الباري ٥ : ٣١٥ وقال : مرسلٌ . ولم يسمّ ابن حجر رجال الإسناد بين أسد بن موسى وبين قتادة وكذلك من قتادة إلى منتهى السند ، فالرواية مرسلةٌ من الطرفين ، واعلّ في مرحلتي السند اُناسٌ من الوضّاعين المفضوحين ستر عليهم أسد بني مروان بذيل أمانته ، ورواقه الإبقاء على كرامة الحديث بإسقاطهم ، وأسد ابن موسى هو حفيد الوليد بن عبد الملك بن مروان الأمويّ قال النسائي مع توثيقه : لولم يصنّف كان خيراً له . وقال ابن يونس : حدّث بأحاديث منكرة وأحسب الآفة من غيره . وقال ابن حزم : منكر الحديث ضعيفٌ . وقال عبد الحقّ : لا يُحتجّ به عندهم [2]

☆(ومنها)☆

٢٨ـ أخرج أبو يعلى من وجه آخر فيه قال : فجاء عثمان بسبعمائة اُوقية ذهب .

ذكره ابن حجر في الفتح ٥ : ٣١٥ وقال : ضعيفٌ . وليتـه كان يذكره بإسناده حتّى كنّا نوقف الباحث على ترجمة رجاله الكذّابين . (ومنها) :

٢٩ـ أخرج ابن عدي من طريق عمّار بن هارون [3] ابي ياسر المستملي عن إسحاق ابن ابراهيم المستملي عن أبي وائل عن حذيفة أنّ رسول الله ﷺ بعث إلى عثمـان

---

(١) اخرجه من طريق ابى اسحاق السبيعى الشيعى المدلس وقد مرت ترجمته فى ج ٧ : ٢٧٦ وانه ضعيف جداً لا يحتج بحديثه ، عن ابى عبد الرحمن العثمانى .

(٢) ميزان الاعتدال ١ : ٩٧ ، تهذيب التهذيب ١ : ٢٦٠ .

(٣) فى تاريخ ابن كثير : عمّار بن ياسر المستملى . والصحيح ما ذكرناه .

يستعينه في غزاة غزاها فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يديه فجعل يقلّبها بين يديه ويدعو له : غفر الله لك يا عثمان ! ماأسررتَ وما أعلنتَ وماأخفيتَ وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها .

ذكره ابن كثير في تاريخه ٧ : ٢١٢ ساكتاً عمّا في إسناده من العلل عاداته في فضائل من غمره حبّه ، وأورده ابن حجر في فتح الباری ٥ : ٣١٥ فقال : سندٌ ضعيف جدّاً . وقال في ج ٧ ص ٤٣ : سنده واهٍ . وذكره القسطلاني في المواهب اللدنيّة ١ : ١٧٢ ساكتاً عن علله وعقّبه الزرقاني بقول إبن حجر راجع شرح المواهب ٣ : ٦٥ ، و ستوافيك ترجمة بعض رجال الإسناد الضعفاء في هذا الجزء .

وذكر ابن كثير في تاريخه ٧ : ٢١٢ وقال : روى الحسن بن عرفة عن محمّد بن القاسم الأسدي الشامي عن الأوزاعي الشامي عن حسان بن عطيّة الدمشقي عن النبي ﷺ مرسلا انّه قال لعثمان : غفر الله لك ما قدّمتَ وما أخّرتَ وما أسررتَ وما أعلنت وما كان منك وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة .

قال الأميني : لولم يكن في إسناد هذه الأكذوبة المرسلة إلّا محمّد بن القاسم الذي كان عثمانيّاً كما قاله العجلي لكفاه وهناً ، أيخفى على ابن كثير المحتجّ بها قول النسائي في محمّد بن القاسم : انّه ليس بثقة كذّبه أحمد ؟ أم قول الترمذي : تكلّم فيه أحمد وضعّفه ؟ أم قول أبي حاتم : ليس بقويّ لا يُعجبني حديثه ؟ أم قول أبي داود : انّه غير ثقة ولا مأمون أحاديثه موضوعة ؟ أم قول ابن عدي : عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه ؟ أم قول البراء : حدّث بأحاديث لم يُتابع عليها ؟ أم قول الدارقطني : كذّابٌ ؟ أم قول ابن القاسم : أحاديثه موضوعةٌ ليس بشيء ؟ أم قول البخاري عن أحمد : رمينا حديثه ؟ أم قوله في موضع آخر : كذّبه أحمد ؟ أم قول ابن حبّان : يروي عن الثقات ماليس من أحاديثهم لا يجوز الإحتجاج به ؟ أم قول العقيلي : يُعرف ويُنكر ، تركه أحمد و قال : أحاديثه أحاديث سوء ؟ أم قول أبي أحمد الحاكم : ليس بالقويّ عندهم ؟ أم قول البغوي : ضعيف الحديث ؟ أم قول الأزدي : متروكٌ[1] .

وهذا كافٍ في وهن السند وبطلانه ، وإن غضضنا الطرف عن بقيّة ما فيه من

(١) ميزان الاعتدال ٣ : ١٢٢ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٤٠٧ .

الشاميين أعداء الحق وأضداد العترة الطاهرة صلوات الله عليهم ، وما فيه من الإرسال الموهن للرواية ، ودع عنك ما في متنه مما يضاد الأصول المسلمة من الترخيص في المعصية مما هو كائن إلى يوم القيامة ، فهو يوجب التجري على المعاصي فيما يستقبل الرجل من الأيام ، وأي إنسان غير معصوم يقال له : ان كل ما سوف ترتكبه من المآثم مغفور لك . فلا تحدوه شهواته إلى توهين اقترافها ، واستسهال ركوبها ؟ والشهوة غريزة في الإنسان تقوده إلى مهاوي الهلكة كل حين ، والمعصوم من عصمه الله تعالى .

نعم حقاً يقال : إن سيرة عثمان تصدق هذه الرواية فانها لا تشبه إلا سيرة من رخص بالمآثم ، وأذن لاقتحام الطامات والموبقات ، وبشر بغفران هناته و عثراته ، فكان غير مكترث لمغبة فعاله ، ولا مبال بمعرة مقاله .

وهب إن الحسنات يذهبن السيئات من غير حقوق الناس والكبائر المخرجة عن الدين التي سلفت من الإنسان ، ولكن أي عمل بار في الشريعة « ولا أقول من أعمال عثمان فحسب » . يبيح للمكلف السيئات فيما يأتي من عمره إلى يوم القيامة ويبشره بالمغفرة فيها جمعاء ؟ وليس في ميزان الأعمال ما هو أرجح من الايمان ومع ذلك فهو غير ممتاز عما سواه بمغفرة ما يأتي به صاحبه في المستقبل ، وإنما يجب ما قبله ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم[1] ، وإلا لبطلت المواعيد والعقوبات المتوجه خطابها إلى المؤمنين أجمع .

وإنا لم نجد في أعمال عثمان عملاً باراً يستدعي هذه المغالاة الخارجة عن اصول الإسلام ، غير ما أنفقه على جيش العسرة إن صح من ذلك شيء ، وما خسره على بئر رومة ، وقد علمت أن جيش العسرة أنفق عليه غيره ما هو أكثر مما أنفقه هو ، وما أكثر من حفر الآبار و كرى الأنهار وسبل مياهها للمسلمين ، فلو كان عمل عثمان هذا يستدعي المغفرة إلى يوم القيامة لوجب أن يغفر لأولئك الأقوام والأمم ذنوبهم إلى ما بعد القيامة بفئام ، لكن الحظوظ ساعدت عثمان ولم تساعدهم . فتبصر واعجب .

وهل علمت الصحابة بهذا الغفران ثم نقموا عليه ما كان ينجم منه من هنات بعد

(١) سورة محمد : آية ٢ .

هنات فلم يغفروها لـه مخالفين لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهم عدول ؟ أو انّهم سمعوا هذه الأفيكة ثمّ أودعوها في محفظة الأباطيل ؟ غير أنّ ظنّي بها أنّ ميلادها بعد واقعة الدار وانّها كانت في أصلاب الوضّاعين عند الحصارين ، وفي حش كوكب ، وفي مقبرة اليهود ، ولم تلدها بعدُ اُمّها العاقر ، حتّى فسح المجال لاستيلادها على أيدي قوابل عهد معاوية فما بعد .

٣٠- أخرج أحمد في مسنده ١ : ٧٠ عن بهز أبي الأسود البصري عن أبي عوانة الوضّاح البصري عن حصين عن عمرو بن جاوان البصري عن الأحنف بن قيس البصري قال : انطلقنا حجّاجاً فمررنا بالمدينة فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال : النّاس من فزع في المسجد . فانطلقت أنا وصاحبي فإذا النّاس مجتمعون على نفر في المسجد قال : فتخلّلتهم حتّى قمت عليهم فإذا عليّ بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي فقال : أهاهنا عليٌّ ؟ قالوا : نعم . قال أهاهنا طلحة ؟ قالوا : نعم . قال : أهاهنا سعد ؟ قالوا : نعم . قال : اُنشدكم بالله الذي لا إلٰه إلّا هو أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَن يبتاع مربد بني فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنّي قد ابتعته . فقال : اجعله في مسجدنا وأجره لك ؟ قالوا . نعم . قال : اُنشدكم بالله الذي لا إلٰه إلّا هو أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع بئر رومة . فابتعتها بكذا وكذا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنّي قد ابتعتها يعني بئر رومة فقال : اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك ؟ قالوا : نعم . قال : اُنشدكم بالله الذي لا إلٰه إلّا هو أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال : مَن يجهّز هؤلاء غفر الله له فجهّزتهم حتّى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً ؟ قالوا : أللهمّ نعم . قال اللهمّ اشهد . أللهمّ اشهد . أللهمّ اشهد . ثمّ انصرف . وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦ : ١٦٧ بالإسناد المذكور .

قال الأميني : زعم البصريّون جند المرأة انّهم يسعهم تدارك تجمهر صلحاء البصرة على عثمان بتسطير أمثال هذه الأفائك المفتعلة ، وحسبوا انّهم يبرّرون ساحة الرجل من تلكم الهنات الموبقة التي سجّلها له التاريخ ، ذاهلين عن أنّ صحّة هذه الأساطير تزيد عليه وبالاً ، فبعد ما سمع أعاظم الصحابة حجاجه هذا ، وقرعت سمعهم تلكم

المناشدات وما أصاخوا إليها، وما زحزحوا عمّا كانوا عليه من خذلانه إلى التأليب عليه إلى الوقيعة فيه بكلّ ما يوهنه ويزريه إلى قتله إلى كسر أضالعه إلى رمي جنازته إلى دفنه في مقابر اليهود، وبعد ما أصرّت الأمّة على مقته مجمعة على النقمة عليه وهي لا تجتمع على الخطأ كما يحسبون، لم يبق للرجل أيّ قيمة في سوق الاعتبار وإن اختلقت يد الافتعال له ألف اُسطورة.

وتحصّل ممّا قدّمناه انّ الأجور المذكورة على تقدير الصحّة كانت مرتّبة على الأعمال ولم تكن حقوقاً ثابتة للرّجال فهي تدور مع الأعمال إن لم يبطلها ماهو أقوى منها كماهو الحال في المقتضيات المقارنة بالموانع، وكان معتقد القوم فيما استنشدهم عثمان انّها مقرونة بها، فلذلك لم يقيموا لكلّ ما استنشدهم فيه وزناً إن كانت للمزاعم حقيقة.

☆(ومنها)☆ :

٣١- أخرج البيهقي في السنن الكبرى ٦ : ١٦٧ من طريق أبي اسحاق السبيعي عن أبي عبد الرّحمن السلمي قال : لمّا حُصر عثمان بن عفّان رضي الله عنه واُحيط بداره أشرف على الناس فقال : اُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فقال : اسكن حراء فما عليك إلّا نبيٌّ او صدّيقٌ أو شهيد ؟ قالوا : أللهمّ نعم . قال : اُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال في غزوة العسرة : من ينفق نفقة متقبّلة . والناس يومئذ معسرون مجهودون فجهزت ذلك الجيش من مالي ؟ قالوا : أللهمّ نعم . ثمّ قال : اُنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رومة لم يكن يشرب منها أحد إلّا بثمن فابتعتها بمالي فجعلها للغني و الفقير وابن السبيل ؟ قالوا : أللهمّ نعم . في أشياء عدّدها.

في الإسناد أبو اسحاق السبيعي وقد مرّ في الجزء السابع ص٢٧٦: انّه مدلّسٌ أفسد حديث أهل الكوفة، ضعيفٌ جدًّا لايحتجّ بحديثه . وأمّا أبو عبد الرّحمن فهو عثمانيّ لايعوّل عليه ولا يركن إلى حديثه.

٣٢- أخرج البلاذري في الأنساب ٥ : ١٠ عن المدائني عن عبّاد بن راشد البصري عن الحسن البصري قال : قال رسول الله ﷺ : من يجهّز هذا الجيش بشفاعة

متقبّلة ؟ فقال عثمان : يارسول الله بشفاعة متقبّلة ؟ قال : نعم على الله و رسوله . قال : أنا أجهزهم بسبعين ألفاً .

قال الأميني : هذا الجيش جهّزه الحسن البصري بعد سنين من وفاة النبيّ الأقدس وقد ولد الرجل بسنتين بقيتا من خلافة عمر ، ولعلّه نظر إلى ذلك الموقف و استرق السمع من وراء ستر رقيق في صلب أبيه ، أو أوعز بارسال الرواية إلى بطلانها ، و غير بعيد أن يكون عباد بن راشد هو الذي تقوّل بها على الحسن وهو بريءٌ منها . قال الدوري عن ابن معين : حديث عبّاد ليس بالقويّ و لكن يكتب (يعني للاعتبار) وقال الدورقي عن ابن معين : ضعيفٌ . وقال البخاري والأزدي : تركه يحيى القطّان. وقال أبوداود : ضعيفٌ . وقال النسائي : ليس بالقويّ . و قال ابن المديني : لا أعرف حاله . وقال ابن البرقي : ليس بالقويّ . وقال ابن حبّان كان ممّن يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب انّه كان المتعمّد فبطل الإحتجاج به ، روى عن الحسن حديثاً طويلاً أكثره موضوع[1] . ☆(ومنها)☆

٣٣ـ أخرج أبونعيم في حلية الأولياء ١ . ٥٨ من طريق إبراهيم بن سعدان عن بكر بن بكار البصري عن عيسى بن المسيب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : اشترى عثمان بن عفّان من رسول الله ﷺ الجنّة مرّتين بيع الخلق : حين حفر بئر رومة ، وحين جهّز جيش العسرة .

☆(رجال الإسناد)☆

١ ـ بكر بن بكار أبو عمرو البصري قال ابن أبي حاتم : ضعيف الحديث سيّىء الحفظ له تخليط . وقال ابن معين : ليس بشيء . و قال النسائي : ليس بالقويّ . و قال أيضاً : ليس بثقة . وقال أبوحاتم : ليس بالقويّ . وذكره العقيلي وابن الجارود والساجي في الضعفاء[2] .

٢ـ عيسى بن المسيّب . قال يحيى والنسائي والدارقطني : ضعيفٌ . وقال أبوحاتم وأبوزرعة : ليس بالقويّ . وتكلّم فيه ابن حبّان وغيره . وقال أبو داود : ضعيفٌ . وقال

---

(١) تهذيب التهذيب ٥ : ٩٢ .
(٢) ميزان الاعتدال ١ : ١٦٠ . تهذيب التهذيب ١ : ٤٨ ، لسان الميزان ٢ : ٤٨ .

يحيى بن معين أيضاً : ليس بشيء . وقال ابن حبّان : يقلّب الأخبار ولا يفهم و يخطىء حتى خرج عن حد الإحتجاج به . (لسان الميزان ٤ : ٤٠٥)

والباحث جدّ عليم بأنّ الصحابة لم تكن على يقين من هذا البيع المزعوم وإلّا لما تجمهروا على مقت الرجل وخذلانه ، ولم يكن عثمان نفسه على ثقة بذلك أيضاً و إلّا لما كان حذيراً من أن يكون هو الملحد بمكّة الذي عليه نصف عذاب أهل الأرض كما مرّ حديثه في هذا الجزء ص ١٥٣ . ☆(ومنها)☆ :

٣٤ - أخرج أحمد في المسند ٤ : ٧٥ ، وأبو نعيم في الحلية ١ : ٥٨ من طريقين أحدهما عن عبدالله بن جعفر عن يونس بن حبيب عن أبي داود . والآخر : عن فاروق ابن الخطابي عن أبي مسلم الكجي عن حجّاج بن نصر[1] « أبي محمد البصري » قالا ثنا سكن بن المغيرة الأموي (البصري مولى آل عثمان) عن الوليد بن أبي هشام البصري عن فرقد بن أبي طلحة عن عبد الرّحمن بن أبي خباب[2] السلمي البصري قال : خطب النبيّ ﷺ فحثّ على جيش العسرة فقال عثمان : عليّ مائة بعير بأحلاسها و أقتابها . قال : ثمَّ حثّ فقال عثمان : عليّ مائة اُخرى بأحلاسها و أقتابها قال : ثمَّ حثّ فقال عثمان : عليّ مائة اُخرى بأحلاسها و أقتابها . فرأيت النبيّ ﷺ يقول بيده يحرّكها ما على عثمان ما عمل بعد هذا .

قال الأميني : هلّا مخبرٌ يخبرني عن هذا الصحابيّ البصريّ الذي لا يُعرف إلّا بحديثه هذا ؟ ولا يعلم من تاريخ حياته شيءٌ غير اختلاقه هذه الرواية ، و لا يروي عن النبيّ الأعظم إلّا هذه الخطبة المزعومة كما صرّح به ابن عبدالبرّ في «الإستيعاب» و ابن حجر في «الإصابة» ، ولم يسمعها صحابيٌّ قطّ غيره منه ﷺ .

ثمَّ يخبرني ذلك المخبر عمّن انتهى إليه الإسناد أنَّ فرقد بن طلحة ، مَن هو؟ ومتى ولد ؟ وأين وأنّى كان ؟ وما المعروف من ترجمته ؟ فكأنّي به وهو يجيبني بما قاله علي بن المديني : لا أعرفه[3] .

---

(١) كذا في النسخ والصحيح : نصير بضم النون مصغراً .

(٢) كذا في النسخ والصحيح : عبدالرحمن بن خباب .

(٣) تهذيب التهذيب ٧ : ٢٦٤ .

وهل تخفى على إمام أوحافظ في الحديث آراء رجال الجرح والتعديل في حجاج ابن نصير؟ و قد ورد فيه قول ابن معين : ضعيف . و قول علي بن المديني : ذهب حديثه كان الناس لا يحدثون عنه ، وقول النسائي : ضعيف . وقوله ايضاً : ليس بثقة ولا يكتب حديثه . وقول ابن حبان : يخطئ ويهم . وقول العجلي : كان معروفاً بالحديث ولكنه أفسده أهل الحديث بالتلقين كان يلقن وا دخل في حديثه ماليس منه فترك . وقول ابن سعد كان ضعيفاً . و قول الدار قطني و الأزدي : ضعيف : و قول أبي أحمد الحاكم : ليس بالقوي عندهم . و قول الآجري عن أبي داود : تركوا حديثه . وقول ابن قانع : ضعيف لين الحديث (١)

وإني أحسب أن الآفة من سكن بن المغيرة وأنه أدى حقوق آل عثمان ـ و هو مولاهم ـ باختلاق هذه المنقبة لعثمان ، ولا ينافي ذلك كونه صالحاً إمام جمعة وجماعة، وكم وكم من صلحاء وضاعين ، ومن أئمة كذابين ؟ راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا سلسلة الكذابين والوضاعين . ☆(ومنها)☆ :

٣٥ ـ أخرج أبو نعيم في الحلية ١ : ٥٩ من طريق عمر بن هارون البلخي عن عبدالله بن شوذب البصري ثم المقدسي عن عبدالله بن القاسم عن كثير بن أبي كثير البصري مولى سمرة (٢) عن عبدالله بن سمرة عامل معاوية بن أبي سفيان على البصرة قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جيش العسرة فجاء عثمان بألف دينار فنثرها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ولى قال : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقلب الدنانير وهو يقول : ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا ليوم .

وفي لفظ أحمد في المسند ٥: ٦٣ : ماضر ابن عفان ماعمل بعد اليوم . يرددها مراراً .

و ذكره ابن الجوزي في التبصرة كما في تلخيصها قرة العيون المبصرة ١ : ١٧٩

قال الأميني : ألا تعجب من حفاظ يروون عن كذاب خبيث مرسلين روايته إرسال المسلم يمرون بها كراماً ؟ أي قيمة في سوق الإعتبار لرواية جاء بها عمر بن هارون ؟ وقد جاء فيه قول ابن سعيد : كتب الناس عنه كتاباً كبيراً وتركوا حديثه وقول

(١) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٠٩ .
(٢) و في مسند احمد : مولى عبدالرحمن بن سمرة عن عبدالرحمن بن سمرة .

البخاري : تكلّم فيه يحيى بن معين وقال : عمر بن هارون كذّابٌ قدم مكّة و قد مات جعفر بن محمّد فحدّث عنه . و قول ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : تكلّم فيه ابن المبارك فذهب حديثه ، قلت لأبي : إنّ الأشجّ حدّثنا عنه فقال : هو ضعيف الحديث نخسه ابن المبارك نخسة . وقول قتيبة : قلت لجرير : إنّ عمر بن هارون حدّثنا عن القاسم بن مبرور قال : نزل جبريل على النبيّ ﷺ فقال : إنّ كاتبك هذا أمين (يعني معاوية) فقال جرير اذهب إليه فقل له : كذبت . رواها العقيلي . و عن أحمد إنّه قال : لا أروي عنه شيئاً وقد أكثرت عنه . وقول ابن مهدي : لم يكن له عندي قيمة حدّثني بأحاديث فلمّا قدم مرّة أُخرى حدّث بها عن ابن عبّاس عن اولئك فتركت حديثه . و قول أبي زكريا : عمر بن هارون : كذّابٌ خبيثٌ ليس حديثه بشيء ، قد كتبت عنه وبتّ على بابه وذهبنا معه إلى النهروان ، ثمّ تبيّن لنا أمره فحرّقت حديثه ماعندي عنه كلمة . وقول ابن محرز عن ابن معين : ليس هو بثقة وبنحوه قال الغلابي عنه . و قال عنه مرّة : ضعيفٌ . و قول أبي داود عنه : غير ثقة . وقول ابن أبي خيثمة وغيره عن ابن معين : ليس بشيء : و قول جعفر الطيالسي عن ابن معين : يكذب . وقول عبدالله بن علي بن المديني : سألت أبي عنه فضعّفه جدّاً . وقول ابراهيم بن موسى : الناس تركوا حديثه . وقول الجوزجاني : لم يقنع الناس بحديثه . وقول النسائي وصالح بن محمّد وأبي علي الحافظ : متروك الحديث . وقول الساجي فيه ضعفٌ و قول الدار قطني : ضعيفٌ . و قول أبي نعيم : حدّث بالمناكير لا شيء[1] و قول العجلي : ضعيفٌ . و قول ابن حبّان : يروي عن الثقات المعضلات و يدّعي شيوخاً لم يرهم[2] .

وفي الإسناد : كثير بن أبي كثير ذكره العقيلي في الضعفاء ، وقال ابن حزم وعبدالحقّ : انّه مجهولٌ ، ولو كان لتوثيق العجلي الرجل وزنٌ لما جهله الحافظان ولم يضعّفه العقيلي ، وأيّ قيمة لثقة العجلي وهو يوثّق عمر بن سعد قاتل الإمام السبط الشهيد و نظرائه من المهتوكين المفضوحين؟

(١) ليت أبى نعيم كان على ذكر من رأيه هذا فى الرجل حين اخرج من طريقه هذه المنقبة المزيّفة .

(٢) تهذيب التهذيب ٧ : ٥٠٢ ــ ٥٠٥ .

و في طريق أحمد مضافاً إلى كثير ضمرة بن ربيعة و قدمٌ فيه قول الساجي: صدوقٌ يهم، عنده مناكير. وروى ضمرة عن الثوري عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر حديثاً أنكره أحمد وردّه ردّاً شديد. وقال: لو قال رجلٌ: إنّ هذا كذبٌ لما كان مخطئاً وأخرجه الترمذي وقال: لا يُتابع ضمرة عليه وهو خطأ عند أهل الحديث.

فهذه مكانة الرّجل من الرّواية وإن كان ثقةً مأموناً، و أكبر الظنّ أنّ الآفة في هذه الرواية من ابن سمرة وانّه اختلقها تقرّباً إلى اعطيات معاوية و هباته التي كانت تصل من دون وزن و كيل إلى وضّاعي الأحاديث ورجال الإختلاق الذين لاخلاق لهم.

☆(ومنها)☆ :

٣٦ ـ عن مسعر عن عطيّة عن أبي سعيد قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أوّل الليل إلى أن طالع الفجر رافعاً يديه لعثمان يقول: أللهمّ عثمان رضيت عنه فارض عنه.

ذكره ابن الجوزي في كتابه (التبصرة) كما في تلخيصه [١] ١ : ١٧٩ مرسلاً إيّاه إرسال المسلّم، وهو أوّل حديث ذكره في فضائل عثمان، و ذكره الواحدى في أسباب النزول مرسلاً ص٦١ فزاد: فأنزل الله تعالى فيه: الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله [٢] وذكره ابن كثير في تاريخه ٧ : ٢١٢ ولم يذكر من رجال إسناده إلّا الثلاثة المذكورة ولعلّ هو ومن رواه مرسلاً وجدوا في سلسلة السند اناساً ساقطين لا يعبأ بهم ولا يحتجّ بحديثهم، وما راقهم إبطال هذه المنقبة بابداء علله بذكر اولئك الرجال.

ومن العجب العجاب هذا الدؤب منه صلى الله عليه وآله وسلم من أوّل الليل إلى منتهى الفجر على الدعاء لعثمان الذي فوّت عليه مرغّباته وفرائضه، فإنّ صلاة الليل والوتر كانت فريضة عليه صلى الله عليه وآله وسلم دون الأمّة [٣] ولا أدري هل نزل عليه عليه السلام وحيٌ جديدٌ يأمره باستبدال نوافله و فرائضه في تلك الليلة بدعاء عثمان؟ أوماذا كان فيها؟ نعم: الذي يظهر من السيوطي في الخصائص الكبرى ٢ : ١٦٤ ـ ١٧٠، إنّ ذلك الوحي لم ينزل، وإنّ الدعاء لعثمان لم يكن فضلاً عن استيعابه الليل كلّه فإنّه ذكر فيها كلّ من دعى له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) الموسوم بقرّة العيون المبصرة تأليف الشيخ ابى بكر ابن الشيخ محمد الملا الحنفى.

(٢) سورة البقرة : ٢٦٢.

(٣) راجع الخصائص الكبرى ٢ ٢٢٩.

وسمّاهم حتّى يهودياً سمّت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعدّ منهم عثمان.

ولو كان إنفاق عثمان في جيش العسرة موجباً للدعاء المستوعب ليله صلى الله عليه وآله وسلم كما يظهر من رواية الواحدي، فانفاق أبي بكر الذي أنفق كلّ ما كان يملكه ذات يده - كما يحسبه القوم - وكان يراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمنّ الناس عليه بماله [1] يستوجب دعاءً مستغرقاً ليله ونهاره، فأين؟ وأنّى؟ ولو كان كلّ إنفاق في مهمّة يستدعي دعاء الليل فكان عليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقضي حياته ليلاً ونهاراً بالدعاء للمنفقين، وما أكثرهم؟ ولو كان صلى الله عليه وآله وسلم رافعاً يديه لعثمان فعليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يديم رفعهما في الدعاء لأبي بكر و لرجال الأنصار المكثرين من الإنفاق في السّلم والحرب ولغيرهم من أهل اليسار الذين بذلوا كنوزاً عامرة من الدرهم والدينار في مهامّ الاسلام المقدّس و الدعوة اليه والذبّ عنه.

وأمّا زيادة الواحدي من نزول الآية الكريمة في عثمان فقد فصّلنا القول فيه و انّه لا يصحّ في الجزء الثامن ص ٥٧ ☆(بقيّة مناقب عثمان)☆

٣٧- قال ابن كثير في تاريخه ٧ : ٢١٢ : قال ليث بن أبي سليم (ابن زنيم القرشي مولاهم) : أوّل من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنقى ثمّ بعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزل أمّ سلمة فلم يصادفه فلمّا جاء وضعوه بين يديه فقال: من بعث هذا؟ قالوا: عثمان. قالت: فرفع يديه إلى السّماء فقال: أللهم إنّ عثمان نترضّاك فارض عنه.

وذكره السيوطي في مسامرة الأوائل ص ٨٧ نقلاً عن البيهقي وابن عساكر من طريق ليث.

قال الأميني: خبص ابن زنيم هذا الخبيص لعثمان بعد لأي من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد مات الرجل بعد المائة والأربعين من الهجرة، ولم يدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولم نعرف الذي أخذ الرواية منه ممّن شهد قصة الخبيص وحضر مشهد الدعاء كما لا يُعرف أحدٌ من بقيّة رجال الإسناد، فالرواية مرسلة من الطرفين.

و أمّا ابن زنيم فقد جاء فيه عن عبد الله بن أحمد قال: ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً منه في ليث وابن إسحاق وهمام، لا يستطيع أحدٌ أن يراجعه فيهم. وقال ابن أبي شيبة وأبو حاتم والجوزجاني: كان ضعيف الحديث. وضعّفه ابن سعد وابن معين

(١) راجع ما مضى في ج ٧ : ٣٠٧ وج ٨ : ٣٣، ٥٨ ط٢.

وابن عيينه . وقال أحمد وأبوحاتم أيضاً وأبوزرعة : مضطرب الحديث لا تقوم به الحجّة عند أهل العلم بالحديث . وقال يحيى : عامّة شيوخه لا يُعرفون . وقال ابن حبّان : اختلط في آخر عمره فكان يقلّب الأسانيد ويرفع المراسل ، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم ، تركه القطان وابن مهدي وابن معين وأحمد . وقال أبوأحمد الحاكم ليس بالقويّ عندهم . وقال أبوعبد الله الحاكم : مُجمعٌ على سوء حفظه[١] .

ألا تعجب من حافظ كابن كثير يذكر رواية هذا شأنها وهذه عللها وذلك متنها المعلول ويرسلها إرسال المسلّم في مقام الحجاج ويعدّها من فضائل عثمان ، ويأتي إلى حديث المؤاخاة الصحيح الثبت المتواتر الوارد من طرق مسندة معنعنة في الصحاح ويتخلّص منه بقوله[٢] : أسانيدها كلّها ضعيفةٌ لا يقوم بشيء منها حجّة . و الله أعلم[٣] و يروي في تاريخه ٧ : ٣٥٧ نزول آية الولاية في عليّ عليه السلام فقال : هذا لا يصحّ بوجه من الوجوه لضعف أسانيده ، ولم ينزل في عليّ شيء من القرآن بخصوصيّته[٤] حيّا الله الأمانة ، وقاتل الله الحبّ المعمي والمصمّ .

ولو كان صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه لكلّ هديّة ولو كانت لقمة خبيص ؟ للزمه أن لا ينزلهما في أغلب أوقاته لكثرة الهدايا إليه و كثرة مُهديها ، ولم تكن لعثمان ولخبيصه خاصّة توجب أداء حقّها دون المؤمنين عامّة وهداياهم .

٣٨ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ٦ : ٣٢١ من طريق عبدالله بن الحسن بن أحمد عن يزيد بن مروان الخلّال عن إسحاق بن نجيح الملطي عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ لكلّ نبيّ خليلاً من اُمّته وإنّ خليلي عثمان بن عفّان .

قال الأميني : حسبك من عرفان رجال الإسناد كذّابان : الخلّال والملطي ، أمّا الخلّال فقال يحيى بن معين : الخلّال كذّابٌ . وقال الدارمي : وقد أدركته وهو

(١) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٦٨ .

(٢) راجع تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ٧ : ٣٣٥ .

(٣) مرّ حديث المؤاخاة بطرقها المفصلة في ج ٣ : ١١٢ـ ٢٥ ط٢ ومر الايعاز اليه في هذا الجزء صفحة ٣١٧ .

(٤) اسلفنا في ج٣ : ١٥٦ ، ١٦٧ ط٢ تفصيل القول في نزول الآية في علي عليه السلام ، و صحة روايته ، واطباق الفقهاء والمتكلمين والمحدثين والمفسرين على ذلك.

ضعيفٌ قريبٌ ممّا قال يحيى : وقال أبو داود . ضعيفٌ . وقال الدارقطني : ضعيفٌ جدّاً[1] .

هذا مجمل القول في الخلّال وأمّا الملطي فقال أحمد : إسحاق من أكذب الناس وقال ابن معين : كذّابٌ عدوّ الله رجلُ سوء خبيث . وقال ابن أبي شيبة عنه : كان ببغداد قومٌ يضعون الحديث منهم إسحاق بن نجيح . وقال إبن أبي مريم : إنّه من المعروفين بالكذب ووضع الحديث . وقال عمرو بن علي : كذّابٌ كان يضع الحديث . و قال الجوزجاني : غير ثقة ولا من أوعية الأمانة . وقال ابن عدي : أحاديثه موضوعات وضعها هو وعامّة ما أتى عن ابن جريح بكلّ منكر ووضعه عليه ، وهو بيّن الأمر في الضعفاء و هو ممّن يضع الحديث . و قال النسائي : كذّابٌ . وقال ابن حبّان : دجّالٌ من الدجاجلة يضع الحديث صراحاً . وقال البرقاني : نُسب إلى الكذب . وقال الجوزقاني كذّابٌ وضّاعٌ لايجوز قبول خبره ولا الإحتجاج بحديثه ويجب بيان أمره . وقال أبو سعيد : مشهورٌ بوضع الحديث . وقال ابن طاهر . دجّال كذّاب . وقال ابن الجوزي : أجمعوا علي أنّه كان يضع الحديث[2] .

ومن العجب سكوت الخطيب عن هذه الرواية وعمّا في إسنادها من العلل وقد ذكر هو كثيراً من آراء الحفّاظ المذكورة في ترجمة إسحاق و لعلّه اكتفى بذكرها غن تفنيد الرّواية صريحاً ، وكان مفتعلها لم يقف على المفتعلة الأُخرى المرفوعة : لكلّ نبيّ خليلٌ وخليلي سعد بن معاذ[3] ويضادّها كلاهما ما جاء به البخاري في صحيحه ٥ : ٢٤٣ من القول المعزوّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكر . و قد قدّمنا الكلام حول ذلك في الأجزاء الماضية وانّه موضوعٌ مختلق أيضاً .

٣٩- روى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبدالملك قالت إنتبه عمر « ابن عبد العزيز » ذات ليلة وهو يقول : لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبة . فقلت : أخبرني بها فقال : حتّى نصبح . فلمّا صلّى بالمسلمين دخل فسألته فقال : رأيت كأنّي دُفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنّها بساط أخضر وإذا فيها قصر كأنّه الفضّة فخرج منه خارجٌ

---

(١) ميزان الاعتدال ٣ : ٣١٨ ، لسان الميزان ٦ . ٢٩٣ .

(٢) تاريخ الخطيب ٦ : ٣٢١ - ٣٢٤ ، تهذيب التهذيب ١ : ٢٥٢ .

(٣) كنز العمال ٦ : ١٨٣ ، منتخب الكنز هامش مسند احمد ٥ : ٢٣١ .

فنادى : أين محمّد بن عبد الله ؟ أين رسول الله ؟ إذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى دخل ذلك القصر ، ثمّ خرج آخر فنادى : أين أبو بكر الصدّيق ؟ فأقبل فدخل ، ثمّ خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثمّ خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفّان ؟ فأقبل فدخل ، ثمّ خرج آخر فنادى : أين عليّ بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل، ثمّ خرج آخر فنادى : أين عمر بن عبدالعزيز ؟ فقمت فدخلت فجلست إلى جانب أبي[1] عمر بن الخطاب وهو عن يسار رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوبكر عن يمينه وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله رجلٌ فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، ثمّ سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نورٌ لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبد العزيز ! تمسّك بما أنت عليه وأثبت على ما أنت عليه ، ثمّ كأنّه اُذن لي في الخروج فخرجتُ فالتفتُ فإذا عثمان ابن عفّان وهو خارجٌ من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي نصرني ربّي . وإذا عليٌّ في أثره وهو يقول : الحمدلله الذي غفرلي ربّي . وذكره ابن كثير في تاريخه ٩ : ٢٠٦ .

قال الأميني : أنا لا أزال ارحّب بقوم يُحاولون إثبات الحقايق بالأطياف ، و يجابهون ماثبت في الخارج بالخيال ، فتصوّر لهم ريشة الأوهام عثمان منزّهاً عن كلّ وصمة عرفتها فيه الصحابة العدول من اُمّة محمّد الناظرين إليه من كثب والمشاهدين أعماله الناقمين عليه بها ، وقد أهدروادمه من جرّائها ، وهم الذين يُقتدى بهم وبأقوالهم وأفعالهم عند القوم ويُحتذى مثالهم ، وبأمثال هذه السفاسف يُجرّؤن البسطاء على التورّط في المآثم بالنظر إلى هذا الإنسان المغمور فيها في نظّارة مكبّرة تُريه منزّهاً عن دنس كلّ حوب ، منصوراً من الله بعد أن خذلته الصحابة جمعاء .

ولهم هناك نظّارة اُخرى تصغّر المنظور إليه من إمام المسلمين وسيّد الخلفاء خير البَشر بَعد رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام إلى حدّ اثبتوا له ذنباً مغفوراً له .

ألا من مسائل إيّاهم عن أنّه متى صدر هذا الذنب عن إمام المسلمين ؟ أحين عدّه النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه كما في الذكر الحكيم ؟ أم حين طهّره الجليل بقوله تعالى : « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا» أم حين قرن ولايته بولايته

(١) عمر بن الخطاب جدّ عمر عبدالعزيز من امّه ام عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

وولاية نبيه صلى الله عليه وآله بقوله سبحانه : « إنما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون[١] ؟ أم حين أكمل بولايته الدين وأتم نعمته على المسلمين بقوله عز من قائل : أليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا[٢] » ؟

أم حين جعله صلى الله عليه وآله اولى بالناس من أنفسهم كما هو أولى بهم من أنفسهم فرشحه للخلافة الكبرى في حديث الغدير المتواتر المقطوع بصدوره ؟ أم حين جعله عدل القرآن في حديث الثقلين الثابت المتواتر ؟ أم حين أنزله من نفسه بمنزلة هارون من موسى ، و فصل بينه و بين نفسه بالنبوة فحسب فقال : إلا أنه لا نبي بعدي ؟[٣] أم أم إلى ألف أم .

على أنه سلام الله عليه كان حلس بيته والناس متجمهرون على عثمان لايشاركهم في شيء من أمره ، ولعل في الفئة المهملجة من يعد ما كان ينوء به الامام عليه السلام من نهي عثمان عما نقم عليه به من هنات وعثرات وأمره إياه بالمعروف و العمل بالكتاب والسنة فلا يجد منه إلا ذنا مصيخة حتى قال : ما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبت شرفك وغلبت على أمرك[٤] - ذنباً مغفوراً له ، ويعده تقوية لجانب الثائرين على الرجل ، وما هو من ذلك بشيء ، و إنما أراد عليه السلام كشف المثلات عنه باقلاعه عما كان يرتكبه من الموبقات ولكن على حد قول الشاعر :

أمرتكم أمري بمنعرج اللوا ☆ فلم تستبين النصح إلا ضحى الغد

أو على حد قوله :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة ☆ و قد يستفيد الظنة المتنصح

فزه زه بهذه المعرفة و حيا الله العلم الناجع الذي يرى صاحب الواجب ذنباً و المذنب منصوراً .

و أحسب ان الذي إفتعل هذه الأكذوبة الخيالية رجل من بسطاء الأكراد

(١) راجع ما اسلفناه في الجزء الثالث ص ١٥٦-١٦٧ ط ٢.
(٢) راجع ما اسلفناه في الجزء الاول ص ٢٣١-٢٣٩ ط ٢.
(٣) راجع مامر في الجزء الثالث ص ١٩٩-٢٠٢ ط ٢.
(٤) راجع مامر في هذا الجزء ص ١٧٢-١٧٥ .

أو الأعجام البعداء عن العربيّة وإلّا فالعربيّ الصميم لا يقول: الحمد لله الذي نصرني ربّي، والحمد لله الذي غفر لي ربّي .

ولعمر بن عبدالعزيز منام أشنع من هذه المهزأة يحوي فصل الخصومات الواقعة بين الإمام أمير المؤمنين ومعاوية بن هند، أخرجه أبوبكر بن أبي الدنيا ايضاً بالاسناد عن عمر بن عبدالعزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبوبكر وعمر جالسان عنده فسلّمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذا أُتي بعليّ ومعاوية، فأُدخلا بيتاً وأُجيف الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج عليّ وهو يقول: قُضي لي وربّ الكعبة ثمّ ماكان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غُفر لي وربّ الكعبة [1] .

ويظهر من الجمع بين المنامين أنّ موقف أمير المؤمنين عليّ من عثمان كان كموقف معاوية من عليّ صلوات الله عليه، موقف الخروج على إمام الوقت، موقف البغي والجور، لا ضير إنّا إلى ربّنا منقلبون، والله هو الحكم العدل يوم لا ينفع طيفٌ ولا خيال .

٤٠ ـ أخرج البلاذري في الأنساب ٥: ٣ من طريق سعيد بن خالد عن صالح بن كيسان «أمويّ النزعة مؤدّب ولد عمر بن عبدالعزيز» عن سعيد بن المسيب قال: نظر رسول الله ﷺ إلى عثمان فقال: هذا التقيّ المؤمن الشهيد شبيه ابراهيم .

قال الأميني: كأنّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي، أو سعيد ابن خالد الخزاعي لمدني المجمع على ضعفه لم يجد في صحابة النبيّ الأقدس من يتحمّل عبء هذا السرف من القول والغلوّ في الفضيلة فتركه مرسلاً مقطوعة العرى بين سعيد بن المسيب المولود بعد سنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

لعلّ الباحث بعد قراءة ما سردناه من سيرة الممدوح وآراء الصحابة فيه وإصفاق الأُمّة على النقمة عليه بافعاله وتروكه الشاذّة عن التقوى لا يخفى عليه انّ تشبيه الرجل بابراهيم النبيّ عليه السلام جنايةٌ على المعصومين وسفهٌ من القول وتَرَهٌ، نعوذ بالله من التقوّل بلا تعقّل .

ولو كان التشبيه بمن كان من الأنبياء مقتولاً لأمكن أن يتصوّر له وجه شبه ولو مع ألف فارق. غير أنّ نوبة الظلم عند وضع هذا الحديث كانت قد انتهت إلى خليل الله سلام الله عليه .

---

(١) تاريخ ابن كثير ٨ : ١٣٠ .

وإنّي أحسب أنّ مصحح هذه المهزأة قرع سمعه حديث التشبيه الوارد في مولانا أمير المؤمنين المذكور في الجزء الثالث ص ٣٥٥ - ٣٦٠ ط ٢ وراقه من ذلك تشبيهه بخليل الرّحمن فحابى الرجل بذلك، وقد أعماه الحبّ عن عدم وجود وجه شبه ولو من جهة واحدة مع التمحّل بين نبيّ معصوم خُصّ بفضيلة الخلّة من المولى سبحانه وبين من قُتل دون هناته وسقطاته.

أنا لا أدري انّ هتاف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا الذي سمعه سعيد بن المسيب المولود بعده هل سمعته عائشة ومع ذلك كانت تهتف بقولها: اقتلوا نعثلاً قتله الله فإنّه قد كفر. وبقولها لابن عبّاس: يا ابن عبّاس! إن الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية. وبقولها: وددت والله إنّه في غِرارة من غرائري هذه وإنّي طوّقت حمله حتّى ألقيه في البحر، وبقولها لمروان: وددت والله إنّك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رِجل كلّ واحد منكما رحاً وإنّكما في البحر. وبقولها للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل عثمان قد أبلى سنّته. وبقولها لمّا بلغها نعيه: أبعده الله ذلك بما قدّمت يداه وما هو بظلّام للعبيد. وبقولها: أبعده الله قتله ذنبه. و أقاده الله بعمله. يا معشر قريش! لايسومنّكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه(١).

وهل سمع حديث التشبيه في عثمان اولئك الصّحابة الذين سمعت أقوالهم و أفعالهم حول الرجل؟ أو أنّ الحديث كان باطلاً فلم يسمعه أحدٌ منهم؟ الحكم في ذلك أنت أيّها القارئ الكريم.

وأخرج رُواة السوء من طريق عائشة في التشبيه ما هو أعظم من هذا وأهتك لناموس الإسلام ونبيّه الأقدس وإليك نصّه:

عن المسيّب بن واضح السلمي الحمصي، عن خالد بن عمرو بن أبي الأخيل السلفي الحمصي، عن عمرو بن الأزهر العتكي البصري قاضي جرجان، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا تزوّج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمّ كلثوم قال لأمّ أيمن خذي بنتي وزفّيها إلي عثمان واخفقي بالدف. ففعلت فجاءها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد ثالثة فقال: كيف وجدتِ بعلكِ؟ قالت: خير رجل. قال: أما انّه أشبه النّاس بجدّكِ

(١) راجع ما مضى في هذا الجزء من حديث عائشة ص ٧٧-٨٦.

إبراهيم وأبيك محمد[1].

ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة عمرو بن الأزهر فقال: هذا موضوع.

ونحن نقول: رجال الإسناد:

١- المسيب بن واضح، قال أبو حاتم: صدوق يخطىء كثيراً فإذا قيل له لم يقبل وقال الدارقطني: ضعيف. وقال الساجي: تكلموا فيه في أحاديث كثيرة. وقال عبدان هو وعبد الوهاب بن الضحاك كلاهما سواء[2] وعبد الوهاب كما مر في الجزء الخامس ص ٢٤٢ ط٢: كذاب يضع الحديث متروك كثير الخطأ والوهم وكان معروفاً بالكذب في الرواية.

٢- خالد بن عمرو، كذبه الفريابي، ووهاه ابن عدي وغيره، وقال الدارقطني: ضعيف. وقال ابن عدي: له أحاديث مناكير. وذكر الذهبي حديثاً من طريقه فقال: باطل ومن بلايا الأخيل حديث كذب في مشيخة ابن شاذان[3].

٣- عمرو بن الأزهر العتكي، قال أبو سعيد الحداد: كان يكذب مجاوبة، وعن ابن معين انه ليس بثقة ضعيف، وقال البخاري: يرمى بالكذب. وقال النسائي وغيره متروك، وقال أحمد: كان يضع الحديث. وقال عباس الدوري عن يحيى: كان كذاباً ضعيفاً. وقال الدولابي: متروك الحديث. وقال الجوزجاني: غير ثقة. ميزان الاعتدال ٢: ٢٨١، لسان الميزان ٤: ٣٥٣.

وأعطف إلى هذه المكذوبة ما أخرجه ابن عدي من طريق زيد بن الحريش عن عمرو بن صالح قاضي رامهرمز عن العمري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: إنما نشبه عثمان بأبينا إبراهيم.

قال الذهبي: منكر جداً، وقال ابن عدي في ذكر عمرو بن صالح بعد هذا الحديث وله غير هذا مما لا يتابع عليه.

٤١- أخرج البلاذري في الأنساب ٥: ٧ عن الحسين بن علي بن الأسود عن

---

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٢٨١، لسان الميزان ٤: ٣٥٣.
(٢) ميزان الاعتدال ٣: ١٧١، لسان الميزان ٦: ٤١.
(٣) ميزان الاعتدال ١: ٢٩٩، تهذيب التهذيب ٣: ١١٠.

عبدالرّحمن قال : قمت في الحجر فقلت : لا يغلبني عليه أحدٌ الليلة فجاء رجلٌ من خلفي فغمزني فأبيت أن التفت ، ثمّ غمزني فأبيت أن ألتفت ، ثمّ غمزني الثالثة فالتفتُّ فإذا عثمان فتأخّرت عن الحجر فقرأ القرآن في ركعة ثمّ انصرف .

وأخرجه أبونعيم بالإسناد في حلية الأولياء ١: ٥٦ ، ٥٧ ولفظه : قال عبدالرّحمن: لأغلبنّ الليلة على المقام ، فلمّا صلّيت العتمة تخلّصت إلى المقام حتّى قمت فيه قال : فبينا أنا قائمٌ إذا رجلٌ وضع يده بين كتفي فإذا هو عثمان بن عفّان . قال : فبدأ بامّ القرآن فقرأ حتّى ختم القرآن فركع وسجد ، ثمّ أخذ نعليه فلا أدري أصلّى قبل ذلك شيئاً أم لا ؟ .

قال الأميني : سل عن راوي هذه الفضيلة الحافظ ابن عدي انّه قال : الحسين بن علي كان يسرق الحديث ، وأحاديثه لا يُتابع عليها . وسل عنه الأزدي فانّه قال : إنّه ضعيفٌ جدّاً يتكلّمون في حديثه . وسل عنه أحمد إمام الحنابلة فإنّك تسمع منه ما سمعه أبوبكر المروزي لمّا سأله عنه من قوله : لا أعرفه[1] .

ثمّ هلمّ معي نسائل عبد الرّحمن التيمي هلّا كان من واجبه أن يُخبر ابن عمّه طلحة بن عبيد الله التيمي بهذه السيرة الصالحة يوم ضيّق على صاحبها الخناق ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، يوم هتك حرمته ، وأباح دمه ، وأورده المنيّة ، ومنع جنازته عن أن تُدفن في مقابر المسلمين ؟ .

ولنا أن نسائل الممدوح « عثمان » ألم يكن في الحجر مكاناً يسعه إلّا موقف عبد الرّحمن ؟ وهل كان له أن يُغمز الرجل مرّة بعد اُخرى وهو في محراب الطاعة ؟ أو أن يزيحه عن مكانه والوقف لمن سبق ؟ وقد جاء في السنّة الشريفة من طريق جابر مرفوعاً : لا يقيمنّ أحدكم أخاه يوم الجمعة ثمّ ليخالف إلى مقعده فيقعد فيه و لكن يقول : افسحوا « صحيح مسلم ٧ : ١٠ » .

ومن طريق ابن عمر مرفوعاً : لا يقيم الرجلُ الرّجلَ من مقعده ثمّ يجلس فيه ولكن تفسّحوا وتوسّعوا . وزاد في حديث ابن جريج قلت : في يوم الجمعة ؟ قال : في الجمعة وغيرها . صحيح مسلم ٧ : ١٠ ، مسند أحمد ٢ : ٢٢ ، صحيح البخاري ٢ : ٩٤ .

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ٢ : ٢٤٣ .

وفي لفظ لمسلم : لا يقيمنَّ أحدكم الرجل من مجلسه ثمَّ يجلس فيه . وفي لفظ له أيضاً : لا يقيمنَّ أحدكم أخاه ثمَّ يجلس في مجلسه .

قال النووي في شرح مسلم هامش إرشاد الساري ٨ : ٤٧٩ : هذا النهي للتحريم فمن سبق إلى موضع مباح في المسجد وغيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها فهو أحقّ به ، ويحرم على غيره إقامته منه لهذا الحديث

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ٢ : ١٦٩ : ظاهر النهي التحريم فلا يُصرف عنه إلّا بدليل ، فلا يجوز أن يقيم أحداً من مكانه ويجلس فيه ، لأنَّ من سبق الى مباح فهو أحقُّ به ، ولأحمد[1] حديث انَّ الذي يتخطّى رقاب النّاس أو يفرّق بين إثنين بعد حروج الإمام كالجارّ قصبه[2] في النار ، والتفرقة صادقة بأن يزحزح رجلين عن مكانهما ويجلس بينهما .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٣ : ٣٠٦ . من سبق إلى موضع مباح سواءٌ كان مسجداً أو غيره في يوم الجمعة أو غيرها لصلاة أو لغيرها من الطاعات فهو أحقّ به ، و يحرم علي غيره إقامته منه والقعود فيه .

فإقامة عثمان عبد الرَّحمن من مكانه الذي كان هو أحقّ به وغمزه إيّاه مرَّة بعد أُخرى محظورٌ محرَّمٌ شاذٌّ عن السنّة الثابتة .

ثمَّ هل تسع الليلة لقراءة القرآن ختمة واحدة ؟ ولعلّها تسع بالتمحُّل من كون الليلة من ليالي الشتاء الطويلة ، ومن قدوم عثمان الحجر بعد فريضة العشاء بلا فصل ، وانّه كان طلق اللسان خفيفه ، وإن كنّا لا نعلم شيئاً من ذلك .

أليس عثمان هذا هو الذي صعد المنبر وأرتج عليه وقام مليّاً لا يتكلّم فقال : إنَّ أبا بكر وعمر كانا يعدَّان لهذا المقام مقالاً وإنّي لم اُزوّر له خطبة ولا أعددت له كلاماً وسنعود فنقول ؟[3] أيّ خطيب يعوزه الكلام ويفتقر إلى تزوير مقال وفي ذاكرته كلام الله المجيد ؟ وفيه بلغةٌ وكفايةٌ غن كلّ تلفيق وترميق وترميغ .

---

(١) اخرجه أحمد فى مسنده ٣ : ٤١٧ .

(٢) القصب بضم القاف : الظهر . المعى . ج : أقصاب .

(٣) راجع الجزء الثامن ص ١٦٣ ، ١٦٤ط٢ .

وهلاّ كان على الرجل أن يعمل بالقرآن الذي كان يختمه في صلاته ؟ ألم يك في قرآنه قوله تعالى : الّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » ؟[١] أو لم يكن أبوذر وعمّار وابن مسعود والأُمّة الصالحة أمثالهم من المؤمنين ؟ وقد آذاهم بالنفي والضرب والتنكيل وبكلّ ما كان يمكنه .

أماكان فيه قوله تعالى : « الّذين يؤذون رسول‌الله لهم عذابٌ أليم » ؟ وقد آذى الرّسول في كريمته اُمّ كلثوم باقترافه ليلة وفاتها . وبايواء مَن طرده و لعنه . وبازراء صحابته الأكرمين وفي مقدّمهم ابن عمّه الطاهر . وبتبديل سنّته والحياد عن محجّته .

أما كان فيه قوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول واُولي الأمر منكم » ؟ وقد خالف الله ورسوله ولم يطعهما ونبذ الكتاب والسنّة وراء ظهره في غير موضع من الأموال و الصدقات والزكاة و الصّلاة والصّلاة والقطايع والأوقاف و الحجّ والنكاح والحدود والديات[٢] .

أماكان فيه ذكرٌ لحدود الله ؟ أو لم يكن فيه قوله سبحانه : « ومن يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون » ؟ وقدتعدّى الحدود ، ونسي العهود ، ونقض التوبة ، وحنث الإلّ ، وجاء بما لايُحمد عقباه ، وأتى بنهابير أوردته القتل الذريع ، و جرّت عليه الويلات كما جرّتها على الأُمّة حتى اليوم .

أما كانت في قرآنه آية المباهلة أو آية التطهير ؟ والله يعدُّ في الأُولى عليّاً نفس النبيّ الأعظم ، ويطهّره من الرجس بالثانية كماطهّر نبيّه . وكان عثمان يرى مروان لعين رسول الله وطريده أفضل منه ﷺ[٣] .

وليت الرجل ترك تلك التلاوة المتعبة والتزم بالعمل بالقرآن الكريم و أقام حدوده واقتصر من التلاوة على ماتيسّر .

٤٢- أخرج البلاذري في « الأنساب » ٥ : ٧ عن خلف البزّار عن عبد الوهاب ابن عطاء[٤] الخفاف البصري عن سعيد بن أبي عروبة أبي النضر البصري عن ابن

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٥٨ .
(٢) فصلنا القول في ذلك كله في الجزء الثامن .
(٣) مضى حديثه في الجزء الثامن ص ٢٩٧ ط ٢.
(٤) في النسخة : عبد الوهاب عن عطاء والصحيح ماذكرناه .

أخي[١] مطرف بن عبد الله بن الشخير عن مطرف البصري قال: لقيت علياً يوم الجمل فاسرع إليّ بدابته فقلت: أنا أحق أن أسرع إليك فقال: أحسب عثمان منعك من إتياننا فأقبلت أعتذر إليه فقال: لئن أحببته لقد كان أبرّنا وأوصلنا.

☆(رجال الإسناد)☆

١- خلف البزّار، الثقة الأمين السكّير. راجع من الجزء الخامس ص٢٩٥ ط ٢

٢- عبد الوهاب بن عطاء: قال المروزي: قلت لأحمد: عبد الوهاب ثقة؟ فقال: ماتقول: إنّما الثقة يحيى القطّان. وقال الساجي: صدوق ليس بالقوي عندهم وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم وهو يحتمل. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال أبو حاتم: ليس عندهم بقوي في الحديث. وقال ابن أبي شيبة: ليس بكذّاب ولكن ليس هو ممّن يتّكل عليه. وقال الميموني عن أحمد بن حنبل: ضعيف الحديث. وقال البزّار: ليس بالقوي وقد احتمل أهل العلم حديثه[٢] تهذيب التهذيب ٦ : ٤٥١.

٣- سعيد بن أبي عروبة. قال أبو حاتم: هو قبل أن يختلط ثقة. وقال دحيم: اختلط. وقال الأزدي: إختلط اختلاطاً قبيحاً. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث ثمّ اختلط في آخر عمره. وقال ابن حبّان: بقي في اختلاطه خمس سنين ولا يحتجّ إلّا بما روى عنه القدماء مثل يزيد بن زريع وابن المبارك، وقال عبد الوهاب (الراوي عنه): خولط سعيد سنة ٤٧ وعاش بعد ما خولط تسع سنين. وقال النسائي: من سمع منه بعد الإختلاط فليس بشيء. وقال ابن عدي: من سمع منه قبل الإختلاط فإنّ ذلك صحيح حجّة ومن سمع منه بعد الإختلاط لا يُعتمد عليه. وقال أبو بكر البزّار: ابتدأ به الاختلاط سنة ١٣٣[٣].

فعلى الأخذ بقول أبي بكر البزّار في ابتداء اختلاطه وقول ابن حبّان من أنّه مات سنة ١٥٥ تربو أعوام اختلاطه على اثنتين وعشرين سنة. هذا أكثر ماقيل في مدّة اختلاطه وأقلّه خمس سنين وبينهما أقوال اُخر.

---

(١) هو عبدالله بن هانى بن عبد الله بن الشخير البصرى.
(٢) احتمال الحديث انما هو للاعتبار كما جاء مصرحاً به فى كثير من الضعفاء.
(٣) تهذيب التهذيب ٤ : ٦٣-٦٦.

هذه علل الرواية إسناداً ، وأما هي من ناحية المتن فسل عنها مولانا أمير المؤمنين ورأيه المدعوم في عثمان وقد أسلفناه في هذا الجزء ص ٦٩-٧٧ ؛ أتراه صلوات الله عليه يرى الرجل أبرّهم وأوصلهم ثمّ يرفع عقيرته على صهوة الخطابة بمثل قوله فيه : قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته[1].

وقوله فيه : إنّ بني اُميّة ليفوّقونني تراث محمّد صلى الله عليه وآله وسلم تفويقاً[2].

وقوله في اقطاعه واعطياته : ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان ، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردودٌ في بيت المال ، فإنّ الحقّ القديم لايبطله شيءٌ ، ولو وجدته قدتزوّج به النساء ، و فرّق في البلدان لرددته إلى حاله . راجع ج ٨ :٢٨٧ط٢.

أنّى كانت صلات عثمان مشروعةً مرضيّةً عند أمير المؤمنين حتى يثني بها عليه ويراه أبرّهم وأوصلهم ، وقد أوقفناك في الجزء الثامن على شطرمهمّ من هباته ومدرّها فاقرأ وتبصّر .

٤٣ - اخرج ابن عساكر عن يزيدبن أبي حبيب كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٠ ، انّه قال : بلغني انّ عامّة الركب الذين ساروا إلى عثمان عامّتهم جنّوا . و في لفظ القرماني في أخبار الدول هامش الكامل لابن الأثير ١ : ٢١٣ : إنّ عامّة مَن أشار إلى قتل عثمان جنّوا .

قال الأميني : أليست هذه المهزأة من فنون الجنون ؟ انظر إلى عقل من جاء بها أوّلاً : (يزيدبن أبي حبيب) ثمّ أرجع البصر كرّتين إلى عقل اولئك الحفّاظ الذين عدّوا مثل هذا التره التافه من فضائل عثمان و كراماته ، و إنّي أحسب انّ في قول ابن سعد في ترجمة يزيد بن أبي حبيب : « انّه كان حليماً عاقلاً » دفعاً لما يدخل هاجسة القاري من روايته هذه ، لكنّه لايثبت له العقل بعد ما حفظها له التاريخ ، كيف يصدّق ذومسكة هذه السفسطة والركب السائرون إلى عثمان تُعدّ بالآلاف من رجال الحواضر الإسلاميّة و هم معروفون مشهورون و لم يُعرف أحدٌ منهم بما قذفهم ابن

(١) راجع الجزء السابع ص ٨١ .
(٢) راجع الجزء الثامن ص ٢٨٧ ط ٢.

حبيب؟ وما الذي أخفى ما عرف منهم الرجل على كلّ الصحابة و التابعين في الأوساط ولم يعلم به إلّا هو فحسب؟

على أنّا نعرف جماهير من القوم لانشكّ ولا يشكّ عاقلٌ في ثبوت كمال العقل لهم إلى أن ماتوا أوقتلوا كسيّدنا عمّار بن ياسر و مالك الأشتر، و كعب بن عبده، و زيد بن صوحان، وصعصعة بن صوحان، وعمرو بن بُديل الورقاء، ومحمّد بن أبي بكر، وعمرو بن الحمق، إلى نظرائهم الكثيرين وجلّهم من رجال الصحاح والمسانيد أخرج أئمّة الحديث من طرقهم أحاديث جمّة وصحّحوها، ولم يتوقّف أحدٌ منهم في شيء منها للجهل بصدورها قبل جنونهم أو بعده.

ولو أخذنا بلفظ القرماني فلا يشذّ من الجنون جلّ الصحابة من المهاجرين والأنصار إن لم نقل كلّهم لإطباقهم على قتل الرجل وفي مقدّمهم طلحة والزبير وعمرو بن العاص والسيّدة عائشة امّ المؤمنين.

ولعمر الحقّ انّ المعتوه من شوّه صحيفة التاريخ بهذه الخزايات غلوّاً منه في فضائل اُناس من الشجرة المنعوتة في القرآن. والله هو الحكَم العدل.

٤٤ ـ أخرج الواحدي في أسباب النزول ص ٢١٠ قال: أخبرنا محمّد بن ابراهيم بن محمّد بن يحيى قال: أخبرنا أبوبكر الأنباري قال: حدّثنا جعفر بن محمّد بن شاكر قال: حدّثنا عفان. قال: حدّثنا وهيب. قال: حدّثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم عن ابراهيم عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: نزلت: ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لايقدر على شيء[1] في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق ماله سرّاً و جهراً و مولاه ابوالخوراء الذي كان ينهاه فنزلت. وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء[2] فالأبكم منهما الكَلّ على مولاه هذا السيّد أسد بن أبي العيص. ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو عثمان بن عفّان رضي الله عنه. وبهذا الإسناد أخرجه البلاذري في الأنساب ٥: ٣.

وذكر ابن سعد في طبقاته ٣: ٤١ مرسلاً عن عكرمة عن ابن عبّاس نزول: هل

(١) سورة النحل: ٧٥ وتمام الاية: ومن رزقناه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سراً و جهراً هل يستون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون.

(٢) وهو كلّ على مولاه أينما يوجهه لايأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم. تمام الاية. سورة النحل: ٧٦.

يستوي هو ومن يأمر بالعدل . الآية . في عثمان . و كذلك المحبّ الطبري في الرياض النضرة ٢ : ١٠٣ .

قال الأميني : لعلّ الباحث لا يطالبنا البحث عن إسناد هذه الأكذوبة التي حرّفوا بها الكلم عن مواضعها ويراها شاهد صدق على قول سعيد بن المسيّب لبرد مولاه : يا برد ! إيّاك وأن تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس[٣] .

ولك أن ترجع البصر كرّتين ، وتمعن النظر دواليك في صحيفة تاريخ عثمان ، في أيّ يوميه تجد منه ما يعاضد هذه الأسطورة ؟ ومتى كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟ أمّا أيّامه مع النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله فحسبك منها ما ذكرناه في الجزء الثامن ص ٢٣١ ، ٢٨٠ ، وفي هذا الجزء ص ٣٢٧ وأمّا أيّام خلافته فحدّث عنها ولا حرج و قد سجّل التاريخ له فيها هنات لا تغفر وعثرات لا تُقال . وقد وصف مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تلكم الأيّام في كتابه إلى اهل مصر بقوله : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه ، وذُهب بحقّه ، فذهب الجور سرادقه على البرّ والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فلا معروف يُستراح إليه ، و لا منكر يُتناهى عنه . راجع ص ٧٤ من هذا الجزء .

ووصفها أبو أيّوب الأنصاري بقوله : عباد الله أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس ؟ و قد شمل العباد ، و شاع في الإسلام ، فذو حقّ محرومٌ مشتومٌ عرضه ، و مضروبٌ ظهره ، وملطومٌ وجهه ، وموطوءٌ بطنه ، ومُلقى بالعراء . إلى آخر ما مرّ في هذا الجزء ص ١٢٥ .

أكان من العدل وعلى الصّراط المستقيم ايواءه طريد رسول الله ولعينه ؟ أم خضمه مع ابناء بيته مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ؟ أم أياديه عند أهل العيث و الفساد و اعطياته من مال المسلمين أبناء بيته الساقط من فاسق مستهتر إلى لعين طريد إلى شابّ مُترف إلى أغيلمة سفهاء ، وتسليطهم على ناموس الإسلام ورقاب المسلمين بتوليهم الأمر في البلاد وبين يديه قوله صلى الله عليه وآله من تولّى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أنّ فيهم مَن هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسُنّة رسوله فقد خان الله

---

(٣) معارف ابن قتيبة ص ١٩٤ .

ورسوله وجميع المؤمنين ؟ [1] وقوله ﷺ في صحيحة الحاكم من طريق ابن عباس : من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين . وقوله ﷺ في صحيحة اُخرى من طريق أبي بكر : من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاماةً فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتّى يدخله جهنم . « إزالة الخفا ١ : ١٦ »

أكان من العدل وعلى الصّراط المستقيم إزرائه صلحاء الاُمّة وعظماء الصحابة و ايذائهم بغير ما اكتسبوا وقد احتمل بهتاناً وإثماً مبينا ، وهم بين مُسيّر هالك في تسييره ، ومعذّب في قعر السجون وظُلم المطامير ، ومشتوم مُهان يُنادى عليه بذلّ الاستخفاف ، ومضروب قد دُقّت بالضرب أضلاعه ، وآخر اُعذر متنه وفُتق بطنه ، ومحروم عن مال الله لأمره بالمعروف وانكاره المنكر ؟ أم سبّه الصحابة - العدول - و تكفيره إيّاهم بكتابه وخطابه ؟ أم مجابهته صنو رسول الله ﷺ ونفسه بتلكم القوارص ؟ أم عدّه مروان الوزغ الطريد اللعين أفضل من سيّد العترة ؟ أم رأيه فيه سلام الله عليه بأنّه أولى الناس بالنفي من جوار النبيّ الأقدس ؟ أم إبعاده إيّاه عن المدينة مرّة بعد اُخرى ؟ أم نقضه العهود و المواثيق المؤكّدة ؟ أم نبذه كتاب الله وراء ظهره ، وشذوذه عن السنّة الشريفة في صلاته و صلاته وحجّه وزكاته وإدخال آرائه الشاذّة في جميع ذلك ؟ أم أم إلى ما شاء الله .

هلّا عرفت الصحابة عدل هذا الانسان وكونه على الصّراط المستقيم يوم حسبوه جائراً في الحكم ، حائداً عن العدل ، متنكّباً عن الصّراط ، باغياً ساعياً في الأرض فساداً ولم يبرحوا ناقمين مؤلّبين عليه إلباً واحداً حتّى تمخّضت عليه البلاد ، وأسعرت وراءه نارا ، و لم تنطفىء إلّا باختلاسه و إخماد أنفاسه ؟ أو أنّهم عرفوا ذلك غير انّ الضغائن حدتهم إلى ما ارتكبوا منه ؟ فأين إذن عدالة الصحابة ؟ .

وإن كان الرجل آمراً بالعدل وهو على صراط مستقيم فعهده على نفسه سنة ٣٥ بأن يعمل بالكتاب والسنّة لماذا ؟ و توبته مرّة بعد اُخرى على صهوات المنابر عمّاذا ؟ و التزامه بالاقلاع عمّا هو عليه و تغيير خطّته لماذا ؟ وما تلكم الأقوال من الصحابة الواقفين عليه و على أعماله من كثب ؟ مثل قول عليّ أمير المؤمنين له : ما رضيت من

(١) مجمع الزوائد ٥ : ٢١١ .

مروان و لا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك و عقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يُساربه . وقوله : أذهبت شرفك وغُلبت على أمرك . وقول عمّار : امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيمايز عمون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله .

وقول عمرو بن العاص لعثمان : ركبت بهذه الاُمّة نهابير من الامور فركبوها منك و ملت بهم فمالوا بك ، اعدل أو اعتزل .

وقول سعد بن أبي وقاص : لكن عثمان غيّر وتغيّر ، وأحسن وأساء .

وقول مالك الأشتر : الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سُنّة نبيّه ، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

وقول صعصعة بن صوحان له : ملت فمالت اُمّتك ، اعتدل يا أمير المؤمنين ! تعتدل اُمّتك .

وقول هاشم المرقال : إنّما قتله أصحاب محمّد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب .

وقول عبد الرّحمن العنزي : هو أوّل من فتح أبواب الظلم ، وارتج أبواب الحقّ .

وقول أصحاب حجر بن عدي : هو أوّل من جار في الحكم ، وعمل بغير الحقّ .

وقول الصحابة له : بلونا منك من الجور في الحكم ، والاُثرة في القسم ، و العقوبة للأمر بالتبسط من الناس .

وقول نائلة بنت الفرافصة زوجته له : إتّق الله وحده لا شريك له ، واتّبع سنّة صاحبيك من قبلك .

إلى كلمات كثيرة لاُمّة كبيرة من الصحابة مرّت في هذا الجزء ، فنزول الآية الكريمة في عثمان لا تساعده تلكم الأقوال ، وتضادّه سيرته المعروفة ، هكذا يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً ممّا ذُكّروا به .

٤٥- أخرج ابن عساكر كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٠ عن ابن عبّاس انّه قال : لولم يطلب النّاس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السّماء . وذكره القرماني في أخبار الدول هامش الكامل ١ : ٢١٤ .

قال الأميني : للباحث أن يُسائل راوي هذه المزعمة المرسلة المعزوّة إلى حبر

الأمّة عن أنّ الطلب بدم عثمان هل كان أمراً مشروعاً يرتضيه الله ورسوله ؟ أو كان غير ذلك ؟ فإن كان الأوّل ؛ فلماذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعهد إلى عليّ أمير المؤمنين أن يقاتل الناكثين والقاسطين الطالبين بدم عثمان ؟ ويحثّ عيون أصحابه على مناصرته عليه السلام متى واثبه القوم ؟ ويحذّر مناوئيه في المقامين وينهاهم عن قتاله عليه السلام ، ويصفهم بالظلم إن فعلوا ؟ راجع الجزء الثالث ص ١٨٨-١٩٥ ط ٢.

ولماذا كان مولانا أمير المؤمنين يناضلهم ، فضلاً عن إشتراكه معهم في الطلب ؟ ولا يسلّم إليهم قتلة عثمان و آواهم ؟ وهو الذي يدور الحقّ معه حيثما دار ، وهو مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا على النبيّ الحوض [١] .

وكيف كانت الصحابة العدول يقاتلون معه عليه السلام الثائرين بدم عثمان ؟ وفي يوم الجمل تحت رايته عيون الصحابة ووجهاء الأمّة ، وفي صفّين شهد معه الإمامان السبطان الحسنان ومّن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة مائتان وخمسون كما في مستدرك الحاكم ٣ : ١٠٤ ويقال : ثمانمائة نفس فقتل منهم ثلاثمائة وستون نفساً [٢] وكان معه ثمانون بدريّاً على رواية ابن ديزيل والحاكم [٣] وجاء في خطبة سعيد بن قيس : سبعون بدريّاً [٤] وفي كلام لمالك الأشتر : قريب من مائة بدريّ [٥] ومن أولئك الصحابة وفي مقدّمهم البدريّون :

١- أسيد بن ثعلبة الأنصاري . بدريّ .

٢- ثابت بن عبيد الأنصاري . بدريّ قتل بصفّين .

٣- ثعلبة بن قيظي بن صخر الأنصاري . بدريّ .

٤- جبر بن أنس بن أبي زريق . بدريّ .

٥- جبلة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي . بدريّ .

٦- الحارث بن حاطب بن عمرو الأنصاري الأوسي . بدريّ .

---

(١) راجع ما ذكرناه في الجزء الثالث ص ١٧٦-١٨٠ ط ٢.

(٢) الاستيعاب في ترجمة عمار ، الاصابة ٢ : ٣٨٩ .

(٣) مستدرك الحاكم ٣ ص ١٠٤ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٥٤ .

(٤) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٦ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٣ .

(٥) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٨ ، شرح ابن ابي الحديد ١ : ٤٨٤ .

٧ـ الحارث بن النعمان بن أُميّة الأنصاري الأوسي . بدريٌّ .
٨ـ حصين بن الحارث بن المطلب القرشي . بدريٌّ .
٩ـ خالد بن زيد بن كليب أبو أيّوب الأنصاري . بدريٌّ .
١٠ـ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري الأوسي . بدريٌّ قُتل بصفّين .
١١ـ خليفة ـ ويقال : عليفة ـ بن عدي بن عمرو البياضي . بدريٌّ .
١٢ـ خويلد بن عمرو الأنصاري السلمي . بدريٌّ .
١٣ـ ربعي بن عمرو الأنصاري . بدريٌّ .
١٤ـ رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي . بدريٌّ .
١٥ـ زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي البلوي . بدريٌّ .
١٦ـ جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي . بدريٌّ .
١٧ـ خباب بن الأرت أبو عبد الله التميمي . بدريٌّ .
١٨ـ سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي . بدريٌّ .
١٩ـ سماك بن ـ أوس بن ـ خرشة الأنصاري الخزرجي . بدريٌّ .
٢٠ـ صالح الأنصاري . بدريٌّ .
٢١ـ عبد الله بن عتيك الأنصاري . بدريٌّ .
٢٢ـ عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري . بدريٌّ .
٢٣ـ عمّار بن ياسر المطيّب الطيِّب الشهيد بصفّين . بدريٌّ .
٢٤ـ عمرو بن أنس الأنصاري الخزرجي . بدريٌّ .
٢٥ عمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي . بدريٌّ .
٢٦ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي . بدريٌّ .
٢٧ ـ كعب بن عامر السعدي . بدريٌّ .
٢٨ ـ مسعود بن أوس بن أصرم الأنصاري . بدريٌّ .
٢٩ ـ أبو الهيثم مالك بن التيهان البلوي المستشهد بصفّين . بدريٌّ .
٣٠ ـ أبو حبة عمرو بن غزيّة . بدريٌّ .
٣١ ـ أبو عمرة بشر بن عمرو بن محصن الأنصاري المستشهد بصفّين . بدريٌّ .

٣٢ ـ أبو فضالة الأنصاري استشهد بصفّين . بدريٌّ .

٣٣ ـ أبو محمّد الأنصاري . بدريٌّ .

٣٤ ـ أبو بردة هاني بن نيار ـ ويقال : نمر ـ بدريٌّ .

٣٥ ـ أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السلمي . بدريٌّ .

٣٦ ـ أسود بن عيسي بن أسماء التميمي .

٣٧ ـ أشعث بن قيس الكندي كان أميراً على الميمنة يوم صفّين .

٣٨ ـ أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي .

٣٩ ـ الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي .

٤٠ ـ أعين بن ضبيعة الحنظلي . أحد الأمراء بصفّين .

٤١ ـ بريد الأسلمي . قتل بصفّين وفيه يقول أمير المؤمنين :

جزى الله خيراً عصبة أسلميّةً ☆ حسان الوجوه صرّعوا حول هاشمِ

بريدٌ وعبدالله منهم و منقـذ ☆ و عروة ابنا مالك في الأكارمِ

٤٢ ـ البراء بن عازب الأنصارى الخزرجي .

٤٣ ـ بشر ـ بشير ـ بن أبي زيد الأنصاري .

٤٤ ـ بشير بن أبي مسعود الأنصاري .

٤٥ ـ ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري .

٤٦ ـ جارية بن زيد المستشهد بصفّين .

٤٧ ـ جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي .

٤٨ ـ جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري .

٤٩ ـ جبير بن الحباب بن المنذر الأنصاري .

٥٠ ـ جندب بن زهير الأزدي الغامدي كان من أمراء الجيش بصفّين .

٥١ ـ جندب بن كعب العبدي أبو عبدالله الأزدي الغامدي .

٥٢ ـ الحارث بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي .

٥٣ ـ حازم بن أبي حازم الأحمسي المستشهد بصفّين .

٥٤ ـ الحبشي بن جنادة بن نصر السلولي .

٥٥ ـ الحجّاج بن عمرو بن عزية الأنصاري .

٥٦ ـ حجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير ، كان من الأمراء يوم صفّين

٥٧ ـ حجر بن يزيد بن مسلمة الكندي .

٥٨ ـ حنظلة بن النعمان الأنصاري .

٥٩ ـ حيّان بن أبجر الكناني .

٦٠ ـ خالد بن أبي خالد الأنصاري .

٦١ ـ خالد بن أبي دجانة الأنصاري .

٦٢ ـ خالد بن المعمر بن سليمان السدوسي كان من أمراء عليّ يوم صفّين .

٦٣ ـ خالد بن الوليد الأنصاري ، كان ممّن أبلي بصفّين .

٦٤ ـ خرشة بن مالك بن جرير الأودي .

٦٥ ـ رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الخزرجي الحارثي .

٦٦ ـ ربيعة بن قيس العدواني .

٦٧ ـ ربيعة بن مالك بن وهيل النخعي .

٦٨ ـ زبيد بن عبد الخولاني شهد صفّين مع معاوية و كانت معه الراية فلمّا قتل عمّار تحوّل إلى عسكر عليّ عليه السلام أخذاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : عمّار تقتله الفئة الباغية .

٦٩ ـ زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الكعبي الخزرجي .

٧٠ ـ زيد بن جارية الأنصاري .

٧١ ـ زيد بن حيلة ـ بالمهلة والياء ويقال : بالمعجمة والموحّدة ـ .

٧٢ ـ زياد بن حنظلة التميمي .

٧٣ ـ سعد بن الحارث بن الصمة الأنصاري استشهد يوم صفّين .

٧٤ ـ سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي .

٧٥ ـ سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيد .

٧٦ ـ سليمان بن صرد بن أبي الجون أبو المطرف الخزاعي ، كان أميراً على رجّالة الميمنة يوم صفّين .

٧٧ ـ سهيل بن عمرو الأنصاري ، قتل بصفّين مع عليّ عليه السلام .

٧٨- شبث بن ربعي التميمي اليربوعي أبو عبد القدوس .

٧٩- شبيب بن عبد الله بن شكل المذحجي .

٨٠- شريح بن هاني بن يزيد بن نهيك أبو المقدام الحارثي .

٨١- شيبان بن محرث .

٨٢- صدى بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي .

٨٣- صعصعة بن صوحان العبدي .

٨٤- صفر بن عمرو بن محصن . وقُتل بصفّين .

٨٥- صيفي بن ربعي بن أوس .

٨٦- عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب المحاربي الجسري . المستشهد بصفّين .

٨٧- عائذ بن عمرو الأنصاري .

٨٨- عامر بن واثلة بن عبد الله أبو الطفيل الليثي .

٨٩- عبد الله الأسلمي ممّن استشهد بصفّين وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين كما مرّ ص ٣٦٤ .

٩٠- عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي . قُتل بصفّين .

٩١- عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم . كان على الميسرة يوم صفّين

٩٢- عبد الله بن خراش أبو يعلى الأنصاري .

٩٣- عبد الله بن خليفة البولاني الطائي .

٩٤- عبد الله بن ذباب بن الحارث المذحجي .

٩٥- عبد الله بن الطفيل بن ثور بن معاوية البكائي .

٩٦- عبد الله بن كعب المرادي ، قُتل يوم صفّين و كان من أعيان أصحاب أمير المؤمنين .

٩٧- عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري الأوسي .

٩٨- عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، من شهداء يوم صفّين .

٩٩- عبد الرحمن بن حسل الجمحي . قتل بصفّين .

١٠٠- عبيد بن خالد السلمي .

١٠١- عبيد الله بن سهيل الأنصاري .

١٠٢- عبيد بن عازب أخو البراء بن عازب .

١٠٣- عبيد بن عمرو السلماني أبوعمرو صاحب ابن مسعود .

١٠٤- عبد خير بن يزيد بن محمّد الهمداني . من كبار أصحاب الإمام عليه السلام .

١٠٥- عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي .

١٠٦- عروة بن زيد الخيل الطائي .

١٠٧- عروة بن مالك الأسلمي قتل بصفّين وأثنى عليه الإمام عليه السلام كما مرّ ص ٣٦٤ .

١٠٨- عقبة بن عامر السلمي .

١٠٩- العلاء بن عمرو الأنصاري .

١١٠- عليم بن سلمة الفهمي .

١١١- عمرو بن بلال كان من المهاجرين .

١١٢- عُمير بن حارثة الليثي .

١١٣- عُمير بن قرة السلمي .

١١٤- عمّار بن أبي سلامة بن عبد الله بن عمران .

١١٥- عوف بن عبد الله بن الأحمر الأزدي .

١١٦- الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري الأوسي الخطمي . قُتل بصفّين .

١١٧- قيس بن أبي قيس الأنصاري .

١١٨- قيس بن المكشوح أبو شدّاد المرادي . من شهداء صفّين .

١١٩- قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي .

١٢٠- كرامة بن ثابت الأنصاري .

١٢١- كعب بن عمر أبو زعنة .

١٢٢ - كميل بن زياد النخعي ، يقال : أدرك من الحياة النبويّة ثماني عشرة سنة وكان شريفاً مطاعاً ثقة . الإصابة ٣ : ٣١٨ .

١٢٣ - مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الأشتر .

١٢٤ - مالك بن عامر بن هاني بن خفاف الأشعري .

١٢٥ - محمّد بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، من شهداء صفّين .

١٢٦ - محمّد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي يقال : قُتل بصفّين .

١٢٧ - مخنف بن سليم بن الحرث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي ، كان على راية الأزد بصفّين .

١٢٨ - معقل بن قيس الرياحي التميمي اليربوعي .

١٢٩ - المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب الهاشمي .

١٣٠ - منقذ بن مالك الاسلمي أخو عروة بن مالك ممّن استشهد بصفّين كما مرّ في شعر مولانا أمير المؤمنين ص ٣٦٤ .

١٣١ - المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي . استشهد بصفّين .

١٣٢ - نضلة بن عبيد الأسلمي أبو برزة .

١٣٣ - النعمان بن عجلان بن النعمان الأنصاري الزرقي .

١٣٤ - هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال . كان صاحب الراية واستشهد بصفّين

١٣٥ - هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن معاوية الجعفي . كان من اُمراء عليّ عليه السلام .

١٣٦ - وداعة بن أبي زيد الأنصاري .

١٣٧ - يزيد بن الحويرث الأنصاري .

١٣٨ - يزيد بن طعمة بن جارية بن لوذان الأنصاري الخطمي .

١٣٩ - يعلى بن اُميّة بن أبي عبيدة بن همام بن الحرث التميمي الحنظلي . يقال: انّه قُتل بصفّين .

١٤٠ - يعلى بن عمير بن يعمر بن حارثة بن العبيد النهدي .

١٤١ - أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري ثمّ الأبرهي قتل مع عليّ عليه السلام بصفّين .

١٤٢ - أبو ليلى الأنصاري والد عبدالرّحمن .

١٤٣ - أبو جحيفة السوائي .

١٤٤ - أبو عثمان الأنصاري.

١٤٥ - أبو الورد بن قيس بن فهر الأنصاري .

والإمام أمير المؤمنين قد أتمّ الحجّة يوم الجمل على طلحة بما أسلفناه في الجزء الاوّل ص١٨٦، ١٨٧ط٢، وعلى الزبير بما مرّ في ج٣ ص ١٩١ط٢ وما قاتلهما إلّا بعد إقامة الحجّة عليهما، ودحض أعذارهما المفتعلة، فما وجدهما مخبتين إلى الحقّ مصيخين إلى ما اعترفا به من قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان موقفهما موقف المستهزء اللاعب بالدين الحنيف، جاء رجلٌ إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة فقال: نشدتكما بالله في مسيركما أعهد إليكما فيه رسول الله شيئاً؟ فقام طلحة ولم يجبه، فناشد الزبير فقال: لا، ولكن بلغنا انّ عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها (١).

و لمّا بايع أهل البصرة الزبير وطلحة قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ فإمّا بيّته وإمّا صبّحته لعليّ أقتله قبل أن يصل الينا؟ فلم يجبه أحد. فقال: إنّ هذه لهي الفتنة التي كنّا نحدّث عنها. فقال له مولاه: أتسمّيها فتنةً وتقاتل فيها؟ قال: ويحك إنّا نُبصر ولا نَبصر، ماكان أمر قطّ إلّا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر فإنّي لا أدري أمقبلٌ أنا فيه أم مدبرٌ (٢).

وقد تحقّق يوم ذاك ما كان يحذر منه عمر بن الخطاب وصدّق الخُبر الخَبر، قال عبدالله بن عمر: جاء الزبير إلى عمر فقال لعمر: إءذن لي أن أخرج فأُقاتل في سبيل الله. قال: حسبك قد قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الزبير و هو يتذمر فقال عمر: مَن يعذرني من أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم؟ لولا أنّي أمسك بفم هذا الشعب لأهلك أُمّة محمّد صلى الله عليه وسلم (٣)

أللهمّ ما كان ذنب حكيم بن جبلة و سبعين أبرياء آخرين من عبد القيس قتلهم طلحة و الزبير قبل وقوع الواقعة بعد ما نادى مناديهما بالبصرة: ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممّن غزا المدينة فليأت بهم فجيء بهم كما يُجاء بالكلاب فقتلوا. قال: حكيم بن جبلة: لقد أصبحتم وإنّ دماءكم لنا لحلالٌ بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله عزّ وجلّ؟ بما تستحلون سفك الدماء؟ قال ابن الزبير: بدم عثمان بن عفّان رضي الله عنه، قال: فالّذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟ أما تخافون مقت الله؟ فقال له عبدالله بن الزبير:

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٣ .
(٢) تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٣ .
(٣) تاريخ بغداد ٧ : ٤٥٣ .

لانرزقكم من هذا الطعام و لا نخلّي سبيل عثمان بن حنيف حتّى يخلع عليّاً ، فقتل حكيم بن جبلة وسبعون رجلاً من عبدالقيس (١).

فعلى الرجلين وامّهما دم ستة آلاف أو يزيدون قتلى تلك الحرب الدامية ، و من يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها . ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً . ولنعم ما قال فتى بني سعد يوم ذاك :

صنتم حلائلكم وقدتم امّكم ✡ هذا لعمرك قلّة الإنصاف
امرت بجرّ ذيو لها في بيتها ✡ فهوت تشقّ البيد بالايجاف
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها ✡ بالنبل والخطّي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها ✡ هذا المخبّر عنهم والكافي (٢)

ولم يكن حول الجمل إلّا حثالة من ذنابا الناس أهل الشره و التره - من ضبّة والأزد - الّذين كانوا يلتقطون بعر الجمل ويفتّونها ويشمّونها ويقولون : بعر جمل امّنا ريحه ريح المسك . يأتي حديثه في مستقبل الأجزاء إنشاء الله . كما لم يكن في جيش معاوية إلّا ساقة الناس ورعاتهم الّذين وصفهم مولانا أمير المؤمنين بقوله يوم ذاك : انفروا إلى بقيّة الأحزاب ، انفروا بنا إلى ما قال الله ورسوله إنّا نقول : صدق الله ورسوله . و يقولون : كذب الله ورسوله (٣).

و قال سيّدنا قيس بن سعد في كلام له : هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أعرابيّاً أو يمانيّاً مستدرجا؟ (٤).

و في كلام لسيّدنا عمّار بن ياسر : إنّ مراكزنا على مراكز رايات رسول الله يوم بدر ويوم احد ويوم حنين ، وإنّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب (٥)

وفي مقال لسيّدنا مالك الأشتر : أكثر مامعكم رايات قد كانت مع رسول الله ، و مع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فما يشكّ في قتال

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .
(٢) تاريخ الطبرى ٥ : ١٧٦ :
(٣) أخرجه البزار باسنادين كما في مجمع الزوايد للحافظ الهيثمى ٧ : ٢٣٩ .
(٤) استدرجه : خدعه وأدناه .
(٥) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٣٦٣ ، شرح ابن ابى الحديد ١ : ٥٠٦ .

هؤلاء إلّا ميت القلب [١].

و لم تكن الغايات في حرب معاوية تخفى على أيّ أحد حتّى على النساء في خدورهن فهي كما قالت أُمّ الخير بنت الحريش : إنّها إحن بدريّة ، وأحقاد جاهليّة ، و ضغائن أُحديّة ، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس ، قاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا ايمان لهم لعلّهم ينتهون [٢].

وكيف يكون هذا الطلب مشروعاً والذين وتروا عثمان هم الصحابة العدول كلّهم حتّى أنّ طلحة كان أشدّ الناس عليه ، و حسب مروان انّه أخذ منه ثاره برمية منه جرّعته المنيّة . وقد تثبّط معاوية عن نصرته حتّى قتلوه ؟ .

وإن كانت النهضة بثارات عثمان غير مشروعة يمقتها الله و رسوله ﷺ - كما هو المتسالم عليه عند وجوه السلف - فكيف يُدرأ بها العذاب عمّن قام بها ؟

ولو صدقت الأحلام لوجب أن يكون أصحاب الجمل مكلوئين عن كلّ سوء لكن عوضاً عن ذلك وافاهم العذاب من شتّى النواحي وقُتّلوا تقتيلا ، وقطع الله أيدي الذين أخذوا بزمام الجمل حتّى وردوا الهلكة صاغرين .

وأمّا معاوية فسل عنه ليلة الهرير و يومه فقد قُتل فيهما سبعون ألف قتيل ٤٥ ألفاً من أهل الشام و٢٥ ألفاً من أهل العراق [٣] وهل استمرّ على الطلب بالثار لمّا تمهّد له عرش الملك ؟ أو أنّه اقتنع بالحصول على سُلطة غاشمة وملك عضوض ؟ .

نعم : حصر هو تعقيبه بالأبرياء شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فقتلهم أينما ثقفهم تحت كلّ حجر وشجر ، و أمّا ثار عثمان فلم ينبس عنه بعدُ ببنت شفة فضلاً عن أن يثأر له ولم يَرُم بالحجارة ، فدونك تاريخ معاوية ، فاقرأ واحكم .

٤٦ - أخرج الخطيب في تاريخه ١٢ : ٣٦٤ من طريق أحمد بن محمّد بن المغلس الحماني عن أبي سهل الفضل بن أبي طالب عن عبد الكريم بن روح البزاز عن أبيه روح

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٨ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤ .

(٢) بلاغات النساء ص ٣٦ ، العقد الفريد ١ : ١٣٢ ، نهاية الأرب ٧ : ٢٤١ ؛ صبح الأعشى ١ : ٢٤٨ .

(٣) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٥٤٣ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٧٤ ، ٣١٢ ، فتح الباري ١٣ : ٧٣ .

ابن عنبسة بن سعيد بن أبي عياش الأموي مولاهم البصري عن أبيه عنبسة[1] عن جدته «لأبيه» أم عياش وكانت أمة لرقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء.

قال الأميني: لا تعجب من اخراج الخطيب هذا الحديث المرمع و سكوته عن علله فانه أسير صبابته إلى هوى آل أمية، و قد أعمته عن آراء رجال الجرح و التعديل في أحمد بن محمد، وأنسته ما ذكره هو في ترجمة الرجل، قال ابن عدي: ما رأيت في الكذابين أقل حياءً منه. و قال ابن قانع: ليس بثقة. و قال ابن أبي الفوارس: كان يضع الحديث. و قال ابن حبان: راودني أصحابنا على أن أذهب إليه فأسمع منه، فأخذت جزءاً لأنتخب فيه فرأيته حدث عن يحيى .. إلخ. وعن هناد. إلخ فعلمت أنه يضع الحديث. وقال الدار قطني: كان يضع الحديث. وقال الحاكم: روى عن القعنبي و مسدد و ابن أبي اويس وبشر بن الوليد أحاديث و ضعها. وقد وضع ايضاً المتون مع كذبه في لقي هؤلاء. وقال الخطيب نفسه: حدث عن أبي نعيم و غيره بأحاديث أكثرها باطلة هو وضعها. وحكي عن بشر بن الحارث ويحيى بن معين و علي بن معين وعلي ابن المديني أخباراً جمعها بعد أن وضعها في مناقب أبي حنيفة. وقال الدار قطني ايضاً: مناقب أبي حنيفة موضوعة كلها وضعها أحمد بن المغلس الحماني قرأته غير مرة. إلى كلمات آخرين[2].

وفي الإسناد: عبدالكريم بن روح أبو سعيد البصري، قال أبو حاتم: مجهول. وقال عمرو بن رافع: دخلت عليه ولم أسمع منه و يقال: إنه متروك الحديث. و قال ابن حبان: يخطىء و يخالف. وضعفه ابن أبي عاصم و الدارقطني[3] أضف اليه في الجهالة أباه وجده وجدته، راجع ميزان الاعتدال للذهبي والخلاصة لابن الجزري.

وأخرجه ابن عدي من طريق عمير بن عمران الحنفي وعده من بواطيله و اقره الذهبي و ابن حجر، و قال ابن عدي: والضعف على روايته بين، و قال العقيلي: في حديثه وهم وغلط. «لسان الميزان ٤ : ٣٨٠».

(١) في النسخة: عن ابيه عن عنبسة. والصحيح ماذكرناه.
(٢) واجع المصادر المذكورة في الجزء الخامس ص٢١٦ ط٢.
(٣) تهذيب التهذيب ٦ : ٣٧٢.

نعم : أنا لا أشكّ في أنّ كلّ مافعله النبيّ ﷺ أولهج به إنّما هو عن وحي منزل من السّماء فإنّه لاينطق على الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى. غير أنّ المصلحة في الايحاء تختلف باختلاف الموارد، فليس كلّ صلة منه ﷺ أو برّ تدلّ على فضيلة في المبرور فانّها قدتكون لإتمام الحجّة عليه، كما أنّها في المقام لإيقاف الملأ الدينيّ على أنّ العداء المحتدم في صدور العبشميّين على بني هاشم لا يزيحه أيّ عطف وصلة فإنّه لابرّ أوصل من المصاهرة ولا سيما ببضعة النبوّة، لكن: هل قدّر ذلك زوج امّ كلثوم؟ أو انّه اقترف ليلة وفاتها (١) ولم يكترث للإنقطاع عن شرف النبوّة، حتى أهانه رسول العظمة بملأ من الأشهاد، وحرّم عليه الدخول في قبرها وهو في الظاهر أولى الناس بها بعد أبيها؟

و لعلّ كل صهرأو مواصلة وقع بين بني هاشم والأمويّين كان من هذا الباب، حاول الهاشميّون وفي مقدّمهم مشرّفهم ﷺ تخفيض نائرة الإحن و تصفية القلوب من الضغائن، لكن هل حصّلوا على الغاية المتوخّاة؟ أوانكفؤا على حدّ قول القائل:

لقد نفختُ في جُذىً مشبوبةٍ ☆ و قد ضربتُ في حديد باردٍ؟

و لولا هذه المصاهرة و أمثالها لطالت الألسنة على الهاشميّين لسبق المهاجرة والقطيعة بين الفريقين، وحملوا كلّ ماوقع بينهما على تلكم السوابق، لكن الفئة الصالحة رُوّاد الإصلاح درأوا عن أنفسهم هاتيك الشُبه بضرائب هذه المواصلات، وعرّفوا الناس إنّ العقارب لسُبّ من ذاتها، فلا يجدي معها أيّ لين وزلفة.

و لعلّك هاهنا تجد الميزة بين الصهرين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و صاحب سيّدتنا امّ كلثوم، و تعلم سيرة الإمام مع الصدّيقة الطاهرة حتّى قضت نحبها و هي عنه راضية، كما أنّه فارقها و هو عنها راضٍ، و غادر رسول الله ﷺ الدنيا و هو راضٍ عنهما.

و انظر إلى آخر يوميهما هذا يقترف ليلة وفاة امّ كلثوم مالايرضي الله ورسوله ولايهمّه فراقها ولا يشغله الهمّ بالمصيبة و انقطاع صهره من النبيّ ﷺ عن المفارقة، وذلك يندب الصدّيقة الطاهرة و يطيل بكاءه عليها وهو يقول: السّلام عليك يارسول الله! عنّي و عن ابنتك النازلة في جوارك و السريعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله! عن

(١) مرّ حديثه في الجزء الثامن ص ٢٣١ - ٢٣٤ ط ٢

صفيّتك صبري ، ورقّ عنها تجلّدي ، إلّا أنّ لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري و صدري نفسك ، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون ، فقد استرجعت الوديعة ، و أخذت الرهينة ، أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهّد ، إلي أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم ، وستنبئك إبنتك بتضافر أمّتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، و استخبرها الحال هذا ، ولم يطل العهد ، ولم يخلق منك الذكر ، و السّلام عليكما ، سلام مودّع لاقال ولا سئم ، فإن أنصرف فلا عن ملامة ، و إن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين . ثمّ تمثّل عند قبرها فقال :

لكلّ اجتماع من خليلين فرقةٌ ✿ و كلّ الذي دون الممات قليلُ
و إنّ افتقادي واحداً بعدواحد[1] ✿ دليلٌ على أن لايدوم خليلُ[2]

٤٧- أخرج الأزدي عن عبد الواحد بن عثمان بن دينار الموصلي عن المعافي بن عمران الثوري عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لعثمان : أنت من أصهاري وأنصاري ، وعهد عهده إليّ ربّي إنّك معي في الجنّة .

قال الذهبي في الميزان في ترجمة عبد الواحد ٢ : ١٥٨ : خبرٌ باطلٌ ذكره الأزدي .

٤٨- أخرج الطبراني قال : حدّثنا بكر بن سهل قال : ثنا محمّد بن عبد الله بن سليمان الخراساني عن عبد الله بن يحيى الإسكندراني ثنا ابن المبارك عن معمّر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : لمّا طعن عمر وأمر بالشورى دخلت عليه حفصة ابنته فقالت : يا أبت ؛ إنّ النّاس يقولون : إنّ هؤلاء القوم الذين جعلتهم في الشورى ليسوا برضي . فقال : أسندوني . فأسندوه فقال : عسى أن تقولوا في عثمان سمعت رسول الله ﷺ يقول : يموت عثمان يصلّي عليه ملائكة السّماء . قلت : لعثمان خاصّة أو للنّاس عامّة ؟ قال : بل لعثمان خاصّة . الحديث بطوله لكلّ واحد من السّتّة أصحاب الشورى منقبة[3] .

قال الذهبي في الميزان : حديثٌ موضوعٌ . و قال ابن حجر في اللسان : الوضع عليه ظاهرٌ .

---

(١) وفى لفظ : وان افتقادى فاطماً بعد أحمد .
(٢) راجع اعلام النساء ٣ : ١٢٢٢ .
(٣) لسان الميزان ٥ ، ٢٢٦ .

قال الأميني : بكر بن سهل الدمياطي ضعّفه النسائي ، كما ذكره الذهبي ، و في لسان الميزان : ومن وضعه قوله : بكرت يوم الجمعة فقرأت إلى العصر ثمان ختمات . ثمّ قال : فاسمع إلى هذا وتعجّب . وقال مسلمة بن قاسم : تكلّم النّاس فيه ووضعوه من أجل الحديث الذي حدّث به عن سعيد بن كثير[1] . وفي الإسناد محمّد بن عبد الله مجهولٌ لا يُعرف .

٤٩ ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ١١ : ١٦٩ من طريق عيسى بن محمّد بن منصور الاسكافي عن شعيب بن حرب المدائني عن محمّد الهمداني قال حدّثنا شيخٌ في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ عن النعمان بن بشير قال : كنّا عند عليّ بن أبي طالب فذكروا عثمان فقال عليٌّ : إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى اولئك عنها مبعدون . هم عثمان وأصحاب عثمان ، وأنا من أصحاب عثمان .

قال الأميني : لنا أن نسائل الخطيب عن عيسى بن محمّد بن منصور الاسكافي مَن هو ؟ وما محلّه من الإعراب ؟ وهو الذي ترجمه هو ولا يعرف منه إلّا إسمه ، ونسائله عن محمّد الهمداني وعن شيخه الذي لم يسمّه هو ولا غيره كأنّه لم يكن ولم يولد ، وعن النعمان بن بشير ، مَن هو ؟ وما خطره ؟ وما قيمة روايته ؟ وهو الخارج على إمامه يوم صفّين ومحاربه في صفّ الطغام الطغاة ، وهو الذي عرّفه قيس بن سعد الأنصاري يوم ذاك بقوله له : وأنت والله الغاش الضالّ المضلّ ، وهو القائل لقيس : لو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً لكانت واحدة بواحدة ، ولكنّكم خذلتم حقّاً ونصرتم باطلاً .

وهلاّ عليٌّ هذا هو الذي سأله عثمان أيّام حوصر أن يخرج إلى ينبع حتى لا يغتمّ به ولا يغتمّ به عليٌّ ؟ وهلاّ هو ذلك القائل : والله الذي لا إله إلّا هو ما قتلته ، ولا مالأت على قتله ولا ساءني ؟ والقائل : ما أحببت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به ولا نهيت عنه ، ولا سرّني ولا ساءني ؟ .

و القائل لأصحابه يوم صفّين : انفروا إلى مَن يقاتل على دم حمّال الخطايا ، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة انّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص أوزارهم شيئاً ؟ .

---

(١) ميزان الاعتدال ٣ ، ٨٤ ، لسان الميزان ٢ ، ٥٢ ، وج ٥ ، ٢٢٦

وهلاّ هو الكاتب إلى أهل مصر بقوله : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه ، وذهب بحقه ، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر . الخ ؟ .

وهلاّ هو ذلك الذي لم يشهد لعثمان انه قُتل مظلوماً ؟ كما مرّ حديثه[1] .

وهلاّ هو ذلك الخطيب القائل في خطبته الشقشقية : إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ؟ إلى آخر ما مرّ ج ٧ : ٨١ .

وما شأن أصحاب عثمان وفيهم مثل عليّ - أخذاً بهذه الرواية - لا يوجد له منهم ناصرٌ ؟ ولا يُسمع من أحدهم في أمره ركزٌ ؟ ولا ينبس أيٌّ منهم في الدفاع عنه ببنت شفة ؟ والرجل قُتل بين ظهرانيهم جهراً ، واُلقيت جثته في المزبلة ثلاثة أيام تجري عليه العواصف ، ثمّ دُفن بأثوابه في مقابر اليهود ، ينادى عليه بذلّ الاستخفاف ، وقد أخذت الحجارة مجهزيه ، وطمّوا جثمانه خائفين مترقّبين ، فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً ليضلّ النّاس بغير علم ، والله يعلم انهم لكاذبون .

٥٠- إنّ عثمان بن عفّان رأى درع عليّ رضي الله عنه يُباع بأربع مائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضي الله عنها فقال عثمان : هذا درع عليّ فارس الإسلام لا يُباع أبداً ، فدفع لغلام عليّ أربعمائة درهم وأقسم أن لا يخبره بذلك وردّ الدرع معه ، فلمّا أصبح عثمان وجد في داره أربعمائة كيس في كلّ كيس أربعمائة درهم مكتوبٌ على كلّ درهم : هذا درهم ضرب الرحمن لعثمان بن عفّان . فأخبر جبريل النبيّ ﷺ بذلك فقال : هنيئاً لك يا عثمان ! .

قال الأميني : ذكر الحلبي في سيرته ٢ : ٢٢٨ عن فتاوى جلال الدين السيوطي انه سُئل عن صحة هذه الرواية فأجاب بأنها لم تصحّ . فقال : اي وهي تصدّق بأنّ ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع . ه . ومرّ في الجزء الخامس في سلسلة الموضوعات ص ٣٢٢ ط٢ قول ابن درويش الحوت : إنّه كذب شنيعٌ .

☆(ختام المناقب)☆ قال الجرداني في مصباح الظلام ٢ : ٢٩ : فائدةٌ : مَن كتب هذه الأسماء وغسل بها وجهه فانه لا يعمى ، ومَن كتبها وشربها على الريق لا ينسى ، ومَن كتبها وشربها لا يعجز عن النساء ، وهم : عثمان بن عفّان . معاذ بن جبل . عبد

(١) تجد هذه الأحاديث في هذا الجزء ٦٩-٧٧ .

الرَّحمن بن عوف . زيد بن ثابت . اُبيّ بن كعب . طلحة بن عبدالرَّحمن . تميم الداري رضي الله عنهم .

قال الأميني : فليمتحن مَن لا يخاف عن العمى والنسيان والعنن . أضف إلى هذه الأساطير أو المخازي ما مرَّ في الجزء الخامس من المناقب الموضوعة لعثمان خاصّة ص ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ط٢ .

منتهى القول

إلى هنا نُنهي القول عن فضائل عثمان التي اختلقتها وثّابة الشرَه ومُهملجة المطامع والشهوات في العصور الأمويّة طمعاً في رضائخ اولئك المقعين على أنقاض عرش الخلافة وأكثر هؤلاء شاميّون أو بصريّون الذين جُبلوا بحبّ العبشميّين ، ومناوءة سروات المجد من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم ، فليس وضع تلكم الروايات عنهم ببعيد ، ولعلَّ هناك من ضرائب ماذكرناه أشياء لكن سبيلها سبيل هذه الطامّات في الأسانيد والمتون ومنشأ الكلِّ هو المغالاة في الفضائل من غير تفهّم ولا رويّة .

ولعلَّ القوم في عذر ممّا هم عليه من عدم الأخذ بآراء الحفّاظ وأئمّة الفنّ الواردة في باب الجرح والتعديل ، وعدم إجرائها في رجال تلكم المسانيد سلسلة البلايا والطامات التي اتّخذوها حجّة في الفضائل ، وعلّوا عليها الدعوة إلى اُناس والتخذيل عن آخرين ، ولا مندوحة لاُولئك من رواية مرمّعات الحديث ، والأخذ بالموضوع المختلق ، لأنّهم إن جنحوا في باب الفضائل إلى الصحيح الثابت في التاريخ والحديث فحسب ، واقتصروا على ماصحَّ منها ، وصفحوا عن الباطل المزيّف ، وتركوا كلَّ تلكم التلفيقات المخزية ، لتبقى تلكم الصحائف السوداء بيضاء خالية فارغة عن كلِّ مأثرة و فضيلة ، وهذا عزيزٌ عليهم جدًّا لا يحبّذه الحبُّ الدفين ، ولا تسوّغه العصبيّة ، وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم فقد جاءوا ظلماً وزوراً ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ ، و يحسبون انّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون ، اُنظر كيف نبيّن لهم الآيات أنّى يؤفكون .

المغالاة في فضائل الخلفاء الثلاثة

أبي بكر . عمر . عثمان

لقد أوقفناك على شيئ من الغلو الفاحش في كل فرد من هؤلاء، وعرفناك ان كل ما لفقه القوم ورمقه من الفضائل إنما هي من مرمعات الحديث. لا يساعدها المعروف من نفسياتهم وملكاتهم ولا يتفق معها ما سجل لهم التاريخ من أفعال وتروك، وهلم الآن إلى لون آخر مما تمنته يد الافتعال يشملهم كلهم، ولا نكترث من ذلك إلا لما جاء بصورة الرواية دون الأقوال والكلمات، فإن رمي القول على عواهنه مما لا نهاية له، وما حدت إليه الأهواء والشهوات لا تقف على حد، فنمر بما جاء به أمثال أبناء حزم وتيمية والجوزي والجوزية و كثير وحجر ومن لف لفهم من السلف والخلف كراماً، فأنى يسع لنا التبسط تجاه مزعمة نظراء التفتازاني وأمثاله قال في شرح المقاصد ٢ : ٢٧٩ : احتج أصحابنا على عدم وجوب العصمة بالإجماع على إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مع الإجماع على انهم لم تجب عصمتهم وإن كانوا معصومين بمعنى انهم منذ آمنوا كان لهم ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها .

وقال أبو الثناء شمس الدين محمود الاصبهاني المتكلم الشهير في « مطالع الأنظار » ٤٧٠ : ولا يشترط فيه العصمة خلافاً للإسماعيلية والإثنا عشرية . لنا : إمامة أبي بكر والأمة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة لا أقول إنه غير معصوم . ه‍ . وأقر عصمة عثمان الحافظ نور محمد الأفغاني في كتابه « تاريخ مزار شريف » ص ٤ .

ونحن وضعنا أمامك صحائف من كتب أعمال هؤلاء المعصومين التي قضوا أكثرها على العادات الجاهلية، وأوقفناك على أن ما طابق منها عهد الإسلام مما لا يمكن أن يكون صاحبه عادلاً فضلاً عن أن يعد معصوماً، وها هنا لا نحاول أكثر من لفت نظر القارئ إلى تلكم الصحائف من غير توسع نكرره، ففيما سبق في الجزء السادس والسابع والثامن من الطامات والجنايات والأحداث والشنايع والفظايع ومما لا تقرره طقوس الإسلام ويشذ عن سنن الكتاب والسنة غنى وكفاية .

وأما ما استنتجه التفتازاني من الإجماعين فمن أفحش أغلاطه . أما أولاً فلمنع

الاجماع في كلٍّ من الثلاثة فإنَّ خلافة أبي بكر إنَّما تمَّت بعدوصمات سودَّت صحيفة تاريخه ، وأبقت على الأُمَّة عاراً إلى منصرم الدنيا ، لا تُنسى قطُّ بمرِّ الجديدين وكرِّ الملوين ، إنَّما تمَّت ببيعة رجل أورجلين أوخمسة ، ومن هنا حسبوا انَّ الخلافة تنعقد برجل أو رجلين أو خمسة[1] مع تقاعد جمع كثير عنها من عمد الصحابة وأعيانهم كما فصَّلناه في الجزء السابع ص ٩٣ ثمَّ لم يجمعهم مع القوم إلَّا الترعيد والترغيب ومحاشد الرجال وبروق الصوارم وكان من حشدهم اللهام رجالٌ من الجنِّ رموا سعد بن عبادة أمير الخزرج.

وأمَّا خلافة عمر فكانت بالنصِّ من أبي بكر مع إنكار الصحابة عليه ونقدهم إيَّاه بذلك ، وكم أُناس كانوا يشاركون طلحة في قوله لأبي بكر : ماتقول لربِّك وقدوليت علينا فظَّاً غليظاً[2].

وأمَّا عثمان فنصبته الشورى على هنات بين رجال الشورى وعقد له عبدالرَّحمن بن عوف ولم يشترطوا كما قال الايجي[3] إجماع مَن في المدينة فضلاً عن إجماع الأُمَّة نعم : عقد عبد الرَّحمن البيعة لصاحبه وسيفه مسلولٌ على رأس الإمام عليٍّ بن أبي طالب قائلاً له : بايع وإلَّا ضربت عنقك . ولحقه أصحاب الشورى قائلين بايع وإلَّا جاهدناك . أنساب البلاذري ٥ : ٢٢ .

والتمحُّل بحصول الاجماع بعدذلك تدريجاً لا يُجديهم نفعاً ، فإنَّ الخلافة قد ثبتت عندهم بالبيعة الأولى فجاء متمِّموا الاجماع بعد ذلك على أساس موطَّد .

وأمَّا ثانياً فإنَّ من الممكن على فرض التنازل مع التفتازاني أن يكون اجماعهم على خلافة الثلاثة لكونهم معصومين كما ينصُّ به هو ، وأمَّا الاجماع المنقول عنهم بعدم وجوب العصمة فممَّا لا طريق إلى تحصيله من آراء الصحابة ، فمتى سبر التفتازاني نظريَّات السَّلف وهم معدودون بمئات الألوف فعلم من نفسيَّاتهم انَّهم لا يرون وجوب العصمة في خلفائهم وهم رهائن أطباق الثرى؟ ومن ذا الذي كان يسعه أن يعلمها فينهيها إلى التفتازاني وهلمَّ جرَّاً إلى دور الصحابة؟ ومتى كانوا يتعاطون المسائل الكلاميَّة ويتفاوضون

(١) راجع ما مرَّ في الجزء السابع ص١٤١-١٤٣ ط٢
(٢) مرت كلمته في ج ٧ : ١٥٢ . وراجع الرياض النضرة ١ : ١٨١ كنز العمال ٦ : ٣٢٤
(٣) مرَّت كلمته في الجزء السابع ص ١٤١ ط ٢.

عليها فيحفي هذا خبر ذاك ثمّ ينقله إلى ثالث إلى أن يتسلسل النقل فيشيع ؟ والسابر لصحائف دور الخلافة الأُولى منذ يوم السقيفة إلى يوم الشورى لايجد لأمر العصمة في منتديات القوم ذكراً ولا يسمع منه ركزاً ، وإنّما اتّخذوا أمر الخلافة كملوكيّة يتسنّى لهم بها الحصول على أمن البلاد وحفظ الثغور وقطع السارق والاقتصاص من القاتل وما إلى هذه من لداتها كما فصّلنا القول فيه تفصيلا ج ٧ ص١٣٦ وعلى ذلك جرى العلماء و المتكلّمون فليس لهم في الشروط النفسانيّة من العلم والتقوى و القداسة أخذٌ ولا ردٌّ إلّا كلمات سلبيّة حول إشتراطها ، و متى كانت الخلافة عند السلف إمرة دينيّة حتى يبحثوا عن حدودها ؟ ولم تكن إلّا سياسة وقتيّة مدبّرة بليل .

و أمّا ثالثاً : فإنّا لانحتجّ بالإجماع إلّا بعد ثبوت حجيّته ، فإذا ثبتت فانّها لا تختصّ بمورد دون آخر فيجب أن يكون حجّة في الخلافتين معاً من أبي بكر وعثمان ذلك على نصبه ، و هذا على استباحة قتله ، و النقض بخروج ثلاثة أو أربعة من ساقة الأُمويّين أو ممّن يمتّ بهم و يحمل بين جنبيه نزعتهم في الإجماع على عثمان مقابلٌ بخروج أُمّة صالحة عن الإجماع الأوّل من أعيان الصحابة وفي طليعتهم سيّد العترة و إمام الأُمّة امير المؤمنين عليّ عليه السلام والامامان الحسنان و الصدّيقة الطاهرة أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا ، إلى غيرهم من بني هاشم والعمد و الدعائم من المهاجرين و الأنصار ، و وفاقهم الأخير مشفوعاً بالترهيب لايُعدُّ وفاقاً ولايكون متمّماً للاجماع ، فانّهم كانوا مستمرّين على آرائهم و إن ألجأتهم الظروف و حِذار وقوع الفرقة إن شهروا سيفاً و باشروا نضالاً إلى المغاضاة عن حقّهم الواضح والمماشاة مع القوم كيفما حلّوا وربطوا ، فهذا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يقول بعد منصرم أيّام الثلاثة في رحبة الكوفة : أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ، و انّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى ، ينحدر عنّي السيل ، ولايرقى إليّ الطير ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحاً ، و طفقت أرتأي بين أن أصول بيدجذّاء أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، و يشيب فيها الصغير ، و يكدح فيها مؤمنٌ حتّى يلقى ربّه ، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، و في الحلق شجي ، أرى تراثي نهبا ، حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده . ثمّ تمثّل

بقول الأعشى :

شتّان مايومي على كورها ☆ و يوم حيّان أخي جابر

فياعجباً بيناهو يستقيلها في حياته إذعقدهالآخر بعد وفاته ، لشدّ ماتشطّرا ضرعيها ، فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسّها ، ويكثر العثارفيها والإعتذارمنها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم ، و إن أسلس لها تقحّم ، فمني الناس لعمر الله بخبط و شماس ، و تلوّن و اعتراض ، فصبرت على طول المدّة ، و شدّة المحنة ، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم ، فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر ، لكنّي أسففت إذاسفّوا وطرت إذا طاروا ، فصغا رجلٌ منهم لضغنه ، و مال الآخر لصهره ، مع هنٍ و هنٍ ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنوأبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهزعليه عمله ، وكبت به بطنته [1] .

تُعرب هذه الخطبة الشريفة عن رأيه عليه السلام في الخلافة ، و كلّ جملة منها تشهد على عدم العصمة المزعومة ، أو تمثّل اولئك المعصومين للملأ بعُجرهم و بُجرهم ، أضف اليها قوله عليه السلام من كتاب له إلى معاوية : ذكرت إبطائي عن الخلفاء ، و حسدي إيّاهم ، والبغي عليهم ، فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون ، و أمّا الكراهة لهم فوالله ما اعتذر للناس من ذلك ، وذكرت بغيي على عثمان و قطعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت و عمل به الناس ماقد بلغك [2] .

وقوله عليه السلام من خطبة له لمّا أراد المسير إلى البصرة : إنّ الله لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم استأثرت علينا قريش بالأمر و دفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافّة ، فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين و سفك دمائهم ، والناس حديثو عهد بالإسلام ، والدين يمخض مخض الوطب . يفسده أدنى و هن ، و يعكسه أقلّ خلق ، فولي الأمر قومٌ لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ، ثمّ انتقلوا إلى دار الجزاء و الله وليّ تمحيص سيّآتهم والعفو عن هفواتهم [3] .

(١) راجع الجزء السابع ص٨١-٨٥.

(٢) العقد الفريد ٢ : ٢٨٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٠٢.

وقوله عليه السلام : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قُبض وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي ، فبايع النّاس أبا بكر فبايعت كما بايعوا ، ثمّ أنّ أبا بكر هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي فبايع النّاس عمر بن الخطاب فبايعتُ كما بايعوا ، ثمّ ان عمر هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي فجعلني من ستّة أسهم فبايع النّاس عثمان(١) .

وقوله عليه السلام يوم قال أبوبكر لقنفذ وهو مولى له : اذهب فادع لي عليّاً . فذهب إلى عليّ فقال : ماحاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله . فقال عليٌّ : لسريع ماكذبتم على رسول الله . فرجع فأبلغ الرّسالة ثمّ قال أبو بكر : عُد إليه فقل له : أميرالمؤمنين يدعوك لتبايع . فجاءه قنفذ فأدّى ماأُمر به فرفع عليٌّ صوته فقال : سبحان الله لقد ادّعى ما ليس له . الحديث . الإمامة والسياسة ١ : ١٣ .

إلى كلمات اُخرى توقف الباحث على جليّة الحال .

فأين العصمة المزعومة ؟ ثمّ أين الإجماع المدّعى عليها ؟ وأنّى كان الإجماع على الخلافة ؟ ومتى تحقّق ؟ وإن تمّ الإجماع فيجب أن يحتجّ به في الخلافتين وصاحبيهما وإن ابطلناه ففيهما معاً .

ونحن لو اندفعنا إلى تفنيد أمثال هذه السفاسف المنبعثة عن الغلوّ في الفضائل لضاق بنا المجال عن السير في مواضيع الكتاب على أنّها غير مُبتنية على اُسس رصينة تستحقّ أخذاً بها أو ردّاً عليها ، وإنّما ذكرنا هذه الاُسطورة فحسب لأن نعطيك شيئاً من نماذج تلكم الأقاويل المسطّرة بلا أيّ تعقّل و تدبّر ، فدونك شيئاً ممّا عزوه إلى الرّوايات من فضايل الثلاثة .

١ـ أخرج الإمام الفقيه المحدّث الثقة(٢) أبو الحسين محمّد بن أحمد الملطي الشافعي المتوفى ٣٧٧ في كتابه « التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع » ص٢٣ قال : قال محمّد بن عكاشة رحمه الله أخبرني معاوية بن حمّاد الكرماني عن الزهري قال : مَن اغتسل ليلة الجمعة وصلّى ركعتين يقرأ فيهما (قل هو الله أحد) ألف مرّة رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في منامه . قال محمّد بن عكاشة : فدمت عليه كلّ ليلة جمعة اُصلّي الركعتين أقرأ

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ١٧١ .
(٢) كذا وصفوه وأنت تعرف صدق وصفه من حديثه .

فيهما (قل هو الله أحد) ألف مرّة طمعاً أن أرى النبيّ صلى الله عليه وسلم في منامي فأعرض عليه هذه الأُصول فأتت عليَّ ليلة باردة فاغتسلت وصلّيت ركعتين ثمَّ أخذت مضجعي فأصابني حلمٌ، فقمت ثانية فاغتسلت وصلّيت ركعتين، وفرغت منهما قريباً من الفجر فاستندت إلى الحائط ووجهي إلى القبلة إذ دخل عليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ووجهه كالقمر ليلة البدر وعنقه كابريق فضّة فيه قضبان الذهب على النعت والصفة، وعليه بردتان من هذه اليمانيّة قد إتّزر بواحدة وارتدى بأُخرى، فجاء واستوفز على رجله اليمنى و أقام اليسرى فأردت أن أقول: حيّاك الله فبادرني وقال: حيّاك الله. وكنت أُحبّ أن أرى رباعيّته المكسورة فتبسّم فنظرت إلى رباعيّته فقلت: يا رسول الله! إنّ الفقهاء والعلماء قد اختلفوا عليّ وعندي اصولٌ من السنّة أعرضها عليك فقال: نعم. فقلت:

الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله، والنهي عمّا نهى الله عنه، والإخلاص بالعمل لله، والايمان بالقدر خيره وشرّه من الله، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع أهل القبلة، والصّلاة على من مات من أهل القبلة سُنّة، والايمان يزيد وينقص، قولٌ وعملٌ، والقرآن كلام الله، والصبر تحت لواء السلطان على ماكان فيه من جور وعدل، ولا يُخرج على الآمر بالسيف وإن جاروا، ولا ينزل أحدٌ من أهل التوحيد جنّة ولا نار، ولا يكفّر أحدٌ من أهل التوحيد بذنب وإن عملوا الكبائر، والكفّ عن أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم ـ فلمّا أتيت: والكفّ عن أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم بكى حتّى علا صوته ـ و أفضل النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ عليّ. قال محمّد بن عكاشة: فقلت في نفسي في عليّ: ابن عمّه وختنه. فتبسّم صلى الله عليه وسلم كأنّه قد علم ما في نفسي. قال محمّد: فدمت ثلاث ليال متواليات أعرض عليه هذه الأُصول كلّ ذلك أقف عند عثمان وعليّ فيقول لي صلى الله عليه وسلم: ثمَّ عثمان ثمَّ علي. ثمَّ عثمان ثمَّ علي: ثلاث مرّات. قال: وكنت أعرض عليه هذه الأُصول وعيناه تهملان بالدموع قال: فوجدت حلاوة في قلبي وفمي فمكثت ثمانية أيّام لا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتّى ضعفت عن صلاة الفريضة فلمّا أكلت ذهبت تلك الحلاوة واللذّة والله شاهدٌ عليَّ وكفى بالله شهيدا.

وقال أمير المؤمنين المتوكّل رحمه الله لأحمد بن حنبل رضي الله عنه: يا أحمد!

إنّي اُريد أن أجعلك بيني و بين الله حجّة فأظهر ني على السنّة والجماعة وما كتبته عن اصحابك عمّا كتبوه عن التابعين ممّا كتبوه عن أصحاب رسول الله . فحدّثه بهذا الحديث .

قال الأميني : نحن نجد الباحث في غنيّ عن البحث عن هذه الاُسطورة وما فيها من مضحكات الثكلى ، و نجلّ أحمد عن أن يتّخذها حجّة بينه و بين الله فيلقّنها خليفة وقته ، و نُربي به عن تصديق مثل محمّد بن عكاشة الذي جاء فيه قول ابن عساكر بعد روايته هذه الرؤيا : قال سعيد بن عمرو البردعي: قلت لأبي زرعة : محمّد بن عكاشة الكرماني . فحرّك رأسه فقال : رأيته و كتبت عنه و كان كذّاباً . قلت : كتبت عنه الرؤيا التي كان يحكيها ؟ قال : نعم كتبت عنه فزعم انّه عرض على شبابة : الايمان قولٌ وعملٌ ويزيد و ينقص فيه اي به ، و أنّه عرض على أبي نعيم : عليٌّ ثمّ عثمان فقال به و هو كذوبٌ ولايحسن انّه يكتب ايضاً ، يعني إنّ شبابة لايقول بذلك وكذا أبو نعيم قلت : اين رأيته ؟ قال : قدم هنا مع محمّد بن رافع و كان رفيقه كنت أرى له سمتاً و لقيني محمّد ابن رافع فكره أن يقول فيه شيئاً وقال لي : لايخفى عليك أمره إذا فاتحته فقلت : إن رأيت أن تفيدني شيئاً قال : نعم . ثمّ كاد يصعق و اضطرب بطنه فها لني ذلك ثمّ أقبل عليّ فقال : إنّ اوّل ماأملى عليّ أن كذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى عليّ وعلى ابن عبّاس . الخ(١) .

و ذكره الحاكم في الضعفاء فقال: منهم جماعةٌ وضعوا كما زعموا يدعون الناس إلى فضائل الأعمال مثل أبي عصمة ومحمّد بن عكاشة الكرماني ثمّ نقل عن سهل بن السري الحافظ انّه كان يقول : وضع أحمد الجويباري و محمّد بن تميم و محمّد بن عكاشة على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث . راجع ماأسلفناه في سلسلة الكذّابين ج ٥ : ٢٦١ ط٢ ، ولسان الميزان ٥ . ٢٨٦ ـ ٢٨٩.

فرجلٌ هذا حاله و تلك صفته وذلك حديثه ليس بالمستطاع تصديقه علي دعاويه المجرّدة في المبادئ و المعتقدات ، و العجب كلّ العجب من الفقيه الثقة الذي يعتمد على مثلها من خزاية ، قاتل الله الحبّ المعمي و المصمّ هو الذي حدى القوم إلى تفتين بسطاء الاُمّة بمثل هذه الخزعبلات و الله يعلم أنّهم لكاذبون .

---

(١) لسان الميزان ٥ : ٢٨٧.

٢ـ أخرج البلاذري في الأنساب ٥ : ٥ عن خلف البزّار عن أبي شهاب الحنّاط[1] عن خالد الحذّاء البصري عن أبي قلابة البصري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ أرحمكم أبوبكر ، وأشدّكم في الدين عمر ؛ وأقرؤكم اُبيّ ، و أصدقكم حياءً عثمان ، و أعلمكم بالحلال و الحرام مُعاذ بن جبل ، وأفرضكم زيدبن ثابت ، وإنّ لكل اُمّة أميناً وأمين هذه الاُمّة أبوعبيدة الجراح .

و أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١ : ٣٢٥ محذوف الإسناد بلفظ : أرحم اُمّتي أبوبكر ، وأشدّهم في دين الله عمر ، و أصدقهم حياءً عثمان ، وأفرضهم زيد ، و أقرأهم اُبيّ بن كعب . إلخ .

ورواه في ج ٦ : ١٩٩ من طريق أبي سعيد الخدري وعقبه : قال العقيلي : أسانيد هذه الأحاديث غير محفوظة و المتون معروفةٌ .

قال الأميني : ألا تعجب من اُسطورة جاء بها خلف البزّار الثقة الأمين العابد الفاضل السكّير . قال أبوجعفر النفيلي : كان من أصحاب السنّة لولا بليّةٌ كانت فيه : شرب النبيذ .

وذُكر خلف عند أحمد ـ إمام الحنابلة ـ فقيل : يا أباعبدالله ! انّه يشرب . فقال : قد انتهى إلينا علم هذا عنه ، ولكن هو والله عندنا الثقة الأمين شرب أولم يشرب[2]

والرواية نفسها شاهد صدق على ما انتهى إلى إمام الحنابلة علمه من خلف البزّار والّذين أخذوها منه ورووها عنه إنّما أقحمتهم فيها سكرة الهوى لانشوة السّلافة .

و لتقديس ذيل هذا الثقة الأمين عن رجاسة النبيذ جاء الخطيب البغدادي بما رواه عن محمّد بن أحمد بن رزق عن محمّد بن الحسن بن زياد النقّاش قال : سمعت ادريس ابن عبدالكريم الحدّاد يقول : خلف بن هشام يشرب من الشراب على التأويل فكان ابن اخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ ـ ليميز الله الخبيث من الطيّب ـ فقال ياخال ! إذا ميّز الله الخبيث أين يكون الشراب ؟ قال : فنكس رأسه طويلاً ثمّ قال : مع الخبيث . قال : فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث ؟ قال : يابنيّ امض إلى المنزل

(١) عبد ربّه بن نافع السكناني ، ثقة ليس بالقوى يهم فى حديثه ويخطىء .
(٢) إقرأ واحكم .

فاصبب كلّ شيئ فيه، وتركه، فأعقبه الله الصوم، فكان يصوم الدهر إلى أن مات.

حبّذا هذا التنزيه لوصدقت الأحلام، و هو و إن كان معقولاً أحسن من رأي الإمام أحمد من أنّه الثقة الأمين شرب أولم يشرب. فإنّه رأيٌ تافهٌ لاتساعده البرهنة ولا يوافقه الشرع والعقل والمنطق، والله يقول: يا أيّها الّذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا [١] غير أنّ من المأسوف عليه جدّاً بطلان إسناده لمكان محمّد بن الحسن النقّاش فإنّه كذّبه طلحة بن محمّد، ووهّاه الدارقطني، ودلّسه أبوبكر، وقال البرقاني: كلّ حديثه منكر، وذكر عنده تفسيره فقال: ليس فيه حديثٌ صحيح. و كلّ هذه ذكره الخطيب نفسه فبماذا يُنزّه الرجل؟ وأنّى يتأتّى له أمله؟

وإنّي أشكر من انتهى إليه وضع هذه الأكذوبة على انّه لم يذكر مع القوم مولانا أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام الذي هو أربى من كلّهم في جميع الصفات المذكورة فانّه يُرفع عن أن يُذكر في عداده أيّ أحد، كما أنّ فضائله أربى من أن تُذكر معها فضيلة.

وها هنا لا نناقش متن الرواية في الأوصاف التي حابت القوم بها، فلعلّ فيها ماهو مدعومٌ بالبرهنة، فيشهد على كون أبي بكر أرحم الأمّة إحراقه الفجاءة، و غضّه الطرف عن وقيعة خالد بن الوليد في بني حنيفة وخزايته مع مالك بن نويرة وزوجته [٢] وعدم اكترائه لأمر الصدّيقة فاطمة في دعواها، وكانت له مندوحة عن مجابهتها باسترضاء المسلمين واستنزال كلّ منهم عن حصّته من فدك إن غاضينا القوم على الفتوى الباطلة والرواية المكذوبة في انقطاع إرث النبوّة خلافاً لآيات المواريث المطلقة وإرث الأنبياء خاصّة، على أنّ فاطمة سلام الله عليها وابن عمّها ماكانا يجهلان بما تفرّد بنقله أبوبكر وصافقته على قوله سماسرته من الساسة لأمر دبّر بليل، و أمير المؤمنين عليه السلام أقضى الأمّة و باب مدينة علم النبي، والصدّيقة فاطمة بضعته و ماكان يشحّ صلى الله عليه وآله وسلم عليها من إفاضة العلم ولاسيّما علم الأحكام وعلى الأخصّ ما يتعلّق بها، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أنّها سوف تقيم الدعوى على صحابته المتغلّبين على فدك و أنّها ستمنع عنها ويحتدم بينها و

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) راجع الجزء السابع ص ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨ ط٢.

بينهم الشجار ، ويستتبع ذلك انشقاقاً بين الأُمّة إلى يوم القيامة ، فمن مزدلفة إلى بضعة النبوّة ، ومن جانحة إلى مَن منعها عن حقّها ، فكان من الواجب أن يسبق ﷺ إلى ابنته بتفصيل حكم هذا شأنه قبل أبي بكر .

ألم تكن لأبي بكر مندوحة تصحّح إقطاع فاطمة فدكاً وردّها إليها حتّى لا يفتح باب السوءة على الأُمّة كما ردّها عمر إلى ورثة النبيّ الأقدس ، و أقطعهما عثمان مروان وأقطعها معاوية مروان وعمرو بن عثمان ويزيد بن معاوية على الأثلاث ، إلى ما رأى فيها الخلفاء بعد هم من التصرّف كتصرّف الملاّك في أملاكهم (١)

سَلْ عن صفة أبي بكر هذه فاطمة وهي صدّيقة يوم خرجت عن خدر ها و هي تبكي وتنادي بأعلى صوتها : يا أبتَ ! يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة (٢) .

وسَلها عنها يوم لاثت خمارها على رأسها ، وأشتملت بجلبابها ، و أقبلت في لُمّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار و غير هم ، فنيطت دونها ملاءة ، ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء ، وارتجّ المجلس (٣)

وسَلها عنها يوم قالت لأبي بكر: والله لأدعونّ عليك بعد كلّ صلاة اُصلّيها .

وسلها عنها يوم ماتت وهي واجدة على أبي بكر، وهي التي طهّرها الجليل بآية التطهير ، وصحّ عن أبيها قوله ﷺ : فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني ، يؤذيني ما آذاها ، ويغضبني ما أغضبها (٤)

وقوله : فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ فمن آذاها فقد آذاني (٥)

وقوله : إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها (٦) .

---

(١) راجع ج ٧ ص ١٩٥ ط ٢.

(٢) راجع ج ٧ ص ٧٧.

(٣) راجع ج ٧ ص ١٩٢ ط ٢.

(٤) راجع ج ٧ ص ٢٣١-٢٣٥ ط ٢.

(٥) راجع ج ٧ ص ٢٠.

(٦) راجع ج ٧ ص ٢٣٥ ط ٢.

وسَلْ عنها أمير المؤمنين وهو الصدِّيق الأكبر يوم قادوه كما يُقاد الجمل المخشوش إلى بيعة عمَّت شومها الإسلام، وزرعت في قلوب أهلها الآثام، وعنَّفت سلمانها، وطردت مقدادها، ونفت جندبها، وفتقت بطن عمّارها، وحرَّفت القرآن، وبدَّلت الأحكام، وغيَّرت المقام، وأباحت الخمس للطلقاء، وسلّطت أولاد اللعناء على الفروج و الدماء، و خلطت الحلال بالحرام، و استخفَّت بالايمان و الإسلام، و هدمت الكعبة، و أغارت على دار الهجرة يوم الحرَّة، وأبرزت بنات المهاجرين والأنصار للنكال والسوءة، و ألبستهنَّ ثوب العار والفضيحة، ورخَّصت لأهل الشبهة في قتل أهل بيت الصفوة وإبادة نسله، واستيصال شأفته، وسبي حرمه، وقتل أنصاره، وكسر منبره، و إخفاء دينه، و قطع ذكره. إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وسل عنها أمير المؤمنين يوم لاذ بقبر أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي و يقول: يا ابن أمَّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني(١).

إلى غير هذه من دلائل كون أبي بكر أرحم الأمّة.

وأمّا كون عمر أشدَّهم في الدين فمن جليّة الواضحات إنَّ الشدَّة في الدين ليست هي الفظاظة والغلظة فحسب وإنّما هي التهالك في التمسُّك بعروتي الكتاب والسنّة و العمل بهما والأخذ والقيام بما جاء فيهما من الحدود، وما أكثر ما خالفهما الرجل و نبذهما وراء ظهره واتّخذ برأيه الشاذِّ عنهما؟ ودع عنك ما جهله منهما. وما قيمة شدَّة بلا علم؟ وما مقدار شدَّة مع التنكّب عن أساسيّات الدين؟ مع الخروج عن طقوس الإسلام، مع التمسُّك بالأهواء والشهوات؟ راجع نوادر الأثر في علم عمر من الجزء السادس ص٨٣-٣٣٣ط٢ فإنّك تجد هنالك شواهد قويّة على إثبات هذه الصفة فاقرأها وتبصَّر.

وأمّا كون عثمان أصدقهم حياءً فيكفي دلالة عليه الجزء الثامن والتاسع من هذا الكتاب وكلُّ صحيفة منهما آية من آيات صفته تلك، مضافاً إلى ما سردناه في هذا الجزء ص ٢٧٤ - ٢٨٩ من البحث الخاصّ في حيائه.

وأمّا الثلاثة الباقون فلا نطيل البحث عن إثبات ما ذكر لهم، ففيه تضييعٌ للوقت وشغلٌ عمّا هو أهمُّ من ذلك، ومن سبَر كتابنا هذا عرف أعلم الأمّة وأفرضها وأعينها

(١) راجع الجزء السابع ص ٧٨.

وعلم أنّه غيرهم، فلا يدلّس ساحة الاُمّة بأمثال المذكورين، ولا يُخاف عليه ممّا كان يَخاف النبيّ الأقدس صلّى الله عليه وآله على اُمّته كما جاء عنه: أخاف على اُمّتي من بعدي ضلالة الأهواء، واتّباع الشهوات، والغفلة بعد المعرفة. «اُسد الغابة ١ : ١٠٨».

٣ ـ في كتاب المناقب من صحيح البخاري ٥ : ٢٤٩ عن محمّد بن الحنفيّة قال: قلت لأبي: أيّ الناس خيرٌ بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قال: أبوبكر. قلت: ثمّ مَن؟ قال: ثمّ عمر. وخشيت أن يقول: ثمّ عثمان قلت: ثمّ أنت؟ قال: ما أنا إلّا رجلٌ من المسلمين.

وفي لفظ الخطيب في تاريخه ١٣ : ٤٣٢ : قال قلت: يا أبت! مَن خير الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قال: يابُنيّ أوَ ما تعلم؟ قال: قلت: لا. قال: أبوبكر. قال: قلت: ثمّ من؟ قال: يابُنيّ؟ أوَ ما تعلم؟ قال: قلت: لا. قال ثمّ عمر. قال: ثمّ بدرته فقلت: يا أبت! ثمّ أنت الثالث. قال: فقال لي: يابُنيّ أبوك رجلٌ من المسلمين له ما لهم و عليه ما عليهم.

قال الأميني: ليست هذه أوّل سقطة من سقطات البخاري، و من عرف معتقد أمير المؤمنين علي عليه السلام في الذين تقدّموه وما استمرّ عليه دؤبه من التصريح بذلك المعتقد تارة والتلويح إليه اُخرى لايشكُّ في أنّ ما عُزي اليه بهتانٌ عظيمٌ.

وليس ابن الحنفيّة ذلك الذي لا يعرف أباه ولا نظريّته في القوم بعد اللتيا والتي حتى يسأله عن اولئك الرجال ثمّ يخاف عن أن يقول في المرّة الثالثة عثمان وهو يعرفه بعُجره وبُجَره لامحالة، و يعلم أنّه هو أحد الثلاثين من بني أبي العاص الذين صحّ فيهم قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دخلاً[1]

لماذا كتم أمير المؤمنين عليه السلام من ابن الحنفيّة رأيه هذا يوم مقتل عثمان لمّا أراد الإمام عليه السلام أن يأتي الرجل وينصره فأخذ ابن الحنفيّة بضبعيه أو بكفّيه أو بحقويه يمنعه من ذلك[2]

حاشا ابن الحنفيّة من الجهل بما جاء في أبيه الطاهر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله من

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثامن ص ٢٥٠، ٢٥١، ٣٠٥ ط ٢

(٢) الانساب ٥ : ٩٤.

قوله : إنّه خير البريّة ، و إنّه خير البشر ، و إنّه خير من أتركه بعدي ، و إنّه خير الناس ، وإنّه خير الرجال ، وإنّه أحد الخيرتين[1] ومحمّد بن الحنفيّة هو الذي كان ينشد شاعره كثير عزة بين يديه قوله :

أنت ابن خير الناس من بعد النبي ☆ يابن عليّ سرْ ومَن مثل علي؟[2]

وأنّى تصحّ نسبة هذه المزعمة إلى عليّ عليه السلام وقد جاء عنه من عدّة طرق إنّه قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مسنده إلى صدري فقال : أي علي؟ ألم تسمع قوله الله تعالى « إنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات هم خير البريّة » ؟ أنت وشيعتك . وورد عن جابر: إنّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانو إذا أقبل عليٌّ قالوا : قد جاء خير البريّة . راجع ما أسلفناه في ج٢ : ٥٢ . أخرجه مضافاً إلى ماذكرناه هنالك من المصادر ابن أبي حاتم في تفسيره ، قال السيوطي في لئاليه ١ : ١٢ : التزم ابن أبي حاتم أن يخرج في تفسيره أصحّ ما ورد ولم يخرج حديثاً موضوعاً البتّة . هـ .

ولو كان يرى أمير المؤمنين أنّ أبابكر خير الناس فلماذا تقاعد عن بيعته إلى أن توفّيت سيّدة النساء فاطمة ؟ وكان له وجه عند الناس أيّام حياتها كما أخرجه البخاري نفسه ، وصافقه على ذلك بنو هاشم و مَن وافقهم من غيرهم من وجوه الأمّة و أعيان الصحابة ، أو لم يكن فيهم من يعرف منزلة الصدّيق هذه ؟ و ما بال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يحمل الصدّيقة الطاهرة على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة على خير البشر ؟[3] و لماذا لم يكن في مقال الدعاة إلى أبي بكر ايضاً يوم السقيفة و بعده مايومي إلى أنّه خير البشر ؟ بل كان رطب ألسنتهم : انّه السبّاق المسنّ وثاني اثنين إذ هما في الغار[4] مشفوعاً كلّ ذلك بالإرهاب والترعيد . أفلم يدّبروا القول ، أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأوّلين ؟ .

هب أنّ الصحابة يوم ذاك ماكانوا يعرفون منزلة الرجل ، فهلاّ نبّههم عليه أمير المؤمنين وأمرهم باتّباع خير الناس وفيهم من كان أطوع له من الظلّ لذيه ، فقمّ بذلك

(١) راجع مامضى فى الجزء الثانى ص٥٧ ، وج ٣ : ٢٢ ، ٢٤ ط٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٥ : ٧٩.

(٣) الامامة والسياسة ١ : ١٢.

(٤) راجع الجزء السابع ص٩١ ط٢.

جذوم الفتنة، واستأصل جذورها، وكسح الخلاف من بين المسلمين، فلم يتركها فتنة عمياء تحتدم عليها الإحن، وتتعاقب المحن؟ حاشا مولانا أمير المؤمنين من كلّ هذه، لكنّه لم يعرف ما عُزي إليه من حديث خير النّاس ولا اعترف بمفاده طرفة عين، بل كان صلوات الله عليه يرفع عقيرته بما يضادّ هذه المزعمة في صهوات المنابر بين الملأ الدينيّ، وقد مرّ شطرٌ من تلكم الكلم في هذا الجزء.

نحن هاهنا لسنا في مقام إثبات أنّ عليّاً خير البشر بعد صنوه الطاهر صلّى الله عليهما و آلهما. كلاّ ثمّ كلاّ.

ولسنا في صراط بيان المفاضلة بينه سلام الله عليه وبين خلفاء الإنتخاب الدستوري، حاشا ثمّ حاشا.

وإنّما يروقنا جدًّا أن نمركز لهذا الإنسان الكامل في الملأ الدينيّ مكانة فرد من آحاد المسلمين، ونجعلها كلمة سواء بيننا وبين القوم، ونتصافق على هذا فحسب. أللهمّ غفرانك وإليك المصير.

يا حبّذا بعد ما صدّق القوم ما عُزي إليه صلوات الله عليه من قول: ما أنا إلّا رجلٌ من المسلمين. أو قوله لابنه: يابُنيّ أبوك رجلٌ من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم. كانوا يعدّونه رجلاً منهم وأجروا عليه أحكام من آمن بالله وأسلم، وكان له ما لهم وعليه ما عليهم. بل ليتهم كانوا اتّبعوا رأي عثمان فيه ويرون مروان بن الحكم اللعين ابن اللعين بلسان النبيّ الأقدس أفضل منه. وليتهم ساووا بينه وبين سفلة الأعراب، والطبقة الواطئة الساقطة من الصحابة، لكن: أنّى؟ ثمّ أنّى؟.

قل لي بربّك أيّ مسلم شريف أو وضيع لُعن غيره في ثمانية عشر ألف منبر، ولم ينبس ابن اُنثى ببنت شفة في الدفاع عنه؟.

قل لي بربّك أيّ مسلم سائد أو سوقة غير سيّد العترة سُنّ سبّه في الجمعة و الجماعة في الحواضر الإسلاميّة جمعاء، وتختم بلعنه أندية الوعظ والخطابة، و مَن نهى عن ذلك يُنفى عن عقر داره؟ قال الجنيد بن عبد الرّحمن بن عمرو: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي فصلّيت الجمعة ثمّ خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخٌ يقال له: أبو شيبة القاصّ، يقصّ على الناس فرغّب فرغبنا، وخوّف فبكينا، فلمّا

انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب، فلعنوا أبا تراب عليه السلام، فالتفتُّ إلى مَن على يميني فقلت له: فمن أبوتراب؟ فقال: عليٌّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله وزوج ابنته، وأوّل الناس إسلاماً، وأبو الحسن والحسين. إلى آخر ما في تاريخ ابن عساكر ٣: ٤٠٧. وفيه أنّ الجنيد استنكر الأمر ولطم وجه الرجل فشكى إلى هشام ابن عبد الملك فنفى الجنيد إلى السند فلم يزل بها إلى أن مات.

قل لي بربِّك أيّ عزيز تحت ظلّ النبوّة غير عزيزنا المفدّى، أضهده نيرالمذلّة، وأصبح ضُهدةً لكلّ أحد، جرّعته يد الإحن كاسات المحن، حتّى سئِم من حياته، وصبر وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، يرى تراثه نهبا؟.

قل لي بربِّك أيّ صحابيّ غير عليّ عليه السلام لايستقيم الأمر لأُمّة محمّد إلّا بسبّه؟ يقال لمروان: مالكم تسبّونه على المنابر؟ فيقول بملء فمه. إنّه لايستقيم لنا الأمر إلّا بذلك[١].

قل لي بربِّك أيّ موحّد إسلاميّ في الملأ الدينيّ يُتبرّأ منه في بيعة خليفة المسلمين بيع الله و رسوله سوى عليّ عليه السلام؟ و قد اشترط معاوية البراءة منه عليه السلام في بيعته[٢].

قل لي بربِّك أيّ إنسان ثقل اسمه على الناس غير عليّ صلوات الله عليه؟ هذه عائشة لم تسمّه ولا تقدر على أن تذكره بخير، ولاتطيب له نفساً[٣] وكان معاوية أو عبدالملك بن مروان أو هما معاً يأمران إبن عبّاس أن يغيّر اسم ولده عليّ وكنيته[٤] وكان عليٌّ بن الجهم السلمي يلعن أباه لأنّه سمّاه عليّاً[٥].

قل لي بربِّك أيّ رجل أسلم وجهه لله و هو محسنٌ غير أوّل المسلمين يُرى

(١) الصواعق لابن حجر ص ٣٣.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢ . ٨٥.

(٣) مرّ الحديث باسناد صحيح فى هذاالجزء صفحة ٣٢٥.

(٤) تاريخ الطبرى ٨ : ٢٣٠، حلية الاولياء ٣ : ٢٠٧، الكامل للمبرد ٢ : ١٥٧، العقد الفريد ٣ : ٢٨٦، الكامل لابن الاثير ٥ : ٧٨، تاريخ ابن خلكان ١ : ٣٥٠، تهذيب التهذيب ٧ : ٣٥٨، شذرات الذهب ١ : ١٤٨.

(٥) لسان الميزان ٤ : ٢١٠.

لاعنوه وشاتموه ومعاندوه و قاتلوه و خاذلوه متأوّلين مجتهدين لايستحقّون مقتاً ولا أخذاً ولا هواناً ولاعقاباً ؟

قل لي بربّك أيّ ابن اُنثى من أبناء الإسلام عدا وليد الكعبة ابن فاطمة استحقّ شيعته ومحبّوه وأهله وذووه في المجتمع السبّ و اللعن و القتل و السبي والإزراء و الضرب و النكال و السوءة و الحبس في ظلم المطامير و قعر السجون ، و ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ؟

الهضيمة كلّ الهضيمة دفاع ابن حجر عن مثل حَكَم بن أبي العاص طريد النبيّ و لعينه و عن الوقيعة فيه بما تحقّق منه وعلم من الفاحشة ، و ذبّه عنه لمكان كونه صحابيّاً (١) .

الهضيمة كلّ الهضيمة ذبّ ابن حزم عن عبدالرّحمن بن ملجم قاتل أميرالمؤمنين و عدم تجويزه لعنه وتبريره عمله بأنّه مجتهدٌ مخطىءٌ (٢)

الهضيمة كلّ الهضيمة نصرة القاضي حسين الشافعي عمران بن حطّان مادح ابن ملجم قاتل الإمام الطاهر بقوله :

ياضربة من تقيّ ما أراد بها ✿ إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إنّي لأ ذكره حيناً فأحسبه ✿ أو في البريّة عند الله ميزانا

يحكم بعدم جواز لعنه زعماً بكونه صحابيّاً (٣) ذاهلاً عن أنّ ابن حطّان لم يكن صحابيّاً و إنّما هو من رؤس الخوارج الملعونين بلسان النبيّ الأقدس ، وُلد الرجل بعده صلى الله عليه وآله وسلم بمدّة .

الهضيمة كلّ الهضيمة تبرير ساحة معاوية الربا و الخمور من دنس طامّاته و موبقاته وجناياته الكبيرة على الإسلام والمسلمين وقتله آلافاً من صلحاء اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بكلمة واحدة موجزة ، بأنّه كان مجتهداً متأوّلاً مخطئاً (٤) .

الهضيمة كل الهضيمة الإعتذار عمّا اقترفه يزيد الخمور والفجور ، وتنزيه ساحته

(١) راجع مامضى فى الجزء الثامن ص٢٥١ ط٢.

(٢) راجع ما أسلفناه فى الجزء الاول ص٣٢٣ ط ٢.

(٣) الاصابة ٣:١٧٩.

(٤) الفصل لابن حزم ٤ : ٨٩ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٧٩.

من أرجاسه المكفّرة، و النهي عن لعنه و ذكره بالسوء بأنّه مسلم لم يثبت كفره وانّه إمامٌ مجتهد (١).

إلى مناصرات و مدافعات عن أمثال هؤلاء بشروى تلكم الكلم الفارغة، و أمّا سيّدنا المفدّى حبيب الله وحبيب رسوله فلسنا مغالياً إن قلنا: إنّ الأمّة كانت مصرّة على مقته، مجتمعة على قطيعة رحمه و إقصاء ولده إلّا القليل ممّن وفى لرعاية الحقّ فيه، فليت القوم أخذوا من بُخاريّهم و خطيبهم هذه الكلمة المعزوّة إلى أمير المؤمنين «ماأنا إلّا رجلٌ من المسلمين» ـ وإن كانت مختلقة ـ و أجروا عليه حكمها. لكن. لكن...

ثمّ كيف تُعزى إليه سلام الله عليه هذه المفاضلة و قد جاء عن النبيّ الأقدس قوله لفاطمة الصدّيقة: زوّجتك خير اُمّتي، أعلمهم علماً، و أفضلهم حلماً، و أوّلهم سلماً؟ مرّ في ج ٣: ٩٥ط٢.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ خير من أتركه بعدي.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: خير رجالكم عليُّ بن ابي طالب، و خير نسائكم فاطمة بنت محمّد.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ خير البشر فمن أبى فقد كفر.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من لم يقل عليٌّ خير الناس فقد كفر.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: لفاطمة سلام الله عليها: إنّ الله إطّلع على أهل الأرض فاختار منه أباكِ فبعثه نبيّاً، ثمّ اطّلع الثانية فاختار بعلكِ.

وقوله لها: إنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر زوجك (٢)

وليت شعري كيف تصحّ عنه هذه المفاضلة وقد اتّخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له نفساً كما جاء في الذكر الحكيم، و طهّره الجليل بآية التطهير، و قرن بين ولايته وولاية رسوله وبين ولاية عليّ في نصّ الكتاب الكريم، و أنزله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه منزلة هارون من موسى، و لم يستثن لنفسه إلّا النبوّة، واتّخذه صلى الله عليه وآله وسلم أخاً لنفسه يوم المؤاخاة المُبتنية على أساس المشاكلة في الملكات و النفسيّات، فكيف تتمُّ هذه كلّها وفي

(١) تاريخ ابن كثير ٨: ٢٢٣ ج ١٣: ٩.
(٢) راجع ما مرّ في ج ٣: ٢٠-٢٣ط٢

الاُمّة مَن هو أولى منه ؟

ولست أدري كيف كان عليٌّ امير المؤمنين أحبّ الخلق إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفي الاُمّة من هو خيرٌ منه ، وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله في حديث الطير المشوي الآتي ذكره إنشاء الله . اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي . فأتاه عليٌّ عليه السلام

و قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشه : إنّ عليّاً أحبّ الرجال إليّ و أكرمهم عليّ فاعرفي له حقّه و اكرمي مثواه .

وقوله : أحبّ الناس إليّ من الرجال عليّ .

وقوله : عليٌّ أحبّهم إليّ وأحبّهم إلى الله .

ولا تنس هاهنا قول عايشة : والله مارأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من عليّ . ولا قول بريدة واُبيّ : أحبُّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من النساء فاطمة و من الرجال عليٌّ[1] .

ثمّ مابال الصدّيقة فاطمة تموت و هي واجدةٌ على أبي بكر و عمر و هما خيرا البشر ؟ مابالها و نداؤها بعدُ في آذان الاُمّة المرحومة وهي باكيةٌ لاذت بقبر أبيها و تقول : يا أبت يارسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبي قحافة ؟ .

ما بالها وقولها للخيّرين : إنّي اُشهد الله و ملائكته إنّكما أسخطتماني و ما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه ؟ و حديث أنينها بعدُ دائرٌ سائرٌ بين حملة التاريخ .

مابالها وهي توصي بأن تدفن ليلاً ولا يُصلّي عليها أبو بكر ، ولا يحضر الخيّران تجهيزها و تشييعها ؟ وهذا النبأ العظيم بعدُ يدور في أندية الرجال[2] .

نعم : السرّ في ذلك كلّه أنّ الصدّيقة كابن عمّها أمير المؤمنين لاتعرف شيئاً من قول الزور ، ولعلّ الواقف على الجزء السادس و السابع من هذا الكتاب يُطلّ على كون الرجلين خير البشر بأقرب من هذا .

ونحن على يقين من أنّ الباحث النابه الحرّ بعد الوقوف على مافي غضون الأجزاء

---

(١) راجع مامر في ج٣ : ٢١-٢٣ ط ٢.

(٢) راجع ما مرّ في ج ٧ : ٢٢٧.

الخمسة الأخيرة من العشرة الأولى من أجزاء كتابنا هذا لا يبقى له قط ريب في أن رواة هذه الأساطير المختلقة والقائلين بمغزاها والمخبتين اليها صماً وعمياناً هم الغلاة في الفضائل حقاً ، فقد جاءوا ظلماً وزوراً وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ، فمن أظلم ممن كذب على الله و كذب بالصدق إذ جاءه ، فاصفح عنهم و قل سلام فسوف يعلمون .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

انتهى الجزء التاسع

من كتاب « الغدير » ويتلوه العاشر إن شاء الله

يبدأ فيه ببقية مناقب الخلفاء الثلاثة

لفت نظر

كلّ فصل وكلمة وجملة توجد في المتن أو التعليق مرموزة بـ م في هـذا الجزء و بقيـة أجزاء الكتـاب فهي من ملحقات الطبعة الثانيـة وزياداتها ، تبدأ بـ م وتنتهي بقوس تتلوها .

كتب أتتنا من عفك

أتانا كتابٌ من الشاعر الشريف السيِّد نعمة السيِّد حسّون البعّاج المحترم ، صدّره بجمل الثناء الضافية على كتابنا « الغدير » وشفّعها بقوله :

فأيُّ غدير جاء والبحر دونه ؟ ✡ غديرك بحرٌ لا يُساجله البحرُ
فإن قلتَ إنَّ البحر باهى بدرّه ✡ ففيه عقودٌ لا يُماثلها الدرُّ

ثمَّ ختمه بأبيات راجياً أن تنشر في هذا الجزء ألا وهي :

كتاب « الغدير » جليلٌ خطير ✡ وفيه لعمري بلوغ الأربْ
ذكاءٌ وسرنا على ضوئها ✡ لقصد إليه الورى تقتربْ
أعبد الحسين ! ويا حاوياً ✡ جماع الكمال وعقد الأدبْ
فكيف أُحبّر فيك الثنا ✡ وأنت تُجدّد مجد العربْ
أعبد الحسين ! بمجد الحسين ✡ حباك المهيمن أسمى الرتبْ
« فيا أيُّها السيِّد الفاضل الشريف الفعال المنيف الحسبْ »
هلال الكمال بأُفق العراق ✡ توارى زماناً وعنّا احتجبْ
ومذ جاءنا بالغدير البشير ✡ بدى مشرقاً بعد ما قد غربْ
فقأت عيوناً غداة به ✡ أعدت لقوم ليالي الطربْ
فهذا « الغدير » لنا منهلٌ ✡ لصادي الفواد شرابٌ عذبْ
وهذا « الغدير » وربِّ الغدير ✡ يفوق النضار وما من عجبْ
فأين الجواهر منه تكون ؟ ✡ وأين اللجين و أين الذهبْ ؟
فسفر هدىً فاق أضرابه ✡ هو الرأس حقّاً وهنَّ الذنبْ
وجدنا « الغدير » لنا شافياً ✡ يزيل العناء وينفي النصبْ
وفيه الكفاية عن غيره ✡ ولا فقر بعدُ إلى مَن كتبْ
فإن كنت تنوي به قربة ✡ هنيئاً فهذي أجلُّ القُربْ
وإن كنت تنوي به غاية ✡ فقد نلت فيه لذاك الطلبْ

وله كتاب آخر إلينا ختمه بقوله :

دع المجدب الظامي يموت بدائه ✿ ويجرع من كأس الندامة صابا
أيصدر عن روض «الغدير» ومائه ✿ ويتبع وهماً نائياً و سرابا ؟
ويحسب أن يروي غليل فؤاده ✿ ولمّا يجد غير « الغدير » شرابا ؟
فدعه يُلاقي حتفه هو صادياً ✿ ودعه يرى ما يرتضيه يبابا

✿(كتابٌ آخر)✿

تلقّيناه مِن الشّاعر العَلويّ النبيل السيِّد يحيى السيِّد داود الشَرع صدَّره بقوله :

الحقُّ أبلج وضّاحٌ لطالبه ✿ كالشمس باديةٌ في الأُفق للنظرِ
والفضل يرجع في العصر الحديث لمن ✿ بسفره قد أتى عن مُحكم السورِ
ذاك (الأمينيّ) قد لاحت معاجزه ✿ فكان نور هدىً في عالم البشرِ

وقفّاها بفصول الإطراء وختمه بارجوزة تربو على أربعين بيتاً يذكر فيها كتاب « الغدير » وبعض مصادره ، أرجأنا نشرها إلى آونة اُخرى .

✿(كتابٌ ثالث)✿

أخذناه من الشاعر المبدع يحيى صالح الحلّي افتتح كتابه بقوله :

أنرت بسفرك هذا الجليل ✿ طريق الهداية للمجحفِ
وأوضحت اُكذوبة الجاحدين ✿ فلاح لنا منه سرٌّ خفي

ثمّ سبك عقود القريظ ، وسرد كلماً منثورة في إطراء « الغدير » وتخلّص منها بأبيات على بحر رجز . فله وللشريفين الشكر المتواصل منّا غير مجذوذ .

م ✿(كتابٌ رابع)✿

أتانا من الخطيب الشاعر الشيخ كاظم آل حسن الجنابي بعفك وإليك نصّه نظماً ونثرا :

سماحة العلاّمة الأكبر ، شيخنا المعظّم الشيخ عبد الحسين الأميني المحترم

بعد تقبيل أناملكم والسّلام عليكم والدعاء لكم بالخير اُقدّم إليكم أبياتاً نظمتها

بدافع دينيّ لا أُريد أن أُقرِّظ بهما كتاب (الغدير) الأغرّ الذي عجز عن تقريظه وإطرائه أعلام الفقه والفضيلة ، وفطاحل العلماء ، ولم يحط بوصفه عباقرة الكلام وصيارفة الأدب ، وكيف يطيق شاعرٌ مفلق أوذو يراع ملهم أن يحدَّ نعته و يحيط بكنهه ، وهو نسيج وحده نسجته يد القدرة ، وصاغته كفّ العناية ، وصفحته عين اللطف ؟ فجاء بحمد الله فريداً في بابه ، بليغاً في خطابه ، أصاب قلب الغرض ، وكشف وجه الحقيقة وأماط عنها دياجير الظلم ، وغياهب الإجحاف ، فليس باستطاعتي والحالة هذه تقريظ مثل هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، ومَن أنا وما قدر إمكاني ياسيِّدي ؛ حتّى أتصدّى لمدح (الغدير) الذي نبت عن وصفه قرائح الشعراء وأقلام الكتّاب ؟

ولكنّي إنّما أردت بأبياتي هذه إن راقت سيّدنا (الأميني) أن يتفضّل بنشرها لتكون لي ذكرى خالدة بخلود غديرنا الصافي .

سألوني عن « الغدير » أُناسٌ ✡ أين كان « الغدير » قبل الأميني ؟
قلت : كان الغدير في سجن غيٍّ ✡ صفّدته قيود إفك ومينِ
وغدا في السجون من يوم خمٍّ ✡ يوم قال الإله : أكملت ديني
قد أتاه « الأمينيُّ » لمّا دعاه ✡ مستعيناً فياله من معينِ
فجزاه الإله خير جزاء ✡ أوضح الحقّ في كتاب مبينِ
و إذا بالغدير بين يدينا ✡ فيه تبيان كلِّ شيء دفينِ
فيه ما تشتهي النفوس وفيه ✡ ما تلذّ العيون رأي العيونِ
فرحة الصّادقين فيه وفيه ✡ ترحة الكاذبين حقّ اليقينِ
ياكتاب « الغدير » أبهجت منّا ✡ مذ تلوناك كلَّ قلب حزينِ
سوف تبقي بغرّة الدهر نوراً ✡ خالداً في الوجود طول السنينِ
و سلام على مؤلّف سفر ✡ فاق فضلاً رجال كلِّ القرون

[**الشيخ كاظم آل حسن الجنابي**]

فهرست ما فى هذا الجزء من امهات المطالب

مكتبة
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
العامة
النجف الأشرف . العراق

أُسّست بهذا الإسم المبارك مكتبةٌ عالميّةٌ عامّةٌ في عاصمة العلم والدين (النجف الأشرف) فهي رمز الولاء الخالص للمولى أمير المؤمنين ، وعظمة تلك المدرسة الكبرى ، ومقياس ثقافة الأُمّة وحياتها الروحيّة ، ومنار رقيّها وتقدّمها ، وهي أكبر خدمة دينيّة يناط بها شرف الطائفة واعلاء كلمتها ، ويتحفظ بها على تراثنا العلمي ، ونفائس آثار السلف الصالح ومآثرهم .

فعلى كلّ دينيّ غيور أسلم وجهه إلى الله وهو محسن أنْ يساهم في توطيد هذا المشروع المقدّس بكلّ ما تملكه ذات يده من زبرج المال ونفيس الكتب ، وما قيمة زخارف الدنيا تجاه مثل هذا الذخر الخالد الباقي والمؤسّس القويم القيّم أيّد الله مؤسّسه العَلم القدوة الحجّة شيخنا الأكبر الأميني صاحب كتاب (الغدير) الأغرّ ، وأراه النجاح والفلاح في فكرته الصالحة هذه ، وللملأ الدينيّ شكره المتواصل والدعاء له .

محمّد الآخوندى

ممثّل المكتبة بطهران